تزيين الأسواق
بتفصيل أشواق العشاق

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

المتوفى سنة ١٠٠٨هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

القدس للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ

پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

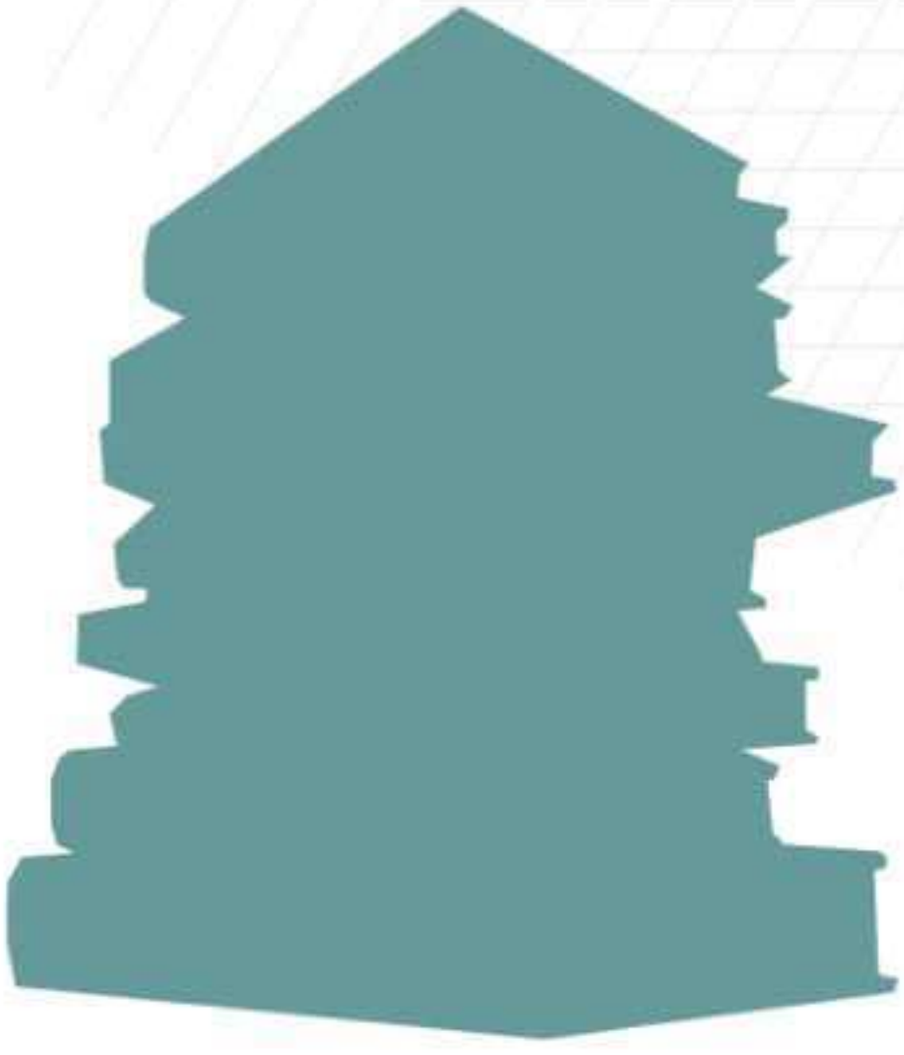

Marfat.com

Marfat.com

تزيين الأسواق
بتفصيل أشواق العشاق

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي
المتوفى سنة ١٠٠٨هـ

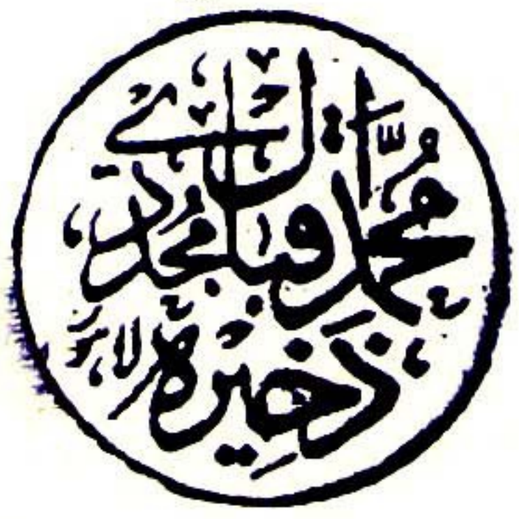

دراسة وتحقيق وتعليق

القدس
للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

٢/١

دار البيان العربي
القاهرة

Marfat.com

129667

جميع الحقوق محفوظة
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين نحمده حمد الشاكرين ، ونصلى ونسلم على إمام المتقيين ، سيدنا وإمامنا ، محمد ، سيد البشر أجمعين ﷺ .

وبعد ؛ فالكتابة فى الأدب أو عن الأدب يحتاج إلى ذوق رفيع ، وحس مرهف، وإلمام بالتراث الأدبى ، وأشياء أخرى كثيرة ، وقد برع المسلمون فى هذا الميدان ، ونما الانتاج الأدبى عندهم من القرن الأول الهجرى ، وتزايد الإنتاج الأدبى ابتداء من القرن الثانى الهجرى بشكل لم يسبق له مثيل ، وواكب هذا النمو إزدياد فى التقسيم والتخصص .

ويمكن بالنظر إلى الخريطة التراثية أن نستخلص الصورة العامة للأدب الإسلامى .

فهناك أدب هادف ، جاد ، يسترشف لبناته وأساسياته من الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المشرفة ، وهذا الأدب يعلمنا أساسيات اللغة ونواحى جمالها ، وهو فى نفس الوقت يحافظ على القيم الثقافية الموزونة . وهناك أيضا نوع من الأدب؛ طابعه التسلية والترويح عن النفس ، بقصد تنشيط النفس لمكابدة الحياة .

هذان النوعان هما الأساس ، وينفرع عنهما أنواع أخرى كثيرة .

ولقد أدى إتقان اللغة وتناولها بطريقة علمية ، بعد ضبطها بالقواعد المستنبطة من لغة العرب ، والقرآن والسنة، إلى تأكيد تفوق اللغة العربية و تبوئها الصدارة والمكانة الأولى بين اللغات التى تتكلمها الشعوب الإسلامية .

وكانت للعلوم التى أحاطت باللغة بالرعاية والحفاظ عليها وتجويدها الأثر

Marfat.com

الكبير ، فعلم النحو وتصنيف المعاجم مدينًا بصفة خاصة لعبقرية اللغة العربية[1] .

فلقد وصل تجويد نظرية النحو ذروتها فى كتاب سيبويه ، وساعد على ذلك الحاجة العلمية الملحة ، فظهر انتاجًا غزيرًا فى النحو بقى مميزًا للدراسات النحوية، ولما كان هذا العلم يعتمد على الأسلوب الوصفى ، فإن هذا العلم بقى علما صعبا ، ومع ذلك كان ميدانا عظيم الأثر لتدريب أهل الأدب والعلم .

كذلك فقد تطور علم المعاجم بسرعة ، وأدرجت الدراسات المعجمية الصغيرة التى تناولت موضوعات خاصة فى مجموعات من عدة مجلدات مكونة معاجم مرتبة حسب الموضوعات . ونمت المعاجم التى قامت على قاعدة أصل الكلمات ، وفق ترتيب ألف بائى حر ، حتى أصبحت تضم مصنفات ضخمة إلتزمت الترتيب الألف بائى إلتزاما تاما ، إما على أساس أول حرف فى أصل الكلمة أو آخر حرف فيها .

أما المعانى المختلفة الواسعة المدى التى تندرج تحت نفس الأصل فلم تكن ترتب وفقا لنظام واضح ، وكثيرا ما كانت تعريفات المعانى تعتمد على شواهد مقتبسة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وبطبيعة الحال الشعر .

وذلك أدى إلى اكتساب هذه المؤلفات مذاقًا أدبيًا واضحًا .

أما إسهام علم فقه اللغة فى الأدب ، فيتمثل فى وضع عدد كبير من القصص، والنوادر الى تتسم بالظرف ، وهى تدور حول النحويين واللغويين ، والأسرار الخاصة بعلمهم ، أضف إلى ذلك جمع الأمثال والحكم من النثر والشعر ، ثم التعقيب بالشرح عليها وإلى جانب ذلك الرسائل والمختارات الأدبية .

---

(١) انظر فى ذلك عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية فى المشرق الإسلامى ، د. ناجى معروف

Marfat.com

فكل ذلك كان له مغزى عميق حول كل موضوع يمكن تصـوره ، وهـو أنـه يتعين على الأديب الإلمام به ، فإن هذه الرسائل والمختارات أولت اهتمامًا كبـيرًا، صريحًا وضمنيًا للغة واستعمالها الفريد .

أما إذا تلكمنا عن الشعر ، فهو ديوان اللغـة عنـد العـرب، إذ إن أوزانـه التـى تتضمن عددًا معينًا من البحور الشـعرية ، وأبياتـه التـى يتـألف الواحـد منهـا مـن شطرين متساويين فى الوزن ، وإلتزامه قبل كل شىء بالقافية على شـكل حـرف أو مقطع فى نهاية كل بيت ، مع المحافظة على هذه القافية طوال أبيات القصيدة، وينطبـق هـذا أيضًـا علـى المحتـوى الرئيسـى للشـعر ، وقـد عـبر هـذا الشـعر عـن أحاسيس الشاعر الشخصية ، وتطلعاته وخبرته فى الحب والحياة ، بالإضافـة إلى علاقاته فى الحرب والسلم، أما اللغة التى اختيرت لتناسب التعبير الشعرى ، فهـى الفصحى بمقوماتها النحوية التى احتفظت بها منذ أقدم العصور ، وكانت ألفـاظ الشعر غنية ، وتتحلى بمفردات متنوعة .

وقد أدى التحول من البنية العربية البدوية إلى حياة المـدن الإسـلامية الحضريـة إلى زيادة اهتمام الشعراء بالأحوال والتقاليد الخاصـة بحيـاة أهـل المـدن، وكذلـك الاهتمام بالتجارب المتنوعة لحياة أغنى وأكثر رخاء .

ولقد بلغ ذلك مجده فى العصر العباسى الذهبى

وهذه التقدمة الموجزة ، ذكرناها لإلقاء الضوء على حركة الأدب الإسلامى ، والعوامل التى أثرته

أما موضوع كتابنا [تزين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق] . للعلامة الأديـب داود الأنطاكى المتوفى سنة (١٠٠٨هـ) هو ضـرب مـن فنـون الأدب الإسـلامى المتخصص ، ومجال تخصصه (العشق وأهله) . والكتاب بحق موسوعة أدبية فريـدة

Marfat.com

واضحة المنهاج جمع فيه مؤلفه أخبار العشق وأهله .

والكتاب مرَّ بمراحل حتى يصل إلى داود الأنطاكى .

فبداية ألف القاضى عزيزى بن عبد الملك بن منصور ، أو المعالى المتوفى سنة (٤٩٤هـ) كتابة [مصارع العشاق فى شارع الأشواق] .

ثم جاء من بعده جعفر بن أحمد الحسين ، الفاري السراج ، المتوفي سنة (٥٠٠هـ) وألف كتابه [مصارع العشاق] وكان لسابقه مسترشفًا

ثم جاء من بعده محمد البارزى ، صدر الدّين ، المتوفى سنة (٧٨٥هـ) وألف كتابه [الفائق فى المواعظ والرقائق] .وكان للكتاب السابق عليه مهذبًا ومنسقًا

ثم جاء إبراهيم بن عمر بن الحسن الرباط البقاعى ، المتوفى سنة (٨٨٥هـ) وألف كتابه [أسواق العشاق من مصارع العشاق] فكان لسابقيه محسنا ومجودا،ومؤنقا.

ثم ختمت هذه السلسلة بصاحبنا العلامة داود بن عمر الأنطاكى ، الذى أجاد وأبدع، فوضح المنهج ، وبرع فى تبويبه،وأضاف على من سبقوه ، وحذف الأسانيد والمكرر ، حتى ظهر الكتاب غرة بيضاء .

تحقيق المخطوط :

ولعلنا نعلم أن هذا الكتاب طبع عدة طبعات ، بداية من سنة (١٢٩١هـ) طبعة بلاق ، لكن للأسف كل هذه الطبعات شابها التصحيف والتحريف فضلاً عن عدم خدمة النص والتحقيق الرصين .

لذلك بعلمنا أن هذا الكتاب من الأهمية بمكان ؛ لذلك ألزمنا أنفسنا بخدمة هذا السفر الجليل .

Marfat.com

علمنا فى هذا الكتاب :

١. ضبط النص وتقويم العبارة بالرجوع إلى المخطوطات والنسخ المطبوعة.

٢. شرح الغريب من الألفاظ والأشعار .

٣. تخريج الأحاديث والآثار .

٤. غزو الشعر وأقوال العلماء .

٥. تراجم الشعراء والعلماء .

٦. الفهارس اللازمة للكتاب .

وختاما ، نسأل الله أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل ، ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه ، وإخراجه بهذا الثوب القشيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو محمد

أيمن عبد الجابر البحيرى

القاهرة

Marfat.com

Marfat.com

ترجمة المؤلف

اسمه:

داود بن عمر الأنطاكى، الضرير.

مولده ونشأته:

ولد داود الأنطاكى فى إحدى قرى أنطاكية، وكان ضريرًا مقعدًا، كان أبوه قد خصص له من يحمله كل يوم ويذهب به إلى صحن الرباط ليتناول العلم.

وبعد مرور الأيام وصل إلى صحن الرباط عالم جليل يدعى الشبخ محمد شريف الذى كان على علم كبير بالطب وبعض جوانب من علم الكلام.

استطاع الشيخ محمد شريف أن يعالج داود الأنطاكى وجعله يسير على قدميه.

كان داود النطاكى شديد الاهتمام بالاستماع إلى الشيخ محمد شريف، وقد نهل من علمه الكثير والكثير.

شيوخه:

أخذ داود الأنطاكى المنطق والرياضيات والطبيعيات من الشيخ محمد شريف، فضلاً عن علم الطب.

بعد أن رحل إلى جبل عامل بلبنان أخذ من هناك العلم عن مشايخه، وتأثر كثيرًا بالمذهب الشيعى.

وفى دمشق أخذ عن الغزى والعمادى.

تلاميذه:

Marfat.com

برز لداود الأنطاكى عدد كبير من التلاميذ فى مختلف العلوم، من أشهرهم شهاب الدين الخفاجى.

مكانته العلمية:

كان داود الأنطاكى يتمتع بمكانة علمية واسعة حيث أنه كان رأس أطباء زمانه وشيخ العلوم الحكمية، اشتهر أيضًا بالعلوم الشرعية وبنظم الشعر.

وفى الحجاز سمع له الشريف حسن أمير مكة، وشجعه على الدرس والحكمة لما له من خبرة عالية فى هذا المجال.

استطاع داود الأنطاكى أن يطلع على كثير من المؤلفات المتعلقة بالعلوم الفلسفية والطبية فى العصر العباسى والأندلسى والفاطمى .

وفاته :

توفى داود الأنطاكى فى مكة سنة (١٠٠٨هـ) ودفن بها .

مؤلفاته:

كان لهذا العالم الجليل الكثيرمن المؤلفات التى تدل على نبوغه العلمى ومكانته العالية ، نذكر منها على سبيل المثال .

١- استقصاء الملل وشافى الأمراض والعلل .

٢- ألفية فى الطب .

٣- التحفة البكرية .

٤- الدرة المنتخبة .

٦- رسالة فى الهيئة .

Marfat.com

٧- رسالة فيما يتعلق بالشعر من المسائل الطبية .

٨- زينة الطروس فى أحكام العقول والنفوس .

٩- شرح أبيات السهروردى .

١٠ شرح القانون لابن سينا .

١١- طبقات الحكماء .

١٢- غاية المرام فى علم الكلام .

١٣- الكحل النفيس .

١٤- نزهة الأذهان .

١٥- النزهة المبهجة .

مصادر الترجمة :

١- الأ علام (٣٣٣/٢) .

٢- البدر الطالع (٢٤٦/١) .

٣- خلاصة الأثر (١٤٠/٢) .

٤- شذرات الذهب (٤١٥/٨) .

٥- كشف الظنون (ص ٧٩، ٨٠).

٦- معجم المؤلفين (٧٠١/١) .

٧- هدية العارفين (٣٦٢/١) .

Marfat.com

Marfat.com

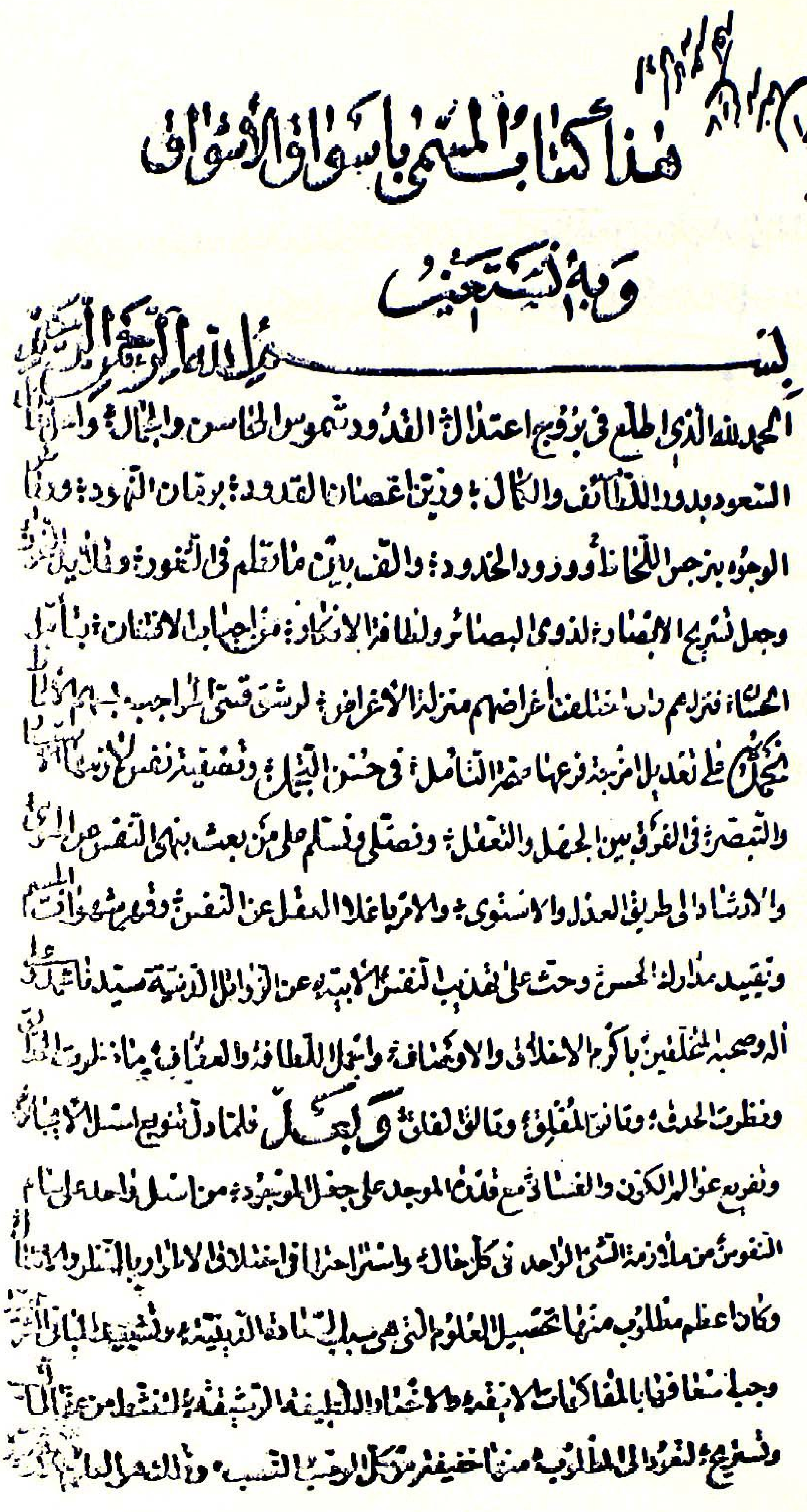
هذا كتاب المسمى بأسواق الأشواق
وبه نستعين
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أطلع في بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأ...
السعود ببدور الذوائب والكمال ، وزين أغصان القدود برمان النهود ...
الوجوه بزجر اللحاظ وورود الخدود ، وألف بين ما تقسم في التنوع ...
وجعل تنزيه الأبصار لذوي البصائر ولطائف الأفكار من حجاب الافتتان ...
الحسان فتراهم دون اختلاف أغراضهم منزلة الأعراض ...
محمد على تعديل أمزجة فرعها حصر التأمل في حسن التمثيل وتصفية نفس ...
والتبصرة في الفرق بين الجهل والتعقل ، ونصلي ونسلم على من بعث بنهي النفس عن الهوى
والإرشاد إلى طريق العدل والاستواء ، والأمر بإعلاء العقل عن النفس وقهر شهوات الجسم
وتقييد مدارك الحس وحث على تهذيب النفس الأبية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه المتخلقين بأكرم الأخلاق والاتصاف وأجمل اللطافة والعفاف ...
وغطرفت الحدق ، وتاقت المقل ... وبعد فلما دل تنويع أصل الإنسان
وتفريعه عن عالم الكون والفساد مع فقد الموجد على جعل الموجود من أصل واحد ...
النفوس من ملازمة الشيء الواحد في كل حال واستراحتها إلى اختلاف الأحوال ...
وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التي هي سبب السعادة الحقيقية وتشييد المباني ...
وجبلة شغفها بالمفاكهات ...
وتسريح النفوس إلى المطلوبة منها خفيفة من كل ...

الصفحة الأولى من المخطوط

Marfat.com

في التواريخ والأخبار، ولطائف الحكايات والأشعار، ولما من الله علي بعد تحرير العلوم العقلية

وتمهيد أصول الدقائق الحكمية، بالهجرة إلى الديار المصرية، فمثلت لما بين الأماثل وخدمة

من سما بهمته من أرباب الفضائل، من سبحانه وتعالى بجائزة عوائده السنية، بتحصيل ما أمكن

من العلوم الشرعية، بيد أني وجدت في خلال الاشتغال بها تشويش الفكر وتغير البال، وهيج البلبال

شعرًا: من هموم وحاجة واغتراب * كدرت مني القوى النفسانية

فهي في كل ساعة في افتقار * غيبت منه عن مدرك الحسية

فأنا وهي في التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجسمية

لا أجد من يفرج الكروب إذا شكوت إليه، ولا من أعول إذا دهمنا في الأمر عليه، كان الزمان

كأملي، فعلى المساوي، بل المتساوي، فلا معين ولا معين، فعند ذلك أدركتني الشافية

فضربت عن بانع المآرب، فأعملت الحيلة فيما به أدفع التعفن وأنفي اللبس، فانقدح في

الفكر بعد طول التعب، أن أستطلي ما رب لاحب، فمارست من الأصحاب من هو له كالعناية

فمال إليه ومني الفاترة، فرغبت في جمع شيء من محاسن المختلفة، ووضعها بحيث تكون في الجنس

وإن اختلفت بالنوع مؤتلفة، فكان أول ما سطرته وأحكمت قواعده، وحررته طبقات ذكرت

فيها أخبار الحكماء، ولطائف الأطباء، ثم ذيلت بمجاميع مختلفة، إلى أن وقع اختياري على أن خصصنا

الصفحة الثانية من المخطوط

Marfat.com

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الاحد ثالث عشر

شوال المكرم سنة سبعين ومائتين بعد الالف من الهجرة

النبوية صلى الله عليه وآله على يد الفقير الحقير

الكثير التقصير ابن ابو القاسم الموسوي

الصفحة الأخيرة من المخطوط

Marfat.com

Marfat.com

تزيين الأسواق

بتفصيل أشواق العشّاق

تأليف

العلّامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

المتوفى سنة ١٠٠٨هـ

Marfat.com

129667

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال، وأهلّ[1] فى منازل السعود[2] بدور اللطائف والكمال، وزين أغصان القدود[3] برمان النهود ، ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ[4] وورد الخدود، وألف بين ما نظم فى الثغور وقلائد النحور، وجعل تسريح الأبصار لذوى البصائر، ولطافة الأفكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان، فنزلهم وإن اختلفت أغراضهم منزلة الأغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الألحاظ.

نحمده على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل ، وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل .

ونصلى ونسلم على من بعث ينهى النفس عن الهوى، والإرشاد إلى طريق العدل والاستوا، والأمر بإعلاء العقل على النفس ، وقهر شهوات الجسم ، وتقييد مدارك الحس، فحث على تهذيب النفس الأبية عن الرذائل الدنية، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الأخلاق والأوصاف وأجمل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق، ونظرت الحِدَق، وتأنق المُفلِقُ[5]، وتألق الفَلَقُ[6].

وبعد فلما دل تنويع أصل الإيجاد ، وتفريع عالم السكون والفساد -مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد ، على سأم النفس من ملازمة الشىء الواحد فى كل حال ، واستراحتها فى اختلاف الأطوار بالنظر والانتقال، وكان

---

(١) أهلَّ : ظهر وطلع ، كما يهل الهلال . انظر : القاموس المحيط، مادة [هلل].

(٢) منازل السعود: مجموعة كواكب عشرة، وهى من البروج. انظر: القاموس المحيط، مادة [سعد].

(٣) القدود: جمع قد: وهى القامة أى قامة الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [قدد].

(٤) اللحاظ: النظر بمؤخر العين عن يمين ويسار، أى نظر إليه بجانب عينه. انظر: القاموس المحيط، مادة [لحظ].

(٥) المفلق : الشاعر المجيد ، ياتى بالعجائب ، انظر : لسان العرب مادة [فلق] .

(٦) الفلق : الصبح ، انظر : لسان العرب ، مادة [فلق] .

Marfat.com

أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية، وتشييد المبانى الشرعية- وجب إسعافها بالمفاكهات[1] الأنيقة والأخبار اللطيفة الرشيقة، لتنشط من عقال[2] التعب وتستريح، فتعود إلى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب[3] والنصب[4]، وذلك هو العلوم الأدبية، كالتواريخ والأخبار، ولطائف الحكايات، والأشعار.

ولما مَنَّ الله تعالى علىَّ بعد تحرير العلوم العقلية ، وتهذيب النفس بالدقائق الحِكمية بالهجرة إلى الديار المصرية ، فمثلت بها بين يدى الأماثل، وخدمت مَنْ سَماَ فيها من أرباب الفضائل ، مَنَّ أيضا سبحانه وتعالى ، كجارى عوائده السنية[5] ، بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية ، بيد أنى رُميت فى خلال الاشتغال بما شوّش الفكر ، وغير البال ، وهيج أليم البلبال[6] :

مِنْ هُمُومٍ وحَاجَةٍ واغْتِرابِ كَدَرَتْ مِنِّى القُوِى النَّفْسِية
فَهىَ فى كُلَّ سَاعَةٍ فىِ ازْدِيَادِ غِبْتُ مِنْهُ عَنْ مَدْرَك الحِسِّيَّة
فأنَا وهىَ فىِ التَّلازُمِ صِرْنَا كَالهُيولىِ والصُّوَرَهِ الجِنسِيْةِ

لا أجد من يفرج الكرب إذا شكوت إليه، ولا من أعوّل[7] ، إذا ضاق الأمر عليه كأن الزمان .

كما قيل:

فَفى المسَاوِى بَدَا التَّسَاوى فَلاَ مَعِينَ ولا معِينُ[8]

---

(١) المفاكهات مفردها مفاكهة : المزاح والمرح. انظر: القاموس المحيط، مادة [فكه].

(٢) عِقَال: حبل عُقُد يشد به البعير فى وسْط ذراعه ويطلق على ما يحبس الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقل] .

(٣) الوصب : المرض والتعب . انظر: القاموس المحيط، مادة [وصب].

(٤) النصب: العناء والبلاء. انظر: القاموس المحيط، مادة [نصب].

(٥) السنية: الرفيعة، العالية الشأن. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنى].

(٦) البلبال: شدة الهم. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلّ].

(٧) أعول : أى من أستعين به واعتمد عليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [عول].

(٨) المُعِين : المساعد . انظر : القاموس المحيط ، مادة [عون] .

Marfat.com

فغير ذلك إدراكى الثاقب ، فقصرت عن بلوغ المآرب[1]، فأعملت الحيلة فيما به أريح النفس ، وأنفى اللبس فانقدح فىّ الفكر ، بعد طول التعب وأن أمتطى غارب[2] الأدب فمارست من الأصحاب من هو له كالعناصر فمال إليه ذهنى الفاتر، فشرعت فى جمع شىء من محاسنه المختلفة ،وضمها بحيث تكون فى الجنس و إن اختلفت بالنوع مؤتلفة .

فكان أول ما سطرته ، وأحكمت قواعده، وحررته طبقات ، ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الأطباء، ثم لم أزل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة ، إلى أن وقع اختيارى على اختصار [**أسواق الأشواق**] ، المأخوذ من [**مصارع العشاق**] المنسوب إلى أبى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج[3]، رحمه ا لله، فإنه وإن كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله، وظرائف نكت العشق وأهله، ورقيق اللفظ وجزله ؛ إذ هو صنيعة وحيد زمانه، ورئيس أقرانه، وواحد عصره، ونادرة دهره، مولانا أبى الحسن إبراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى[4] ، تغمده ا لله برضوانه، وأسكنه فسيح جناته، إلا أنه كتاب طال فى غير طائل ، وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة إليه من المسائل ؛ كذكر الأسانيد،وتكرارها؛ الذى هو شأن الأحاديث النبوية لتوثيق الأحكام الدينية ؛ وكالإخلال بمحاسن الأخبار ، ولطائف الأشعار ؛ التى هى بهذا الفن أعلق من الجوى بأهل الهوى ؛ وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب ؛ وكالإعراض عن ذكر غالب أسباب

---

(١) المآرب مفردها مأرب : الغاية والحاجة ، انظر : لسان العرب ، مادة [أرب]

(٢) غارب كل شئ : أعلاه . انظر : لسان العرب ، مادة [غرب] .

(٣) أبو بكر محمد بن جعفر ، هو: ابن أحمد بن الحسين السراج، القارى، البغدادى، أبو بكر من الأدباء توفى ببغداد سنة (٥٠٠هـ) . انظر: معجم المؤلفين (١٩٢/٣).

(٤) أبو الحسن هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوى، البقاعى، الشافعى : عالم، أديب، مفسر، محدث، مؤرخ ، ولد بقرية (خربة روحا) فى البقاع، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق، ثم دخل بيت المقدس،ثم القاهرة .تصانيفه: نظم الدرر فى تناسب الآى والسور، الضوابط والإشارات لأحزاء علم القراءات. توفى سنة (٨٨٥هـ) بدمشق . انظر : الضوء اللامع (١٠١/١) ، معجم المؤلفين (٤٩/١) .

Marfat.com

وقوع بعض العشاق فى شَرَكِ الحب إلى غير ذلك، مما يظهر لمتأمل كتابنا مع أصله إذا طَرَحَ الهوى وانتظم فى سلك الإنصاف وأهله .

فألفت هذا الكتاب الذى هو فى قلادة هذا الفن درة بيضاء ، وفى جبهة جواده غرة غراء ، أكملت فيه فوائده ، ورددت شوارده وأضفت ما نبذه ظهريا[1] ولم آت شيئًا فريًا ، فزاد على أصله بأمور اثنى عشر :

أحدها : وهو الأعظم ؛ تبديل ما فى الباب العاشر ، الذى سماه : بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ،ضمنته ما حل مما تقدمه محل الأصول من الفروع، كجعلك الغيرةَ أصلاً لنحو حكاية ديك الجن[2] ، وكتمَ الأسرار ، لنحو صاحب الجارية فى عرفة، وتَأَمّلُ الخيال ، لنحو من عشق فى نومه ، إلى غير ذلك، وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره، وهو نمط ما بسط قبل.

وثانيها : حسن التقسيم فى الأبواب.

وثالثها : لطف الترتيب وضم الأنواع المتماثلة.

ورابعها : حذف الأسانيد والتكرار ، مع ذكر ما اختلف بإشارات ؛ كان ، وقيل.

وخامسها : ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها .

وسادسها : تمييز من جهل شيئًا من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله .

وسابعها : تفصيل من عَلِقَ الأحرارَ من أهل الرق ،والمسلمين من أهل الشرك، وأمثال ذلك من قديم ومحدث .

وثامنها : ذكر ما فى الأصل من الألفاظ اللغوية ، مفسرًا ذلك بإزائه مبدلاً ذلك بأوضح منه .

وتاسعها : شرح ما فى الأشعار من الغريب .

---

(١) ظهريًا: جعله وراء ظهره . انظر: القاموس المحيط، مادة [ظهر].

(٢) ديك الجن ، هو : عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبى ، شاعر جيد ، اتسم شعره بالمجون ، وهو من شعراء العصر العباسى ، سمى بديك الجن ، لأن عينيه كانتا خضراوتين ، ولد وتوفى بحمص سنه (٢٣٥هـ) . انظر : وفيات الأعيان (٢٩٣/١) ، الأعلام (٥/٤) .

Marfat.com

وعاشرها : تعليل الأسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحِكمية ، مأخوذًا من الأصول والأدلة الفلسفية والقواعد الطبية.

وحادى عشرها : ذكر تعلق هذا الفن بأنواع المواليد الثلاثة ، وكيفية دخوله فيها.

وثانى عشرها : الزيادات فى الأبواب، فربما كانت أنواعًا مستقلة ، وتكميلاً لما وجد بعضه فى الجملة ، وربما زاد عليه بأشياء غير المذكورة فى مطاوى[1] معانيه؛ فتر عن استحضارها الذهن هنا .

كل ذلك مما استخرجه فكرى القاصر ،وذهنى الفاتر، أو ظفرت به فى كتب، ربما أسمى بعضها فيه .

هذا كله ،مع إنى والله لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوّش طارئ على ما عندى مما سبقت الإشارة إلى ذكره .

ولما كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق ،سميته [**بتزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق**] ورتبته على مقدمة ، وخمسة أبواب ،وخاتمة .

والله المسئول أن ينفع به فيما قصد بترتيبه ، وأن يوفقنا إلى أصح القول وتهذيبه ، إنه أكرم من أعطى المراد ،وسئل فجاد .

فالمقدمة : فيما جاء فيه من الأخبار والآثار ،ويلى ذلك أربعة فصول :

الأول : فى الترغيب فيه.

والثانى : فى رسمه.

والثالث : فى مراتبه.

والرابع : فى علاماته.

والباب الأول: فى مصارع محبى الله تعالى ،وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية.

والباب الثانى : فى عشاق الجوارى ، وهو ستة أقسام :

الأول : فيمن اشتهر .

---

(١) المطاوى : الشيء المخفى. انظر: القاموس المحيط، مادة [طوى].

Marfat.com

الثانى: فيمن جهل.

الثالث: فى عشاق الإماء .

الرابع : فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس من الفراق .

الخامس: فيمن وسموا بالفساق من العشاق .

السادس : فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة .

وفى كل قسم أصناف وأنواع ؛ بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام.

والباب الثالث: فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام :

الأول : فيمن استلب الهوى نفسه.

الثانى : فيمن جهل حاله.

الثالث: فيمن ظفر بمطلوبه.

الرابع: فيمن منعه الزهد والعبادة أن يقضى مراده .

و ألحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدواء للسلو[1] عن الهوى.

والباب الرابع: فى ذكر دخول العشق فيما سوى البشر، وهو نوعان:

الأول: فى الجن .

والثانى: فى الحيوان، والنبات، والمعدن، والعناصر، والأفلاك.

والباب الخامس: قد اشتمل على فصول؛ كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة، وقد ألزمت نفسى أن أفتح كل فصل منه بكلام أستاذ الحقيقة ، ورئيس أهل الطريقة ، مُسْكت كل لافظ ، ومبين مافى الطريق من القواطع والعوارض، سيدى : **عمر بن الفارض**[2] غمرنا الله تعالى بْبركاته، وطيبنا بنفحاته، متبعًا ذلك بما تيسر

---

(١) السلوّ: النسيان. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٢) عمر بن الفارض؛ هو: عمر بن على بن المرشد بن على، الحموى الأصل، المصرى، شرف الدين، أبو حفص ، سلطان العاشقين ، شاعر ، صوفى . أصله من حماة، وولد بالقاهرة سنة (٥٧٦هـ) اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث من ابن عساكر، ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وانعزل عن الناس. انظر : سير النبلاء (٢١٢/١٣) ،وفيات الأعيان (٤٨٣/١)، معجم المؤلفين (٥٦٨/٢) .

Marfat.com

من حل ألفاظه حسب ما سنح[1] فى الذهن، ثم أقول بعد انتهاء متعلـق الطريقـة، رجع إلى كلام المترسمين[2] من أهل الظاهر.

وأختم الفصل بما سمحت به القريحة[3] الفاترة ، والفكرة القاصرة ؛ من لطـائف النظم المناسب ، لما ذكر عن أهل الصناعـة هنـالك، وأتبعـت الفصـول بتتمـة فـى لطائف الغزل الخاص والعام ، وتقسيم ذلك .

وأما الخاتمة : ففى لطائف ونكت متفرقة ، لا لتزم تعلقها بالعشق ، وبهـا يتـم الكتاب.

---

(١) سنح : عرض .انظر : القاموس المحيط، مادة [سنح].

(٢) المترسم: المختص . انظر: القاموس المحيط، مادة [رسم].

(٣) القريحـة : الملكة الخاصة بالشاعـر التى يستعين بها علـى الإجـادة. انظـر: القـاموس المحيـط، مادة [قرح].

Marfat.com

Marfat.com

في ما جاء في العشق من الأحاديث والآثار وفي حده ومراتبه

Marfat.com

Marfat.com

فيما جاء فى العشق من الأحاديث والآثار وفى حده ومراتبه

اعلم أن واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتى فالعود إليه، وطلب القرب منه واجب على كل ذى نفس قدسية، ومن ثم تطابقت الأدوار شاهدة بذلك ويدل له عموم :«**فقال له: أقبل**»[1] الحديث .

وعنه النفس الكلية ثم تسما الأجسام الفلكية والعنصرية كما هو فى محله، إلى أن كان أشرف النفوس وأرفعها على الإطلاق النفس الإنسانية ، ولشبه الشىء بأصوله -كما هو واضح مقرر فى محله بالبراهين- انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : النفوس المعدنية؛ وهى الجامدة، التى لا تعقل ما يراد منها، ولا تعرف إلا ما تقوم به بنيتها، ويصدر عنها، وذلك إما بالخاصية، أو بأمر أَوْدَعَهُ صَانِعُها فيها لمصالح يعلمها؛ ويشهد لذلك ما يشاهد من صور فى الجبال والطين ونحوهما.

وثانيها: النباتية ؛ وهى أرفع من الأولى ، باعتبار الذبول ، والتحلل الظاهر.

وثالثها: الحيوانية ؛ وتفضل السابقة بالحركة الإرادية والحسَّاسِية ، ونحوهما من العوارض .

ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من النوع ، كانقسامه فى نفسه، وذلك كانقسام :

---

(١) جزء من حديث : «لما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، قال له : أدبر ، فأدبر...» ذكره صاحب كنز العلوم (٧٠٥٨) وعزاه للطبرانى عن أبى إمامة ، وقال الزركشى : كذب موضوع ، ومن قبله ابن تيميه ، قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على هذا الحديث وغيره من أحاديث مدح العقل: وكل ما ورد فى العقل من الأحاديث فلا تصح منه شىء ، بل أطلق ابن تيميه عليها كلها بالوضع .
قال ابن الجوزى : المنقول عن رسول الله ﷺ كثير ، إلا أنه بعيد الثبوت، وقال أبو حاتم ابن حبان الحافظ : لست أحفظ عن النبى ﷺ خبرًا صحيحًا فى العقل . قلت : وهذا كله لا يمنع من شرف العقل وفضله حيث إنه مناط التكليف ، وكفى . انظر : كشف الخفا (١٤٨/٢) ، ذم الهوى صـ ١٥، المشكاة (٥٠٦٦) .

Marfat.com

الأولى: إلى ما يكون صافى الجوهر جيده ، كالياقوت والذهب.

والثانية: إلى ماهو كثير النفع طيب الطعم والرائحة ، كالعنبر ، والعود.

والثالثة: إلى ماهو صالح للنفع والزينة كالخيل، وإلى شجاع كالأسد، وخبيث كالنمر، وحافظ للعهد كالكلب، وقوّام على حفظ ما يستحفظ كالقرد، ونظائر ذلك.

ولما كانت النفس الإنسانية زبدة[1] الكائنات ، وخاتمة طرفى سلسلة العلل والمعلولات ، لا جرم كانت مقتدرة على أن تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف ، فتكون حيوانية بحتة، أو تعمل فى خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم ، فتحلق بعالمها الأصلى ؛ وهى النفس الملكية المقرة بالمبدأ والمعاد، المخلصة من محض الكثافة ، المنتظمة فى سلك محض اللطافة، أو تجمع بين الأمرين وتؤلف بين الطريقين ، وهذه هى الإنسان المطلق .

والأولى: الحيوانى .

والثانية: الملكى .

فقد بان لك أن الإنسان منقسم كأصله ومميز بفعله، ثم لا شبهة فى انقسام كل كالمنتسب إليه ، ويكون كماله منزلاً عليه .

فالحكيم محتاج فى إصلاح :

الأولى: إلى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور ، أو بالضرب والإهانة كالدب والحمار، وبإطعام الطعام كالخيل والكلاب ، أو بالإرسال والجدب والتحفظ من غدرها كالأسود والجمال.

والثانية: وإن تفاوتت مراتبها ، غنية عن الإصلاح إلا من قبل مبدعها.

والثالثة: هى المحتاجة إلى العلاج وملاطفة المزاج ، والعشق الحقيقى لها غالبًا ، لأنه تابع للأمزجة، ولأن عشق الملكى والحيوانى بسيط .

إذ الأول : يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود.

والثانى: لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة.

إذا تقرر هذا فاعلم أن العشق بعد أن سمعت ما سمعت ؛ يختلف باختلاف المزاج على أنحاء أربعة :

---

(١) زبدة: زبدة الشىء ، أفضله وأحسنه. انظر : القاموس المحيط، مادة [زبد].

Marfat.com

سريع التعلق والزوال : كما فى الصفراويين[1] .
وعكسه : كما فى السوداويين[2] .
وسريع التعلق بطىء الزوال : كما فى الدمويين[3] .
وعكسه : كما فى البلغميين[4]، ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان .
وأما المعتدل : فيكون العشق فيه كذلك، فعلى هذا يكون قولهم : لكل أحد صبوة إلا مَنْ جفت خلقته ، أو نقصت بنيته ، أو خرجت عن الاعتدال أمزجته ؛ محمولاً على الاعتدال النسبى ، الذى إذا حصل لشخص كان به على ما ينبغى أن يكون عليه، لا الحقيقى لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ ، والواقع خلافه ، ثم هو متى وقع على ما وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه .

فقد قال الأستاذان: أقل مزاياه ؛ تعليم الكرم ، والشجاعة ، والنظافة ، وحسن الأخلاق ، وذلك أن غاية مراد العاشق رضا معشوقه، ورضا المعشوق يكون بإنصاف العاشق بما يوجب المدح ، ويحسن المرتبة فى القلب .

فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه، واللازم واقع، فكذا الملزوم ، وبيان الملازمة ظاهر .

و إيضاحه : أن العاشق وإن بخل جدًا ، فلا يمكن بخله على المعشوق، ومنه يتطرق الحال إلى من يعلم أنه متى بخل عليه أوصل الأمر إلى معشوقه، وهكذا فيؤدى الحال إلى مطلق الكرم، وكذا باقى السجايا المذكورة، ولذلك جاء

---

(١) الصفراويون : نوع من أنواع الأمزجة النفسية قديمًا ، وهو الذى غلبت عليه الحرارة واليبس، ويكون صاحب هذا المزاج الحار الملمس من الشعر ، ضحوكاً ، طيب النفس . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، صـ٩٩ .

(٢) السوداويون : وهو الذى غلب عليه البرد مع اليبس، ويكون صاحب هذا المزاج صلب البدن، قليل اللحم، بطىء الحركات . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، صـ١٠٠ .

(٣) الدمويون : وهو الذى غلبت عليه الحرارة والرطوبة، ويكون صاحب هذا المزاج ذكى الفهم، شجاعاً، حار الملمس ، خفيف الحركات . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، صـ١٠٦ .

(٤) البلغميون : وهو الذى غلب عليه البرد والرطوبة، ويكون صاحب هذا المزاج ثقيل البدن، كثير اللحم، بارد الملمس ، بليد الفهم. انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، صـ٨٤ .

Marfat.com

الناموس[1] الشرعى بمطابقة القانون الحِكمى ، كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شىء ، ولا عبرة بكلام بعض الأغبياء.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : **((من عشق فعف فمات فدخل الجنة))** ، زاد الخطيب عنه: **((فظفر))** ، ثم أبدل قوله:**((دخل الجنة))** ، بقوله:**((مات شهيدًا))** ، وفى أخرى : **((وكتم))** .

والحديث[2]: بسائر ما ذكر ، صححه مغلطاى ، وأمحله[3] البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به، ورواه ابن الجوزى مرفوعًا، وأبو محمد بن الحسين موقوفًا .

وأخرج الخطيب عن عائشة ، رفعه أيضًا .

وحاصل الأمر : ما صحته أو حسنه، والجواب عن تفرد سويد : المنع بوروده عن غيره، وحكايته تحديثًا وكونه قبل عَمَاهُ ؛ فلا تدليس، وإذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه، لأن غاية الغايات : دخول الجنة ، وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه .

وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى ؛ العفة ، وهى مذهب الحكماء ، بل أساس الحكمة، وهى كما صرح به المعلم[4] ثمرة الأصل الطاهر ؛ لأن أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل، ومنها الكتم وهى ثمرة المروءة والشهامة ، وكلاهما: مستلزم علو النفس وصحة المزاج ، فقد اتضح ما قلناه :

---

(١) الناموس : الوحى ، أو الشريعة والقانون الشرعى . انظر: القاموس المحيط، مادة [نمس].

(٢) الحديث : هذا الحديث فيه كلام كثير ، نذكر بعض ما قاله العجلونى فى كشف الخفا، قال: رواه الخطيب فى ترجمة محمد بن داود الأصبهانى عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ : **((فهو شهيد))** ورواه جعفر السراج فى مصارع العشاق عن سُويد ، ورواه ابن المرزبان عن أبى بكر الأزرق عن سويد موقوفاً ، وقال : إن شيخه كان حدثه مرفوعًا ، فعاتبه فيه، فاسقط الرفع ، ثم صار بعدُ يرويه موقوفاً ، وهو مما أنكر يحيى بن معين وغيره على سويد ، الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعاً بسند صحيح ، وذكره ابن خحزم كشف الخفا (٣٤٦/٢) ،كنز العمال (١١١٧٩) الاسرار المرفوعة لعلى القارى العلل المتناهية (٢٨٦/٢) .

(٣) أمحله ، بمعنى : الاضطراب والضعف .

(٤) المعلم ، هو : سقراط بن سُفْرُنيسقوس ، الفيلسوف اليونانى من أهل أثينه هكذا يطلق عليه عند أصحاب الفن . انظر : قصة الفلسفة اليونانية ، صـ ١٠٥ .

Marfat.com

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : **«إنَّ الله ليعجبُ مِنْ شَابٍ لا صَبْوَةَ لَهُ»**[1].

ووجهه الإعجاب ؛ القدرة على حكم زمام النفس وزجرها ، مع تركيب الشهية ، وتوفر الدواعى ، وما تكلفه فى الأصل من أن المراد بالإعجاب أثره واضح لا يحتاج إليه؛ لأنه وما شاكله من الرحمة ، التى هى رقة القلب لا تكون إلا لذى المزاج، ولما علم بالضرورة تنزهه تعالى عن الأجسام والأعراض ، عُلم بُرؤه من لوازمها، فما وقع مما يوهم شيئًا فالمراد لازمه ،ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الأكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرًا ، فمن ألطف ما قيل فى ذلك .

قول ابن الصائغ[2] :

سأكْتمُ ما ألْقَاهُ يا نورَ نَاظِرِى ... مِنَ الأجرِ كَيْلاً يذْهَبَ الأجْرُ باطِلاَ
فقدْ جاءنا عَنْ سَيدِ الخلْق أَحْمَدِ ... ومَنْ كان برًا بالعِبَادِ ووَاصِلاَ
بأنَّ الذِي فيِ الحُبِّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ ... يَمُوتُ شهيدًا فِى الفَرَادِيسِ نَازِلاَ
رواهُ سوَيْدٌ عَنْ علىٍّ بنْ مُسْهِرٍ ... فَما فِيهِ مِنْ شَك لمنْ كانَ عَاقِلاَ
ومَاذَا كثيرُ للذِي ماتَ مُغرماً ... سَقِيمًا عَلِيلاً بالهْوىَ مُتَشَاغِلاَ

وألطف من ذلك : ما حكاه التاج السبكى[3] فى الطبقات الكبرى[4] .

---

(١) **الحديث** :أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٥١/٤) وابن عاصم فى السنة (٢٥٠/١) .

(٢) ابن الصائغ ، هو : محمد بن الحسن بن سباع بن أبى بكر الجذامى ، المصرى الأصل ، الدمشقى ، أديب ، ناظم ، ناثر ، عروضى ، بيانى ، لغوى ، نحوى . ولد بدمشق ، وتوفى بها سنة (٧٢٠هـ) انظر : طبقات النحاة واللغويين صـ٣٣ ، معجم المؤلفين (٢٢٠/٣) .

(٣) التاج السبكى ، هو : عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى ، الشافعى ، أبو نصر ، فقيه ، أصولى ، مؤرخ ، أديب، ولد بالقاهرة ، وقدم دمشق مع والده ، ولزم الذهبى ، وولى قضاء وخطابة الجامع الأموى، وتوفى بها سنة (٧٧١هـ) . انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤٢٥/٢) ، شذرات الذهب (٢٢١/٦) ، معجم المؤلفين (٣٤٣/٢).

(٤) انظر : الطبقات الكبرى(١٢٤/٥) .

Marfat.com

عن أبى نواس[1] قال: مضيت إلى باب أزهر[2] ، والمحدثون ينتظرون خروجه ، فما كان إلا أن خرج ،وجعل يعظهم واحدًا بعد واحد ، حتى التفت إلىّ .

فقال : ما حاجتك؟

فقلت :

ولقـــــدْ كنتـــــم رويتـــــم عـــن ســـعيدِ عـــن قتـــادة
عـــن ســـعيدِ بـــنِ المســـيب أن ســـعدَ بـــنَ عُبـــادة
قـــال مَـــنْ مـــات مُحِبـــا فَلَـــهُ أَجْـــرُ الشـــهَادة

فقال أزهر : نعم، وذكر الحديث .

ولأبى نواس أيضًا:

حدثنـــا الخَفَّـــافُ عـــن وائـــلِ وخـــالد الحـــذَّاءِ عـــن جـــابرِ
و مُسْـــعَرٍ عَـــنْ بعـــضِ أصحابِـــهِ يَرْفَعُـــهُ الشـــيخُ إلى عـــامرِ
وابـــنِ جُرَيْـــجٍ عـــن ســـعيد وعـــن قتـــادةَ المـــاضِىْ وعـــن غـــابرِ
قـــالوا جميعًـــا أيُّمـــا طفلـــةٍ عَلِقَهـــا ذو خُلُـــقٍ طـــاهرِ
فواصَلَتْـــه ثُـــمَّ دامَـــتْ لـــهُ علـــى وِصـــال الحـــافِظِ الذاكـــرِ
كـــانت لهـــا الجنـــةُ مبذولـــةً تَمْـــرَحُ فـــى مَرْتَعِهـــا الزاهـــرِ
وأىُّ معشـــوقٍ جَفـــا عاشـــقًا بعـــد وصـــال نـــاعمٍ نـــاضرِ
ففـــى عـــذابِ الله مَثْـــوَى لـــه بُعْـــدًا لـــهُ مِـــنْ ظـــالمٍ غـــادرِ

---

(١) أبو نواس ، هو : الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح، الحكمى بالولاء ، المعروف بأبى نواس، أبو على . أديب ، شاعر ، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد، فاتصل بالخلفاء من بنى عباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق ومنها إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد وتوفى بها سنة (١٩٦هـ) . انظر: الوافى للصفدى (٤٥/١١) ، العمدة لابن رشيق (٦٣/١) ، معجم المؤلفين (٥٩٦/١).

(٢) أزهر ، هو : أزهر بن سعد الباهلى بالولاء ، أبو بكر ، السمان، محدث، عالم ، زاهد ، من أهل البصرة ، كان يتردد على المنصور العباسى ، وله معه أخبار توفى سنه (٢٠٣هـ) . انظر: وفيات الأعيان (٦٢/١) ، تهذيب التهذيب (٢٠٢/١) ، الأعلام (٢٩١/١) .

Marfat.com

وفى رستاق الاتفاق فى ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الإمام:

حدثنـــا سُـــفْيانُ عـــن جـــابرٍ عـن خـالد عـــن سَـــهْل الســاعِدِى

يُرَفُعــه مَــنْ مــات عِشْــقًا فقــد اســتَوْجَبَ الأجــرَ مِــن المــاجِدِ

وأما الآثار : فكثيره لا تكاد تحصى ، ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا .

فمن ذلك : ما روى عن المهدى قـال: أشـتهى أن أصلـى علـى جنـازة عاشـقٍ مات فى الحب.

وكان شريح[1] يكثر الجلوس فى الطرقات، ويقول : لعلى أرى صورة حسنة.

وكان الليث[2] قاضى مصر يكتب فى فتيا فسمع جارية تقول:

تــرى فــى الحكومــة يــا ســيدى علــى مَــنْ تَعْشَــقُ أن تُقْتــلا؟

فرمى القلم من يده وهو يقول: لا.

وعن ابن عباس: الهوى إله معبود .

فقيل له: أتقول ذلك ؟

فقال: نعم أليس ا لله تعالى يقول ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

وقال العباس بن الأحنف[3]:

وَيْـحَ الُمحِبِّـين مـا أَشْـقَى جدودَهُـم إن كـان مِثْـلُ الـذى بـى للمحبينـا

يَشْـقَوْنَ فـى هـذه الدنيـا بعشـقِهُمُ لا يُدرِكُـون بهـا دنيـا ولا دينـا

يَـرِقُّ قلبـى لأهـلِ العشـقِ إنهـم إذا رَأَوْنـى ومـا أَلْقِـى يرقونـا

---

(١) شريح ، هو : الفقيه أبو أمية ، ابن الحارث بن قيس بـن الجهـم الكنـدى ، قـاضى الكوفـة ، حدث عن عمر وعلى وعبد الرحمن بن أبى بكر ، توفى سنة (١٠٨هـ) . انظر : طبقـات ابـن سعد (١٣١/٦) تاريخ ابن عساكر (١٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠٠/٤) .

(٢) الليث ، هو: ابن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث، الفهمى ، المصرى ، الفقيه ، روى عن يزيد بن أبى حبيب ، ومحمد بن مسلم ، وعن نافع مولى ابن عمر ، توفى سـنة (١٦٥هـ) . انظـر: حلية الأولياء (٣١٨/٧) ، تاريخ بغداد (٣/١٣) ، تاريخ دمشق (٣٤١/٥٠) .

(٣) العباس بن الأحنف ، هو : ابن الأسود بن طلحة الحنفى، اليمامى، أبو الفضل. شاعر ، نشأ ببغداد ، وله أخبار كثيرة مع هـارون الرشيد وغـيره، وتوفـى ببغـداد سـنة (١٩٢هـ) ، والبيتـان فـى ديوانـه صـ٢٨٦. انظر: تاريخ بغداد (١٢٧/١٢) ، وفيات الأعيان (٣٠٧/١) ، معجم المؤلفين (٣١/٢) .

Marfat.com

وله أيضًا[1] :

أيهـــا النـــادبُ قومَـــا هلكُـــوا ... صـــارتِ الأرضُ عليهـــم طَبَقَـــا

أَنْـــدبُ العُشَّـــاقَ لا غـــيرَهُمُ ... إنمـــا الهـــالكُ مَـــنْ قـــد عَشِـــقا

وأخرج ابن الحسين الجاذرى : عن معـن بـن عيسـى[2] قـال: دخـل سـحنون على مالك فقال : يا إمام اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك .

فقال: -وقد ظن أنه هجاه- أنت فى حل من ذلك .

فأنشد الأبيات بين يديه وهى:

سَلُوا مـالكَ المفتى عـن اللهـو والغِنـا ... وحـبِّ الحسـانِ المُعْجبـاتِ الفَـوَارِكِ[3]

يُنَبِّئُكُـــمُ أنـــى مصـــابُ وإنمـــا ... أُسَـلِّى همـومَ النفـسِ عنـى بذلَـكِ

فهـل فـى مُحِـبٍ يكتـمُ الحـبَّ والهـوى ... أثـامُ وهـل فـى ضَمَّـةِ المُتَهـالِكِ

فضحك وقال: لا إن شاء الله.

وأظـرف من ذلـك ما أخرجـه أبو نعيـم فى الحليـة[4] : عن الربيع بن سليمان، قال: دخل شاب على الشافعى برقعة فوقع فيها بعد ما نظر وناوله إياها، فتبعته على أنها فتيًا أكتبها فإذا هى:

سَـلِ العـالِمَ المكّـىَ هـل فـى تـزاوُرٍ ... وضَـمٍّ لمشـتاقِ الفـؤاد جُنَـاحُ

فكتب تحته:

أقـولُ معـاذَ اللِـه أن يُذْهِـب التقُّـىَ ... تلاصُـقُ أكبـادٍ بهِـنَّ جِـراحُ

---

(١) انظر : ديوانه ، صـ٢١٨ .

(٢) معن بن عيسى ، هو : ابن يحيى بن دينار ، الإمام الحافظ ، الثبت ، أبو يحيى المدنـى ، القـزاز، مولى أشجع ، حدث عن مالك ، ابن أبى الذئب ومعاوية بن صالح وغيرهم . أثبـت أصحـاب مالك وأوثقهم. توفى بالمدينة سنة (١٩٨هـ) . انظر: طبقات ابن سـعد (٤٣٧/٥) ، شـذرات الذهب (٣٥٥/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٠٤/٩).

(٣) الفوارك ، جمع فارك : وهى المرأة التى تتدلـل علـى زوجهـا ، انظـر : القـاموس المحيـط، مـادة [فَرِك] .

(٤) الخبر أخرجه أبونعيم فى الحلية (٥٨/٧) .

Marfat.com

فأنكرت كتابته لمثل هذا الشاب وذكرته له .

فقال : إنه هاشمى وقد دخل بعرسه فى هذا الشهر ، يعنى ؛ رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم ، فقلت: لا.

قال الربيع : فعاودته فإذا الأمر كذلك فعجبت من فراسته.

وحكى فى الأصل عن ابن حجر قال : أخرج أبو نعيم[1] أيضًا عن ابن سيرين[2]: أنهم كانوا يعشقون بلا ريبة .

وفى الطبقات الكبرى[3] لابن السبكى ، وحكاه فى الأصل متردداً:

قال: كتب جلال الدولة إلى أبى الطيب الطبرى[4] سؤالاً صورته:

يـا أيهـا العـالِم مـاذا تَـرى ... فـى عاشـقٍ ذابَ مِـن الوَجْـدِ

مِـنْ حُـبِّ ظَبْـىٍ أَهَيَـفٍ أَغْيَـدِ ... سَـهْلِ الْمَحَيَّـا حَسَـنِ القَـدِّ[5]

فهـل تـرى تقبيلـه جـائزًا ... فـى الَنَّحْـرِ والعينـين والخَـدِّ

مِـنْ غـيرِ مـا فُحْـشٍ ولا رِيبـةٍ ... بَـلْ بِعِنـاقٍ جـائزِ الحَـدِّ[6]

إنْ أنـت لَمْ تُفْـتِ فـإنى إذًا ... أصيـحُ مِـنْ وَجْـدِىَ وأسْـتَعْدِى

---

(١) الخبر أخرجه ابو نعيم فى الحلية (٥٩/٨) .

(٢) ابن سيرين ، هو : محمد بن سيرين ، الأنسى ، البصرى ، أبو بكر الأنصارى ، الإمـام ، شيخ الإسلام سمع من أبا هريرة ، وعمران بن حصين ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بـن مـالك، وغيرهم . وروى عنه قتادة ، وأيوب ، ابن عون ، وغيرهم . توفى سنة (١١٠هـ) . انظر : الحلية (٢٦٣/٢) ، تاريخ ابن عساكر (٢١٠/١٥) ، سير النبلاء (٦٠٦/٤) .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى (١٢٠/٤) .

(٤) أبو الطيب الطبرى ، هو: طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، البغـدادى . فقيـه ، أصـولى، جدلى ، ولد بأمل طبرستان وسمع الحديث بجرجان ونيسابور وبغـداد ، تـولى القضـاء ، وتوفـى ببغداد سنة (٤٥٠هـ) من تصانيفه : شرح مختصر المزنى فى فروع الفقه الشـافعى، كتـاب فـى طبقات الشافعية. انظـر: البدايـة والنهايـة (٧٩/١٢) ، طبقـات الشـافعية (١٧٦/٣) ، معجـم المؤلفين (١٢/٢) .

(٥) أهيف: الرشيق، دقيق الخصر. انظر: القاموس المحيط، مادة [هيف] ، أغيد: المرأة اللينة الناعمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [غيد] .

(٦) الفحش: القبيح من الفعل والقول. انظر: القاموس المحيط، مادة [فحش]

Marfat.com

فأجابه :

يـــا أيهـــا الســـائلُ إنـــى أَرَى ... تقبيلَـــكَ العيَـــن مـــع الخَـــدِّ
يفُضْـــى إلى مـــا بعـــده فـــاجْتَنِبِ ... قَبْلتَـــهُ بـــالِجدّ والجُهْـــد
فـــإنَّ مَـــنْ يَرتَـــعْ فـــى رَوْضَـــةٍ ... لابُـــدَّ أن يَجْنـــى مِـــنَ الـــوَرْدِ
و إن مَـــنْ تَحْسَـــبُهُ ناسِـــكًا ... لابـــد أن يُغْلَـــبَ بـــالوَجْدِ
فاسْتَشْـــعِرِ العفَّـــة واغْـــص الهَـــوَى ... يَسْـــلَمْ لَـــكَ الدِّيـــنُ مـــع الـــوُدِّ
تُغْنِيـــك عنـــه كـــاعِبُ نـــاهدُ ... تَضُمُّهـــا بـــالمِلْكِ والعَقْـــدِ
تَمْلِـــكُ منهـــا كُلَّمـــا تشَـــتَهى ... مِـــن غـــيرِ مـــا فُحْـــشٍ ولا رَدِّ
هـــذا جوابـــى لقتيـــلِ الهـــوى ... فـــلا تَكُـــنْ بـــالحقِّ تسَـــعدِى

وأخرج الخطيب البغدادى[1] : عن الغزى قال: رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل إلى الغداة ، ثم قاما إلى الصلاة[2] .

وفى معناه : أنشد العلامة محمود[3] لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم :

لله وَقْفَـــةُ عاشِـــقَيْنِ تلاقَيـــا ... مِـن بَعْـدِ طُـولِ نـــوَى وَبُعْـد مَـزَارِ[4]
يَتعاطيـــانِ مِـــنِ الغـــرامِ مُدامـــةً ... زادتهمـــا بُعـــداً مـــن الأَوْزارِ[5]
صَدَقَـا الغـرامَ فَلَـمْ يَمِـلْ طَـرْفُ إلى ... فُحْـــشٍ ولا كَـــفٌّ لِحَـــلِّ إزارِ
فتلاقَيـــا وَتَفرَّقَـــا وكلاهُمـــا ... لَـــمَ يَخْـــشَ مَطْعَـــنَ عـــائِبٍ أزارى

ومنه ما حكى عن بعضهم قال: حكت لى امرأة عن شخص هويها وهويتـه ، أنه قال لها يومًا: هل لك أن نحقق ما قيل فينا.

---

(١) الخبر : أرجه الخطيب فى تاريخه (٩/١٢٠) .

(٢) قلت : وهذا يخالف ما جاء به الشارع كما فى الحديث .

(٣) العلامة محمود ، هو: محمود بن سلمان بن فهد الحلبى، الدمشقى، الحنبلى، أبو الثناء، شـهاب الدين. أديب، لغوى، نـاظم، شـاعر. ولـد بحلـب، وسمـع الحديـث، وأخـذ الفقـه. توفـى سـنة (٧٢٥هـ) من تصانيفه: مقامة العشاق ، منازل الأحباب ومنارة الألباب. انظر: الدرر الكامنـة (٤/٣٢٤) شذرات الذهب (٦/٦٩) معجم المؤلفين (٣/٨٠٩).

(٤) النوى : البعد. انظر: القاموس المحيط ، مادة [نوى].

(٥) المدام : الخمر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [دام] .

Marfat.com

فقالت: معاذ ا لله أن أفعل ذلك وأنا أقرأ ﴿**الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ**﴾[الزخرف:٦٧] .

وقيل لأعرابى ليلة تزويج محبوبته: أيسرك أن تظفر بها .

قال : نعم.

قيل: فما كنت تصنع بها ؟

قال: أطيع الحب فى لثمها[1] وأعصى الشيطان فى إثمها.

وعن الأصمعى[2] : قيل لأعرابى: ما تصنع إن ظفرت بمحبوتك ؟

قال : أمتع عينى من وجهها، وسمعى من حديثها ، وأستر منها ما يحرم كشفه إلا عند حله .

و أنشد أبو القاسم[3] **فى المعنى :** وإن كان فيه بُعد ؛ لأنك تعتبر الحياء من الإيمان اللازم للعفة وخوف ا لله تعالى:

كَمْ قَد خَلَوْت بِمَنْ أَهْوىَ فيمنعُنى ... مِنه الحياءُ وقد أَوْدَى بمعقولى[4]

يَأْبَى الحياءُ وشيْبِى أَنْ أَلُمَ بِهِ ... وخشيةُ اللُّومِ من قال ومن قيلِ

وأصرح منه فى المقصود ما أنشده إبراهيم بن عرفة :

كم قد ظَفِرْتُ بِمن أهوى فيمنعنى ... منه الحياءُ وخوفُ ا للهِ والحذرُ

---

(١) اللثم : التقبيل ، انظر : لسان العرب ، مادة [لثم] .

(٢) الأصمعى ، هو : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد ، صاحب اللغة ، والغريب ، والملح، من أهل البصرة، وقدم بغداد فى عهد هارون الرشيد . من تصانيفه : خلق الإنسان ، المترادف، شرح ديوان ذى الرمة توفى بالبصرة سنة (٢١٦هـ) . انظر: تاريخ بغداد (٤١٠/١٠) ، الأعلام (١٦٢/٤).

(٣) أبو القاسم ، هو : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادى، النهاوندى، الزجاجى ، نحوى ، لغوى، أصله من نهاوند، وسكن بغداد ونشأ بها ، من تصانيفه : المخترع فى القوافى ، الإيضاح فى علل النحو ، المجموع فى معرفة أنواع الشعر . وتوفى بدمشق سنة (٣٣٧هـ) . انظر: تاريخ دمشق (٤٣٢/٩) ، سير أعلام النبلاء (١١٨/١) ، معجم المؤلفين (٧٨/٢).

(٤) أودى : هلك . انظر : القاموس المحيط ، مادة [ودى].

Marfat.com

وكـم خلـوتُ بمـن أهـوى فيقنعنـى ... مِنـه الفُكاهـةُ والتَحْدِيـثُ والنظَـرُ
أهـوى الحِسـانَ وأهـوى أن أُجالِسَـهم ... وليـس لى فـى حـرامٍ منهـم وَطَـرُ
كذلـك الحُـبُّ لا إتيـانُ معصيـةٍ ... لا خـيرَ فـى لـذةٍ مـنَ بَعْدَهـا سَـقَرُ

وأخرج صاحب الأصل : عن سعيد بن عقبة الهمذانى . قـال لأعرابى حضر مجلسه: ممن الرجل؟

قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا.

فقال: عُذْرىٌّ وربُّ الكعبة، ثم سأله علة ذلك؟

فقال: لأن فى نسائنا صباحة[1] وفـى فتياتنـا عفـة، وأخرجـه فـى (الخلعيـات) أيضًا .

وفى معناه أنشد حرب :

مـا إنْ دعـانى الهـوى لفاحشـةٍ ... إلا عصـانى الحيـاءُ والكَـرَمُ
فـلا إلى مُحَـرَّمٍ مَـدَدْتُ يَـدِىَ ... ولا مَشَـتْ بِـى لِزَلَّـةٍ قَـدَمُ

هذا ما جاء فى الآثار من العشق مع العفة، وأمـا مـا يـدل علـى كـثرة وقوعـه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير.

فمن ذلك ما أخرجه التنوخى عن عروة بن الزبـير[2] قـال: قلـت لِعُـذْرِىٍّ : إنكم أرق الناس قلوبًا ؛ يريد أصباهم إلى الحب .

فقال: نعم لقد تركت ثلاثين شابًا خامرهم[3] السل ، ما بهم داء إلا الحب .

وقيل لشخص منهم مثله ؟

---

(١) صباحة : جمال الوجه وإشراقه . انظر : القاموس المحيط ، مادة [صبح] .

(٢) عروة بن الزبير ، هو : حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب . الإمام ، عالم المدينة ، أبو عبد الله القرشـى، الأسـدى ، المدنـى ، الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة . حدث عن أبيه ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وعن خالته عائشة ، وعن على بن أبى طالب. انظر: طبقـات ابـن سـعد (١٧٨/٥) ، ابـن عسـاكر (٢٢٨/١١) ، سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

(٣) خامرهم : دخل عليهم المرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [خَمِرَ].

Marfat.com

فقال: كقوله، وزاد : لكن غلبتنا بنو عامر[1] بمجنونها.

وفى منازل الأحباب للشهاب محمود : ليس حى أصدق فى الحب من بنى عذرة[2]، ولا نضرب الأمثال فيه إلا بهم

وقال: قلت يومًا : أتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة[3] وضيق الرئة؟

فقال: أما والله لو رأيتم المحاجر[4] البُلْجَ[5] ترشق بالعيون الدُعْج[6] من تحت الحواجب الزُجِّ[7] والشفاه السُّمْرِ تَبسِمُ عن الثنايا[8] الغُرِّ[9] كأنها شَذَرُ الدُرِّ؛لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم .

وعن أبى عمرو بن العلاء[10] قال: استنطقت أعرابيًا عند الكعبة واستنسبته لماذا هو فصيح عذرى فسألته هل علقه الحب؟

فأنبأ عن شدة ولوع .

---

(١) بنو عامر : بطن من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، من العرب العدنانية. انظر: قبائل العرب (٣٠٧/٢) .

(٢) بنو عذرة: بطن عظيم من قضاعة، من القحطانية. وهم: بنو عذرة ابن سعد بن هزيم بن زيد بن ليث بن قضاعة. انظر: قبائل العرب (٧٦٨/٢).

(٣) وهن العقدة: ضعف المفاصل. انظر: القاموس المحيط. مادة [عقد].

(٤) المحاجر: جمع محجر وهو تجويف العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [حجر].

(٥) البُلْج : تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين . انظر : القاموس المحيط ، مادة [بلج] .

(٦) الدعج : سواد العين مع سعتها . انظر : القاموس المحيط ، مادة [دعج] .

(٧) الزج : الرقيقة مع الطول . انظر: القاموس المحيط، مادة [زجج] .

(٨) الثنايا : أسنان مقدم الفم . انظر : القاموس المحيط ، مادة [ثنى] .

(٩) الغر: الأبيض والحسن. انظر: القاموس المحيط، مادة [غرّ].

(١٠) أبو عمر ، بن العلاء ، هو : زبان ابن عمار بن العبريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن حجر ، التميمى ، المازنى ، البصرى ، أحد القراء السبعة ، كان أعلم الناس بالقراءات العربية والقرآن والشعر ، توفى سنه (١٥٠هـ) . انظر : معجم الأدباء (٣٤٥/٣) ، سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٦) .

Marfat.com

فسألته ما قال فى ذلك ؟

فأنشد:

تَبَغْـن مَرْمَـى الوَحْـش حتـى رَمَيْنَنـا ... مِـنَ الّنبْـل لا بالطائشـاتِ المخـاطفِ

ضَعَـائِفُ يَقْتُلْـنَ الرجـالَ بِـلا دمٍ ... فيـا عجبـا للقـاتلاتِ الضَّعَـائِفِ

ولِلْعَيْـنِ مَلْهىً فـى البـلادِ وَلَـمْ يَقُـدْ ... هـوى النفـسِ شـيءٌ كاقْتِيـادِ الظَّرائِـفِ

وقال بعض حكماء الهند: ما علق العشق بأحد عندنا إلا وعزّينا أهله فيه.

وحكى الحافظ مغلطاى(١) : أن العشق يختلف باختلاف أصحابه فإن الغرام أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد إلى المعشوق والعجز عن الوصول إليه، فعلى هذا يكون أخف الناس عشقًا الملوك، ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم، ولكن قد يتذللون للمحبوب لما فى ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام(٢):

ظَـلَّ مِـنْ فَـرْطِ حُبِّـهِ مملوكـا ... و لقـد كـان قبـل ذاك مَليكـا

تَركَتْـهُ جَـآذِرُ القصـر صَبًّـا ... مُسْـتَهاما علـى الصعيـدِ تَريكـا

يَجعـلُ الخَـدَّ واضعًـا تحـت تُـرْبٍ ... للـذى يجعـلُ الحريـرَ أَريكـا

هكـذا يَحْسُـنُ التذلـلُ بـالُحرِّ ... إذا كـانِ فـى الهـوى مملوكـا

وقول الرشيد(٣) **أيضًا :**

---

(١) مغلطاى ، هو : ابن قليج بن عبد الله البكرى ، المصرى ، الحنفى ، أبو عبد الله ، علاء الدين ، مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب ، مستعرب ، من آثاره : شرح البخارى ، توفى سنه (٧٦٢هـ) . انظر : الدرر الكامنة (٣٥٤/٤) ، الأعلام (٢٧٥/٧) .

(٢) الحكم بن هشام ، هو: ابن عبد الرحمن الداخل، الأموى، أبو العاص، من أفحل ملوك بنى أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وهو الذى مهد الملك لمن بعده فى البلاد، كان يباشر الأمور بنفسه وقضى على الفتن التى قامت فى عهده، كان كثير العناية بالأدب والعلم والشعر . توفى بقرطبة سنة (٢٠٦هـ) ، انظر : تاريخ ابن خلدون (١٢٥/٤) ، الأعلام (٢٦٧/٢).

(٣) الرشيد ، هو: هارون بن محمد بن المنصور، العباسى، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية، وأشهرهم ، ولد بالرىّ سنة (١٤٩هـ) ،ولى الخلافة بعد وفاة أخيه الهادى، فازدهرت الدولة فى أيامه، كان عالمًا بالأدب وأخبار العرب، والحديث ، والفقه. كان جوادًا، حليمًا، متواضعًا، شجاعًا، حازمًا. انظر: ابن الأثير (١٠/٧) ، تاريخ بغداد (١٥/١٤) ، الأعلام (٦٢/٨).

Marfat.com

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عَنَانيِ وحَلَلْنَ مِنْ قلبى بكلْ مكانِ
ما لى تُطاوعُنى البَريَةُ كُلّها وأُطيعُهَنَّ وهُنَّ فى عِصْيانِى

وما أحسن ما قاله بعض الملوك فى هذا المعنى :

نَحنُ قَوْمٌ تَأبِينا الأعينُ النُجُلُ عَلى أنّنا نُلينُ الحديدَا
نَتّقى بَأسنا الأُسُودُ وتخشىَ سَطْوةَ الحَتْفِ حينَ نُبْدِي الصُّدودا
وَتَرَانَا فى حالة الحرب أمَرا را وفِي السِّلمِ للغوانِي عَبِيداً

وقال ابن الأحمر سلطان الأندلس[1]:

أيا رَبّةَ الخدْر التى أَذْهَبَتْ نُسُكِى على كلّ حالٍ أنتِ لا بُدَّ لى منكِ[2]
فإما بِذُلٌ وهو أَلْيَقُ بالهوى و إما بِعِزٌ وهو أليقُ بالمُلْكِ

وقال ابن طاهر[3] صاحب خراسان:

فإنى وإنْ حَنّتْ إليكِ ضَمائِرى فما قَدْرُ حبِّي أن يُذَلَّ لَهُ قَدْرِى

ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به.

ثم اعلم أن العشق متى استولى لم يبق سواه ؛ ولذلك يذهب الأخلاق العسرة[4] وقوة النفس .

وفى معنى ذلك أنشد بعضهم حيث قال فى رسالة أرسلها إلى محبوبته:

شَكَوْتُ فقالت كُلُّ هذا تَبَرُّمٌ بحبى أراح الله قلبك من حبى

---

(١) ابن الأحمر ، هو: يوسف بن يوسف بن محمد بن يوسف ،النصرى ، أبو الحجاج ،الملقب بالناصر. من ملوك الأندلس ، من سكان غرناطة ،تولى العهد بعد وفاة أخيه سنة (٨١١هـ) ، كان شاعرًا. توفى سنة (٨٢٠هـ) ، من آثاره : ديوان شعر . انظر : الأعلام (٨ /٢٥٩) .

(٢) الخدر: ستر يُمد للجارية فى ناحية الدار لتتوارى به. انظر: القاموس المحيط، مادة [خدر].

(٣) ابن طاهر ،هو: عبد الله ابن مصعب ابن زريق، الخزاعى بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، أصله من خراسان، ولىّ إمارة الشام، ومصر، ثم خراسان ،كان ذا علم ومعرفة وتجربة وشعر. توفى سنة (٢٣٠هـ) . انظر: تاريخ الطبرى (١٣/١١) ، تاريخ بغداد (٤٨٣/٩) ، الأعلام (٩٣/٤).

(٤) العسرة: الحادة، الشديدة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسر].

Marfat.com

فلما كتمتُ الحب قالت لشَدَّ ما　　صبرتَ وما هذا بفعل شَجى القلبِ
وأَدْنُو فتقصينى فَأَبْعُدُ طالبا　　رضاها فَتُعِدُّ البُعْدَ مِن ذنبى
فشكواى يؤذيها وصبرى يسوؤها　　و تَجْزَعُ مِنْ بُعْدى وتَنْفُرُ مِن قُربى
فيا قومِ هل مِن حِيلةٍ تعرفونها　　أَشيروا بها واسْتوْجِبُوا الشُكْرَ مِن ربى

ومنهم: من تحمله الأنفة[1] على أن يفارق بعد إظهار شدة شوق وقوة ميل، وكذا شدة الإقبال من المحبوب، فيتوهم حيث تشبع نفسه أن الشوقِ لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه، والحق أن ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالإشراك وإلا فالصادق منه لا يرى وجودًا لسوى المحبوب، ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالاً لمحبوبه أو يظن وجوده ودونوا ما صدر عمن بدأ بالسلوان[2] ثم ندم .

فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول الهذلى:

ويمنعُنِي من بعضِ إظهارِ ظُلْمها　　إذا ظَلَمتْ يومًا وإنْ كان لى عُذْرُ
مَخافةَ أنى قد عَلِمْتُ لَئنِ بدا　　لى الهجرُ منها ما على هَجْرِها صبرُ
وإنِي لأدرى إذا النفسْ أَشْرفَتْ　　على هَجْرِهَا ماَ يبْلُغَنَّ بى الهجرُ

وقال ابن الجهم[3] :

نُوَبُ الزمان كثيرةٌ وأشدُّها　　شَمْلٌ تَحكَّم فيه يومُ فِراقِ[4]
يا قلبُ لم عَرَّضْتَ نَفْسُكَ للهوى　　أَو ما رأيتَ مصارِعَ العُشَّاقِ

---

(١) الأنفة: عزة النفس. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنف].

(٢) السلوان: النسيان. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٣) انظر : ديوان على بن جهم صـ١٥٦. وابن الجهم ، هو: على ابن بدر، أبو الحسن، ابن بنى سامة، من لؤى بن غالب ، شاعر رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصرًا لأبى تمام، وخص بالمتوكل العباس . توفى سنة (٢٤٩هـ).انظر: تاريخ الطبرى (٨٦/١١) ، تاريخ بغداد (٣٦٧/١١) ، الأعلام (٢٦٩/٤).

(٤) نوب ، جمع نائبة: المصيبة ، النازلة. انظر: القاموس المحيط، مادة [نوب].

Marfat.com

فصل

فى الترغيب فى العشق والحث عليه

قيل: إن بهرام جور[1] لم يرزق سوى ولد فأخذ فى ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة إلى أن اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجوارى يعبثن به إلى أن علق بواحدة منهن، فأمرها الملك بالتجنى عليه[2] وأنها لا تطلب إلا رفيع الهمة ذا رغبة فى العلم والملك، فكان بسبب ذلك من أجلّ ملوك الفرس وأعلمها .

وفى المعنى قال ابن الأحنف[3]:

وما الناسُ إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خيرَ فيمن لا يحبُ ويعشَقُ

وقال بعضهم :

وما سرنى أنى خَلِىٌ من الهوى ولو أَنَّ لى ما بين شرق إلى غربِ

وقال ابن أبى كثير لابن أبى الزرقاء[4]: هل عشقت حتى تكاتب وتراسل؟

فقال: لا.

قال : لن تفلح وا لله أبدًا .

---

(١) بهرام جور ، هو: ابن يزدجرد الخشن بن بهرام كرمان شاه بن سابور. تولى الملك بعد وفاة أبيه وهو ابن عشرين سنة، فأهمل شئون الرعية، ومال إلى الهدوء والدعة واللهو. انظر: تاريخ الطبرى (٤٠٨/١).

(٢) تجنى عليه: رماه بذنب لم يفعله. انظر: القاموس المحيط، مادة [جنى] .

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ابن أبى الزرقاء ، هو : زيد ، أبو محمد ، الموصلى ، إمام ، عالم ، قدوة ، حدث عن جعفر بن برقان وسفيان الثورى ، وغيرهما ، كان من العابدين ، الزهاد ، يقال إنه غزا ومات فى السر سنة (١٩٧هـ)، انظر : تهذيب التهذيب (٢٥٢/١) ، التاريخ الكبير (٣٩٥/٣) ، سير أعلام النبلاء (٣١٦/٩) .

Marfat.com

وأنشد الشعبى[1]:

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تدْرِ ما الهوى ... فأنت و عَيْرٌ فى الفَلاةِ سواءُ[2]

وعجزُه غيره فقال:

فكن حجرًا من يابسِ الصخرِ جَلْدا

وأنشد ابن معاذ:

ولا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تَزُرْ ... خليلاً ولم ينظرْ إليك حبيبُ

وقالت امرأة فيه أيضًا[3]:

رأيتُ الهوى حلوًا إذا اجتمعَ الشملُ ... ومُرّاً على الهُجرانِ لا بل هو القتلُ

ومن لم يذق للهجر طعمًا فإنه ... إذا ذاق طعم الحب لم يَدْرِ ما الوَصْلُ

وقد ذقتُ طَعْمَيْهِ على القرب والنّوى ... فأبعدُه قتلٌ وأقربُه خَبْلُ

---

(١) الشعبى ، هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الحميرى ، أبو عمرو ، راوية، شاعر، محدث، فقيه، ولد بالكوفة ونشأ بها، واتصل بعبد الملك بن مروان، وتوفى بالكوفة سنة (١٠٣هـ) . انظر: تاريخ دمشق (٣٤٢/١) معجم المؤلفين (٢٧/٢) .

(٢) العَيْر : الحمار الأهلى أو الوحشى . انظر : مادة [عير] .

(٣) انظر : مصارع العشاق (١٦٤/١) .

Marfat.com

فصل
فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك

قال بعضهم : العشق مجهول لا يعرف، ومعروف لا يجهل، هزله جدّ، وجدّه هزل، وهذا فى الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة ، وإشارات إلى اختلاف الحالات الكائنة عنه، فإن الجهل يعترى العشاق عند تزايد الحب فيوجب الحيرة فى الأمر، وعكسه عند انفصاله عن المخيلة، والهزل مباديه والجد تمكنه، ونحوه ما أجاب ابن أكثم[1] به وقد سأله المأمون[2] ما العشق؟

فقال: سوانحُ[3] للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب.

فقال له ثمامة[4]: إنما شأنك أن تفتى فى مسألة طلاق أو محرم .

فقال المأمون: قل يا ثمامة .

فقال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مالك ، وملك قاهر ، مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأُعْطِىَ عَنَانَ

---

(١) ابن أكثم ، هو: يحيى ابن محمد بن قطن، التميمى، الأسدى المروزى ، أبو محمد، فقيه ، أصولى، مجتهد ، من القضاة ، ولد بمرو، واتصل بالمأمون، فولاه قضاء البصرة ثم بغداد ، توفى سنة (٢٤٢هـ). انظر: تاريخ دمشق (١٣/٨) ، سير أعلام النبلاء (١٤٨/٨) ، معجم المؤلفين (٨٨/٤) .

(٢) المأمون ، هو : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبى جعفر المنصور أبو العباس . سابع الخلفاء من بنى العباس ، وأحد أعاظم الملوك فى سيرته، وعلمه، وسعة ملكة، كان واسع العلم، توفى سنة (٢١٨هـ) انظر : تاريخ الطبرى (٢٩٣/١٠) ، الأعلام (١٤٢/٤).

(٣) سوانح: من سنح، أى شىء عُرض للمرء والمقصود هنا الفرص المحببة . انظر: القاموس المحيط، مادة [سنح].

(٤) ثمامة ، هو: ابو معن النميرى البصرى ، المتكلم ، من رؤوس المعتزلة ، كان نديمًا ظريفًا صاحب مُلح، اتصل بالرشيد ثم ، بالمأمون ، كاتب بليغ ، من آثاره : الحجة ، الخصوص والعموم ، المعارف . انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٠) ، الفهرست صـ٢٩٠ .

Marfat.com

طاعتها، وقياد ملكها، وقوى تصرفها، توارى على الأبصار مدخله، وغمض فى القلوب ملكه .

فقال له المأمون: أحسنت يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

وفى رواية أنه قال له: إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة[1] نتجت لمحَ نور ساطع تستضىء به بواصر العقل ، ويُتصور من تلك اللوامح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسعى عشقًا.

أقول : وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية، والأول تعريف بالعوارض والغايات، وهذا بالحكمة أليق، وإيضاجه نور البصر يوصل ما يدركه إلى المشترك، وهو إلى الواهمة حتى يرتسم فى القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة، فقوله :بوصل المشاكلة ؛ يريدان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن، ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار فى النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما فى اللطف والصفاء، وهذا دليل على أن العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع، ووصفه بعض البلغاء بأنه فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتسخى كف البخيل، وتصفى ذهن الغبى، وتطلق بالشعر لسان الأعجم، وتبعث حزم العاجز الضعيف، وهو عزيز يُذل له عز الملوك، وتضرع له صولة الشجاع، وهو داعية للأدب وأول بابٌ تفتق به الأذهان والفطن، ويستخرج به دقائق المكايد والحيل، وإليه تستريح الهمم، وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم، يمتع جليسه، ويؤنس أليفه، وله سرور يجول فى النفوس، وفرح يسكن فى القلوب .

وقال سعيد بن سالم[2] وقد قيل له إن ابنك شرع فى الرقيق من الشعر .

فقال: دعوه ينظف ويلطف ويظرف ؛ يعنى أنه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء، وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح

---

(١) المشاكلة : التماثل والتشابه . انظر : القاموس المحيط، مادة [شكل] .

(٢) سعيد بن سالم ، هو : صاحب الأوزاعى ، وحكى عنه عمرو بن أبى سلمة. انظر: تاريخ دمشق (٢١/٩٥).

Marfat.com

المحبوب وذلك يؤدى إلى ما ذكر، فإن العاشق إذا علم ما يقربه إلى محبوبه بذل فيه إمكانه، والظرافة واللطافة والنظافة أعظم مقرب، فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لأنه على ظاهره ترغيب فى مطلق الشعر فليتأمل.

ونقل ابن خلكان[1] فى ترجمة (العلاف) ما ملخصه: إن العشق جرعة من حياض الموت، وبقعة من رياض التكّل[2]، لكنه لا يكون إلا عن أريحية فى الطبع، ولطافة فى الشمائل، وجود لا يتفق معه منع، وميل لا ينفع فيه عذل[3] .

وفى معنى شدة العشق أنشد المؤمّل[4]:

شَقَّ المُؤمّلُ يومَ الحيرةِ النظرُ ... ليتَ المُؤمّلَ لم يُخلَقْ لَهُ بَصَرُ

يَكْفِى المُحِبّيْنَ فيِ الدُّنْيَا عَذَابُهمُ ... وا لله لا عَذَبَتْهم بَعْدَهَا سَقَرُ

وعرفه أرسطو[5]: بأنه جهل عارض صادف قلبًا فارغًا، دق عن الأفهام مسلكه، وخفى عن الأبصار موضعه، وحارث العقول فى كيفية تمكنه غير ابتداء حركته، وعظم سلطانه من القلب، ثم يتغشى[6] على سائر الأعضاء، فيبدى الرعدة فى الأطراف، والصفرة فى الأبدان، واللجلجة[7] فى الكلام، والضعف فى الرأى، والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون .

---

(١) ابن خلكان ، هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر ، البرمكى ، الإربلى ، أبو العباس. المؤرخ الحجة، والأديب الماهر ولد فى إربل فى الموصل، ثم انتقل إلى مصر وتولى قضاءها ، وسافر إلى دمشق وولى قضاء الشام، وتوفى بدمشق سنة (٦٧٤هـ) ، من تصانيفه : وفيات الأعيان، أنباء أبناء الزمان. انظر: النجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) ، الأعلام (٢٢٠/١) .

(٢) الثكل : فقد الأولاد . انظر: القاموس المحيط، مادة [ثكل].

(٣) العذل: اللوم والعتاب . انظر: القاموس المحيط، مادة [عذل].

(٤) المؤمل ، هو: ابن جميل بن يحيى بن أبى حفصة، شاعر غزل ظريف، من أهل المدينة، يعرف بقتيل الهوى. كان منقطعًا إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم رحل إلى العراق وانقطع مع المهدى. توفى سنة (١٧٠هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٨٠/١٣) الأعلام (٣٣٤/٧).

(٥) أرسطو ، هو: فيلسوف يونانى من كبار مفكرى البشرية، مربى الإسكندر . من تصانيفه: الجدل، الخطابة، السياسة، النفس.

(٦) يتغشى: يغطى. انظر: القاموس المحيط، مادة [غشى].

(٧) اللجلجة : الثقل فى اللسان، والتردد فى الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [لج].

Marfat.com

زادت أعرابية : يذهب العقل ، وينحل الجسم ، ويهمل الدمع ، يجدده، مرور الأيام ولا تفسده بل لا تغيره إساءة المحبوب على الدوام، ومن ثم .

قال الأصمعى وقد سأله الرشيد: ما حقيقة العشق؟

فقال: إنه شيء يستغرق القلب فى محاسن المحبوب، ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر.

وتعاتب امرأتان من أهل المدينة فى الهوى .

فقالت إحداهما تعذل الأخرى: ذكروا فى الحكمة لا تلم من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك غرضًا للتهمة، ومن لم يكن عونًا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شيء من عقدة الرأى ، ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المعتبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم .

فقالت المعذولة: ليس الهوى إلى الرأى فيملكه، ولا إلى العقل فيدركه، أما سمعت قول الشاعر:

لا ينبيك عَنْهُ مِثْلُ خبيرِ ... ليس خَطْبَ الهَوَى بَخَطْبَ يَسِيْرُ

ى وَلاَ بِالْقِيَاسِ والتّفْكِيرِ ... لَيْسَ أَمْرُ الهَوَى يُدَبَرُ بِالرَأ

مُحْدِثَاتُ الأمور بَعْدَ الأُمُور ... إنّما الأَمْرُ فِي الهوى خَطَرَاتٌ

وقيل: هى لعلية بنت المهدى[1] حكاه الصولى[2]، ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم، دانت له القلوب، وانقادت له الألباب، وخضعت له النفوس، فالعقل أسيره، والنظر رسوله، واللحظ حامله، والتفكر جاسوسه، والشغف حاجبه، والهيمان نائبه، بحر مستقره غامض، ويَمٌّ تياره طافح وفائض، وهو دقيق المسلك عسير المخرج . .

(١) علية بنت المهدى ، هى : ابنة المنصور، من بنى العباس ، أخت هارون الرشيد ، أديبة شاعرة، من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة. تزوجت موسى بن عيسى العباسى. توفيت سنة (٢١٠هـ) انظر: وفيات الأعيان (٢/٩٩) الأعلام (٤/٣٥).

(٢) الصولى ، هو : محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر ، الشطرنجى. نديم، من أكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة من خلفاء بنى العباسى الراضى والمكتفى والمقتدر ، توفى سنة (٣٣٥هـ) ، من تصانيفه : أخبار آل العباس وأشعارهم . انظر: وفيات الأعيان (١/٥٠٨) ، تاريخ بغداد (٣/٤٢٧) ، الأعلام (٧/١٣٦) .

Marfat.com

وضرب بعض الحكماء مثلاً للشهوة والعشق فقال: هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله، وربما قتل بسمه، وذلك لأن الإنسان إما ذو عقل ملكى يتعقل الأشياء فينزجر، أو نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك، ومن ثم إذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة.

حكى الغنوى[1] قال: دعيت إلى عيادة مريض أحبه آخر، فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه، فكان إذا شكا المريض شيئًا شكا الآخر مثله، فقدر أن قضى ونحن عنده فحال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه .

ومثله ما حكاه فى ذيل الأمالى: عن التميمى[2]، أن أخوين من امرأة يقال لهما: فضل وفضيل ، قضى أحدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوى عليه اللبن .

أنشد :

سَأَبْكِيكَ لا مُسْتَقْصِيًا فَيْضَ عَبْرَةٍ ولُـاْ مَبتغ بالصَّبرِ عاقبةَ الصَّبْرِ

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد.

---

(١) الغنوى ، هو: طفيل بن عوف بن كعب ، من قيس غيلدان ، شاعر جاهلى شجاع، عاصر النابغة وزهير بن أبىششس سلمى . من تصانيفه : ديوان شعر . انظر: معجم المؤلفين (١٥/٢).

(٢) التميمى ، هو: سعيد الدارمى ، من بنى سويد بن زيد ، شاعر غزل من المغنيين الظرفاء ، توفى سنة (١٥٥هـ) . انظر: الأعلام (٩٤/٣).

Marfat.com

فصل

فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والمحن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك أوعر المسالك

اعلم أنه ألطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فمتعلّق لابد وأن يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا إلى نسبة تأليفية ولا شبهة أن الروح ألطف مافى البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبث بها فهذا دليل على أنه يقابل الأمراض كلها، ومن ثم قال المعلم: العشق نصف الأمراض، وشطر الأعراض، وقسيم الأسقام، وجل الآلام، وهذا واضح لأن الروح هى الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف ولا شك أن سريان اللطيف فى اللطيف أسرع ملاكًا وأعظم استملاكًا، ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف فى الكثيف كالفالج[1] فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول: إن العشق غالب الأمراض وليست بالنسبة إليه إلا كالعشر إلى الكل والقطرة إلى البحر وبرهانه أن الأمراض غالبًا تخص البدن وإنما اشتغال الروح حينئذٍ بالتدبير وإلا فهى فى نفسها صحيحة، وأما العشق فعاقبته إفساد البدن وتعطيلٌ الفكر وإلحاق العقلاء بأهل الجنون.

ثم مرتبته الثانية : تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يُتعقل له فى الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسيًا جاذبًا ولأنظارها السفسطية[2] برهانًا غاليًا ويسمى حينئذ العشق الحسى .

وقال فيثاغورس: لا يسمى حسيًا إلا إذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندى ليس بشرط وإن اشترط ففى حق البلداء من الناس ومن فى حواسهم الباطنة ضعف وإلا فأحد الحاستين الأصليتين كافٍ فى إيصاله إلى الحس المشترك .

---

(١) الفالج: مرض يبطل حس الأعضاء ويصير الإنسان كالميت . انظر : كتاب التنوير صـ١٨ .

(٢) السفسطية: أى التى تطلق قياسات وهمية لإقناع الخصم وإسكاته. انظر: القاموس المحيط، مادة [سفسط].

Marfat.com

ثم مرتبته الثالثة: الخيالية؛ وهى عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل إلا صورة المعشوق وإن شارك الناس فى الأمور الظاهرة.

كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الأفعال والاحتياج إلى محرك باعث.

ثم مرتبته الرابعة : مرتبة الحفظ وهى الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر إلى كل جمال وهذا هو العشق الذى يرى صاحبه الميل إلى سوى المحبوب إشراكًا، والفكر فى غيره ضياعًا، وأشغال الزمان بما سواه فسادًا وخروجًا .

وإليه أشار الفارضى بقوله:

ولو خَطَرَتْ لى فى سِواك إرادة على خاطِرى سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِى

فتعبيره بالسهو إشارة إلى تقصى المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم أن السهو لا يحدث إلا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبى واردًا سواك فكيف أسهو ومن ثم بعد ذلك إلى طرح المراد وإماطة[1] العلائق[2] واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله :

وكلُ الذى ترضاه والموتُ دونَه به أنا راض والصبابةُ أَرْضَتْ[3]

بعد أن كان قبل الوصول إلى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادًا حيث قال:

وَعِيدُك لى وعدٌ وإنجازُه مُنىً ولىّ بِغَيْرِ البُعْدِ إنْ يُرْمَ يَثْبُتِ

ثم الخامسة : مرتبة الاستغراق وهى استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب فى مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها وإلى ذلك أشار العارف المذكور بقوله:

ولا غَرْوَ أن صلى الأنام إلى أن ثَوَتْ بفؤادى فهى قبلة قبلتى[4]

---

(١) إماطه ، من أماط: نحى وابتعد . انظر: لسان العرب ، مادة [ميط].

(٢) العلائق ، جمع العلاقة: ماتعلق به الرجل من صناعة وغيرها ، والمقصود ما تعلق بالإنسان ويشغله عن المحبوب . انظر: القاموس المحيط، مادة [علق].

(٣) الصبابة: شدة الشوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [صب].

(٤) ثوت ، من ثوى: أقام بمكان ولزمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثوى] .

Marfat.com

وقوله :

وَوَجْـدِى بهـا مـاجىٌ والفَقْـدُ مُثْبِتـى

يعنى أن وجدى الصحيح بالمحبوبة محـانى أى صورتـى التـى كـانت مـع العـالم الدنيوى فكأن فقدى لها هو الذى أثبتنى وهذه المرتبة على الأصح من كلام كثـير هى أول المراتب التى يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذى ذكرته الأطباء كالنظر فى الحساب والمحاورات وتذكر مساوىء المحبـوب والنظـر إلى أمثالـه ومـا يقاربه إلى غير ذلك مما هو مقرر فى مواضعه.

السادسة: مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها إدراك العاشق فى سائر آلاته فيصير إذا لمسٍ الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الإيذاء أو رأى شـيئًا كالجيفـة أو شـم رائحتها فضلاً عن أضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عـن صورتـه فشـاهدها المحبوب وإليه أشار **بقوله:**

فلـم تَهْوَنـى مـالم تَكُـنْ فـىّ فانيـا ولم تَفْنَ مـالم تُجْتَلَـيِ فيـكَ صُورتـى

وهذه المرتبة مع العناية والإخلاص تنقلب قدسية إذا كانت النفس الناطقة قبـل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية وإلا ألحقت صاحبها بالحيوانات وعنهـا عبرت الأطباء بالمانيا والسرسام[1] والسهر السباتى[2] والماليخوليا[3].

والسابعة : مرتبة العدم الكلى والمفارقةِ الأبدية وهى التى إذا بلغتهـا النفـس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكـر أو تنفـس صعـداء أو أمر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت أعظم أمنية للنفس كما أشار إليه بقوله:

فَمَوْتـى بهـا وَجْـدا حيـاةٌ هنيئـةٌ وإن لم أَمُـتْ بـالحبِّ عشْـتُ بُغْصتِـى[4]

وقد صرتُ أرجو مـا يُخـافُ فأسْـعِدِى بـه روحَ ميـتٍ للحيـاةِ اسْـتَعَدَّت

---

(١) السرسام: حمى دائمة مع صداع وثقل فى الرأس والعين وحمرة شديدة فيهـا وكراهيـة الضـوء. انظر: مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص٩٦) .

(٢) السهرالسباتى: مرض يكون فيه الشخص لا يتحرك ولا يفتـح عينيـه ويكـون كالنـائم. انظـر: مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص٩٦).

(٣) الماليخوليا: ضرب من الجنون، وهو أن تحدث للإنسان أفكـار رديئـة ويغلبـه الحـزن والخـوف. انظر: مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص٩٦).

(٤) الغصة: هى ما يعترض فى الحلق فيمتنع معه التنفس. انظر: القاموس المحيط، مادة [غصّ].

Marfat.com

إلى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصًا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الأبد وفراغًا يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل[1] مرآة عقله لقبوله الفيض أبدا ، وأفرغ ذلك كله فى تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الأكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وأدواره وتنقلاته وأطواره لغنى الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الأكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لأوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى أقل أبياته وكلماته ما يدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقًا ويسكتك وإن كنت مصقاعًا[2] ناطقًا ، ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كُلٌّ عند حصول ذلك ، أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصًا ما ذكره هنا فليس بالجيد إذ البعض دال على الأسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا أحد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب.

قال ابن صاعد[3] فى طبقات الأمم : عن فيثاغورس[4] صاحب سليمان نبى الله عليه السلام: العشق طمع يتولد فى القلب ؛ يُغْنِى عن النظر، ثم ينمو ويحدث اللجاج[5] والاحتراق، حتى أن الدم يهرب عند ذكر المحبوب، وقد يموت من شهقة أو برؤية المحبوب بغتة، وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت.

---

(١) تصقل: تجليها وتكشفها، كناية عن الصفاء . انظر: القاموس المحيط مادة [صقل].

(٢) مصقاعًا: بليغًا لا يرتج عليه فى كلامه. انظر: القاموس المحيط، مادة [صقع].

(٣) ابن صاعد ، هو: صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن، الأندلسى، أبو القاسم، مؤرخ، باحث، مشارك فى بعض العلوم، من مؤلفاته طبقات الأمم، تاريخ الإسلام. انظر: الأعلام (١٨٦/٣) معجم المؤلفين (٨٢٦/١).

(٤) فيثاغورس: فيلسوف ورياضى يونانى، إليه يعزى تقويم الحساب المعروف (بجدول فيثاغورس فى الضرب) تفرغ لدراسة الحكمة وعاش مع أتباعه حياة زهد مشتركة، اعتقد بتناسخ الأرواح.

(٥) اللجاج: الخفقان. انظر: القاموس المحيط، مادة [لج].

Marfat.com

وفى سيرة الإسكندر : أن هذا لأبقراط[1].

زاد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس: أن العشق من فعل النفس وذلك كامن فى الأعضاء الرئيسية فمتى تمكن أفسدها وهذا كله إشارة إلى المراتب إجمالاً .

وفى كتاب المتيمين: نظر رجل إلى معشوقته فغشى عليه .

فقال حكيم: إنه من انفراج قلبه اضطرب جسمه .

فقيل له: ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر إلى أهلنا ؟

فقال: محبة الأهل قلبية وهذه روحانية فهى أدق وألطف وأعظم سريانا وفعلاً.

وقال أفلاطون[2]: العشق غريزة تتولد عن الطمع .

زاد المعلم: وهو يُحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال صلى الله عليه وسلم **«حبك للشىء يعمى ويصم»** رواه أبو داود وأحمد.

وأنشد فيه :

فَلَسْتُ بـراءِ عَيْبَ ذى الوُدِّ كُلَّه ... ولا بَعْضَ ما فيه إذا كُنتُ رائيا

فَعيْنُ الرِّضا عن كُلِّ عَيْبٍ كليلةٌ ... كما أنَّ عينَ السُّخْط تُبْدِى المسَاويا[3]

ورأيت فى نسخة، ولا بعض ما فيه إذا كنتُ راضيًا، وهى أليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة.

وفى أخرى : ولا بعض ما فيه وإن كنت رائيا، وهذا أليق بالمقام وألطف وأحسن دلالة على المقصود فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فإنه يقول: لا أرى له عيبًا مع أنى صحيح النظر .

---

(١) أبقراط ، هو: طبيب يونانى، أكبر الأطباء الأقدمين وأشهرهم. يتعهد الأطباء فى قسمهم بالتقيد بنهجه الأخلاقى المعروف بقسم أبقراط.

(٢) أفلاطون: من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط، ومعلم أرسطو، أساس فلسفته (نظرية الأفكار) مثالها الأسمى (فكرة الخير) من مؤلفاته (الجمهورية) (السايسى) المحاورات).

(٣) كليلة: ضعيفة، لا تتحقق من المنظور إليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [كل].

Marfat.com

فهذا على حد قوله:

فـو الله مـا أَدْرِى وإنْ كُنْـتُ دارِيـا بِسَـبْعٍ رَمَيْـن الجمْـرَ أم بِثَمـانِ

وقال السكرى[1] وابن أبى طاهر[2] فى [المنثور والمنظوم] وأبو عبيد البكـرى[3] فـى كتابـه [الـلآلى فـى شـرح الآمـالى]: أن البيتـين لجريـر بـن الخطفـى[4] وقـال السمعانى[5] هما لعلى والأول أصح.

قال الحاتمى[6]: وقد سرق ابن عبد الأعلى هذا المعنى حيث قال:

وَعَيْـنُ السُّـخْطِ تُبْصِـرُ كُـلَّ عَيْـبٍ وعـين أخـى الرضـى عـن ذاك تَعْمَـى

وأما الشيخ: فقد حده بأنه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسـان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع.

---

(١) السكرى ، هو: على بن عمر بن محمد الصيرفى، الحربى، محدث، من آثاره: الأمالى، توفى سنة (٣٧٦هـ) انظر: مخطوطات الحديث بالظاهرية (٢٦٣) معجم المؤلفين (٤٨٢/٢).

(٢) ابن أبى طاهر ، هو: أحمد بن محمد بن أحمـد الإسـفراينى، أبـو حـامد، فقيـه، شـافعى، توفـى ببغداد سنة (٤٠٦هـ) من آثاره: شرح المزنى ، البستان. انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٤٣/١١) معجم المؤلفين (٢٤٠/١).

(٣) أبو عبيد البكرى ، هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمـرو، لغـوى، مـؤرخ، نسابه، جغرافى، توفى سنة (٤٨٧هـ) من مصنفاته (أعيان النبات) (اللآلى فى شـرح الأمـالى). انظر: سير أعلام النبلاء (٨/١٢) معجم المؤلفين (٢٥٣/٢).

(٤) جرير بن الخطفى ، هو: ابن عطية بن بدر بن سلمة بن عوف، التميمـى، أبـو حـرزة، شـاعر، كـان هجـاؤه مـرًا، كـانت بينـه وبـين الفـرزدق والأخطـل، مهاجـاة ونقـائض، توفـى سـنة (١١٠هـ٩) من آثاره: ديوان شعر. انظر: طبقات الشعراء (٨٦) معجم المؤلفين (٤٨٤/١).

(٥) السمعانى ، هو: أبو سعد عبد الكريم بن معين الدين أبى بكر، ابى المظفر منصـور، التميمـى، علامه، حافظ، من العلماء برجال الحديث، توفى سـنة (٦١٥هـ). انظـر: الأعـلام (١٨٠/٤) معجم المؤلفين (٢١٢/٢).

(٦) الحاتمى ، هو: محمد بن الحسن بن المظفر، البغدادى، أبو علـى، كـاتب، شـاعر، لغـوى، توفـى سنة (٣٨٨هـ) من آثاره: مختصر العربيـة، عيـون الكـاتب. انظـر: معجـم الأدبـاء (١٥٤/١٨) معجم المؤلفين (٢٣٨/٣).

Marfat.com

وقالت أعرابيـة : العشـق جَـلَّ أن يُـرى وخَفِـيِ عـن الـورى فهـو كـامن فـى الصدور كالنار فى الحجر إن قُدِحَ أَوْرَى وإن تُرِكَ توارَى .

وهذا حَد له بحقيقته فى النفس، ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن.

قول بعضهم:

ومـا الحـب مِـن حُسْـنٍ ولا مـن سماحـةٍ ولكنـه شـيءٌ بـــه الـرُّوْحُ تَكْلــفُ

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله إذا زالت لأنه عرض، وأما الكـائن عن مشاكلة فى النفس وارتسام فى الذهن فحد لا يزول ومتى صـح ارتسـم عنـد كل من المتحابين ما عند الآخـر لصفـاء جوهـر النفـس وخلوهـا للمحبـوب وقـد تكون العوارض المذكورة سببًا لانقلابه إلى الحد الأصلى كمـا ستجده وأمـا نحـو الرسيس والحب وغيرهما فأسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبـق فـى الحقيقة على ما ذكرنا لكن وربما كان لبعض منها مسيس مناسبة؛ فالرسـيس مـن الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب فى النفس. وزعموا أنه أول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوى ويليه الحب وهو فى الحقيقة أول الألفة واشتق مـن حبـة القلب أو من حباب الماء أو من حَبَّ البعير إذا بـرك أو مـن حَبَـبِ الأسـنان وهـو بياضها وحُدَّتِ المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم أو قيام للمحبوب بما يحـب وعـدم مشاركة شىء معه .

وفيه أنشد المتنبى :

يُـــراد مـــن القلـــبِ نســـيانُكم وتَـــأْبَى الطبـــاعُ علـــى النـــاقِلِ

وأنشد بعضهم:

ومـن عجـب أنـى أحِسـنُّ إليهـمُ وأسـألُ عنهـمْ مـن لقِيتُ وهـم معـى
وتطلُبُهـم عينـى وهـم فـى سـوادِها ويشـتاقُهم قلبـى وهـم بـين أَضْلُعـى

وألطف منه قوله:

خيـالُكَ فى عينى وذِكْـرُك فى فَمـيِ ومثـواكَ فـى قَلْبِـى فـأين تَغِيـبُ

والحب أخص من العشق لأنه عن أول نظرة وأقصـاه امـتزاج الأرواح، والرأفـة أشد لأنها مبالغة فى الرحمة.

Marfat.com

قال الحرانى: هى أرق من الرحمة والرحمة أعم لوقوعها على غير ذى صلة، بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود وهو خالصه، فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفى معناه المقة[1] ، والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فإذا زاد فهو الوله أعنى الخروج عن حد الترتيب .

وأنشد فى المعنى :

الحب أولُه مَيْل يَهيمُ به ... قلبُ المحبِّ فيلْقَى الموتَ كاللعِبِ

يكونُ مَبْدَؤه من نظرةٍ عَرَضَتْ ... أو مَزْحَة أشْعَلَتْ فى القلبِ كاللهَبِ

كالنارِ مبدؤها من قَدْحَةٍ فإذا ... تَضَرَّمَتْ احرقت مُسْتَجْمَعَ الحطبِ[2]

وأنشد أيضًا:

ثلاثةُ احبابٍ فَحُبُّ علاقةٍ ... كذا حبُّ تملاقٍ وحبٌّ هو القتلُ

والشَّجْو: هو الحزن ، والطرب أيضًا ضده، ويطلق على القهر والغلبة، وهو هنا عشق يقترن بالهم، كما فى [ديوان الصبابة].

والخُلَّة : هى تمام المحبة ؛ سواء كانت بلا علة ، وهى الصداقة، أو بها؛ وهى فرط العشق الذى لا يخالطه غيره، أخذت من الخلو، أو التخلى؛ فكان القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها.

والعلاقة: وهى فى الصحيح اسم لمبادئ المحبة ؛ أخذت مِنْ عَلِقَ -بالتحريك- أى حَبَّ ، وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ، ويقرب منها الغرام وهو أشد لأنه ولع واشتغال بالحِبِ.

والهوى : مطلق الميل والإرادة ويطلق على ذهاب العقل فى العشق وعلى نفس المحبوبة، وأما العشق فأعم منها وقيل أخص وهو إعجاب بالحِبِّ أو إفراط فيه وأخذ من العاشقة وهى شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهى اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر.

والغمرة : سكر القلب بتذاكر الحِبِّ واشتغاله به، والشغف: شدته ، مأخوذ من شغاف القلب أى غلافه أو سويدائه[3] -وبالمهملة- رأس القلب مما يلى

(١) المقة: المحبة. انظر: لسان العرب، مادة [ومق].

(٢) تضرمت: اشتعلت. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرم].

(٣) سُويداء القلب: حبته. انظر: القاموس المحيط، مادة [سود].

Marfat.com

نياظه[1] ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علمًا عليه قد بلغ هذا المحل ، والمراد من القلب هنا أمر معنوى فى الإنسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام ، وأما الاستكانة فالخضوع أو شوق ينزع النفس من البدن إلى لقاء الحِبِّ ومن ثم قد يقتل عند الرؤية، والشوق أرفع وهل يزيده الوصل أو ينقصه فيه خلاف.

واستدل للأول بقول الشاعر:

وأعظمُ ما يكونُ الشوقُ يومًا إذا أدنت الخيامُ مِنَ الخيامِ

وللثانى بقوله:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرَّ عينًا بالإيابِ المسافرِ[2]

والأصح: أنه إن كان لمجرد شهوة ينقص بقضائها بل ربما عدم، وإلا كان كلفًا لا تَكَلُّفًا وطبعًا لا تطبعًا وميلاً نفسانيًا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل إلا رسوخًا على أنه لا دليل فى الثانى على الدعوى لعدم ذكر الشوق فى الشعر لأنه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذى هو أعم فيجوز تفسيره بفردٍ غيرِ الشوق على أن المحققين أجمعوا على أن الشوق حال الغَيْبَة يغاير الشوق حال الحضور :

كما أنشد ابن الرومى[3] فى ذلك:

أعُانقُها والنفسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إليها وهل بعد العناقِ تَدَانى

وأُلَثِمُ فاهَا كَىْ تزولَ صبابتى فيشَتْدُّ ما أَلْقَىَ مِنَ الهَيَمَانى

كأنَّ فؤادى ليس يَشْفِى غليلَهُ سوى أن يرى الرُّوحَيْنِ يمتزجان

وأما الصبوة : فلا تطلق حقيقة.إلا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزًا على مطلق الميل للمشابهة .

---

(١) نياط : المعرق الذى القلب متعلق به ، مادة [ينط] .

(٢) النوى : البعد . انظر: القاموس المحيط، مادة [نوى].

(٣) انظر : ديوان ابن الرومى (١/١٢٥) وابن الرومى ، هو : على بن العباس بن جريج، أبو الحسن، شاعر مشهور ولد ببغداد ونشأ وتوفى بها سنة (٢٨٣هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/١١٧) معجم المؤلفين (٢/٤٥٣).

Marfat.com

والنزوع والاشتياق: كالصبابة أو هى رقة وحرارة فى الشوق .
والوجد: شدتها.
والكَلَفُ : الاستغراق والاشتغال، وبالكسر : العاشق نفسه.
والشجن: الهم .
والكرب : تحمُّل النفس كل مشقة لتعلقها اِلحِّب .
والكآبة: شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقد.
والبَرْحُ والغُلُّ: شدة العشق، أو الُغُّل: من الغلل يعنى العطش.
والجامع: ميل النفس .
والحنين: شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة.
والبلبال: شدة الشوق.
والجوى: ضيق الصدر وكتم الهوى، والأرق.
والسُّهد: شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب، وفى معناه التحرق واللّذْع والولع وكذا اللوعة واللاعج.
وأما الوصب والنصب: فلوعة مع مرض وغم، وكذا الكمد.
والدنف: شدته قيل مع صفرة؛ أو الكمد تغير إلى سواد، والدنف إلى صفرة وهو مولد.
والَّنبْل والَخبَلُ: الجنون وهذا فى الأصح آخر المراتب.
والجزع: عدم الصبر على الفرقة .
والهلع : أشده .
والدَّلَهَ: بالمهملة احتراق القلب بنار الحب .
والخَلابة: سلب العقل .
والهيام : مجرد الحب أو هو السياحة فيه.
والبلَهَ: حُمق أو غفلة فيكون هنا استغراقًا فى الحب .

فهذه حقيقة أسمائه التى جعلها مراتبه وليست إلا باعتبار صفة، أو أُوَل، أو تسمية جزءٍ وسبب أو مسبب وعكس ذلك ، وإنما المراتب ما قررناه وفى ترتيب هذه الأسماءً خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنا نفس المعانى ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله.

Marfat.com

فصل

فيما ذكر له من العلامات

وهى أحوال يتصف بها البدن : كتغير الألوان والعينين، وتواتر النبض والخفقان، وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره ؛ حتى إنها قد تقضى بالهلاك، وكذا اعتقال اللسان.

وأحوال يتصف بها الفكر: كفساد الذهن، والتعقل، وقد مر.

ثم هذه قد يستدل عليها بالتطوّر والتنقل.

قيل: أُتى بشاب إلى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألمًا، فقال وهو قابض على نبضه لغلامه: قد أخذنى البرد فأتنى بالفرجية[1]، فتغير نبض الشاب تحت يده.

فقال لأمه: إن هذا عاشق امرأة اسمها: فرجية.

فقال وهو كذلك وأنشد:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من مِنى ... فَهَيَّجَ أشواقَ الفؤادِ وما يدرِى

دعا باسمِ ليلى غيرَها فكأنما ... أطار بليلى طائرًا كان فى صدرى

وفى معناه محبة كل ما ينسب إلى المحبوب حتى الجدار .

وفيه قيل :

أَمُرُّ على الديار ديارِ ليلى ... أقبل ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبى ... ولكن حبُّ مَنْ سَكَنَ الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل .

قال ابن أبى حجلة[2]: وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى فى ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة، كيف على ما أعلم فيك .

---

(١) الفرجية: قميص الولد الصغير. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرج].

(٢) ابن أبى حجلة ، هو: أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد، التلمسانى، شهاب الدين، أبو العباس، أديب، وناظم، ناثر، توفى سنة (٧٧٦هـ) من آثاره: أدب الغصن، منطق الطير، ديوان الصبابة. انظر: شذرات الذهب (٦/٢٤٠) معجم المؤلفين (١/٣٢٢).

Marfat.com

فأنشد يقول:

ولله مِنـــى جـــانبٌ لا أُضَيعُـــهُ وللهـــوِ منـــى والخلاعـــة جـــانبُ

أقول: وفيه تظرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفًا وعدَّدَ المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسَمِ واحدًا خصوصًا واللهو فى شعره أعم من أن يكون بالمحبوب وغيره .

وأما التشبه بالمحبوب فى سائر الأفعال والأقوال والميل إلى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من أثره فأمر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل إن شخصًا وُجد فى تركته اثنا عشر حِمْلاً وفردةُ من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه إليها. وآخر ألف هاون لسماع صوت هاون محبوبته، وأما اتحاد الأجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير.

قيل: مرض أبو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فأخبره بمرض عنان جارية الناطفى وأنها نشطت.

فكتب إليها:

إنـى حُمِمْتُ ولم أشْـعُرْ بحُمَّـاكِ حتـى تَحـدثَ عُـوَّادِى بشـكْواكِ

فقلـتُ مـا كـانتِ الحُمَّـى لتطرِقنـى مِـن غـيرِ مـا سـببٍ إلا لحمـاكِ

وخَصْلَـةٍ كنـتُ فيهـا غَـيْرَ مُتَّهَـمٍ عافـانى الله منهـا حـين عافـاكِ

حتى قـد اتَّفَقَتْ نفسى ونفسُكَ فى هـذا وذاكَ وفـى هـذا وفـى ذاكِ

وفى معناه أنشد:

وَقَفَ الهوى بـى حيث أنتِ فليس لى متـأَخَّرٌ عنـه ولا مُتَقَـدَّمُ

أجـدُ الملامـةَ فـى هـواكِ لذيـذةً حبًـا لِذِكـركِ فَلْيَلمْنـى اللُّـوَّمُ

ويقرب من هذا قول الشافعى:

مَـرِضَ الحبيـبُ فَعُدْتُـه فَمَرِضْـتُ مِـنْ حَـذَرِى عليـهِ

وأتَـى الحبيـبُ يعودُنـى فَـبَرِئْت مِـنْ نَظَـرِى إليـهِ

إذا تقرر هذا فليكن الأخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ما سوى المحبوب

Marfat.com

بالطريق الأولى، وكذا نظائرها ، كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث، وملبوس، ورؤية ما ينسب إليه ويقوله حسنًا صحيحًا، وإن كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا إلى المبالغة عند العشاق للإتيان بأعظم منه كما سمعت .

قال الزراع: ودع هندى جارية كان يهواها فذرفت إحدى عينيه فغمض الأخرى عن الملاذّ عقوبة لها أربعًا وستين سنة حتى مات.

وأما حصول العشق برؤية فى النوم أو بالأثر أو بالسماع أو بالكلام أو الوصف أو اللمس أو بأول نظرة أو بالمطاولة والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الأمزجة، وقد أسلفت فى طالعة الكتاب تفصيل ذلك، وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لى فى ذلك أن الناس إما ناظرون بلا حجب أو بها إما من العاشق والمعشوق معًا أو من أحدهما فقط، وتختلف الحجب لطفًا وصفاء وعكسهما فهذه أسباب الاختلاف وإن كانت لأهل الحقيقة بالذات.

Marfat.com

الباب الأول

فيمن استشهد من المحبين شوقاً إلى حضرة رب العالمين

Marfat.com

Marfat.com

فيمن استشهد من المحبين شوقًا
إلى حضرة رب العالمين

لما كان غاية المحبة إما وصولاً إلى المطلوبات الدنيوية ، أو الأخروية ؛ ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبًا والباطنة، ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية، وإما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش فى العقل من الخلق، أو ميل نفسى إلى المبدع باستيحاش ممن سواه ، لا جرم قسمت المحبة قسمين: أشرفها متعلقٌ بالثواب : وهو الحب فى الله لأنه لا يُفنِى متعلقه ولا تُكيف غايتُه ولا يفضله شىء فى الحقيقة، إذ ما سواه أوهام تضمحل وتزول، وأعراض تفنى وتحول، ولا شبهة فى أن ادخار ما لا يتطرق إليه تغير ولا فناء أولى فى الحكمة عند العقلاء، فلذلك صدرت به الأبواب.

ومدار ما يذكر هنا فى الأصل على ذكر من أفنى نفسه فى طاعة ربه وأكثر اغترافه من الحلية لأبى نعيم[1] .

إذا تقرر هذا فحد المحبة كما قال الحصرى[2]: وصول إلى مقام الأنس والنعمة باطنًا، والوحشة والبلاء ظاهرًا، بشرط الإشراف على الغيوب، وفناء الكل فى بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة، وكان عليه أن يورد التعريف التام العام أولاً ثم يفصل .

---

(١) أبو نعيم ، هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو نعيم، المهرانى، الأصبهانى، الإمام الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، الصوفى، وصاحب (الحلية) تفرد فى الدنيا بشىء كثير من العوالى، توفى سنة (٤٣٠هـ) من آثاره: تاريخ أصبهان، صفة الجنة، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧) ، البداية والنهاية (٤٥/١٢).

(٢) انظر :زهر الآداب (٣٥/١) الحصرى ، هو: الأديب الشاعر، أبو إسحاق، إبراهيم بن على بن تميم القيروانى، ابن خالة الشاعر الشهير أبى الحسن الحصرى، مدح الكبراء، وشعره سائر مدون، توفى سنة (٤٥٣هـ) من آثاره (زهر الآداب) ، (المصون فى الهوى) انظر: معجم الأدباء (٩٤/٢) سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٨).

Marfat.com

وقال الأستاذ أبو يزيد البسطامى[1]: هى استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندى قريب من الأول غير أن بعض شراح النصوص قال: إن فيه تعريفًا بالمادة وأظنه أخذ ذلك من قوله استهلاك، وفيه تكلف.

ونقل الحدين ، البحرانى ،فى شرح التائية على قول الأستاذ فقال: هوى غيرى قصدت، وأقرَّهما.

وأحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد[2] ﷺ وقد سُئل ما المحبة.

فقال: هى الصفاء فى الباطن مع حقائق الحق والوفاء فى الظاهر، مع استعمال دقائق الشرع.

فهذا وا لله هو الحد التام وإن كان إلى الخاص أميل.

فإن قوله: الصفاء فى الباطن؛ يريد به الخلوة الحقيقية التى هى قَفْل أبواب الحواس عن ممارسة الخلق، ونَشْر القلب بالاستكانة والخضوع على أعتاب الحق، ونفى الكدورات[3] الحسية عن الحواس النفسية لإلحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفى العوائق وقطع العلائق[4]، والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق :

هناك وجدتُ الكائناتِ تحالفت على أنها والعودُ منى مُعينتى

حيث انتفت معاندات الأغيار، وتحققت ممازجات الأخيار، حتى انتقشت المطلوبات الحقية فى مرآت الصورة الخلقية، وانبسطت أشعة الأحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية.

---

(١) أبو يزيد البسطامى ، هو: طيفور بن عيسى بن.شروسان، البسطامى، سلطان العارفين، أحد الزهاد، شديد الحب لله، كان دائمًا يقول: اللهم لا تقطعنى بك عنك، وكان منشغلاً بعبادة الله تقربًا إليه، توفى سنة (٢٦١هـ) انظر: الحلية (٢٣/١٠) سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣) .

(٢) الجنيد ، هو: ابن محمد النهاوندى، ثم البغدادى القواريرى، شيخ الصوفية، تفقه على أبى ثور، أتقن العلم، ونطق بالحكمة، قال عنه ابن المنادى: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورُزق الذكاء وصواب الجواب، لم يُر فى زمانه مثله فى عفته وعزوفه عن الدنيا. انظر: حلية الأولياء (٢٥٥/١٠) طبقات الصوفية (١٥٥) سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤).

(٣) الكدورات ، جمع كدرة: الغمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [كدر].

(٤) العلائق ، جمع العلاقة : سبق تخريجها .

Marfat.com

فلم تهونى مـا لم تكـن فـى فانيـا ولم تفـن مـا لم تجتلى فيـك صورتـى

وقوله: والوفاء فى الظاهر، يعنى: لكل معاهد بعهده، وموعود بوعده، وضال بردِّه، ومُتَغَفل بتنبيهه وتقوية وجْدِه ؛ لأن العارف المتصـف بمـا ذكـر خليفـة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه، فإن فعل ذلك ظاهرًا وباطنًا فهو النبى وخلفاؤه، ومـن فعلـه علـى الأول فهـم السـلاطين، أو علـى الثـانى فهـم الأفـراد الأقطاب جوامع الأسرار ومعادن الحقائق والاستبصار، علماء أمتـى كأنبيـاء بنـى إسرائيل وورثة الأنبياء :

فعالمنـا منهـم نبـى ومـن دعـا إلى الحـق منـا قـام بالرُّسُـلية

وأما قوله: استعمال دقائق الشرع فإشـارة إلى معنـى لا يدركـه إلا الخـواص وإن غاص عليه من غاص، فإن فيه إشارة إلى حفظ الكليات التى عليها مـدار النظـام، واستقصاء الجزئيات التى قصر عنها الكلام، واجتهاد النفس فى جمـع مـا تفرقـت فيه الآراء، وتشعبت إليه الأهواء، بيد أن ذلـك قِبـاءٌ لم يُخَـط علـى كـل ذى قـد وأشكال أقيسة فكر لم يستخلصها كل ذى جِدٍّ ، اللهم حققنا بحقـائق معـارفك، وارفعنا من حضيض زوايا الخمول إلى أوج استقامة لطائفك، وانقـل أنفسـنا مـن مراكز عكس الصعود إلى أشرف منازل السعود .

وأما قول بعضهم ،وينسب إلى ذى النون المصرى(١): المحبـة أرق بـلا رقـاد، وجسم بلا فؤاد، وتهتك فى العباد، وتشتت عن البـلاد، فتعريـف بصـورة الحالـة الراهنة من المحبة بعد قطع الطـرق؛ فـإن الأرق الـذى هـو السـهر مـن الفكـر فـى الأمور الطارئة على النفس لا يكون إلا بعد تمكن تلـك الأمـور فـى الذهـن، وأن الجسم لا يكون بلا فؤاد إلا إذا فنى، فهى كناية عـن عـدم الالتفـات إلى مـا مـن

---

(١) ذو النون المصرى ، هو: ثوبان بن إبراهيم، الزاهـد، شـيخ الديـار المصريـة، أبـو الفيـض، مـن موالى قريش، كان عالمًا، فصيحًا، حكيمًا، هـو أول مـن تكلـم ببلدتـه فـى ترتيـب الأحـوال، ومقامات الأنبياء، فأنكر عليه علماء مصر ذلـك وهجـروه، واتهمـوه أنـه يتكلـم فـى علـم لم يتكلم فيه السلف، ورموه بالزندقة، توفى سنة (٢٤٥هـ) انظر: الحلية (٣٣١/٩) تاريخ بغداد (٣٩٣/٨) سير أعلام النبلاء (٥٣٢/١١).

Marfat.com

شأنه أن يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام، وفيه تكلف وخلط لحالة المجانين بأحوال المحبين، وباقى الكلام ظاهر.

وعندى أن المحبة ميل نفسانى إلى المراد، يعضده الجزم بالاعتقاد . ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد، وفى الدين ارتداد، وإليه أشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِى

فقولنا ميل : كالجنس ، ونفسانى : كالفصل ، وإلى المراد فصل قريب، ولذلك أخره. وهذا هو فعل المادة والصورة ، والجزم فى الاعتقاد بالفاعلية، وغاية ذلك الثبات على الحب، حيث ثبت أن ما سواه فساد، فقد جمع هذا الحد -مطردًا ومنعكسًا- أحوال المحبة على وجه العموم، فمن أراد تخصيصه فبالفصول اللائقة، ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط، منها: أن لا يبالى المحب بما يرد من المحبوب، وأن يؤثر رضاه على نفسه، فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور، والهجر كالوصل، والفناء كالبقاء، إذا كان ذلك رضا المحبوب.

قال العارف :

فكل الذى ترضاه والموت دونه به أنا راضٍ والصَّبابَةُ أَرْضَت

فانظر إلى هذا الأستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك، ودل على المطالب والمسالك، وأوضح مرقاة الوصول للدارج، ونكب[1] عن المعارج إلى أسنى[2] المعارج حيث قال:

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى

لأن الزمان المذكور محل الميل إلى مرادات النفس وشهواتها، ففى البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام، تحرير أحوال الغرام بأقصى المرام، ثم أكد ما أسس، وأبدع ما جَنَّس، وقوّى جزءى الميل حتى صار كليًا بما وشح[3] من بديع

---

(١) نكب: عدل عن الشىء . انظر: القاموس المحيط، مادة [نكب].

(٢) أسنى: أيسر وأسهل. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنى].

(٣) وشح: فى الوشاح: نظم اللؤلؤ والجواهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [وشح].

Marfat.com

نظامه، وأنق[1] من لطيف كلامه بقوله :

مُحَجبــةُ بــين الأَسِــنّةِ والظِبــا إليهــا انثَنَــتْ البابُنــا إذ تَثَنّــت[2]

مُمَنعــةُ خَلَــعَ العِــذار نِقابَهــا مُسَــرْبَلَةُ بُرْدَيْــنَ قلبــى ومهجتــى

فجدوا أيها المقصرون ، وانتبهوا أيها الغافلون ، وبادروا أيها المشمرون ، فـإن المطلوب خطير، والوصول عسير، وليس هذا قطعًـا عـن الطريـق وتخذيـلاً للهمـم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعـة، الظـانين أن الوصـول إلى هـذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة، كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هـذا الأمر إلا من أراد علو همته، وغلو قيمته، ليهلك من هلـك عـن بينـة، ويحيـا مـن حى عن بينة، ولا يتلبس بالعلم غير أهله، ولا يبسق[3] الفرع على غير أصله :

فللحــب أقــوام كِــرامُ نُفوســهم منزهـةٌ عمـا سـوى الحـبِّ يـا خِلّــى

إلى غير ذلك مما دلت عليه أبياته الفائقة، وعباراتـه الرائقـة، وألفاظـه الشـائقة، التى هى لسـرادق[4] الهمـم إلى مقـام الوصـول سـائقة، ولـولا مـا فـى ذلـك مـن التطويل الذى يستغرق المدد مع المدد، ويستنفذ الأبـد، فضـلاً عـن طـول الأمـد، لأوضحت لك ما فى كلامه من الأسرار الحقيقية الدالة على أن أبيـات القصيـدة وضعت كدرج المرقاة[5] فى الإبرام[6] والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض.

ومن لطيف ما اتفق لى : أنى خلوت بنفسى ليلة وكانت ليلة الجمعـة سـادس رجب الفرد من شهور إحدى وسـبعين وتسـعمائة، فـأخذت أتفكـر فـى كلامـه متصفحًا فى دقائقه إلى أن قام فـى فكـرى معارضـة بـين مـا اتفـق لـه مـن قولـه: **وعيدك لى وعد...** البيت.

---

(١) أنق: عمله بإتقان وحكمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنق].

(٢) تثنت: تمايلت فى مشيتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثنى].

(٣) يبسق: ترتفع أغصانه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بسق].

(٤) السرادق: الفسطاط الذى يمد فوق صحن البيت. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرد].

(٥) المرقاة: المصعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [رقى].

(٦) الإبرام: الإحكام. انظر: القاموس المحيط، مادة [برم].

Marfat.com

وقوله: عذب بما شئت غير البعد...

وقوله: وأصعب شيء دون إعراضكم سهل... .

وبين قوله: وكل الذى ترضاه... البيت.

فإنه فى جميع الأبيات أشار إلى أنه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر، ثم أشار فى هذا البيت إلى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندى جواب أن ذلك عام خصص ثم غشينى النوم، فرأيت كأنى بالمدرسة الأشرفية وقد زينت بأنواع الزينة، وليس فيها غيرى، وإذا برجل طويل غليظ، شديد البياض، فى يده عكاز أخضر، متوشح بثوبين أبيضين، وعلى رأسه كالإزار، فقام عندى أنه الشيخ فإذا هو هو، فسلم على، ووضع يده على كتفى، ووقفنا متقابلين، وهو يقول لى هذا جواب الفقهاء و لم أقصده.

فقلت: يا سيدى وما الذى قصدت.

قال: أما تعلم أن المسافر أثقل ما يكون فى مبادى سفره، ثم لم يزل يخف إذا طالت طريق حتى لم يبق إلا هو وربما فنى.

قلت: نعم.

قال: وكذلك السالك لم يزل يلقى مرادات نفسه حتى إذا وصل انطوى فى دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب، كما فى الحديث القدسى: **«فبى يسمع وبى يبصر»** .

فعلمت أن هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة إن لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة، فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة إلا أن تداركنى الألطاف الباهرة .

وقال بعض العارفين: شرط المحبة أن تكون ميلاً بلا نيل، وشرطًا بلا جزاء، لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك فى أحباء الله عز وجل .

روى عن على ﷺ **أنه كان يقول فى مناجاته**: إلهى ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا فى جنتك، ولكنى وجدتك أهلاً للعبادة.

ومن ثم قيل: أفضل الحمد ما وقع دالاً على استحقاق الله له بلا شرط، نحو: نحمدك يا من جلت صفاته عن الإحصاء ، بخلاف ما وقع فى مقابله شيء كالحمد لله على ما أنعم.

Marfat.com

وأخبر السراج، عن أبى بكر الأزدستانى بسنده إلى ابن كثير، قال: لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع إليه فيه الناس، حتى الوحوش والطيور ، فينوح ويعظ مذكرًا بالجنة، ثم النار، ثم الأهوال، ثم الخوف من ا لله، وفى كل واحدة يموت من كل طائفة خلق، وولده قائم على رأسه، فيقول: حسبك يا أبت قد مات الناس، ثم يقول له العباد: لا تعجل بطلب الجزاء، فيخر ساجدًا مغشيًا عليه، فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب، ثم يدخل بيت عبادته، وهو يقول: يا إله داود غضبان أنت عليه أم راض. إلى أن يخر مغشيًا عليه.

وأخرج عبد العزيز بن على الطحان : عن ابن عطاء فى معنى قوله عز وجل﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٣] . أن أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبقى غير قلبه ولسانه، فأكل بعضه بعضًا حتى بقيت واحدة فدبت إلى قلبه.

فقال: ذلك لأنه قال: أى رب لم أخف من بلاء ما دام قلبى عارفًا بحلاوة ذكرك.

فأوحى ا لله إليه: بم تنظر إلى غدًا؟

قال: بهاتين العينين .

قال: لا، ولكنى أخلق لك عينين تسميان البقاء؛ لتنظر إلى البقاء بالبقاء .

وقيل : خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة برد وريح ومطر، فعاج[1] إلى كهف ليستظل، فخرج إليه أسد .

فقال: أنت أحق بمكانك،وعاد وهو يقول: رب لكل ذى روح ملجأ إلا عيسى .

فأوحى إليه :كأنك استبطأتنى ، فوعزتى وجلالى لأزوجنك بجوارى، ولأَوْلِمَنَّ عليك أربعة آلاف سنة.

وحكى المنذرى:عن ابن سعد يرفعه: أن انصاريًا بكى من خشية ا لله خوفًا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته، فحكى ذلك لرسول ا لله ﷺ ، فأتاه فلما اعتنقه خرّ ميتا. فقال: جهزوا صاحبكم فإن الفَرَقَ، بتحريك الراء: يعنى الخوف، فَلَذَ ، بالمعجمة: يعنى قطع كبده.

---

(١) عاج: مال وعطف. انظر: القاموس المحيط، مادة [عوج].

Marfat.com

وحكى أبو نعيم فى الحلية: فى ترجمة عبد الواحد بن زين عن الفضيل بن عياض أن ابن زيد[1] سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقهُ فى الجنة ، فإذا بقائل يقول له: هى ميمونة السوداء . **قال:** فقلت: وأين هى؟ .

قال: بالكوفة، فخرجت فى طلبها، فلما سألت عنها.

قالوا: هى مجنونة وإنها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا، فجئتها فرأيتها قد غرست عكازًا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لاتباع ولا تشرى، والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى، فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها، ثم قالت: يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد[2]؟.

فقلت: ومن أين عرفتنى.

فقالت: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

وفى رواية أخرى ، قالت: جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت، فتعارفنا .

فقلت لها: عظينى.

فقالت: واعجبا من واعظ يوعظ.

ثم قالت: يا ابن زيد لو وضعت معيار القسْط على جوارحك لَخَبَّرْتُك بمكنون ما فيها، يا ابن زيد ما من عبد أعطاه ا لله شيئًا من الدنيا فابتغى إليه ثانيًا إلا سلبه ا لله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة.

وأنشدت :

يا واعظًا قام لاختِسابِ ... يَزْجُرُ قومًا عن الذنوبّ

تنهى وأنت السَّقيمُ حقًا ... هذا من المنكرِ العجيبِ

---

(١) ابن زيد ، هو: عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصرى، زاهد، قدوة، شيخ العباد، كان واعظًا جليلاً، يخشى ا لله ويرجو لقاء وجهه الكريم، وكان كثيرًا ما يدعوا بذلك توفى سنة (١٥٠هـ) انظر: الحلية (٦/١٥٥) سير أعلام النبلاء (٧/١٧٨).

(٢) أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/٣٩) عن سهل بن سعد وقال : رواه الحاكم والبيهقى من طريقه وغيره وقال الحاكم صحيح الإسناد . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين والأصبهانى من حديث حذيفة .

Marfat.com

لـو كنـتَ أصلحـتَ قبـل هـذا غَيَّـك أو تبْـتَ مِـنْ قريـبِ
كـان لمـا قلـتَ يـا حبيبـى موقِـعُ صـدقٍ مِـنَ القلـوبِ
تَنْهـى عَـنِ الغَـىِّ والتمـادى وأنـتَ فـى النهـى كـالمرِيبِ

قال: ثم سألتها: ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها؟

فقالت: أصلحت ما بينى وبينه فأصلح ما بين الذئاب والغنم.

وفى الكتاب المذكور عن ابن المبارك[1] **قال:** بينما أطوف فى الجبـال إذا أنـا شخص، فلما دنا منى إذا هو امرأة عليها ثياب من صوف، فلما دنت سلمت.

ثم قالت: من أين؟

قلت : غريب .

قالت: وهـل تجـد مـع سـيدك وحشـة الغربـة وهـو مؤنـس الضعفـاء ومحـدث الفقراء، فبكيت .

فقالت: ما بكاؤك، ما أسرع ما وجدت طعم الدواء.

قلت: هكذا العليل .

ثم قلت: عظينى يرحمك ا لله.

فأنشدت :

دنيـاكَ غـرَّارة فَذَرْهـا فإنهـا مَرْكِـبٌ جَمُـوحُ[2]
دون بلـوغِ الجهـولِ منهـا مُنْيَتَـه نفسُـهُ تَطُـوحُ[3]
لا تَرْكَـبِ الشَّـرّ فاجْتَنِبـهُ فإنـه فـاحشٌ قبيـحُ
والخـيرَ فـاقدم عليـه جهـرًا فإنـه واسـعٌ فسـيحُ

فقلت: زيدينى .

٨٨٨

---

(١) ابن المبارك ، هو: عبد ا لله بن واضح الحنظلى، مولاهم، الخوارزمى، أبو عبد الرحمن، عـالم، فقيه، محدث، مفسر، مؤرخ، نحوى، لغوى، صوفى، توفى سنة (١٨١هـ) مـن آثـاره: كتـاب الجهاد، كتاب الزهد، التأريخ. انظر: الحلية (١٦٢/٨) سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨).

(٢) جموح ؛ من جمح الفرس: تغلب على راكبه وذهب به . انظر: القاموس المحيط، مادة [جمح].

(٣) تطوح: تتوه وتشرف على الهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [طاح].

Marfat.com

قالت: سبحان ا لله، أو ما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد.

قلت: لا غنى لى عنه.

فقالت: أحبب ربك شوقًا إلى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه .

وفيه : عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضي الله عنه قال: بينما أنا فى السياحة ، إذا لقيتنى امرأة .

فقالت: من أين؟

قلت: غريب .

فقالت: كما قيل لابن المبارك، إلا أنها زادت حيث نهت -أى الأخرى فى الحكاية السابقة- عن البكاء بأن قالت: البكاء راحة القلب، فما كُتمِ شىء أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت[1] الدمعة استرحت .

وهذا ضعف عند العقلاء، فتعجبت من ذلك .

وقال: وصف لى رجل فقصدته، فأقمت على بابه أربعين يومًا فلما رآنى بعدها هرب منى .

فقلت له: سألتك با لله إلا ما وقفت .

فقال: ما تريد .

فقلت: تُعرفنى بما عرفته.

فقال: إن لى حبيبًا إذا قربت منه قربنى وأدنانى، وإذا بعدت صوب[2] بى ونادانى، وإذا قمت باليسير رغبنى ومنانى ، وإذا عملت بالطاعة زادنى وأعطانى وإذا عملت بالمعصية صبر على وتأنّانى[3] ، فهل رأيت مثله، انصرف عنى ولا تشغلنى.

---

(١) أسبل الدمع : أرسله. انظر: القاموس المحيط، مادة [سبل] .

(٢) صوب بى :صوبه : قال له أصبت ، لسان العرب مادة [صوب] ، والمقصود هنا أعادنى وأقامنى على الصواب .

(٣)تأنانى : تانيت الرجل : أى انتظرته وتأخرت فى أمره و لم أعجل ، لسان العرب ، مادة [أتى].

Marfat.com

ثم ولى يقول :

حَسْبُ المحبين فى الدنيا بأن لهم ... من ربهم سببًا يُدْنى إلى سبب

قومٌ جسومُهم فى الأرضِ سائرةٌ ... وإن أرواحهم تختال فى الحُجُب[1]

لَهَفْيِ على خلوة منه تُسَدِّدُنى ... إذا تضرعتُ بالإشفاق والرغب[2]

يا رب يارب أنت ا لله مُعْتَمَدى ... متى أراك جهارًا غَيْرَ مُحْتَجِبِ

وعن أبى الفتح بن سحنون قال: كان سعدون صاحب محبة لله لَهِجًا بالقول، صام ستين سنة حتى خف دماغه، فسماه الناس مجنونًا لتردد قوله فى المحبة، فغاب عنا زمانًا وكنت مشتاقًا إلى لقائه، فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذى النون، وإذا به وعليه جبة من صوف.

فنادى: يا ذا النون، متى يكون القلب أميرًا بعدما كان أسيرًا؟ فقال: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه إلا هو.

قال: فخرّ مغشيًا عليه .

ثم أفاق وهو يقول :

ولا خير فى شكوى إلى غير مُشْتَكى ... ولابد من شكوى إذا لم يكن صبُر

ثم قال: يا أبا الفيض، إن من القلوب قلوبًا تستغفر ا لله قبل أن تذنب.

قال: نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع.

قال: يا أبا الفيض، اشرح لى ذلك.؟

قال: يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين، فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات، فهم رهبان من الراهبين، وملوك العباد، وأمراء فى الزاد للغيث الذى أمطر فى قلوبهم المولهة[3] بالقدوم إلى ا لله تعالى شوقًا، فليس فيهم من آنس بمخلوق، ولا مسترزق من مرزوق، فهو فى الملأ حقير وعند ا لله خطير ثم ولى .

---

(١) تختال: تتبختر وتتكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [خال].

(٢) الرغب: الشيء المرغوب فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رغب].

(٣) الموله ، من الوله : يكون من الحزن والسرور مثل الطرب ، لسان العرب ، مادة [وله].

Marfat.com

وعن أبى سليمان قال: مررت ليلة، فسمعت فى جبل اللكام[1] رجلاً يقول فى دعائه: سيدى وأملى، ومن به تم عملى، أعوذ بك من بدن لا ينتصب[2] بين يديك، وقلب لا يشتاق إليك ودعاء لا يصل إليك، وعين لا تبكى عليك .

فعلمت أنه عارف، ثم صُعِقَ ، فتركته وانصرفت، وإذا أنا برجل نائم فركضت.

وقلت: قم فإن الموت لم يمت، فرفع رأسه وقال: ما بعد الموت أشد منه .

وعن عبد الله بن المبارك قال: مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكلٍّ ما يحب فقلت له: يا طبيب أعندك دواء للذنوب؟

فقال: نعم، فلما تفرق الناس .

قال لى: يا هذا عليك بورق الفقر، وعروق الصبر، وإهليلج[3] الصفا، وبليلج الرضا، وغاريقون الكتمان ، وسقمونيا[4] الأحزان ، فامرسهم[5] بماء الأجفان[6]، ودعهم فى طاجن القلق، وأوقد تحتهم نار الفرق[7]، وصفهم بمنخل الأرق واشربهم على الحرق، فإنه شفاؤك.

وأنشد :

يا طبيبًا بذكره يُتَداوى ... وَصَفُوهُ لكل داء غريبِ

ليس حزنى عليك شيئاً عجيباً ... إنما الصبر عنك شىء عجيب

---

(١) جبل اللكام : جبل مشرف على أنطاكية وبلاد.ابن ليون والمصيصة وطرسوس، يبتدى من بحر القلزم إلى نواحى الشام. انظر: معجمْ البلدان (٥/٢٥).

(٢) ينتصب: يقوم ويرتفع. انظر: القاموس المحيط، مادة [نصب] ، والمقصود هنا قيام الليل .

(٣) الإهليلج: شجر ينبت فى الهند وكابل والصين، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

(٤) سقمونيا: نبات يستخرج من تجاويفه رطوبة وبقة وتجفف وتدعى باسم نباتها أيضًا مضادتها للمعدة والأحشاء أكثر من جميع المسهلات. انظر: القاموس المحيط، مادة [سقم].

(٥) فامرسهم : المرسى : الدلك ، لسان العرب ، مادة [مرسى] .

(٦) ماء الأجفان : لعل المقصود به الدموع .

(٧) الفرق: الفزع. انظر: القامسو المحيط، مادة [فرق].

Marfat.com

وسئل أبو بكر الشبلى[1] **ما علامات العارف؟**

قال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح.

قيل: من العالم؟

قال: من عرف الله، وعمل بما علمه الله، وأعرض عما نهاه الله.

قيل: فما الصوفى؟

قال: من صفا قلبه، ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى .

قيل: فما التصوف؟

قال : التألف، والإعراض عن التكلف، وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لأمر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر[2].

وعن إبراهيم بن أدهم ﷺ[3] **قال:** كنت يومًا من الأيام مارًا بقبر فترحمت عليه، وبكيت عليه ، فسألنى من معى عنه.

فقلت: قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن، غرق فى الدنيا، ثم استنقذه الله، بلغنى أنه سُرَّ يومًا من الأيام بما هو فيه، ثم نام مع بعض محاظيه[4] فرأى رجلاً واقفًا على رأسه وفى يده كتاب، فناوله إياه ففتحه فإذا هو مكتوب بالذهب، لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك، فإنّ الذى أنت

---

(١) أبو بكر الشبلى ، هو: دلف بن جحدر، البغدادى، شيخ الطائفة، فقيها، عارفًا بمذهب أبى مالك، كتب الحديث، وقال الشعر، له حكم كثيرة، كان لهجًا بشعر الغزل والمحبة، توفى سنة (٣٣٤هـ). انظر: الحلية (٣٦٦/١٠) تاريخ بغداد (٣٨٩/١٤) سير أعلام النبلاء (٣٦٧/١٥).

(٢) المدر: الطين العلك الذى لا يخالطه رمل. انظر: القاموس المحيط، مادة [مدر].

(٣) إبراهيم بن أدهم ، هو: ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة، الإمام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلى، ثقة، حسن الحديث، جيد الرواية، حبيب الله حديثه إلى الناس، توفى سنة (١٦٢هـ) انظر: الحلية (٣٦٧/٧) سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧).

(٤) محاظيه: ذوى المنزلة والمكانة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حظا].

Marfat.com

فيه جسيم لولا أنه عديم، وملك لولا أنّ بعده هلاك ، وفرح وسرور لولا أن بعده غرور، فسارع إلى أمر الله، فإنه يقول ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[آل عمران:١٣٣] .

فانتبه مرعوبًا وخرج إلى هذا الجبل فما زلت أتعهده حتى مات ودفن ههنا.

وحكى : أن ملكًا أراد الركوب يومًا فدعا بثياب الزينة، فجيء بها فردها، وقال: أريد ثياب كذا، فجيء بها فردها، حتى جيء بأصناف كثيرة، ثم اختار ما أراد، وفعل كذلك بالدواب، فلما ركب نفخ إبليس فى أنفه فعلاه من التكبر ما لا يوصف حتى أنه لم يخاطب أحدًا فبينما هو فى موكبه إذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته، وهو يقول لى إليك حاجة .

قال: حتى أرجع .

قال: لا بل مكانَك .

قال: اذكرها، فقال: ادن منى ، فطأطأ .

فقال له: أنا ملك الموت ، فتغير واضطرب ، وسأله أن يعود فيودع أهله، فأبى وقبضه مكانه .

وحكي أنه : عارض فى ذلك الوقت رجلاً زاهدًا، فقال له كما قال للملك، فقال: حبًا وكرامة، فقال له ملك الموت: هل لكَ حاجة تمضى إليها، فقال: لا حاجة أحب إلى من لقاء الله، فقال: اختر على أى حالة أقبضك، فقال: ألك ذلك، قال: نعم، فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه .

وعن عتبة المعروف بالغلام(١): وسمى بذلك لكثرة خدمته(٢)، أنه كان مقيمًا بالجبانة فبلغ خبره على ابن سلمان أمير العراق، فخرج حتى وقف عليه فسلم، فرفع رأسه فرد عليه.

فقال له الأمير: كيف أصبحت .

---

(١) عتبة الغلام ، هو: ابن أبان البصرى، زاهد، خاشع ، شديد الخوف من الله، كان من نساك أهل البصرة، يصوم الدهر، ويأوى السواحل والجبانة، كان يشبه فى حزنه بالحسن البصرى، استشهد فى معركة المسلمين مع الروم انظر: الحلية (٦/٢٢٦)، سير أعلام النبلاء (٧/٦٢).

(٢) لكثره خدمته : عل المقصود بها العبادة وحلقه الذكر .

Marfat.com

قال: متفكرًا فى القدوم على الله بخير أم بشر، ثم بكى وأطرق رأسه منكسًا إلى الأرض.

فقال الأمير : قد أمرت لك بألف درهم.

فقال: قبلتها على أن تقضينى معها حاجة.

فقال: وقد سر بذلك، وما هى؟

قال: تقبل منى ما وهبتنى .

فقال: قد فعلت، وانصرف .

ولقد كان عتبة هذا لا ينام إلا أول الليل، ثم يستيقظ فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار، قد شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ، ويقف للخدمة، وإن البكاء ليمنعه القراءة .

وكثيرًا ما يقول: اللهم يا عالمًا بحاجتى غير معلم بما أطلب، وما أطلب إلا فكاكى من النار، اللهم إن الجزع قد أرقنى من الخوف فلم يؤمنى، وكل هذا من نعمتك السابغة علىّ، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك، إلهى قد علمت لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين .

وعن سهل ابن عبد الله التسترى ﷺ[1] : الناس ثلاثة أصناف: صنف مضروب بسوط المحبة، مقتول بسيف الشوق، مضطجع على بابه ينتظر الكرامة. وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو، وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة .

وعن حيان القيسى: العباد مع الله على ثلاث طبقات: قوم ظُعِنَ[2] بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرّهم، فيكون هذا حكمة، أو يكون فى صدورهم

---

(١) سهل بن عبد الله التسترى ، هو: ابن يونس ، أبومحمد، الصوفى، الزاهد، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ فى الطريق، كان يقول: الجاهل ميت، والناسى نائم، والعاصى سكران، والمصر هالك. توفى سنة (٧٣هـ) انظر: حلية الأولياء (١٠/١٨٩) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠) .

(٢) ظعن: سار ورحل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ظعن].

Marfat.com

حرج من قضائه، وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصى لئلا تغتم قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم، وقوم صب عليهم العذاب صبًا فما ازدادوا بذلك إلا حبًا .

أقول: والتقسيم الأول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقى، إلا أن التقسيم الأول أسعد السعداء، وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لأهل الله فقط، على أن لنا أن نتكلف للأول أن يكون مثله، وفى هذا تلميح إلى التسليم البحت فى القضاء والقدر، والأول إلى الاختيار .

وعن سمنون بن حمزة الخواص(١): أن أبا بكر البصرى وكان رجلاً من أكابر الأولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو :

فليْس لِي فِي سِواكَ حَظٌّ فكيفما شِئْتَ فَامْتحنِى

فحصر بوله أثر قوله هذا فتضجر، فسمى نفسه الكذاب فى المحبة.

غيره :

ولو قيل طأ فى النار أعلم أنه رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقدَّ مت رجلى نحوها فوطِئتُها سرورا لأنى قد خطرت ببالك

وله أيضًا :

وكان فؤادى خاليًا قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرَحُ
فلما دعا قلبى هواك أجابه فلست أراه عن فِنائك يبرحُ(٢)
رميت بِبَيْنٍ منك إن كنتُ كاذبًا وإن كنتُ فى الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شىء فى البلاد بأسرْها إذا غبت عن عينى بعينى يَمْلُحُ
فإن شئت واصلنى وإن شئت لا فلست أرى قلبى بغيرك يصلح

---

(١) سمنون بن حمزة ، هو: سمنون بن حمزة الخواص، أبو الحسن، أو أبو بكر، من كبار مشايخ العراق، كان من العباد الناسكين، سمى نفسه بسحنون الكذاب بسبب أبيات قالها، توفى سنة (٢٩٠هـ) انظر: الحلية (٣٠٩/١٠) الأ لام (١٤٠/٣) تاريخ بغداد (٢٣٤/٩).

(٢) يبرح: يزول من مكانه ويفارقه. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

Marfat.com

وله أيضًا :

يـا مـن فـؤادى عليـه موقـوف وكـلُ همِّـى إليـه مصـروفُ

يـا حسـرتى حسـرةً أمـوت بهـا إن لم يكـن لى إليـك معـروف

وعن الجنيد ﷺ[1] قال: أنفذنى السرىّ فى حاجة، فلما قضيتها دفع إلىّ رقعة، وقال: قد أجزتك[2] هذه الرقعة، ففتحتها فإذا فيها :

ولما شكوتُ الحبَّ قالت كذبتنى ألستُ أرى منك العظامَ كواسيا

وما الحب حتى يُلصقُ الجلدُ بالحشا وتخرَسَ حتى لا تجيب المناديا

وتضعفَ حتى لا يُبْقِى لك الهوى سوى مقلةٍ تبكى بها وتناجيا[3]

ودخل أبو بكر الشبلى يومًا المارستان[4] فوجد غلامًا أسود قد غل[5] إلى سارية فلما رآه قال: يا أبا بكر، قل لربك ما كفاه أن تيمنى بحبه حتى قيدنى.

وأنشد يقول :

على بعدك لا يصبرُ من عادته القرب

وعن قربك لا يصبر من تيَّمه الحب

فإن لم ترك العيُن فقد أبصرَك القلبُ

فصعق الشبلى، وخرّ مغشيًا عليه، فلما أفاق وجد القيود مطروحة و لم ير الأسود .

وعن على ابن سعيد العطار ، قال: مررت بعبادان[6] بمكفوف مجذوم، فإذا

---

(١) تمت ترجمته.

(٢) أجزتك: أبيح لك أو أمكن لك. انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

(٣) تناجيا ، من المناجاة : ما سارّه الشخص فى فؤاده من الأسرار والعواطف. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجو].

(٤) المارستان: كلمة فارسية تعنى دار المرضى انظر: القاموس المحيط، مادة [مرس].

(٥) غل : الغل : جامعة توضع فى العنق أو اليد والجمع أغلال ، لسان العرب ، مادة [غلل] والمقصود هنا أنه ربط إلى السارية .

(٦) عبّدان : مدينة فى غرب إيران قرب مصب شطر العرب . انظر : معجم البلدان (٤/٨٣) .

Marfat.com

الزنبور[1] يقع عليه فيقطع لحمه.

فقلت: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه وفتح من عينى ما أغلق من عينيه.

قال: فبينما أنا أردد الحمد إذ صرع، فبينما هو يتخبط نظرت إليه فإذا هو مقعد.

فقلت: مكفوف يصرع، مقعد مجذوم.

قال: فما استتممت كلامى، حتى صاح بى.

فقال: ما دخولك فيما بينى وبين ربى دعه يفعل بى ما يشاء.

ثم قال: وعزتك وجلالك لو قطعتنى إربًا إربًا، أو صببت على العذاب صبًا ما ازددت لك إلا حبًا.

وللشبلى رضي الله عنه :

إن المحبين أحياء ولو دفنوا ... فى الترب أو غَرِقوا فى الماء أو حُرِقوا

أو يقتلوا بسيوف وسط معركة ... أو يقتلوا بسيوف وسط معركة

لو يسمعون منادى الحب صاح بهم ... يومًا لَلَبَّاه من بالحب يَحْترق

وعن أحمد بن عيسى الجزار[3] قال: دعتنى امرأة إلى غسل ولدها، فلما جردته قبض على يدى، فقلت: سبحان الله أحياة بعد موت .

فقال: إن المحبين لله أحياء وإن ماتوا.

وقيل :ودعا عبد الواحد يومًا جماعة من الصوفية فأولمهم، وكان فيهم عتبة الغلام، فقام لخدمتهم ولم يأكل، فلما انصرفوا، قال له عبد الواحد: لم لا تأكل،

---

(١) الزنبور: حشرة أليمة اللسع. انظر: القاموس المحيط، مادة [زنب].

(٢) حتف أنف: خرجت روحه من أنفه، لأن العرب قديمًا كانوا يعتقدون أن الإنسان إذا مات، تخرج روحه من مقلتيه، وإذا قتل تخرج روحه من أنفسه. انظر: القاموس المحيط، مادة [حتف].

(٣) أحمد بن عيسى الجزار ، هو: شيخ الصوفية، القدوة، أبو سعيد، البغدادى، أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، إمام القوم فى كل الفنون، أحسنهم كلامًا، توفى سنة (٧٢هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (٤١٩/١٣) الحلية (٢٤٦/١٠).

Marfat.com

قال: ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤوسهم، فاشتقت إلى ذلك، فأبت نفسى الطعام، فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على أن لا يولما، ولا يشبعا من نوم ولا طعام .

وقيل: إن عتبة عاهد ا لله على أن لا ينام إلا مغلوبًا.

وقرأ غلام يومًا بين يدى صالح المزى[1]، بالمعجمة نسبة إلى قرية بدمشق ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[غافر:١٨]

فقال: كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين، والملائكة تسوقهم بمقامع[2] الحديد، يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل ،ثم صاح: يا ويلتاه، ويا سوء منظراه ، وبكى وبكت الناس.

فقام شاب فيه تَأَنُّث[3]، فقال: أوكل ذلك فى القيامة يا أبا بشر .

فقال: وأكثر من ذلك، لقد بلغنى أنهم يصرخون إلى أن تنقطع أصواتهم.

فقال الشاب: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى، وخر ميتًا بعد أن استقبل ودعا بالتوبة، فرؤى بعد قليل فى النوم.

فقيل له: ما فعل ا لله بك؟

فقال: أدخلنى الجنة ببركة مجلس صالح.

قيل : دعا صالح يوما، فمر به مخنث وهو يقول فى دعائه: اللهم اغفر لأقسانا قلبًا، وأجمدنا عينًا، وأقربنا بالذنوب عهدًا، فسمع المخنث فمات، فرؤى فى المنام، فقال كما قال الشاب .

---

(١) صالح المزى ، هو: محمد بن على بن عثمان العوفى، الإسكندرى، شمس الدين، أبو الفتح، فقيه، لغوى، محدث، صوفى، شافعى، له علم بالأدب والشعر، توفى سنة (٩٦هـ) انظر: الأعلام (٥٤/٧) معجم المؤلفين (٦٦٠/٣).

(٢) مقامع : جمع مقمعة : حديدة يضرب بها الإنسان ليذل. انظر: القاموس المحيط، مادة [قمع].

(٣) تأنث: لين ورخو. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنث].

Marfat.com

وقال عبد الوارث[1]: نظرت إلى رياح القيسى[2] يقبل غلامًا من أهله.

فقلت: تحبه؟

قال: نعم .

قلت: ما كنت أظن أن فى قلبك بقية لأحد، فخر مغشيًا عليه، فلما أفاق مسح وجهه .

وقال: إنما هى رحمة منه ألقاها فى قلوب العباد .

وحكى ابن سعيد التيمى قال: نظرت إلى جارية سوداء تسف[3] الخوص وهى تقول:

لك علم بما يَجِنُّ فؤادى فارحَمَنْ ذُل ذِلّتى وانفرادى[4]

فقلت لها: ما علامة الحب؟ وكان إلى جانبها رجل يصرع .

فقالت: يا بطال، الحب أن تقول لهذا المجنون: قم، فيقوم، ورمقته فقام، والِجنِّىُّ يقول ويحك لاعدت إليه أبدًا.

فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر فى الأصل ما لا علاقة له إذا أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتى بعضه حيث نجد له محلاً .

---

(١) عبد الوارث ، هو: أبو عبيدة العيزى ؛ مولاهم البصرى ، الإمام ، الثبت ، الحافظ، المقرىء ، كان عالمًا مجوِّدًا ، من فصحاء أهل زمانه ، ومن أهل الدين والورع، توفى سنة (١٨٠هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٣٠٠) ميزان الاعتدال (٢/٦٧٧) .

(٢) رياح القيسى ، هو: ابن عمرو، أبو المهاصر، بصرى، زاهد كبير القدر، كان شديد الخوف من الله، كثير التعبد، كان يقول: لى نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مئة ألف مرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/١٧٤) الحلية (٦/١٩٢) .

(٣) تسف: تنسجه بأصابعها. انظر: القاموس المحيط، مادة [سف].

(٤) يجن: يضمر ويكن. انظر: القاموس المحيط، مادة [جن].

Marfat.com

فصل

من الباب فى ذكر من فارقت روحه من الأحباب

قال عبد الرحمن الصوفى: مررت فى أسواق بغداد بسوق النخاسين[1]، فرأيت جمعًا كبيرًا على شاب مطروح .

فقلت: ما باله؟

قالوا: سمع قارئًا يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد:١٦] فسقط مغشيًا عليه .

قال: فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول:

ألم يـــأن للهجـــران أن يَتصرَّمـــا ... وللغصنِ غصنِ البان أن يتبسـما[2]

وللعاشق الصَّبِّ الذى مات وانحنى ... أمـا آن أن يُبكـى عليـــه ويُرْحمـا

كتبـت بمـاء الشـوق بـين جوانحـى ... كتابًا على نقش الوشـاةِ منمنمًـا

ثم صاح وخر مغشيًا عليه .

وروى عن الحوارى مثل ذلك إلا أنه زاد:

وللغصن غصن البان أن يتكلما

وفى البيت الأخير:

كتابًا حكى نقش الوشاة

وقام أبو زهير فى مجلس المزى فقال له: اقرأ، فقرأ صالح ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ**﴾[الفرقان:٢٣] إلى قوله ﴿**وَأَحْسَنُ مَقِيلا**﴾[الفرقان:٢٤] فقال له: أعدها، فلم يزل يكررها حتى سقط ميتًا .

وفى رواية الحافظ مغلطاى: عن أبى القاسم فى الأمالى ،وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين : عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البنالى ومالك بن دينار.

---

(١) النخاس: بائع الدواب والرقيق. انظر: القاموس المحيط، مادة [نخس].

(٢) يتصرم: يتقصى وينقطع . انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

Marfat.com

أنهم قالوا: أتينا أبا زهير الضرير المذكور، وقت الظهيرة للزيارة، فخرج إلينا وكأنه نشر من قبر، فصلى وجلس كالمهموم، فسلمنا عليه.

فقال لصالح: اقرأ فقرأ الآية المذكورة، فخر ميتًا.

فقلنا: هل له من أحد؟

فقال الحاضرون: نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجاته، فاستحضرناها بالقصة.

فقالت: لعل فيكم صالحًا.

قلنا: وما يدريك به.

قالت: كثيرًا ما كان يقول لى: إن قرأ على صالح قتلنى ،فجهزناه رحمه الله تعالى.

أخبرنا أبو الطيب: وكان صوفيًا من أهل سُرَّ مَنْ رَأَى[1] مدينة بالعراق، قال: حضرنا يومًا فى مجلس ومعنا رجل صوفى يقال له أبو الفتح، فقرأ قارئ ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾[فاطر:٣٧] .

فقال الرجل: بلى وخر مغشيًا عليه فلم يفق إلى أن ذهب النهار، ثم مضى، فبلغنى بعد أيام أنه حضر بالكرخ مجلسًا فأنشدت فيه جارية الأبيات المنسوبة إلى عبد الصمد المغربى الإشبيلى المعروف بالمعذل :

يا بديع الدَّلِّ والغَنَجِ ... لك سلطان على المُهَجِ[2]

إن بيتًا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السُّرُجِ[3]

وجهك المعشوق حجتنا ... يوم تأتى الناس بالحُجَجِ

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية: كيف قلت؟ فلما بلغت البيت خرّ ميتًا.

---

(١) سر من رأى : مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة وقد خربت. انظر: معجم البلدان (٣/١٩٥).

(٢) الدل: الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل. الغنج: الدلال. انظر القاموس المحيط مادة [دلل] ، [غنج].

(٣) السرج ، جمع السراج: المصباح الزاهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرج].

Marfat.com

وأخرج فى الأمالى عن عبد المؤمن القصة إلا أن البيت الأخير :

وجهك المأمول حجتنا

قلت : ولعل الذى مات من سماعه الرجل هو هذا؛ لأن العارفين إذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذًا من نفوسهم ولا شبهة فى أن المأمول أبلغ .

وحكى أبو الفرج الصوفى قال: كنا نجتمع للخدمة ، وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركى، يرعى عنيزات وكلما دعوناه إلى السماع أبى، فمرّ به صبىّ يومًا يغنى:

إنّ هواك الذى بقلبى ... صيرنى سامعًا مطيعًا

أخذتَ قلبى وغَمْضَ عينى ... سلبْتَنِي العقل والهُجُوعا[1]

فدع فؤادى وخذ رقادى ... فقال لا بل هما جميعًا

فراح منى بحاجتيه ... وبِتُّ تحت الهوى صريعًا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبى: كيف قلت؟ فخاف الصبى منه ومضى، فجعل يقول له: لا بأس عليك، كيف قلت؟ فلم يجبه وانصرف، فرجع هائمًا إلى رجل هناك بطبرية[2] يقال له حامد الفاخورى، وكان عارفًا بالأشعار، فجعل يردد الأبيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات .

وأخرج مغلطاى: عن ابن أبى الدنيا والمنذرى، آخر الترغيب فى فضل الخوف: عن ابن عمر وصححه الحاكم: أن رجلاً حبشيًا أتى رسول ا لله ﷺ ، فقال: يا رسول ا لله فضلتم علينا بالألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت، أكون معك فى الجنة، قال: «نعم» ثم قال صلى ا لله عليه وسلم : **«من قال: لا إله إلا ا لله كان له بها عهد عند ا لله، ومن قال: سبحان ا لله، كتب له بها مائة ألف حسنة»**.

---

(١) الهجوع: النوم ليلاً. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجع].

(٢) طبرية : بلدة مطلة على بحيرة طبرية، فى طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهى من أعمال الأردن، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان (٤/٢٠).

Marfat.com

فقال رجل: يا رسول الله كيف يهلك بعد هـذا؟ فقـال النبـى ﷺ : **«والـذى نفسى بيده إن الرجل ليجىء يوم القيامة بعمـل لـو وضـع علـى جبـل لأثقلـه، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تسـتنفذ ذلـك كلـه لـولا مـا يتفضـل الله مـن رحمته»**، ثـم نزلـت ﴿**هَـلْ أَتَـى عَلَـى الإِنسَـانِ حِـينٌ مِـنَ الدَّهْـرِ لَـمْ يَكُـنْ شَـيْئًا مَذْكُورًا**﴾[الإنسان:١] إلى قوله ﴿**وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾ .

فقال الحبشى: يا رسول الله وهل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك؟

فقال: «**نعم**». فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه ﷺ .

قال ابن عمر : رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيده. رواه الطبرانى عن أيوب بن عتبة .

وأخرج مغلطاى: عـن ابـن أبـى الدنيـا [كتـاب الخـوف] بإسـناده إلى عـاصم البصرى، قال: كنت إمامًا بمسجد ابن جراد، وكان يتردد إلى رجل، فسألنى يومًا مصحفًا ينظر فيه، فأعطيته إياه، فخرج وهو يقول: فسـيكون لى ولهـذا المصحـف نبأ عظيم، واختفى، فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة، فلما كان الصبـاح، دخلـت عليه فوجدته ميتًا والمصحف على صدره، فخرجت متفكرًا فى أى شـىء أكفنـه، وإذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا: أتعرف هنا رجلاً مات؟

فقلت: لا أعرف إلا رجلاً غريبًا كان يصلى هنا.

فقالوا: أنت أشقى من أن تعرف ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فـى تجهـيزه ثم صلوا عليه ودفنوه. ورأيت هذه الحكاية فى **أنيس الجليس** إلا أنه زاد: ورأيـت المصحف مفتوحًا وأول سطر فيه ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾[الزمر:٢٣] الآية .

وفى الحلية: عن ابن السماك ، قال: دخلت البصرة على رجل أعرفـه، فسـألته أن يدلنى على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الـرأس، كثـير الصمـت، لابس الشعر، فلم يكلمنا، وخرجنا، فقال لى: أتدخل على ابـن العجـوز، فدخلنـا على شخص يشبه الأول، وعنده أم له عجوز.

فقالت: لا تذكروا لولدى نارًا ولا جنة فتفجعونى فيه، فلما جلسنا عنده رفـع رأسه، فقال: أما للعباد موقف يقفون فيه؟

Marfat.com

فقلنا: بين يدى من خلقهم، فشهق شهقة فارق الدنيا .

وفيها قال: دخل جماعة على أبى سعيد القطان، فقرأ رجل منهم سورة الدخان، فلما انتهى إلى قوله ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الدخان: ٤٠] جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه وأصاب صدره فأدماه، وجاءت النساء، وخرجنا إلى الباب، فلما سكنت الغوغاء[1] دخلنا عليه، فإذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه .

وحكى مغلطاى: عن ابن أبى الدنيا، قال: كرر ابن خليد، قوله عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥] فناداه مناد: كم تكرر هذه الآية؟ فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤوسهم حتى يموتوا.

ورأيت فى **أنيس الجليس** القصة: وزاد فيه أن رجلاً قصد الحَجَّ ، فعدل عن الطريق تائهًا إِثْرَ نوم ، فإذا هو فى أرض لا يعهد مثلها، وإذا بقوم قد أقبلوا إلى ماء هناك فتوضؤوا ودعوه إلى الصلاة بهم، فصلى وقرأ الآية، فخروا إلى الأرض، وحركوا فوجدوا أمواتًا، وقائل يقول له: يا عبد الله إن هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا ههنا للعبادة وإن الخوف لم يترك فيهم بقية، وأنت إن أردت الحج فامض أمامك فستظفر بأصحابك، طلوع الفجر، قال الرجل: فكان كذلك.

وعنه عن محمد بن صالح قال: خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح، فاضطربت حتى غشى عليها، واحتملت إلى بيتها، فلم نبرح حتى قضت نحبها، وكان لها مشهد عظيم .

وعن محمد عن منصور بن عمار، قال: مررنا فى جوف الليل فإذا بشاب قائم يصلى، وهو يقول فى مناجاته: إلهى ما أردت بمعصيتى مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك[2] جاهل، ولكن خطيئة عرضت وأعاننى عليها شقائى، وغرنى سترك المرخى، وقد عصيتك بجهدى، وخالفتك بجهلى، فالآن من عذابك من يستنقذنى، وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك منى،

---

(١) الغوغاء : الصخب والجلبة. انظر : القاموس المحيط، مادة [غاغ] .

(٢) النكال : العقوبة ، انظر: لسان العرب ، مادة [نكل].

Marfat.com

وا شباباه وا شباباه فلما فرغ، تلوت آية من كتاب الله وهى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ الآية.

فسمعت دكدكة[1]، وانقطع الصوت، فلما أصبحنا رجعنا على الأثر، وإذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر، فسألناها؟

فقالت: مر قارئ بولدى، فقرأ آية، فتفرطت مرارته ومات .

وعنه من طريق آخر : الحكاية ، زاد فيها ، بعد قوله : إن قطعت حبلك عنى، وا سوأتاه، إذا قيل للمخفين جوزوا[2] وللمثقلين حطوا[3]، فيا ليت شعرى أمع المثقلين نحط، أو مع المخفين نجوز؟ ويجى، كلما طال عمرى كثرت ذنوبى، ويحى كلما كبر سنى كبرت خطاياى، فيا ويلى كم أتوب وكم أعود ولا أستحى من ربى .

قال منصور: فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمى على باب داره، وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب ، فلما رجعت [الحكاية] ، إلا أنه ذكر عن العجوز أن الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص.

وعن ذى النون المصرى، قال: بينما أنا أسير على جانب البحر فى الليل، وإذا أنا بجارية عليها أطمار[4] شعر، وهى ناحلة معذابلة، فدنوت منها لسماع ما تقول، وإذا هى متصلة الأحزان بالأشجان، وقد عصفت الرياح، واضطربت الأمواج، وظهرت الحيتان، فصرخت وسقطت إلى الأرض، فأفاقت وهى تقول: سيدى لك تَقَرَّبَ المتقربون فى الخلوات، ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات[5]، ولجلال قدسك تصافقت[6] الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد

---

(١) دكدكة : تهدم. انظر: القاموس المحيط مادة [دكك].

(٢) جوزوا : مروا . انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

(٣) حطوا : امكثوا وأقيموا . انظر : القاموس المحيط، مادة [حطط].

(٤) أطمار ، جمع الطمر: الثوب الخلق البالى. انظر: القاموس المحيط، مادة [طمر].

(٥) الزاخرات : الفياضة. انظر: القاموس المحيط، مادة [زخر].

(٦) تصافقت : تلاطمت وتحركت. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفق].

Marfat.com

لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار لأنك العلى القهار.

وأنشدت :

أحبك حبَّين حبَّ الهوى ... وحبًا لأنك أهل لذاكَ

فأما الذى هو حبُّ الهوى ... فحب شُغِلْتُ به عن سواكَ

وأما الذى أنت أهل له ... فكشْفُك للحُجُب حتى أراكَ[1]

فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا، فوقفت متعجبًا، وإذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات، قد أقبلن فاحتملنها، ثم غبن، وأقبلن بها قد جهزت، فقدمننى للصلاة وهن ورائى، فلما فرغت، مضين بها .

قال المختصر عن مغلطاى: رأيت ، غير ما مرة ، شيخًا مغربيًا يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة[2] إلى الكتبيين ، ويكثر من إنشاد شعر بلا وزن، مضمونه: أن الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده، وأوراقًا كثيرة منها هذا الشعر، وأنه استمع ليلة لمحدث فى سيرة البطال ، وقد ذكر أن جماعة قتلوا فى الجهاد.

فقال المغربى للمحدث: وفيم قتل هؤلاء ؟

قال : فى سبيل ا لله.

قال المغربى: وأنا أيضًا أموت فى سبيل ا لله.

فقال له المحدث: افعل ، فتمدد إلى جانبهم فحُرِّك فإذا هو ميت .

وعن أبى الحسين أحمد بن أبى الحوارى ، قال: مررت فى الشام بقبة وإذا أنا بامرأة تدق الحائط، فقلت لها: ما بالك؟

فقالت: امرأة ضالة، دلنى على الطريق.

فقلت: أى الطريق تريدين؟

---

(١) الحجب ، جمع حجاب : الساتر . انظر : القاموس المحيط، مادة [حجب].

(٢) زويلة : باب عظيم فى القاهرة بناه بدر الجمالى على أيام المستنصر الفاطمى . انظر: معجم البلدان (١٧٩/٣) .

Marfat.com

. **قالت:** طريق النجاة .

قلت: هيهات إن بيننا و بينه عقبات لا تقطع إلا بسير حثيث، ونصح المعاملة، وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا [عن] الآخرة .

فقالت: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع، ثم خرت مغشيًا عليها.

فقلت للنساء: حركنها، فإذا هى ميتة ووصيتها إلى جانبها: أن كفنونى فى أثوابى وخلوا ما بينى وبينه، فإن كان لى عنده خير فهو أسعد لى، وإلا فبعداً لنفسى .

وفى الأصل قيل : كان بالموصل[1] رجل نصرانى يكنى أبا إسماعيل ، وإنه سمع يومًا قارئًا يقرأ ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[آل عمران:٨٣]، فبكى حتى غشى عليه، ثم أسلم فنجا وصحب الموصلى، فحدث عنه: أنه نظر يومًا إلى الدخان يفور من المدينة فبكى، وقال: قد قرب الناس قربانهم فليت شعرى ما قربانى، وجعل يبكى حتى فارق الدنيا .

هذا ما قرره من أول الباب إلى هنا، وفى كلٍّ نظر، وذلك أنه عقد الباب كله لعشاق الله، ثم ذكر فصلاً لمن مات بذلك، على أنهُ قد ذكر قبل الفصل من مات، وبعده من لم يمت بآخر، وقال إنه لعشاقٍ الحور العين، وقد أمطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر إلا ما يظهر فيه ظرف المناسبة، ومن هنا إلى آخر الباب لم يخالف أوله، فلا فائدة فى الفصل، فتأمل .

عن منصور بن عمار[2] قال: بينا أنا فى السياحة إذ مررت بخدم وقصر ملكى لا أتمكن الإحاطة بوصفه، فهممت أن أدخله فانتهرونى[3]، فلم أبال بهم،

---

(١) الموصل : مدينة مشهورة، وإحدى قواعد بلاد الإسلام، وهى باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان . انظر : معجم البلدان (٢٥٨/٥) .

(٢) منصور بن عمار ، هو: أبو السرى السلمى، الخراسانى، ابن كثير، واعظ، بليغ، صالح، كان عديم النظير فى الموعظة والتذكير، كان ينطوى على زهد وتأله وخشية، توفى سنة (٢٠٠هـ) تقريبًا انظر: حلية (٣٢٥/٩) ، سير أعلام النبلاء (٩٣/٩) .

(٣) انتهرونى : زجرونى بشدة . انظر : القاموس المحيط ، مادة [نهر] .

Marfat.com

ودخلت فإذا أنا بشاب فى أرفع طبقات الجمال والملابس، وقد استحضر صبية تناسبه ، فلما رآنى هم بقتلى .

فقلت: أنا طبيب وقد رأيت فيك داء.

فقال: وما هو؟

قلت: ميلك إلى الفانى وحبك ما لا يبقى، وغفلتك عما عند الله، ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما، فتجرد من وقته، وكان ملك البصرة، فلما خرجنا وقد زال ما فى القصر من البهجة، تعلقت به الصبية، وقالت: على من تتركنى؟ ثم تجردت، وخرجا هائمين، فلما كان بعد عام، وأنا فى الطواف، إذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه، إلى أن قال لى: أما تعرفنى يا طبيب، ثم ذكرنى بالحالة.

ثم قال لى: هل لك أن تنظر إلى نسوان؟ يعنى الصبية، قلت: نعم، فأخذ بيدى حتى أوقفنى عليها، فلما رأتنى قالت: مرحبًا أيها الطبيب، ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل: إنى على إثرها فلا تبرح ، ثم نظر إليها وخر ميتًا .

وعن عبد الواحد بن زيد قال: اشتكيت ألمًا فى ساقى حتى منعنى القيام، فتحاملت حتى عجزت، فجمعت إزارى فى المحراب وتوسدته[1] فغفلت، وإذا أنا بجارية كأنها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته، وخلفها جوار كأنهن الأقمار.

فقالت لبعضهن: احتملنه ولا تؤذينه.

ثم قالت: افرشنه ومهدنه، وأقبلت تملس على ألمى.

ثم قالت: قم إلى صلاتك بلا أذى، فانتبهت كالذى نشط من عقال[2] .

وعنه من رواية أخرى، أنها قالت له: أنا لك فجد فى طلبى فإنى فى طلبك.

قال: فلم أنم بعدها.

---

(١) توسد : جعله تحت رأسه. انظر: القاموس المحيط، مادة [وسد].

(٢) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقل].

Marfat.com

وفى أخرى عنه ، قال: فما أخذتنى السنة حتى رأيت شابًا وبيده ورقة بيضاء فناولنى إياها وإذا فيها :

ينـــام مـــن شـــاء علـــى غفلـــة والنـــوم كـــالموت فـــلا تَتَّكِـــل

تنقطـــع الأعمـــال فيـــه كمـــا تنقطـــع الدنيـــا علـــى المنتَقِـــل

وكان كثيرًا ما يردد هذه، ويقول: فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة. ويعدد أفعال الخير، ولعل الوقائع متعددة .

وعن صاحب المصارع: بسنده إلى محمد بن الفرج، قال: نظرت إلى جارية تباع، فقلت: بكم هذه؟

قيل: بألف دينار، فرفعت رأسى إلى السماء، وقلت: اللهم إنك تعلم أنى لا قدرة لى على ذلك وأنى لو سألتك إياها لوهبتها لى، ولكنى أسألك أنفس منها عندك، من لا تمرض ولا تسقم، ومهرها عندى، أن لا أنام ليلاً، ولا أطعم نهارًا، ولا أضحك إلى أحد، وها أنا مجد فى المهر. فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات .

وعن رابعة العدوية[1] قالت: كان لى ورد فى الليل قد اعتدته، فمرضت مرضًا أعقبنى فترة عنه، فبينما أنا راقدة إذ نظرت كأنى فى روضة كثيرة النبات والقصور، وجارية تطارد طيرًا أخضر تريد أن تأخذه، فالتهيت بحسنها عنه، وقلت: دعيه لأنى لم أر أحسن منه.

فقالت: ألا أريك أحسن منه، فقلت: بلى، فأخذت بيدى فأدخلتنى إلى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره، ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بأيديهن مجامر الند[2] والعنبر.

فقالت لهم الآخذة بيدى: إلى أين؟

---

(١) رابعة العدوية ، هى: بنت إسماعيل، صوفية كبيرة وعابدة شهيرة ، تمكنت من معرفة دقائق التصوف مكانًا عاليًا، واستفتاها فى دقائق التصوف كبار المتصوفة فى عصرها، توفيت سنة (١٣٥هـ) ودفنت ببيت المقدس انظر: أعلام النساء (١/٤٣٠).

(٢) الند : عود يتبخر به. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندد].

Marfat.com

فقالوا: إلى فلان قد قتل فى البحر.

فقالت: ألا تجهزن هذه المرأة.

فقالوا: قد كان لها حظ فى ذلك فتركته، فانتبهت فزعة و لم أنم بعدها.

وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها .

Marfat.com

Marfat.com

الباب الثاني

في أحوال عشاق الجواري والكواعب وذكر ما صدر لهم من العجائب

Marfat.com

Marfat.com

فى أحوال عشاق الجوارى والكواعب
وذكر ما صدر لهم من العجائب وفيه خمسة أقسام
القسم الأول
فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته

قد تقدم فى أحوال العشق أنه من الأحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الأخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء، حتى قال بعض العارفين وأظنه الجنيد: كما أن النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان: إذ قد يتوصل العاقل من عشقهن إلى معرفة مبدعهن لأن المقدمات الصريحة تنتج الأغراض الصحيحة، وبالحرى من أمعن النظر فى مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته إلى دائم فاعل، وهذا مثل قولهم: الرياء قنطرة الإخلاص .

عن ابن عباس قال: لما عتقت بريرة[1] وكان زوجها حبشيًا وفى رواية أسود، وخيرت فاختارت الفسخ، جعل يطوف فى المدينة باكيًا يترضاها، فقال لها رسول الله ﷺ: لو تزوجته، فقالت: إن أمرتنى بذلك، فقال: لا آمرك ولكنى شفيع . وقد أخرج القصة البخارى .

وفى تتمة ذيل الأمالى للقالى عن ابن الأنبارى، قال: دخلت على إبراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فأجابها وكان يحبها

فأنشد :

أبت الغداة بوصلها غرّار ... فدموع عينك لا تجف غزار

واستبدَلَتْ بِكَ صاحبًا ومؤانسًا ... وكذا الغوانى وصلُهن مُعار[2]

وكان ابن عباس يومًا جالسًا بفناء الكعبة إذ وضع بين يديه شخص قد حمله إلى الكعبة يستشفون له فكشف عنه.

---

(١) بريرة ، هى : مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق، من ربات العقل والفراسة. عن ابن عباس: أن زوج بريرة كان عبدًا أسود ، يسمى : مغيثًا، فقضى النبى فيها أربع قضيات: أن مواليها اشترطت الولاء، فقضى أن الولاء لمن أعتق، وخيرت فاختارت نفسها، فأمر النبى أن تعتق. فكنت أراه يتبعها فى سكك المدينة، يعصر عينيه عليها. انظر: الإصابة (٨/٥٠).

(٢) الغوانى ، جمع غانية: هى المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . انظر: القاموس المحيط، مادة [غنى].

Marfat.com

فأنشد :

بِنا من جوى الأحزان والحبِّ لوعَة تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ[1]

ولكنما أُبقِى حُشاشةَ ما ترى على ما ترى عود هناك صليبُ

فرأى رسمًا عافيًا[2] وحسًا خافيًا وجسمًا باليًا، فمكث أربعين يومًا لا يسأل الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق.

وأخرج ابن عساكر فى الأمالى :أن هذا المذكور عُذْرِىّ.

وقال السيوطى فى شرح الشواهد: أن اسمه عروة بن قيس وأنه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن على، فأقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه أن يفارقها وهو يقول لها: أخاف تلاف نفسى، فلم ترض، فلما كان يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية، ففارقها رفقًا بأمه، فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب، وعاود أهلها فأبوا عليه، فأقام أيامًا وحُمل كما ذكر -للكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفى فى الطريق .

وحكى أن: الأحوص بن جعفر[3] الشاعر المشهور كان يهوى أخت زوجته ولا يفصح باسمها وفى الأمالى أن اسمها نخلة، فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر، فاشتد بالأحوص الغرام، فباح به.

وأنشد :

إن نادى هديلاً ذاتَ فلْج مع الأشواق فى فننِ حمامُ[4]

ظللت كأن دمعك دُرُّسِلكٍ هوى نَسَقًا و أسلمه النِّظامُ

---

(١) الشفيق: الحريص على الخير والإصلاح. انظر: القاموس المحيط، مادة [شفق].

(٢) عاف : ذو صحة تامة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عفى].

(٣) الأحوص بن جعفر ، هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم، الأنصارى، من بنى ضيعة، شاعر هجاء، صافى الديباجة، من طبقة جميل بن معمر، كان معاصرًا لجرير والفرزدق، ولقب بالأحوص لضيق فى مؤخر عينيه، توفى سنة (١٠٥هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: الأعلام (١١٦/٤)، الأغانى (٤٠/٤).

(٤) الهديل: صوت الحمام. انظر: القاموس المحيط، مادة [هدل].

Marfat.com

تمـــوت تشـــوُّقًا طربًـــا وتحيـــا وأنـــتَ جـــوِى بدائِـــك مُسْـــتهامُ
كـــأنك مـــن تذكـــر أمِّ حفـــص وحبْـــلُ وصالهـــا خَلِـــق رمـــام[1]
صريـــعُ مدامـــةٍ غلبـــت عليـــه تمـــوت لهـــا المفـــاصلُ والعظـــام[2]
وإنـــى مـــن بـــلادِكِ أمَّ حفـــص ســـقى بلـــدًا تحـــلُّ بـــه الغمـــام
أحـــل النعْـــف مـــن أُحـــد وأدنـــى مســـاكِنِها الشـــبيكة أو ســـنامِ[3]
ســـلام ا لله يـــا مطـــرٌ عليهـــا وليـــس عليـــك يـــا مطـــرُ الســـلام
فـــلا غفـــر الإلـــه لمنكحيهـــا ذنوبهـــم وإن صلَّـــوا وصـــاموا
كـــأن المـــالكين نكـــاح ســـلمى غـــداة يرومُهـــا مطـــرٌ نيـــام
فـــان يكـــن النكـــاحُ أحـــلَّ شـــيءٍ فـــإنَّ نكاحهـــا مطـــرًا حـــرامُ
فلـــو لم يُنْكِحـــوا إلاَّكِفَـــاءً لكـــان كفيئهـــا المَلِـــكُ الهُمـــامُ
فطَّلقهـــا فلســـت لهـــا بكـــفءٍ و إلا عـــض مفرقَـــك الحســـامَ[4]

وساق فى المطرب: الحكاية بعينها إلا أنه زاد بيتًا فى الأول وهو :

ألا يـــا نخلـــةً مِـــنْ ذاتِ عِـــرْقٍ عليـــكِ ورحمـــةُ ا لله الســـلامُ

وقال فى البيت الأخير (وإلا يعل مفرقك) بدل عض .

وأخرج أبو الفرج الأصفهانى: عن زياد بن غطفان ، قال: كنا بباب الولاة وإذا بأعرابى ينادى: من أراد أن يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه، وإذا هو الرماح بن مالك القيسى .

فقلت: ما عندك؟

فقال: اعلم أنى علقت امرأة يقال لها: أم جحدر، فاتصلت بها وطال الأمر، وأنى عتبتها يومًا.

---

(١) رمام ، جمع رمة : ما بلى من العظام. انظر: القاموس المحيط، مادة [رمّم].
(٢) المدامة : الخمر ، سميت بذلك لإدامتها فى الدن زمانًا حتى سكنت بعدما فارت. انظر: القاموس المحيط، مادة [دام].
(٣) النعف ، المكان المرتفع فى اعتراض. انظر: القاموس المحيط، مادة [نعف].
(٤) الحسام : السيف القاطع . انظر: القاموس المحيط، مادة [حسم].

Marfat.com

فقلت لها: الوصل عليك مردود.

فقالت: ما قضى الله فهو خير.

وارتحلوا عنا وطال الأمر، وراجعنى الشوق فنذرت مراجعتها إن دنت دارها، فلما كان ذلك خرجت أتصفح أحياء العرب حتى وجدت امرأتين أمام البيت فى كساء، فسلمت عليهما، فردت إحداهن وسألت عن شأنى فأخبرتها، فأشارت لى بدخول بيت، فدخلت، وإذا الساكنة أم جحدر، وقامت لتدخل إلىّ وإذا بغراب ينعق، فتغيرت، فأقسمت عليها إلا ما أخبرتنى عن تغيرك ؟

فقالت : إن الغراب يخبرنى أن لا اجتماع، ففارقتها.

وغدوت لما أصبح النهار فأخبرتنى امرأة أخيها أن شاميًا خطبها إلى أهلها فزوجوه بها، فجئت بالقرب من خبائها مترددًا أيامًا إلى أن مضى بها.

فكنت أنشد :

أجارتَنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ ... علىّ وبعضُ الآمنين تُصيْبُ[1]

أجارتَنا لستُ الغداةَ ببارحٍ ... ولكن مقيمٌ ما أقام عَسِيْب[2]

فإن تسألينى هل صَبَرْتَ فإننى ... صبور على ريَبِ الزَّمان صَلِيب

جرى بانبتات الحبل من أم جَحْدر ... ظباء وطير بالفراق نُعُوب[3]

نظرتُ فلم أعْيِفْ وعافتْ وبَيَّنَتْ ... لها الطيرُ قبلى واللبيبُ لبيبُ[4]

فقالت حرام أن نُرى بعد يومِنا ... جميعين إلا أن يَلُمَّ غريبُ

أجارتنا صبرًا فيا رُبَّ هالكٍ ... تقطَّعُ من وجْدٍ عليه قلوبُ

وما نقله هنا من أن ابن ميادة بسرق الأبيات فغير مُسَلَّم فى الجميع ، وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن أبرد بن ميادة، المشار إليه، والأبيات له ما عدا الأولين ولهما ثالث لم يورده، والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولهما

---

(١) الخطوب ، جمع خطب: الأمر العظيم المكروه. انظر: القاموس المحيط، مادة [خطب].

(٢) عسيب: جريد النخل. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسب].

(٣) نعوب: صوت الغراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [نعب].

(٤) عافت الطير: حامت على الشىء. انظر: القاموس المحيط، مادة [عاف].

Marfat.com

حكاية عجيبة هى، أنه لما قتل والده مضى إلى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر، فأقام بالقسطنطينية أيامًا، فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها، وفيها يقول: (**ألا عِمْ صباحًا**) القصيدة المشهورة، وأن القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارًا للشُّنعة[1] ، فألبسه حلة قد دهن زيقها[2] بالسم ، وأمره بالمسير فلما بلغ جبلاً يقال له عسيب يبعد عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل إلى جانب قبر، فلما أحس بالموت، سأل عن القبر .

فقيل: هو قبر امرأة غريبة .

فقال: ادفنونى إلى جانبها .

أنشد البيتين الأولين وبعدهما:

أَجَارَتَنَا إنا غريبان ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

وأما قوله: (فإن تسأليني هل صبرت) إلى آخر الأبيات فللرماح وما ذكر من أن الثالث لجاهلى لم يعلم له ناقل .

وقد ساق القصة ابن هشام فى [شرح الدريدية] وذكرها ابن عساكر فى تاريخه الكبير وقوله: **(نظرت فلم أَعْيَفْ)** يعنى لم أدرك حال الفرقة، من زجر الطير المعروف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس، ولنا فيه رسائل.

وأخبر ابن دريد عن عمه، قال: عشقت حبيبة الحضرية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها.

فأنشَدَتْ :

هجرتُكَ لما أن هجرتكَ أصبَحَتْ بنا شُمَّتا تلك العيونُ الكواشحُ

فلا يفرح الواشون بالهجر ربما أطال المحبُّ الهجرَ والحبُ ناصحُ

و بُعْد النوَى بين المحبين و الهوى مع القلبِ مَطْوِيٌّ عليه الجوارحُ[3]

---

(١) الشُّنعة : الفظاعة ، انظر :لسان العرب ، مادة [شنع] .

(٢) الزيق : زيق القميص : ما أحاط بالعنق ، لسان العرب ، مادة [زيق] .

(٣) النوى : البعد . انظر : القاموس المحيط، مادة [نوى].

Marfat.com

و هذا الذى ذكر من أول الباب إلى هنا كالمقدمة لهذا الباب و قد آن الشروع في مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الأربعة .

قال الفارسي في تنزيه النفس: من لدن أدار ا لله الأفق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوى أربعة، والعناصر والرياح و الطبائع كذلك ، وجعل المذاهب و طريقة الحقيقة يعنى مسالك الصوفية والعشاق كذلك، وكلٌّ من هذه معروف فى مواضعه، فأما العشاق فجميل بثينة، ومجنون ليلى، وكثير عزة، وقيس لبنى، وهذا سر إشارة الأستاذ فى التائية و غيرها إلى ما ذكر .

كقوله:

بها قيس لبنى هام بلْ كُلُّ عاشقٍ كمجنونِ ليلى أو كثيّرِ عَزَّةَ[1]

(١) عزة بنت حميل بن حفص بن إياس الحاجبية، الغفارية، الضمرية، من أجمل النساء وأعقلهن كان يهيم بها كثيرًا الشاعر المشهور، تزوجت بغير جميل؛ لأن عادة العرب ألا يزوجن الفتاة لمن شبب بها. توفيت سنة (٨٥هـ). انظر: أعلام النساء (٢٦٩/٣)، الأعلام (٢٢٩/٤).

Marfat.com

فصل

أخبار جميل بثينة

وأقدم الكلام على جميل لأنه كما يقال أنسب الأربعة.

وأما تقديمه فى [نزهة النفوس] المجنون فمراعاة للأولية، وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر، يتصل نسبه بقضاعة.

كذا قاله مغلطاى عن أبى الفرج الأصفهانى، كان شاعرًا فصيحًا، منطيقاً، صادق الصبابة، عفيفًا منزهًا عن الرذائل، عارفًا بالنسيب، روى عنه كُثّير وهو عن هدبة بن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبى سُلمى ، بضم السين ، صاحب المعلقة ، نشأ في قومه بنى ربيعة بوادى القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب، من قومه صغيرين، فلما انتشر أمره خطبها، فرُدّ ؛ لأن العرب كانت تستهجن أن تزوج من جرى بينهما عشق، فكان يأتيها سرًا يتحادثان، فعلموا به، فأرادوا قتله، وأنها غمزته عن ذلك، فاستخفى .

وفى ذلك يقول:

فلو أن ألفا دون بثنة كُلهم ... غيارى وكلٌّ حارِب مُزْمِعٌ قتلى

لحاوَلْتُها إما نهارًا مجاهرًا ... وإما سُرَى ليل ولو قُطِّعَت رجلى

فلما شاع ذلك، شبب حوّاش أخو بثينة بأخت جميل، وتفاخرا، فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له: قل ما شئت فى نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد، ولحوّاش: قل وأنت دونه فى نفسك، ويقال: إن سبب عشقه بثينة، أنه سرح إبله يومًا بواد البغيض وانسطح[1] ، فأتت مع جوار يملأن الماء فعبثت بفصيل له، فتسابا وهذا أخذ من قوله:

---

(١) انسطح : امتد على قفاه ولم يتحرك ، انظر : لسان العرب ، مادة [سطح] .

Marfat.com

و أَوَّلُ مـــا قـــادَ المـــودةَ بيننـــا بـــوادى بغيـــضٍ يـــا بُثَـــين سِـــبابُ
وقلـــتُ لهـــا قـــولاً فجـــاءت بمثلِـــهِ لكـــلٌ كـــلام يـــا بثيُـــن جَـــوابُ

واستعدى أهلها عليه مـروان بن هشـام الحضرمـى ، وكـان واليـًا مـن قبـل عبد الملك على تيماء .

وقيل : ربعى بن دجاجة ، فتوعده فمضى مستخفيًا إلى الشام.

وقيل: إلى سيد من بنى عذرة، فأحسن مكانه، وزين سبع بنـات لـه رجـاء أن يعلق واحدة منهن فيزوجه بها، فكن يرفعن الخباء إذا أقبل جميل، ففطن لذلك.

فأنشد:

حلفـــتُ لكيمـــا تعلمينـــى صادقًـــا ولَلصـــدقُ خـــيرٌ فـــى الأمـــور وأنجـــحُ
لتكليـــمُ يـــومٍ واحـــدٍ مـــن بثينـــةَ ورؤيتُهـــا عِنْـــدى ألـــذُّ و أَمْلَـــحُ
مِـــنَ الدهـــر أو أخلـــو بكُـــنَّ وإنمـــا أعـــالج قلبًـــا طامحًـــا حيـــث يطمـــحُ[1]

وفى نزهة النفوس :

لَرُؤْيـــةُ يـــوم واحـــدٍ مـــن بثينـــةَ ألـــذُّ مـــن الدنيـــا لـــدىَّ وأملـــحُ

وهو أحسن تركيبًا وأظهر فى أعمال أفعل التفضيل وقوله من الدهر معمول حلفت.

وفى نسخة مدى الدهر : وهو أحسن وأنسب، فقال الشيخ: أرخين الخباء فوا الله لن يفلح أبدًا يعنى لا يرجع عن العشق.

ويدل للأول قوله:

أتـــانىَ عَـــنْ مـــروانَ بـــالغيب أنَّـــه مُقَيِّـــدٌ دمـــى أو قَـــاطِعٌ لى لســـانيا
ففى العيشِ محيـــاةٌ وفـى الأرضِ مهـربٌ إذا نحـــن دافَعْنـــا لَهُـــنَّ المثانيـــا

ويحتمل تعدّد الواقعة، ولما عزل عاد.

---

(١) طمح : ذهب وابتعد . انظر: القاموس المحيط، مادة [طمح].

Marfat.com

وقيل: مما استدل به على تمكن عشقه لها وأنه لا يمكن سلوه عنهـا مـع حكايـة البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود فى منازل الأحباب عنه:

عَلِقْتُ الهوى منها وليدًا فلـم يَـزَل إلى الآن يَنْمَـــى حبُّهـــا ويزيـــدُ

وأفنيـت عُمـرى فـى انتظـار نوالهـا وأفنَـتْ بـذاك الدهـرَ وهْـو جديـدُ

وللعشاق من أمثال ذلك كثير.

فمن ذلك قول عروة:

هواها هـوى لا يعـرفُ القلـب غـيرَه فليـس لـه قَبْـلٌ وليـس لـه بَعْـدُ

وقول المجنون:

ولَّـا أبـى إلا جِماحًـا فـؤادُه ولم يَسْـلُ عـن ليلـى بمـالٍ ولا أهـلِ

تَسَـلَّى بـأُخرى غيرِهـا فـإذا التـى تَسَلَّى بهـا تُغْـرِى بليلـى ولا تُسْـلِي

وأعظم ما قيل فى هذا المعنى وأسجم وألطف وأرق وأصنع وأمنع قول الأستاذ رحمه الله:

حديثـى قديـمٌ فـى هواهـا ومالَـهُ كمـا علمَـتْ بَعْـدٌ وليـس لـه قَبْـلُ

فإنه قد جمع مع معانى الأبيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية، ولعمرى إنها لم تجتمع لغيره فيما نعلم، وعن مغلطاى عـن أبـى الفـرج: وشت جارية بجميل وبثينة[1] إلى أبيها، وأنه الليلة عندها، فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله، فسمعاه يقول لها بعد شكوى شـغفه بهـا: هـل لـك فـى طفء ما بى بما يفعل المتحابان، فقالت: قد كنت عندى بعيدًا من هذا ولو عـدت إليه لن ترى وجهى أبدًا، فضحك ثم قال: والله مـا قلتـه إلا اختبـارًا ولـو أجبـت إليه لضربتك بسيفى هذا إن استطعت وإلا هجرتك أما سمعت قولى:

---

(١) بثينة بنت حبا العذرية ، هى: شاعرة من شواعر بنى عذرة اشـتهرت بأخبارهـا مـع جميـل بـن معمر، فى شعرها رقة ومتانة، كانت صدوقة اللسان، جميلة الوجه، حسنة البيان، توفيـت سـنة (٨٣هـ) ، انظر: أعلام النساء (١١/١١٠)، الأعلام (٢/٤٣).

Marfat.com

وإنـى لأَرْضَـى مـن بثينـةَ بـالذى ... لـو أَبْصَـرَهُ الواشـى لقـرَّت بلابِلُـهَ
بـلاه ، وبـأن لا أسـتطيعَ وبـالُمنى ... وبـالأمل المرجـوّ قـد خـاب آملـه
وبـالنظرة العَجْلَـى وبـالحَوْلِ تنقضـى ... أواخِـرُه لا نلتقـى وأوائلُـه

فقالا: لا ينبغى لنا إيذاء من هذه حالته ولا منع التزاور، وانصرفا، وسأل عبد الملك يومًا كثيرًا عن حال جميل وبثينة، فقال: يا أمير المؤمنين سايرته يومًا إليها فلما وصلنا بالقرب منهم أقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين، ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر، ثم قالت حين أزمعا الفراق: ادن منى، فدنا فأسرّت إليه فخرّ مغشيًا عليه.

فلما أفاق أنشد:

فمـا مـاءُ مُـزْن فـى جبـالِ مُنيفـةٍ ... ولا مـا أَكَنَّتْ فى معادنهـا النحـلُ[1]
بأشـهى مـن القـول الـذى قلـتِ بعدمـا ... تمكـن فـى حَـيْزُوم نـاقتَيِ الرَّحْـل[2]

وعن كثير قال: سألنى جميل، أخذ موعد من بثينة، فقلت: هل بينكما موعد، قال: بوادى الدوم، وهى تغسل الثياب فجئت أباها وهو جالس فحادثته قليلاً .

ثم أنشدْتُه:

وقلـتُ لهـا يـا عـزُّ أُرْسِـلُ صـاحبى ... علـى نَـأْىِ دار والموكـل مُرْسَـلُ
بـأن تجعلـى بينـى وبينَـك موعـدًا ... وإن تـأمرينى بـالذى فيـه أفعـلُ
وآخـر عهـد منـك يـوم لقيتِنِـى ... بأسـفل وادى الـدوم والثـوب يُغْسَـلُ

فَضَرَبَتْ سِجافَ[3] البيت، وقالت: اخسأ، فقال: أبوها ما هذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية إذا نام الناس، فمضيت وأخبرته فأقبل حتى اجتمعا ليلة وسارّته كما سلف إلا أنه أنشد البيتين عند إفاقته لم يغير فيهما غير أن قال: **إنى مكفهرّ فى مجامر جنة، ولا ما أسرت.**

---

(١) منيفة : ماء لتميم على فلج كان فيه يوم من أيامهم وهو بين نجد واليمامة. انظر: معجم البلدان (٢٥٢/٥).

(٢) الحيزوم : وسط الصدر. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزم].

(٣) سجاف، جمع سجف :ستر المنزل، انظر لسان العرب ، مادة [سجف] .

Marfat.com

وعن مغلطاى، قال: دخلت بثينة على عبد الملك وقد أخلقها الدهر، فقال لها: ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك، فقالت: ما رأى فيك النـاس حتـى ولـوك الخلافة، فضحك حتى بدت له سنة سوداء كان يسترها، ودخل مصعب بن الزبير يومًا على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شـغوفًا بهـا، فوجدهـا تتمشـط فتمثـل بهذا البيت:

مـا أنـس لا أنـس منهـا نظـرة عرضـت بـالحِجْرِ يـوم جَلَتْهـا أُمُّ منظـورِ

فقيل له: إن أم منظور، المشار إليها فـى هـذا البيـت، موجـودة، فاسـتحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت، فقالت: كنـت ماشـطة لبثينـة وإنـى زينتها يومًا، فأقبل علـى بعـير مـارًا فرآهـا بمؤخـر عينيـه، فأنشـد البيـت، فأمرهـا مصعب أن تصنع بعائشة كذلك، وصنع هو كجميل، وله فيها من الأشعار مـا لا يحصى ما بين وصف ونسيب ، وذكر حكايـة إلى غـير ذلـك ، فمـن مسـتجادها اللامية التى أنشدها لعمر بن أبى ربيعة ، وكان من أجل معاصريه فى الشعر لقيـه يومًا فتفاخر واستنشده جميل .

فأنشد:

ألم تسـألِ الأطـلالَ والمتربعًـا ببطـن خليـات دوارسَ بلقعـا[1]

أتانـا رسـولٌ مـن ثـلاثٍ كواعـبٍ ورائقـة تسـتجمعُ الحسـن أجمعـا

فلمـا توقفنـا وسـلّمْت أقبلَـت وجـوهٌ زهاهـا الحسـنُ أن تتقنعـا

تبـا لَهُـنَ بالعرفـان لمـا عرفننـى وقلـن امـرؤ بـاغٍ أضـلُّ وأوضعـا

وقرّبـن أسـباب الهـوى لمتيَّـم يقيـس ذراعًـا كلمـا قسـن إصبعـا

فقلـت لمطريهـنّ بالحسـن إنمـا ضـررتَ فهـل تسـتطيع نفعًـا فتنفعـا

فأنشده جميل إثر هذه القصيد قصيدته المشهورة التى أولها:

لقد فـرح الواشـون أن صَرَمَتْ حبلى بثينـةُ أو أبـدت لنـا جـانبَ البخـل

يقولـون مهـلاً يـا جميـل وإننـى لأقْسِـم مـالى عـن بثينـةَ مـن مهـل

أحلمًـا فقبـل اليـوم كـان أوانُـه وأخشى فقبل اليوم أوْ عِدْتُ بالقتل

---

(١) دوارس : جمع دارس : ما زال وانمحى . بلقعا : مقفر خال . انظر: القاموس المحيط، مادة [بلق]. انظر: القاموس المحيط، مادة [درس] ، [بلق].

Marfat.com

ومنها:

إذا مـا تناشـدْنا الـذى كـان بيننـا ... جرى الدمعُ من عينى بثينة بالكحل

كلانـا بكـى أو كـاد يَبْكـى صبابـة ... إلى إلفـه فاسـتعجلَتْ عـبرة قبلـى

فيا ويح نفسى حسبُ نفسى الذى بهـا ... ويـا ويـحَ أهلى مـا أصيـبَ بـه أهلـى

خليلـىَّ فيمـا عشـتما هـل رأيتمـا ... قتيـلاً بكـى مـن حـبِّ قاتلـه قبلـى

ومنها بيتان أنشدهما، وقد مرّ به رجل، فأضافه فريدًا فجعل يـأكل ويبـث وجـدًا به على ابنة عمه حتى أتى عليه.

وهما:

ويعجبنـى مـن جعفـرٍ أنَّ جعفـرًا ... يلـح على قُرْصِى ويبكى على جُمْلِ

فلـو كنـتَ عُـذْرِىَّ العلاقـةِ لم تَكُـنْ ... بطينًا وأنسْاك الهوى كَثْرَةَ الأَكْـلِ[1]

ولما أنشد جميل هذه القصيدة، قال لعمـر: يـا أبـا الخطـاب هـل لـك فـى هـذا الروى شىء.

قال: نعم، وأنشد:

جـرى نـاصحٌ بـالودِّ بينـى وبينهـا ... فقربنـى يـوم الخِصَـابِ إلى قتلـى

وطـارت بِوَجْـدٍ من فـؤادى ونَـازَعَتْ ... قرينَتَهـا حَبْـلَ الصفـاءِ إلى حبلـى

فمـا أنـس مِ الأشـياء لا أنـس موقفـى ... وموقفهـا يومًـا بقارعـة النخـل

فلمـا توافقنـا عرفـتُ الـذى بهـا ... كَمِثْلِ الذى بـى حَـذْوَكَ النَّعْـلَ بـالنعْلِ

ومنها:

فسـلمتُ واستأنسـتُ خيفـة أن يَـرى ... عـدوّى بكـائى أو يـرى كاشِـحٌ فعلـى

فقـالت وأرخَـتْ جـانب السـتر إنمـا ... معى فتحـدّث غـير ذى رقيـة أهلـى

فقلـتُ لهـا مـا بـى لهـمْ مـن ترقـب ... ولكـن سـرى ليـسَ يحملـهُ مثلـى

وقيل: إن جميلاً لم ينشده فى هذه المرّة شيئًا، بل قال لـه: امـض بنـا إلى بثينـة، فقال له: قد حجر علىّ ، فقال: دلنى على أبياتها، ففعل ومضى عمر فاجتمع بهـا ثم عاد ثانية وتلاقيا.

---

(١) بطين: سمين ممتلىء. انظر: القاموس المحيط، مادة [بطن].

Marfat.com

فأنشد جميل رائيته وهى:

خليلىَّ عوجا اليومَ حتى تُسَلِّما ... على عذبةِ الأنيابِ طيبةِ النشْر[1]

فإنكما إن عُجْتما ساعةً ... شكرتكما حتى أُغيَّبَ فى قبرى

وإنكما إن لم تَعُوجْا فإننى ... سأصرفُ وجدى فأذنا اليومَ بالهجرِ

وما لى لا أبكى وفى الأيكِ نائحٌ ... وقد فارقتنى شختةُ الكَشْح والخَصْر[2]

أيبكى حمامُ الأيكِ من فقد إلفه ... و أصبر ؟! ما لى عن بثينة من صبرِ

يقولون مسحورٌ يجنّ بذكرها ... فأُقسم ما بى من جنون ولا سحر

وأقسم لا أنساكِ ما ذرَّ شارق ... وما هب آل فى مُعَلَّمَةِ قفر

وما لاح نجم فى السماء معلقٌ ... وما أورق الأغصان من ورق السدر

لقد شَغَفتْ نفسى بثينْ بذكركم ... كما شُغَفِ المجنونُ يا بثن بالخمر

ذكرت مقامى ليلةَ البان قابضًا ... على كفِّ حوراءِ المدامعِ كالبدر

فكدت ولم أملك إليها صبابة ... أهيم وفاض الدمعُ منى على النَّحر

فيا ليت شعرى هل أبيتَّن ليلة ... كليلتنا حتى نرى ساطعَ الفجر

تجود علينا بالحديث وتارةً ... تجود علينا بالرُّضَاب من الثَّغْر[3]

فليت إلهى قد قضى ذاك مرةً ... فيعلمَ ربى عند ذلك ما شكرى

ولو سألتْ منى حياتى بذلتُها ... وجُدْتُ بها إن كان ذلك من أمرى

فلما سمعها عمر أعجب بها ثم قال لجميل: دونك هذه

وأنشد:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غدٍ أو رائح فمهجّر ؟

ومنها:

وغاب قميرُ كنتُ أرجو غيوبَه ... وروّح رُعيانٌ ونوّم سمر

فحييتُ إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكتوم التَّحية تَجهرُ[4]

وقالت وعضَّت بالبنانِ فضحتنى ... وأنت امرؤٌ ميسورُ أمرِك أعسرّ

---

(١) عوجا: عاج بالمكان أى أقام فيه. النشر: الريح الطيبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عاج]، [نشر].

(٢) الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٣) الرضاب: الريق المرشوف. انظر: القاموس المحيط، مادة [رضب].

(٤) تولهت: فزعت وخافت. انظر: القاموس المحيط، مادة [وله].

Marfat.com

أريتــكُ إذهنّــا عليــكَ ألمْ تخــفْ رقيبًــا وحــولى مــن عــدوّك حُضَــرُ
فــوا لله مــا أدرى أتعجيــل حاجــةٍ أتــى بـك أم قـد نـام مـا كنِـتَ تحـذرُ
فقلتُ لها بـل قـادنى الشّـوقُ والهـوى إليــك ومــا عــينٌ مــن النــاس تنظــرُ
فيا لَــك مــن ملهًــى هنــاك ومجلــسُ لنــا لم يكــدّره علينــا مكــدّر
يُمِــجُّ ذكــاءَ المســكِ منهــا مفلــجٌ رقيــقُ الحواشــى ذو غَــروبٍ مُؤَشّــر
يَــرقُّ إذا تَفْــتَر عنــهُ كأنّــه حَصَــا بَــرْدٍ أو أقحــوانٌ مُنُــوّر
وترنــو بعينيهــا إلىّ كمــا رنــا إلى زَرْنَـبٍ وسْـط الخميلـة جُـؤذُرَ[1]
فلمــا تــوَلى اللّيْــل إلا أقلُّــه وكــادت تَــوَالى نَجْمِــه تَتَغَــوّرَ[2]
أشارت بأن القــوم قــد كــان منهــم هُبــوبٌ ولكــن موعــدٌ لــك عــزور
فمــا راعنــى إلا مُنَــادٍ برحلــةٍ وقـد لاح مفتـوقٌ مـن الصُّبـحْ أشْـقَر
فلمــا رأتْ مــن قــد تَنَــوّر منهــم وإيقــاظهم قــالت أَشِــرْ كيــف تَــأمر
فقلــت أبــاديهم فإمــا أفوتهــم وإمــا ينــال الســيف ثــأرًا فَيَثْــأَرُ
فقــالت أتحقيــقٌ لمــا قــال كاشــحٌ علينــا وتصديــقٌ لمــا كــان يؤثــر
إذا كــان مــا لا بــد منــه فغيُــره مــن الأمْـر أدنــى للخَفَــاءِ وأَسْــتَر
أقــصُّ علــى أختــيِ بَــدْءَ حديثِنــا ومــا لى عمّــا يعلمَــا متــأخّر
لعلهمــا أن ينعتــا لــك حيلــةً وأن يرْحَبــا صــدرًا بمــا كنــتُ أَحْصَــرُ
فأقبلتــا فارتاعتــا ثــم قالتــا أقِلّى عليكِ الَخطْــبَ فــالأمرُ أَيَسـر
يقــوُم فيمشِــى بيننَــا متســترًا فــلا ســرُّنا يفشــو ولا هــو يَظْهَــرُ
فكــان مجَنّــى دون مــن كنــت أتقــى ثــلاث شــخوص كاعبــان ومعصِــر
فلمــا أجزنــا ســاحة الحــىّ قلــن لى ألم تشــق الأعــداء والليــل مُقْمِــر
وقلنــا أهــذا دأبــكُ الدهــرَ ســادرًا أمــا تنتهــى أو ترعــوى أو تفكّــرُ[3]

---

(١) زرنب: بقــر الوحش. الخميلــة: الشجــر الكثيـف الملتـف. جـؤزر: ولـد البقـرة الوحشـية. انظر: القاموس المحيط، مادة [خمل] ، [جذر]، [زرن].

(٢) تتغور: تتغيبت. انظر: القاموس المحيط مادة [غور].

(٣) سادر: متحير. انظر: لسان العرب، مادة [سدر].

Marfat.com

وقد أنشد عمر[1] هذه القصيدة لعبد ا لله بن عباس[2] بحضرة نافع بن الأزرق واتفق أهل ذلك العصر على أنه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبى ربيعة، وكان جميل يثنى على ابن أبى ربيعة كثيرًا وكان الناس يقولون هو فى عينيته أشعر عن جميل فى لاميته والذى يظهر أن جميلاً أشعر مطلقًا عند التأمل، ومن أشعار جميل أيضًا قوله:

ألا ليت أيامَ الصَّفَاء جديدُ ... ودهرًا تولىَّ يا بثينُ يعود

فنبقى كما كنا نكونُ وأنتمُ ... صديقٌ وإذ ما تَبْذُلِين زَهِيد

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها ... وقد قُرِّبت نِضْوِى أمَصرَ تريد

ولا قولها لولا العيونُ التى ترى ... أتيتُك فاعذرْنى فدتْكَ جُدود

خليلىّ ما أخفى من الوجَدْ ظاهرٌ ... ودمْعى بما أخفى الفؤادُ شَهيد

ألا قد أرى وا لله لا رُبَّ عبرة ... إذا الدارُ شَطَّت بيننا ستزيدُ[3]

إذا قلتُ ما بى يا بثينةُ قاتلى ... من الحبِّ قالت ثابتٌ ويزيد

وإن قلتُ ردّى بعضَ عقلى أعِشْ به ... مع النَّاس قالت ذاك منكَ بعيدُ

فما ذكر الخلان إلا ذكرتها ... ولا البخل إلا قلت سوف تجود

فلا أنا مردودٌ بما جئتَ طالبًا ... ولا حبُّها فيما يبيدُ يَبيدُ

جَزَتْكِ الجوازى يا بُثينُ سلامةً ... إذا ما خليلٌ بانَ وهو حميدُ

وقلت لها بينى وبينكِ فاعلمى ... من ا لله مِيثاقٌ له وعُهود

وقد كانَ حيُّكمْ طريفًا وتالدًا ... وما الحبُّ إلا طارفٌ وتليدُ[4]

وأنّ عَروضَ الوصل بينى وبينَها ... وإن سَّهلَتْه بالمنى لكؤودُ

---

(١) عمر بن أبى ربيعة ، هو: عمر بن عبد ا لله بن عمرو بن المغيرة بن مخزوم القرشى، أبو حفص، شاعر، من طبقة الجرير والفرزدق، كان شعره يتسم بالمجون، توفى سنة (٩٣هـ)، من آثاره : ديوان شعر. انظر: الأعلام (٥/٥٢) ، معجم المؤلفين (٢/٥٦٤).

(٢) عبد ا لله بن عباس ، هو: الصحابى الجليل، ذو العلم الوفير، ومبين التأويل، ابن عم رسول ا لله ﷺ، كان كثير العلم، وكان يسمى بالبحر لكثرة علمه، توفى سنة (٦٧هـ). انظر: الإصابة (٤/١٢١)، الحلية (١/٣١٤) .

(٣) شطت: بعدت.راد:ذهب وجاء فى طلب الشىء.انظر:القاموس المحيط، مادة [شطط]، [راد].

(٤) طارف :حديث ، وهى تقابل تالد، تليد: قديم. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرف]، [تلد].

Marfat.com

وأفنيتُ عمرى بانتظارى وعدها ... وأبليت منها الدهرَ وهْو جديدُه

فليت وشاةَ الناسِ بينى وبينها ... يذوق لهم سماً طماطمُ سودُ

وليتهمُ فى كل مُمسَى وشارقٍ ... تُضاعَفُ أكبَالٌ لهم وقيُودُ

ويحسَبُ نسِوانٌ من الجهلِ أننى ... إذا جئتُ إيَّاهنّ كنتُ أريدُ

فأَقْسمُ طرفى بينهنَّ فيستوى ... وفى الصَّدر بونٌ بينهنَّ بعيدُ(١)

ألا ليتَ شعرِى هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادى القُرى ؟ إنى إذن لسعيدُ

وهل أهبطنْ أرضًا تظلُّ رياحُها ... لها بالثنايا القاوياتِ وئيدُ(٢)

وهل ألقَيَنْ سُعدى من الدَّهرِ مرةً ... وما دثَّ حبل الصفاءِ جديد

فقد تلتقى الأهواء من بعد يأسها ... وقد تطلب الحاجات وهى بعيد

وهل ازجرن حرفًا علاة شملة ... يخرق تباريها سواهم قود

على ظهر سرحوب كأن نسوره ... إذا حار هلاك الطريق رقود(٣)

سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب ... وصدر حكى لون اللجين وجيد(٤)

تزيف كما زافت إلى سلفاتها ... مباهية طىّ الوشاح ميود(٥)

إذا جئتها يومًا من الدهر زائرًا ... تعرّض منقوص اليدين صدود

يصد ويغضى عن هواى ويجتنى ... ذنوبًا علينا أنه لعنود

فأصرمها خوفًا كأنى مجانبٌ ... ويغفُل عنا مرّة فنعود(٦)

فمن يعط فى الدنيا قرينا كمثلها ... فذلك فى عيش الحياة رشيد

يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ... ويحيا إذا فارقتها فيعود

يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأىّ جهاد غيرهنْ أريد

لكل حديث بينهنّ بشاشة ... وكل قتيل بينهنَّ شهيد

---

(١) البون : الفرق والمسافةبين شيئين. انظر: القاموس المحيط، مادة [بون].

(٢)الوئيد : الصوت الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [وأد].

(٣) السرحوب :نوع من الكلاب البرية. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرح].

(٤) ربرب : قطيع من بقر الوحش. انظر: القاموس المحيط ، مادة [ربّب].

(٥) تزيف :تتبختر فى مشيتها . ميود: كثيرة التحرك. انظر: القاموس المحيط، مادة [زاف]، [ميد].

(٦) أصرمها : أهجرها . انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

Marfat.com

إذ فكـــرت قـــالت أدركـــــت ودّه ومـــا ضرّنـــى بخلـــى ففيـــم أجـــود
ومـــن كـــان فـــى حبـــى بثينـــة يمـــترى فبرقـــاء ذى ضـــال علـــىّ شـــهيد[1]
ألم تعلمـــى يـــا أم ذا الـــودع إننـــى أضـــاحك ذاكركـــم وأنـــت صلـــود

ومما كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها ولطفها معبد[2] وكان من أشهر النـاس بالدخول وضرب العود والغناء . والغريض كان أعظم منه.

وحكى عنه فى الأغانى أن الجنّ افتتنـت بـه فـأخرجوه إلى مكـة فأقـام بهـا لا يفتح بابه وأن معبدًا أراد الاجتمـاع بـه فقصـده وأقـام يطـرق البـاب فلـم يجـب، فهجس[3] له أنه لا يخرجه إلا الغناء.

فأنشد :

علقـــت الهـــوى منهـــا وليـــدًا

البيت ، فلم يشعر إلا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا.

وأنشده:

ومـا أنـــس مِ الأشـــياء لا أنـــس قولهـا

إلى خمسة أبيات، ثم قال: إنما غنيتك ذلك لأنى علمت أنك تريد أن أغنيك:

ومـا أنـس مِ الأشـياء لا أنـس شـادنا بمكـــة مكحـــولا أســـيلا مدامعـــه

وأن الجن قد نهتنى عنه، قال معبد: فقلت لم تعد ما أريد ثم فارقته حين رأيتـه يستثقل المجالسة، وطلبت أن يكمل لى السرور بأن أضمِ إلى اجتماعى به اجتماعى بمن رأى جميلاً[4] لآخذ عنـه القصيـدة، فنعـت لى شـيخا فـى بنـى عـذرة، فجئتـه فسألته عن جميل، فحدّث أنه كان فى إبل لـه، وإذا رجـل غشـاه فـنزل بـه، فلمـا ائتلفا، قال له: هل لك أن تصنع معى من الخير مـا لـو كـانت لـك الدنيـا ذهبًـا وأنفقتها علىّ لم تبلغ معشاره؟

---

(١) يمترى : يجادل . انظر : القاموس المحيط، مادة [مرى].

(٢) معبد، هو: ابن وهب، أبو عباد المدنى، نابغة الغناء العربى فى العصر الأموى، مولى بنى مخزوم، كان يرعى الغنم، واشتغل بالتجارة، كان أديبًا فصيحًا، عـاش طويـلاً، توفـى سـنة (١٢٦هـ) انظر: الأعلام (٢٦٤/٧) تاريخ الإسلام (١٦٥/٥).

(٣) هجس له: خطر بباله. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجس].

(٤) جميل بثينة ، هو : ابن عبد الله بن معمر العذرى، القضـاعى، أبـو عمـرو، شـاعر جليـل، مـن عشاق العرب، افتتن ببثينة ، من فتيات قومه، شعره يذوب بالرقة، أقل ما فيـه المـدح، وأكـثره فى النسيب والغزل والفخر، توفى سنة (٨٢هـ). انظر: الأعلام (١٣٨/٢)، معجم المؤلفين (٥٠٦/١).

Marfat.com

قلت: وما هذا.

قال: تمضى إلى وراء السفح، فَتَنْشُدُ لى بَكرة صفتها كذا.

قلت: نعم، ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحرون ، فاستطلعتهم عنها، ثم استأذنتهم فى البيوت، وقلت لهم: إنّ النساء أدرى بالمارة، فأذنوا، فانصرفت أتصفح الحى إلى أن احتدم النهار و لم أظفر بطلبة، وإذا أنا بثلاث بنات.

فقلت: لا أنصرف إليه وأدع هذا اليسير، فجئتهن فسلمت، فرددن، ثم استنشدتهن[1] البكرة.

فقالت إحداهن: قد أصبت حاجتك، ثم أدخلتنى بيتًا وأتتنى بقدح مفضض فيه تمر، وصحفة شامية مفضضة فيها لبن، فتناولت كفايتى.

ثم قالت: إن بكرتك تأتى هذه الشجرة فتطوف بها الليل، فرجعت إليه وحدثته القصة، فابتهج كالذى أصاب بغيته[2] وأنا لا أدرى.

فلما جاء الليل، وآنس أن قد نمت، عمد إلى رحله فاستخرج برديـن ملوكيين من برود الخلافة، فأتزر بأحدهما واتشح بالآخر، ومضى، فتبعته بحيث لم يشعر، حتى تلاقيا فلم يكن بينهما إلا ما يرضى الوشاة[3]، إلى أن رأيا الصبح، فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت، وجاء فصلى، ثم نبهنى وهو مسرور، فأكل معى وشرب ثم أخبرنى أنه جميل وأنها بثينة، ثم أعطانى بردًا واعتذر وودعنى بعد أن قال: هل لك أن تمضى فتنشدها أبياتًا قلتها بعد منصرفى عنها؟

قلت: نعم.

فأنشدنى: وما أنس م الأشياء (الأبيات الخمسة) ، فمضيت إليها، فقلت: قد جئت بالأمس طالبًا واليوم مسلمًا، وذكرت ثناءه ووجده، ثم قلت: هل أنت بارزة إلى؟

قالت: نعم.

فسمعت جارية تقول لها: يا بثينة إن عليه برد جميل، ثم خرجت فى زينة، وقالت: يا أخا تميم، إن بردك لا يشبه ما عليك، واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر، وأقسمت أن اتشح بها، ففعلت، وأنشدتها ما قال، ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل.

---

(١) استنشد: سأل وطلب. انظر: القاموس المحيط، مادة [نشد].

(٢) بغيته : طلبه . انظر: القاموس المحيط، مادة [بغى] .

(٣) الوشاة : جمع الوشى. انظر: القاموس المحيط، مادة [وشى] .

Marfat.com

وحكى الشيخ لمعبد: أن جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له: هل قلت شيئًا؟ **فأنشدها:**

علقت الهوى منها وليدًا ولم يزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

وأفنيت عمرى فى انتظارى نوالها ... وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد: فرجعت جذلان[1] بما اجتمع إلى مما طلبت، وعن أبى زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة، أن هذين البيتين يليهما قوله: فلا أنا مردود ،البيت، وفى نسخة أن قوله: فما أنس مِ الأشياء ، بعد قوله: فما أنا مردود.

ومنه برواية مغلطاى:

وكأن طارقها على علل الكرى ... والنجم وهنًا قد دنا التعوّر[2]

نشوان ريح مدامة معلولة ... بذكىّ مسك أو سحيق العنبر

إنى لأحفظ غيبكم ويسرنى ... لو تعلمين بصالح أن تذكرى

ويكون يومًا لا أرى لك مرسلاً ... أو نلتقى فيه علىّ كأشهر

يا ليتنى أخشى المنية بغتة ... إن كان يوم لقائكم لم يقدر

لو أستطيع تجلدًا عن ذكركم ... فأفيق بعد صبابتى وتفكرى

لو تعلمين بما أجن من الهوى ... لعذرت أو لظلمت إن لم تعذرى

فلتبكين الباكيات ولم أبح ... يومًا بسرك معلنًا لم أغدر

ومنه:

منع النوم شدة الاشتياق ... وادكار الحبيب يوم الفراق[3]

ليت شعرى إذا بثينة بانت ... هل لنا بعد بينها من تلاق

ولقد قلت يوم نادى المنادى ... مستحثًا برحلة وانطلاق

ليت لى اليوم يا بثينة منكم ... مجلسًا للوداع قبل الفراق

حيث ما كنتم وكنت فإنى ... غير ناس للعهد والميثاق

---

(١) جذلان : فرحان . انظر: القاموس المحيط، مادة [جذل].

(٢) طارقها: الطيف .الكرى: النوم . التعور: من تعور: تغاطى وتداول. انظر:القاموس المحيط، مادة [طرق]، [كرى] ، [عور] .

(٣) ادِّكار: تذكر. انظر: القاموس المحيط، مادة [دكر] .

Marfat.com

وعن ابن عيّاش[1]**، قال:** لقيت عجوزًا من بنى عذرة، فقلت لها: هل ترى شيئًا عن جميل ومحبوبته؟

قالت: نعم، كنت يومًا وبثينة قد انفردت تَبْرُمُ غَزْلاً والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة إلى الشام، وإذا برجل قد أقبل إلينا فاستثبتناه، فإذا هو جميل، فقلت له: قد عرضتنا ونفسك شرًا، فمن أين جئت؟

قال: من هذه الهضبة ، ولى بها ثلاثة أنتظر الفرصة لأحدث بكم عهدًا، فإنى ذاهب إلى مصر، فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك، فجئته بقدح فيه تمر وأَقِطٍ[2]، فنال منه يسيرًا، ثم ودع ومضى، فلم نلبث أن جاء أهل الحى.

ومنه:

أرى كل معشوقين غيرى وغيرها ... يلدان فى الدنيا ويغتبطان[3]

وأمشى وتمشى فى البلاد كأننا ... أسيران للأعداء مرتهنان

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها ... لى الويل مما يكتب الملكان

ضمنت لها أن لا أهيم بغيرها ... وقد وثقت منى بغير ضمان

ألا يا عباد الله قوموا لتسمعوا ... خصومة معشوقين يختصمان

وفى كل عام يستجدان مرة ... عتاباً وهجراً ثم يصطلحان

يعيشان فى الدنيا غريبين أينما ... أقاما وفى الأعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدى[4] **قال:** قال لى رجل :هل تعود جميلاً فإنه مريض، فدخلنا عليه فإذا هو يجود بنفسه، فنظر إلىّ وقال: ما تقول فى رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمرًا، ولم يسفك دمًا، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله منذ خمسين سنة؟

---

(١) ابن عياش ، هو : أبو بكر بن سالم الأسدى ، مولاهم الكوفى ، المقرئ ، الفقيه ، المحدث ، صالح، عالم بالأخبار، توفى سنة (١٩٣هـ). انظر: الحلية (٣٠٣/٨)، سير أعلام النبلاء (٤٩٥/٨).

(٢) أقط : لبن خاص هو من ألبان الإبل، انظر: لسان العرب ، مادة [أقط] .

(٣) يغتبطان : يعيشان فى مسرة وحسن حال. انظر: القاموس المحيط، مادة [غبط].

(٤) سهل الساعدى ، هو: ابن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الأنصارى، من مشاهير الصحابة، روى عن النبى ﷺ، وعن أبى عاصم، وغيرهم، وهو آخر من مات بالمدينة. انظر: الإصابة (١٦٧/٣).

Marfat.com

قلت: من هذا؟ فإنى أظنه ناج.

قال: أنا.

قلت: عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة وأنت كذلك.

قال: أنا فى آخر يوم من الدنيا لا نالتنى شفاعة محمد إن كنت وضعت يدى عليها بريبة، وأكثر ما كان منى أن أسند يدها إلى فؤادى استريح ساعة، ثم أغمى عليه فلما أفاق أنشد:

صرخ النعى وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول[1]

قومى بثينة فاندبى بعويل ... وابكى خليلَكِ دون كُلِّ خليلِ

ولما حضرته الوفاة، قال: من ينعانى إلى بثينة؟

قال رجل: أنا، فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحى.

فأنشد:

بكر النعى وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعى بفارس ذى همة ... بطل إذا حم اللقاء مذيل[2]

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول:

وإن سُلُوًى عن جميل لساعةً ... من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميلُ بنَ مَعْمَرٍ ... إذا مِتَ بأساءُ الحياة ولينُها

ثم قالت للناعى: يا هذا إن كنت صادقًا، فقد قتلتنى، وإن كنت كاذبًا فقد فضحتنى.

فقلت لها: وا لله إنى لصادق وأخرجت الحلة، فلما رأتها صرخت، وصكت وجهها، وأقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيًا عليها، ثم أفاقت وأنشدت: **وإن سلوى.....** ، البيتين . فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت.

---

(١) غير قفول : دون رجعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفل].

(٢) حمّ: اشتد . انظر: القاموس المحيط، مادة [حمم].

Marfat.com

فصل
أخبار كثير عزة

هو: أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، الشهير بأبى جمعة، قد أوصله الكلبى فى (جمهرة النسب) إلى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة، المشهور، أحد أولاد الأزد، ومن أجداده عمرو بن ربيعة الذى دعا العرب عن دين إبراهيم إلى عبادة الأصنام واقترح السوائب والبحيرة، فرآه رسول ا لله ﷺ ليلة المعراج يجر قصبه فى النار، وهو من خزاعة، سموا بذلك لانقطاعهم عن الأزد أيام سيل العرم وجاءوا إلى الشام، وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن إياس بن عبد العزى، يتصل نسبها إلى عبد مناف، علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله:

نظرت إليها نظرة وهى عاتق　　على حين إن شبت وبان نهودها[1]

نظرت إليها نظرة ما يسرنى　　بها حمر أنعام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما أن كثيرا مرَّ بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت، فأرسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشًا لهنَّ منه، فنظرها نظرة متأمل، فداخله منها ما كان، فردَّ الدرأهم وأعطاها الكبش، وقال: إن رجعت أخذت حقى. فلما عاد سألته ذلك، فقال: لا أقتضى إلا من عزة فقلن له: ليس فيها كفاءة فاختر إحدانا، فأبى وأنشد البيتين، فجعلن يبرزنها له كارهة، ثم داخلها ما داخله. وأنه خرج يومًا ومعه إداوة ماء فجفت من الحر. ورفعت له نار ، فَأَمَّها[2]، وإذا بعجوز فناشدته: من الرجل.

فقال: صاحب عزة.

فقالت له: أنت القائل:

إذا ما أتينا خلة كى تزيلنا　　أبين وقلن الحاجبية أول

سنوليك عرفًا إن أردت وصالنا　　ونحن لتلك الحاجبية أوصل

---

(١) العاتق : الجارية أوّل ما أدركت. انظر: القاموس المحيط، مادة [عتق].

(٢) أمها : اقتدى بها واهتدى إليها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أمم].

Marfat.com

هلا قلت كما قال جميل :

يـا رب عارضـة علينـا وصلهـا　　بـالجد تخلطـه بقـول الهـازل

فأجبتهـا بـالقول بعـد تـأمل　　حبـى بثينـة عـن وصـالك شـاغلى

لـو كـان فـى قلبـى كقـدر قلامـة　　فضـلاً لغـيرك مـا أتتـك رسـائلى

وا لله لا سقيتك شيئًا، فتركها وانصرف، ولما اشتدت حالته أنشد:

يزهدنـى فـى حـب ميـة معشـر　　قلوبهـم فيهـا مخالفـة قلبـى

فقلت دعوا قلبى ومـا اختـار وارتضـى　　فبـالقلب لا بـالعين يبصـر ذو اللـب

ومـا تبصـر العينـان فـى موضـع الهـوى　　ولا تسـمع الآذان إلا مـن القلـب

هكذا رواه ابن إسحاق ، وقـال الشـهاب محمـود بذلـك ونقـل فـى الطبقـات الأبيات إلا أنه قال:

يزهـدنى فـى حـب عـزة معشـر

ثم قال: هذه الأبيات لكثير، وقد توهم قوم أنها لذى الرمـة[1]، بدليـل قولـه: يزهدنى فى حب مية معشر، وليس كذلك وإنما كان سـهوًا، ودخـل كثـير علـى عبد الملك بن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على: هل رأيت أعشق منك؟

فقال: لو أقسمت علىّ بحقك لأخبرتك.

فقال: بحقى إلا ما أخبرتنى.

فقال: يا أمير المؤمنين خرجت يومًا وإذا أنا بصياد قد نصب شـبكته ليصطـاد ما يسدّ به رمقه، فقلت له: إن ساعدتك شاركتنى فيما يكون.

قال: نعم ، فجاءت ظبية فوقعت فى الأحبولة، فسبقنى إليها، فحلها ثم مسح وجهها وقبلها وأطلقها.

---

(١) ذو الرمة ، هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، المصرى، شاعر، كـان دميـم الشكل، عشق مية المنقرية واشتهر بها، كان من فحول الطبقة الثانية فى عصـره، كـان أكـثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، امتاز بإجادة التشبيه، توفى سـنة (١١٧هـ). مـن آثـاره: ديـوان شعر. انظر: الأعلام (١٢٤/٥)، وفيات الأعيان (٤٠٤/١).

Marfat.com

وأنشد:

أيـا شـــبه ليلـــى لا تراعـــى فـــإننى لـك اليـوم مـن وحشـية لصديـق[1]

أقـول وقـد أطلقتهـا مـــن وثائقهـــا فـــأنت لليلـــى مـــا حييـــت طليـــق

فعينـــك عيناهـــا وجيـــدك جيدهـــا ولكـــن عظـــم الســـاق منـــك دقيـــق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبـد العزيـز[2]، فقـالت لهـا: مـا الحـق الـذى مطلته كثيرًا إذ قال:

قضـى كـــل ذى حـــق فوفـــى حقوقـــه وعـــزة ممطـــول معنـــى غريمهـــا

فقالت: وعدته قبلة.

فقالت: أنجزيها وعلىَّ إثمها.

وفى رواية أن الحكاية مع سكينة بنت الحسين[3].

وفى الذيل من رواية الفارسى: قضى كل ذى دين فوفى ديونه. وفى أخرى، غريمه.

وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هى أن: كثيرًا كـان لـه غـلام يتجـر علـى العرب، فأعطى النساء إلى أجل، فلما اقتضى ما له منهن ماطلته[4] عزة، فقال لهـا يومًا وقد حضرت فى نساء: أما آن أن تفى بما عندك؟ فقالت: كرامـة لم يبـق إلا الوفاء، فقال: صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين وأنشد البيت فقلن له أتدرى من غريمتك فقال: لا، فقلن: هى وا لله عزة ، فقال: أشـهدكن علـىَّ أنهـا

---

(١) لا تراعى : لا تفزعى . انظر: القاموس المحيط، مادة [راع] .

(٢) أم البنين هى :بنت عبد العزيز بن مرْوان بن الحكم بن أبى العـاص بـن أميـة بـن عبـد شمـس، زوجة الوليد بن عبد الملك وابنة عمه، كانت تقول: أفٍ للبخل، لو كان ثوبًا ما لبسـته، ولـو كان طريقًا ما سلكته .انظر: أعلام النساء (١/١٥٠) .

(٣) سكينة بنت الحسين، هى: بنت الشهيد الحسين بن على بن أبى طالب. كانت بديعة الجمال، ذات أدب وشعر جيد، تزوجت بابن عمها عبد ا لله بن الحسن، فقتل قبـل الدخـول بهـا، ثـم تزوجت مصعبًا. وكانت شهمة مهيبة . توفيت سنة (١١٧هـ) . انظـر: الطبقـات (٨/٤٧٥) شذرات الذهب (١/١٥٤)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٢).

(٤) ماطل :سوف فى الوفاء بالوعد مرة بعد أخرى. انظر: القاموس المحيط، مادة [مطل].

Marfat.com

فى حل مما عندها، ومضى فأخبر مولاه بالحكاية، فقال له: وأنت حر وما عنـدك لك، ورأيت فى **روضة الدولتين** لأبى شامة ، أن الذى وهبه كثير ألف دينار.

وأنشد حين أعتق الغلام :

سـيهلك فـى الدنيـا شـفيق عليكـم ... إذا غالـه مـن حـادث الدهـر غائلـه[1]

يـودّ بـأن يمسـى سـقيمًا لعلهـا ... إذا سمعـت عنـه بشـكوى تراسـله

ويهـتز للمعـروف فـى طلـب العـلا ... لتحمـد يومًـا عنـد عـز شمائلـه[2]

ودخلت عزة على عبد الملك، فقال لها: أتروين قول كثير:

لقـد زعمـت إنـى تغـيرت بعدهـا ... ومـن ذا الـذى يـا عـز لا يتغـير

تغـير جسـمى والخليقـة كـالتى ... عهـدت ولم يخـبر بسـرك مخـبر

فقالت: لا أدرى هذا ولكن أروى قوله:

كـأنى أنـادى صخـرة حـين اعرضـت ... من الصم لو يمشى بها العصم زلـت[3]

صفوحًـا فمـا تلقـاك إلا بخيلـة ... فمن سل منهـا ذلـك الوصـل ملـت[4]

فضحك من ذلك، وقيل إنه سـألها عـن قولـه: قضـى كـل ذى ديـن، وهـذان البيتان من قصيدة طويلة رواها (فى الذيل) ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثـير وقال: إنها من عجائب شعره.

وهى :

خليلـى هـذا ربـع عـزة فـاعقلا ... قلوصيكمـا ثـم أبكيـا حيـث حلـت[5]

ومـا كنـت أدرى قبـل عـزة مـا البكـا ... ولا موجعـات الحـزن حتـى تولـت

---

(١)الغائلة: المصيبة والداهية. انظر: القاموس المحيط مادة [غول].

(٢) الشمائل: الطباع، ويطلق على الأخلاق الحميدة. انظر: القاموس المحيط، مادة [شمل].

(٣) العصم: جمع الظبى الأعصم، وهو الذى كان بذراعيه بياض، وسائر جسده أسـود، أو أحمـر. زل: وقع وتعثر، انظر: القاموس المحيط، مادة [عصم] ، [زلل].

(٤) صفوح: الحجـارة العريضـة الرقيقـة. سـل: سَـلّ الشـىء، إذا انتزعـه وأخرجـه برفـق. انظـر: القاموس المحيط، مادة [صفح] ، [سلل].

(٥) قلوص : الإبل الطويلة القوائم. انظر: القاموس المحيط، مادة [قلص].

Marfat.com

وفى رواية :

ولا موجعات القلب

البيت :

فقد حلفت جهدًا بما نحرت له ... قريش غداة المازمين وصلت

أناديك ما حج الحجيج وكبرت ... بفيفا غزال رفقة وأهلت

وكانت لقطع الحبل بينى وبينها ... كناذرة نذرًا فأوفت وحلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يومًا لها النفس ذلت

ولم يلق إنسان من الحب ميتة ... تغم ولا غماء إلا تجلت[1]

كأنى أنادى

البيتين :

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها ... وحلت تلاعًا لم تكن قبل حلت[2]

فليت قلوصى عند عزة قيدت ... بحبل ضعيف حزمنها فضلت

وغودر فى الحى المقيمين رحلها ... وكان لها باغ سواى فدلت

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكنت كذات الظلع لما تحاملت ... على ظلعها بعد العشار استقلت[3]

أريد الثواء عندها وأظنها ... إذا ما أطلنا عندها المكث ملت

فما انصفت أما النساء فبغضت ... إلى وأما بالنوال فضنت[4]

يكلفها الخنزير شتمى وما بها ... هوانى ولكن للميلك استذلت

هنيئًا مريًا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت[5]

ومن أول القصيدة إلى قوله : (فما أنصفت) لزوم ما لا يلزم ، و لم يخالفه إلا

---

(١) غماء : من الغم ، وهو الحزن والكرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [غمم].

(٢) تلاعًا : هو كل ما علا من الأرض. انظر: القاموس المحيط مادة [تلع].

(٣) الظلع : العرج ، وذات الظلع هو العير الذى فى مشيه عرج. انظر: القاموس المحيط، مادة [ظلع].

(٤) النوال : العطاء والمعروف . انظر: القاموس المحيط، مادة [نول].

(٥) مخامر : من خمره الداء ، إذا دخل جوفه. انظر: القاموس المحيط، مادة [خمر].

Marfat.com

فى البيت المذكور، وللبيتين اللذين بعده حكاية، هى: أن كثيرًا سافر مع جماعة إلى مكة، فاتفق أن خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير ، فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له، فسلمت على الجمال، فبلغ كثيرًا ذلك، فجاء إلى الجمل فحله وأطلقه من الحمل.

وأنشد:

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت فحى ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لى فأرددها مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو على بيتًا بين هذين وهو:

لو كنت حييتها مازلت ذامقة عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق أن زوجها أمرها ليلة أن تقتبس نارًا، وقال فى **النزهة** أن تستعطى سمنًا، فلقيها كثير، فأخبرته بحاجتها، فأخرج إدواة سمن، وجعل يسكب فى إناء عزة وهما يتحادثان، فلم يشعرا حتى غرقت أرجلهما، فلما رجعت أنكر[1] زوجها كثرة السمن وأقسم عليها، فأخبرته، فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرًا بحيث يسمعها، ففعلت.

فأنشد:

يكلفها الخنزير

البيتين **وفى منازل الأحباب** أنها وقفت عليه وهو يبرى سهامًا، فجعل يبرى ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها، وإن زوجها لم ينكر إلا وجود الدم، وقيل له: أنت أشعر أم جميل؟

فقال: كيف يكون أشعر منى وهو القائل:

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح[2]

وأنا القائل: هنيئًا مريئًا. البيت، وليس فيما ذكر دليل على أنه أشعر منه وإنما يدل ذلك على أن كثيرًا أرق قلبًا وأشفق على محبوبته وأشد عشقًا، فلو سبق الكلام لديك فكان ألصق بالمعنى وأولى .

---

(١) أنكر : من أنكر الأمر إذا استغربه، أو جهل سببه. انظر: القاموس المحيط، مادة [نكر].

(٢) القذى : ما يكون فى العين من الرمص والغمص. الغرّ: الشىء الحسن أو الأبيض من الشىء. القوادح، مفردها قادح: وهو الدود الذى ينخر فى الأسنان. انظر: القاموس المحيط، مادة[قذى]، [غرر]، [قدح].

Marfat.com

وتمام القصيدة :

ووا لله مـــا قـــاربت إلا تبـــاعدت ... بصـــرم ولا أكـــثرت إلا أقلـــت[1]

فـإن تكـن العتبـى فـأهلاً ومرحبًـا ... وحققت لها العتبى لدينـا وقلـت[2]

وإن تكـــن الأخـــرى فـــإن وراءنـــا ... مناويح لو سارت بها العيس كلت[3]

فـلا يبعـدن وصـل لعـزة أصبحـت ... بعافيـــة أســـبابه قـــد تولـــت

خليلـــيّ إن الحاجبيـــة طلحـــت ... قلوصيكمـا إذ نـاقتى قـد أكلـت[4]

أسـيئى بنـا أو أحسـنى لا ملومـة ... لدينـــا ولا مقليـــة إن تقلـــت

ولكـن انبلـى واذكـرى مـن مـودة ... بناخلـة كـانت لديـك فضلـت

وإنـى وإن صـــدت لمثـــن وصـــادق ... عليهـا بمـا كـانت علينـا أدلـت

فمـا أنـا بـالداعى لعـزة بـالجوى ... ولا شـامتًا إن نعـل عـزة زلـت

فـلا يحسـب الواشـون إن صبـابتى ... بعـزة كـانت غمـرة فتجلـت

وأصبحت قد أبليت من دنف بها ... ولا بعدها من خلة حيث خلـت[5]

ومـا مـر مـن يـوم علـيّ كيومهـا ... وإن عظمـت أيـام أخـرى وجلـت

وأضحت بأعلى شـاهق مـن فـؤاده ... فلا القلب يسلاها ولا العين ملت

فيـا عجبـا للقلـب كيـف اعترافـه ... وللنفس إذ وطنتهـا كيـف زلـت

وإنـى وتهيـامى بعـزة بعـد مـا ... تخليـت ممـا بيننـا وتخلـت

لكـالمرتجى ظـل الغمامـة كلمـا ... تبـوأ منهـا للمقيـم اضمحلـت[6]

كـأنى وإياهـا سـحابة ممحـل ... رجاهـا فلمـا جاوزتـه اسـتهلت[7]

---

(١) الصَرْم: الهجر . انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

(٢) العتبى : الرضا . انظر: القاموس المحيط، مادة [عتب].

(٣)العيس : الإبل البيض التى يخالطها سواد خفيف. انظر: القاموس المحيط، مادة [عيس] .

(٤) طلح : من طلح العير، إذا أعياه وتعبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلح].

(٥) دنف : المرض الثقيل . انظر: القاموس المحيط، مادة [دنف].

(٦) اضمحل : قلّ . انظر: القاموس المحيط، مادة [ضحل].

(٧) ممحل : من محل الشيء ، إذا أجدب . انظر: القاموس المحيط، مادة [محل].

Marfat.com

وخرج يومًا من عند عبد الملك، فاعترضته عجوز معها نار فى روثة[1]، فقالت: من أنت.

قال: صاحب عزة.

فقالت: أنت القائل :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها[2]

يا طيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها[3]

قال: نعم .

قالت: ويحك إذا أوقد المندل الرطب على هذه الروضة أو بخرت به أمك العجوز الشناء[4] كانت كذلك، فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندى:

ألم تريانى كلما جئت زائرًا ... وجدت بها طيبًا وإن لم تطيب

فناولها مطرف خز[5] كان معه ، وقال: استرى علىّ ذلك.

وهذه الحكاية نقلها قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه، ثم قال: إن بعض مشايخ الأدب، قال: ليس على كثير شىء فإن قوله إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة ، انتهى .

وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر، فإنه عرفنا ما أراد إلا المعنى المعترض، فيكون هذا تصحيحًا لإثبات قصده . وتوفى كثير سنة خمس ومائة فى اليوم الذى مات فيه عكرمة مولى ابن عباس وقبر فى مقابر المدينة وله فى عزة أشعار كثيرة.

---

(١) روثة : فضلات الحيوان . انظر: القاموس المحيط، مادة [راث].

(٢) جثجاثها : فسيل النخل ، هو الذى غرس من فراخه لا من النوى.عرارها: الأرض المسمدة، من عر الأرض ، إذا سمدها . انظر : القاموس المحيط ، مادة [جث] ، [عرر].

(٣) المندل : العود الطيب الرائحة . انظر: القاموس المحيط، مادة [ندل].

(٤) الشناء : الشناءة : البغض .انظر: لسان العرب ، مادة [شنأ] .

(٥) مطرف خز : رداء من خز مربع له أعلام أو ثوب كذلك ، والخز ثياب تنسج من صوف وغبريم . انظر:لسان العرب مادة [طرف] ، [خزز] .

Marfat.com

من محاسنها قوله:

يقولـون سـوداء العيـون مريضـة ... فـأقبلت مـن أهلـى إليهـا أعودهـا

فـو الله مـا أدرى إذا أنـا جئتهـا ... أأبرئهـا مـن دائهـا أم أزيدهـا

إذا جئتهـا وسـط النسـاء منحتهـا ... صـدودًا كـأن النفـس ليـس تريدهـا

ولى نظـرة بعـد الصـدود مـن الجـوى ... كنظـرة ثكلـى قـد أصيـب وحيدهـا

وقيل إن هذه الأبيات لذى الرمة لأنه بعد ما ذكر يقول:

وكنـت إذا مـا جئـت ميـا أزورهـا ... أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدهـا

مـن الخفـرات البيـض ودّ جليسـها ... إذا ما انقضـت أحدوثـة لـو تعيدهـا[1]

ومنها وقد سأل عبد العزيز أن يرشده إلى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد:

وقفـت علـى ربـع لعـزة نـاقتى ... وفـى البر رشـاش مـن الدمـع يسـفح

فيـا عـز أنـت البـدر قـد حـال دونـه ... رجيـع تـراب والصفيـح المضـرح[2]

وقـد كنـت أبكـى مـن فراقـك خفيـة ... فهـذا لعمـرى اليـوم أنـأى وأنـزح

فهـلا فـداك المـوت مـن أن ترينـه ... بمـن هـو أسـوأ منـك حـالاً وأقبـح

ألا لا أرى بعـد ابنـة النضـر لـذة ... لشـىء ولا ملجـأ لمـن يتملـح

فـلا زال رمـس ضـم عـزة سـائلاً ... بـه نعمـة مـن رحمـة الله تسـفح[3]

فـإن التـى أحببـت قـد حـال دونهـا ... طـوال الليـالى والضريـح الموجـح[4]

أرب بعينـى البكـا كـل ليلـة ... فقد كاد مجرى الدمع عينى يقرح[5]

إذا لم يكـن مـا تسـفح العـين لى دمًـا ... وشـر البكـاء المسـتعار المسـيح

---

(١) الخفرات ، مفردها خفرة : الجارية شديدة الحياء . أحدوثة : ما يتحدث به، انظـر: القـاموس المحيط، مادة [خفر]، [حدث].

(٢) رجيع تراب: المردود، كل شىء ردّ إلى أصله. الصفيح المضرح: يقصد به القبر، والصفيح هو حجارة القبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رجع]، [صفح].

(٣) رمس : القبر المستوى الذى لا يعلو عن وجه الأرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [رمس].

(٤) الموجح : المردود، المقفل. انظر: القاموس المحيط، مادة [وجح].

(٥) يقرح : إذا أصابه القروح. انظر: القاموس المحيط، مادة [قرح].

Marfat.com

ومنها :

ألا حيا ليلى أجد رحيلى ... وآذن أصحابى غدا بقفولى[1]

تبدت له ليلى لتذهب عقله ... وشاقتك أم الصلت بعد ذهول

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل سبيل

إذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة ... تعل بها العينان بعد نهول

ومنها:

حلفت برب الراقصات إلى منى ... خلال الملا يمددن كل جديل

يمين امرىء مستغلظ من ألية ... يكذب قيلا قد ألح بقيل

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ولا راسلتهم برسول

فإن جاءك الواشون عنى بكذبة ... فروها ولم يأتوا لها بحويل

فلا تعجلى يا ليل إن تتفهمى ... بنصح أتى الواشون أم بخيول

ومنها:

تذكرت أترابًا لعزة كالمهى ... حبين بلفظ ناعم وقبول

وكنت إذا لاقيتهن كأننى ... مخالطة عقلى سلاف شمول[2]

ومنها:

كفى حزنًا للعين إن رد طرفها ... لعزة عير آذنت برحيل

وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى ... فقلت البكى أشفى إذن لغليلى

توليت محزونًا وقلت لصاحبى ... أقاتلتى ليلى بغير قتيل

لعزة إذ ما حل بالخيف أهلها ... فأوحش منها الخيف بعد حلول[3]

وبدل منها بعد طول إقامة ... تبعث نكباء العنى جفول[4]

---

(١) قفول : رجوع. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفل].

(٢) سلاف : نوع من أنواع الخمر. شمول: الخمر، سميت بذلك لأنها تشتمل على العقل. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلف]، [شمل].

(٣) حلّ : نزل بالمكان . الخيف : يقصد به سفح الجبل، انظر: القاموس المحيط، مادة [حلل]، [خيف].

(٤) نكباء : مؤنث الأنكب ، البعير ذو النكب ، أى أحد منكبيه أعلى من الآخر. العنى: المتعب المريض. جفول: العير الذى ينفر من كل شىء ويشرد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نكب]، [عنى]، [جفل].

Marfat.com

لقـد أكـثر الواشـون فينـا وفيكـم ... ومـال بنـا الواشـون كـل مميـل[1]

وما زلـت من ليلى لدن طر شاربى ... إلى اليـوم كـالمقصى بكـل سـبيل[2]

ومنها :

لا تقـدرن بوصـل عـزة بعـد مـا ... أخـذت عليـك مواثقـا وعهـودا

إن المحـب إذا أحـب حبيبـه ... صـدق الصفـاء وأنجـز الموعـودا

ا لله يعلـم لـو أردت زيـادة ... فى حـب عـزة مـا وجـدت مزيـدا

رهبـان مديـن والذيـن عهدتهـم ... يبكـون مـن حـذر العـذاب قعـودا

لـو يسـمعون كمـا سمعـت حديثهـا ... خـروا لعـزة خاشـعين سـجودا

والميـت ينشـر أن تمـس عظامـه ... مسـاو يخلـدان يـراك خلـودا

وهذا الشعرِ رواه مغلطاى كما هو عن جميل وقد رأيته فى **النزهة** منسوبًا إليه وبعدما ذكر بيتًا استشهد به على مجىء التوكيد بـالحرف، قـال: وكثيرًا مـا نقلـه النحاة هكذا:

لا لا أبـوح بحـب بثنـة إنهـا ... أخـذت علـىَّ مواثقـا وعهـودا

قال القالى[3]: هو لكثير، وذكر بثنة سبق قلم، والأصـل عـزة، أو أن الشـعراء كثيرًا ما يعدلون عن اسم من يريدون إلى مـا لا يريـدون تورية وغـيرة، وسـيأتى لذلك إيضاح.

ومنها :

تفـرق أنـواع الحجيـج علـى منـى ... وفرقهـم شـعب النـوى بـين أربـع

---

(١) مميل : كل شىء مشكوك فيه . انظر: القاموس المحيط، مادة [ميل].

(٢) طر: طلع. المقصى: المتتبع الآثر. انظر: القاموس المحيط، مادة [طر]، [قصّى].

(٣) القالى، هو: إسماعيل بن القاسـم بـن عيـذون بـن هـارون بـن عيسـى بـن محمـد بـن سـليمان البغدادى المعروف بالقالى، أبو على لغوى، نحوى، راوية للشعر وحافظ ينسـب إلى بلـد قـالى فلا أرمينية، ثم رحل إلى بغداد لطلب العلم، ثم إلى الأندلس، وأقام بقرطبـة ومـات بهـا سـنة (٣٥٦هـ) تصانيفه: البارع فى اللغة، تغير السـبع الطـوال، كتـاب مقـاتل الفرسـان، الأمـالى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٥٤) وفيات الأعيان (١/٩٢) معجم المؤلفين (١/٣٧٤).

Marfat.com

فلـــم أر دارًا مثلهـــا دار غبطـــة ... وملقـــى إذا التـــف الحجيـــج لمجمـــع

أقـــل مقيمًـــا راضيًـــا بمقامـــه ... وأكـــثر جـــارًا ظاعنًـــا لم يـــودع

فشـاقوك لمـا وجهـوا كـــل وجهـــة ... سـراعًا وأخلـوا عـن منـازل بلقـــع

فريقـان منهـم ســالك بطـــن نخلـــة ... وآخـر منهـم سـالك خبـت يفـرع[٤]

---

(٤)خَبْت : ما اطمأن واتسع من الأرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [خبت].

Marfat.com

فصل
أخبار قيس ولبنى

هو: قيس بن ذريح بن سنة، وفى رواية ابن الحباب، يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذرى، وهو من خزاعة، واسم أبيه على أو هو جده، وكان ينزل بظاهر المدينة، وهو رضيع الحسين بن على بن أبى طالب، وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية أنه ذهب ببعض حاجاته فمرَّ ببنى كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة فبرزت إليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق، فناولته إداوة ماء ، فلما صدرَ قالت له: ألا تبرد[1] عندنا، وقد تمكنت من فؤاده.

فقال: نعم، فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج إليه، وإن أباها جاء . فلما وجده رحب به ونحر له جزورًا، وأقام عندهم بياض اليوم[2]، ثم انصرف وهو أشغف الناس بها، فجعل يكتم ذلك إلى أن غلب فنطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه، وأنه مرّ بها ثانيًا فنزل عندهم وشكا إليها حين تخاليا ما نزل به من حبها، فوجد عندها أضعاف ذلك، فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر.

فمضى إلى أبيه فشكا إليه ذلك، فقال له: دع هذه وتزوج بإحدى بنات عمك، فغم منه، وجاء إلى أمه فكان منها ما كان من أبيه، فتركهما وجاء إلى الحسين بن على وأخبره بالقصة فرثى له والتزم له أن يكفيه هذا الشأن. فمضى معه إلى أبى لبنى فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة، وقال: يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت، بيد أن هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب، فشكره ومضى إلى أبى قيس.

ونقل السيوطى[3] فى شرح الشواهد: عن ابن عساكر، أن الحسين بن على

---

(١) تبرد: من برد: إذا فتر عنه الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [برد].

(٢) بياض اليوم: طول اليوم، أى جميعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بيض].

(٣) السيوطى، هو: عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن همام الدين، الخضرى الأصل، الطولونى، المصرى، الشافعى جلال الدين. عالم مشارك فى عدة علوم، قرأ على جماعة علماء، ولما بلغ الأربعين، اعتزل الناس وألف أكثر كتبه، توفى سنة (٩١١هـ) من تصانيفه: شرح الشواهد، الإكليل، الإتقان فى علوم القرآن، معجم شيوخ السيوطى. انظر: الضوء اللامع (٦٥/٤) شذرات الذهب (٥١/٨) ، معجم المؤلفين (٨٢/٢).

Marfat.com

لما بلغه انقباض أبى قيس عن ذلك، جاء إليه حافيًا على حر الرمل، فقام ومرغ وجهه على أقدامه، وكان ذريح مليًا[1] فمضى مع الحسين حتى زوّج قيسًا بلبنى. ونقل الجلال السيوطى أن الحسين أدى المهر من عنده، ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من أحسن الأحوال ومراتب الإقبال ، وفنون المحبة ، وأن قيسًا على أبلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك، فحسنت لأبيه التفريق بينهما، فقالت له يومًا: لو زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان أبقى لنسبك وأحفظ لبيتك ومالك، وأنهما عرضا على قيس ذلك، فامتنع امتناعًا يؤذن باستحالة ذلك، وقال: لا أسيبها قط. وأقام يدافعهما عشر سنين إلى أن أقسم أبوه أو هى أمه لا يكنه سقف أو يطلق قيس لبنى. فكان إذا اشتد الهجير[2] يجيئه فيظله بردائه ويصطلى هو حتى يجيء الفيء، فيدخل إلى لبنى فيتعانقان ويتباكيان، وهى تقول له: لا تفعل فتهلك، إلى أن قدر أن طلقها، فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض[3] فسطاطها[4]، فسأل الجارية عن أمرهم، فقالت: سل لبنى، فأتى إليها، فمنعه أهلها وأخبروه أنها غداة ترحل إلى أهلها فسقط مغشيًا عليه.

فلما أفاق أنشد:

وإنى لمفن دمع عينى بالبكى	حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غدًا أو بعد ذاك بليلة	فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى	بكفيك إلا أن ما حان حائن[5]

وقال أيضًا :

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها	بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحى	وأقررت عين الشامت المتملق[6]

---

(١) ملياً : رجل ملئ : كثير المال ، انظر: لسان العرب ، مادة [ملأ] .

(٢) الهجير: شدة الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجر].

(٣) قوض: هدم الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [قوض].

(٤) فسطاط: بيت من شعر الحيوان. انظر: القاموس المحيط، مادة [فسط].

(٥) حان: من حانه، أى أهلكه. حائن: المصيبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حان].

(٦) المتملق: من مملق: إذا تودد الإنسان إلى آخر بما ليس فى قلبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملق].

Marfat.com

وددت وبيت الله إنى عصيتهم وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر أبيت على أثباج موج مفرق[1]
كأنى أرى الناس المحبين بعدها عصارة ماء الحنظل المتفلق[2]
فتنكر عينى بعدها كل منظر ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره، فنعق حين رحيلها، فأنشد:

لقد نادى الغراب بين لبنى فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدًا تباعد دار لبنى وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهر سعيك فى تباب[3]

وتبعها حين ارتحلت ينظر إليها، فلما غابت رجع يقبل أثر بعيرها، فليم على ذلك.

فأنشد:

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل أثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلف بلبنى بلاء ما أسيغ له الشرابا
إذا نادى المنادى باسم لبنى عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل أوى إلى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ[4] ويتمرغ فى موضعه ويقول :

بت والهم يالبينى ضجيعى وجرت مذ نأيت عنى دموعى
وتنفست إذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
يا لبينى فدتك نفسى وأهلى هل لدهر مضى لنا من رجوع

---

(١) أثباج موج: معظمه، أو وسطه، أو الأعلى من كل شىء. مفرق: من فرق البحر: أى فلقه وشقه. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثبج]، [فرق].

(٢) الحنظل: نبات معروف بالمرارة، ويطلق على الشىء المر الصعب. المتفلق: المشقوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [حنظ]، [فلق].

(٣) التباب: الخسارة والهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [تبب].

(٤) يتململ: يتقلب همًا وغمًا، أو مرضًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملل].

Marfat.com

وقال أيضًا :

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف ... قضت لبانة ما قضيت فانصرف[1]

قد كنت أحلف جهدى لا أفارقها ... أف لكثرة زيف القيل والحلف

حتى تكنفنى الواشون فافتلتت ... لا تأمنن أبدًا من غش مكتنف[2]

هيهات هيهات قد أمست مجاورة ... أهل العقيق وأمسينا على سرف

حىّ يمانون والبطحاء منزلها ... هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت إليه يومًا أمه بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض إلى وصلهن. فأنشد:

يقر لعينى قربها ويزيدنى ... بها عجبا من كان عندى يعيبها

وكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمرى توبة لا أتوبها

فيا نفس صبر الست وا لله فاعلمى ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه، فنادى: يا لبنى، فقلن: ما لك، قال: خدرت رجلى، وكان من المعلوم عند العرب أنه إذا خدرت[3] رجل الرجل وذكر لها أحب الناس إليها سكنت.

ثم قال:

إذا خدرت رجلى تذكرت من لها ... فناديت لبنى باسمها ودعوت

دعوت التى لو أن نفسى تطيعنى ... لفارقتها فى حبها فقضيت

برت نبلها للصيد لبنى عشية ... ورشت بأخرى مثلها وبريت[4]

فلما رمتنى أقصدتنى بنبلها ... وأخطأتهم بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضلة فكأننى ... قرنت إلى العيوق ثم هويت[5]

---

(١) لبناك : من لبن، إذا كان له حاجة يريد قضاؤها. انظر: القاموس المحيط، مادة [لبن].

(٢) تكنفنى:من كنفه، إذا حجزه عن الأمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنف].

(٣) خدرت:من الخدر:تشنج يصيب العضو، فلا يستطيع الحركة.انظر:القاموس المحيط، مادة [خدر].

(٤) برت : من برى السهم ، إذا نحته. انظر: القاموس المحيط، مادة [برى].

(٥) قرنت : من قرنه ، إذا ضيق عليه، وشد إلى الأمر. العيوق: الانصراف كما يريده الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [قرن]، [عوق].

Marfat.com

فيا ليت إنى مت قبل فراقها وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفسى منك هلكًا فإننى كأنك بى قد يا ذريح قضيت

ورأيت الأبيات فى كتاب لا أعرف جامعه، وفيها يقول:

فيا ليت إنى مت قبل فراقها وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فإن يك تهيامى بلبنى غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت، ولما اشتد شوقه وزاد غرامه أفضى به الحال إلى مرض ألزمه الوساد، واختلال العقل، واشتغال البال، فلام الناس أباه على سوء فعله، فجزع وندم وجعل يتلطف به، فأرسل له طبيبًا وقينات يسألون عن حاله ويلهونه.

فلما أطالوا عليه أنشد:

عند قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب صعب شديد
فإذا عادنى العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودنى ثم أقضى أنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب: مذ كم هذه العلة بك؟ ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟

فقال:

تعلق روحى روحها قبل خلقنا وليس إذا متنا بمنقصم العقد
فزاد كما زدنا وأصبح ناميًا وليس إذا متنا بمنصم المهد
ولكنه باق على كل حادث وزائرتى فى ظلمة القبر واللحد

فقال: إنما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافه النفس.

فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعًا وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر
إذا ما شت شبرا من الأرض ارجفت من البهر حتى ما تزيد على شبر[1]

---

(١) أرجفت : من رجفت الأرض، أى زلزلت. البهر: الجمال والحسن. انظر: القاموس المحيط، مادة [رجف] ، [بهر].

Marfat.com

لهـا كفـل يرتـج منهـا إذا مشـت ومتن كغصن البـان منضمر الخصر[1]

و إن أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومـه، فلمـا لم يفـد ذلك، عرض عليه التزويج.

فأنشد:

لقـد خفـت أن لا تقنـع النفـس بعدهـا بشـيء مـن الدنيـا وإن كـان مقنعـا

وأزجـر عنهـا النفـس أن حيـل دونهـا وتـأبى إليهـا النفـس ألا تطلعـا

فلما أيـس منـه، استشـار قومـه فـى دائـه، فـاتفقت آراؤهـم علـى أن يـأمروه بتصفح[2] أحياء العرب، فلعل أن تقع عينه علـى امـرأة تسـتميل عقلـه، فأقسـموا عليه أن يفعل، ففعل، وأنه اتفق أن نزل بحى من فزارة، فرأى جارية قـد حسـرت عن وجهها برقع خز وهى كالبدر حسنًا وبهجة فسأل عن اسمها، فقالت: لبنـى، فسقط مغشيًا عليه، فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء، وقالت: إن لم تكن قيسًا فمجنون.

فلما أفاق، استنسبته[3] ، فإذا هو قيس، فأقسمت عليـه أن ينـال مـن طعامهـا، فتناول قليلاً، وركب فجاء أخوهـا علـى أثـره، فأعلمتـه القصـة، فركـب حتـى استرده، وأقسم عليه أن يقيم عنده شهرًا، فقال: لقد شفقتَ علىَّ وأجاب، فكان الفزارى يعجب به ويعرض عليه الصهارة، حتـى لامتـه العـرب وقـالوا نخشـى أن يصير فعلك سنة، فيقول: دعونى ففى مثل هذا الفتى يرغب الكرام، وقيس يقـول له: إن فيكم الكفاية ولكنى فى شغل لا يُنتفع بى معه، فألح عليـه حتـى عقـد لـه على أخته، ودخل بها فأقام معها أيامًا لا تهـش[4] نفسـه إليهـا ولا يكلمهـا، ثـم استأذن فى الخروج إلى أهله، فأذنوا له، فخرج إلى المدينة، وكان له بهـا صديـق، فأعلمه أن لبنى قد بلغها تزويجه، فغمت لذلـك، وقـالت: إنـه لغـدار وإنـى طالمـا

---

(١) كفل : العجز أو الأرداف. المتن: الظهر من الآدمى. انظر: القاموس المحيط، مادة [كفل]، [متن].

(٢) تصفح : يجول ويمر بين الناس. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفح].

(٣) استنسبته :سألته عن نسبه.انظر :لسان العرب مادة [نسب] .

(٤) هش : هش بفلان ، إذا ارتاح له وأحبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [هشش].

Marfat.com

خطبت فأبيت والآن أجيب هذا، و إن أبا لبنى قد اشتكى قيسًا إلى معاوية أنه يشبب بابنته، فكتب إلى مروان يهدر دمه، وأمره أن يزوّج ابنته بخالد بن خلدة الغطفانى وهو كندى حليف قريش، فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها:

لبنى زوجها أصبح ... لا حر يوازيه

له فضل على الناس ... وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقًا ... صريع فى بواكيه

فلا يبعده ا لله ... وبعدًا لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسًا، اشتد به الغرام، فركب حتى أتى محلة قومها، فقالت له النساء: ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها، فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرَّغ به.

وأنشد:

إلى ا لله أشكوا فقد لبنى كما شكا ... إلى ا لله بعد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الأقربون فجسمه ... نحيل وعهد الوالدين قديم

وأنشد حين بلغه هدر دمه:

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عينى من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى[1]

إلى ا لله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن كرب تعتادنى وزفير

ومن حرق للحب فى باطن الحشا ... وليل طويل الحزن غير قصير

سأبكى على نفسى بعين غزيرة ... بكاء حزين فى الوثاق أسير

وكنا جميعًا قبل أن يظهر النوى ... يا نعم حالى غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة بظهور[2]

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

---

(١) أجن: أجن الشىء ، أخفاه. انظر: القاموس المحيط، مادة [جنّ].

(٢) مقلوبة بظهور: مثل، يراد به: إذا تحول من الصداقة إلى العداوة.

Marfat.com

وقال أيضًا:

وإن تك لبنى قد أتى دون قربها ... حجاب منيع ما إليه سبيل

فإن نسيم الجو يجمع بيننا ... ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل فى الحين تلتقى ... ونعلم أنا بالنهار نقيل

وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول

إلى أن يعود الدهر سلما وتنقضى ... ترات يراها عندنا وذحول[1]

وحجت لبنى فى تلك السنة، فاتفق خروجه أيضًا ، فتلاقيا فأبهت، وأرسلت إليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه، فأعاد السلام والسؤال.

وأنشد:

إذا طلعت شمس النهار فسلمى ... فإنى يسلينى عليك طلوعها[2]

بعشر تحيات إذا الشمس أشرقت ... وعشر إذا أصفرت وحان رجوعها

ولو أبلغتها جارة قولى اسلمى ... طوت حزنًا وارفض منها دموعها[3]

وحين انقضى الحج، مرض مرضًا أنهكه، فأكثر الناس من عيادته، فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها.

فأنشد:

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتى ... غداة غد إذ حل ما أتوقع

تمنينى نيلا وتلوينى به ... فنفسى شوقًا كل يوم تقطع[4]

ألومك فى شأنى وأنت مليمة ... لعمرى واجفى للمحب واقطع

وأخبرت إنى فيك مت بحسرة ... فما فاض من عينيك للوجد مدمع

إذا أنت لم تبكى علىّ جنازة ... لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

---

(١) ترات : من تر : وهو البعد. ذحول: الذحل: الثأر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ترر]، [ذحل].

(٢) يسلينى : من سلا ، إذا نسى. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٣) ارفض: ارفض الدمع ، إذا سال وتفرق . انظر: القاموس المحيط، مادة [طوى]، [رفض].

(٤) تلوينى : لوى عن الأمر ، تثاقل عنه . انظر : القاموس المحيط، مادة [لوى].

Marfat.com

فحين بلغتها الأبيات ، جزعت جزعًا شديدًا، وخرجت إليه خفية على ميعاد، فاعتذرت عن الانقطاع، وأعلمته أنها إنما تترك زيارته خوفًا عليه أن يهلك، وإلا فعندها ما عنده ولكنها جلدة.

وفى منازل الأحباب يرفعه إلى ابن عباس، قال: مررت بربع عفا رسمه ، وإذا بشخص ، فسلمت عليه فلم يرد ، فمضيت ، وإذا هو ينادينى، فرجعت، فردّ علىَّ واعتذر، ثم ذكر أنه تعتريه غيبة العقل أطوارًا و هذا دمعه يسفح كالغيث، فقلت له: من أنت؟

قال: قيس بن ذريح وأنشد:

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى ... بوصل ولا هجر فييأس طامع

أبى الله أن يلقى الرشاد متيم ... ألا كل شىء حمّ لا شك واقع

هما برحابى معولين كلاهما ... فؤاد وعين ماقها الدهر دامع[1]

إذا نحن أفنينا البكاء عشية ... فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاى : وأخبرت لبنى بمرضه فى حبها، فقالت، دفعًا للوهم: مم يتمارض؟ فبلغته القصة.

فأنشد :

تكذبنى بالودّ لبنى وليتها ... تكلف منى مثله فتذوق

ولو تعلمين الغيب أيقنت إننى ... لكم والهدايا المشعرات صديق

تتوق إليك النفس ثم أردّها ... حياء ومثلى بالحياء حقيق

إذ ود سوام النفس عنك وما له ... على أحد إلا عليك طريق[2]

شهدت على نفسى بأنك غادة ... رداح وأن الوجه منك عتيق[3]

وإنك لا تجزين منى صحابة ... ولا أنا للهجران منك أطيق

---

(١) برحابى : الرحابى . الأرض الواسعة. معولين: المعول: أداة لحفر الأرض. ماقها: من مق الشىء، إذا شقه وفتحه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رحب]، [عول]، [مقق].

(٢) سوام النفس: من سام السلعة، إذا عرضها للبيع وغالى فيها. انظر: القاموس المحيط، مادة [سام].

(٣) رداح: الشحرة الكبيرة. عتيق: جميل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ردح]، [عتق].

Marfat.com

وإنــك قســمت الفــؤاد فنصفــه رهــين ونصــف فــى الحبــال وثيــق
كــأن الهــوى بــين الحيــازيم والحشــا وبــين الــتراقى واللهــاة حريــق[1]
فإن كنت لما تعلمى العلــم فاســألى وبعــض لبعــض فــى الفعــال يفــوق
سلى هل قلانى من خليل صحبتــه وهل ذمّ رحلــى فــى الرفــاق رفيــق
وهل يجتوى القوم الكرام صحابتى إذا اغبرّ محشىّ المعجاج عميــق[2]
واكتــم أســرار الهــوى فأميتهــا إذا بــاح مــزاح بهــن يــروق
هــل الصــبر إلا أن أصــدّ فــلا أرى بــأرضك إلا أن يكــون طريــق

وروى أن قيسًا انتقى ناقة من إبله وقصد المدينة ليبيعها ، فاشــتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه، ثم قال له: ائتنى غـدًا فى دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن، فجاء وطرق الباب فأدخله، وقد صنع له طعامًا وقام لبعض حاجاته، فقالت المرأة لخادمتها: سليه ما بال وجهه متغيرًا شاحبًا.

فتنفس الصعداء، ثم قال: هكذا حال من فارق الأحبة.

فقالت: استخبريه عن قصته، فاستخبرته، فشرع يحكى أمره، فرفعت الحجاب، وقالت: حسبك قد عرفنا حالك، فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة، ثم خرج لوجهه، فاعترضه الرجل، وقال: ما بالك عد لتقبض مالك وإن شئت زدناك، فلم يكلمه، ومضى، فدخل الرجل، فقالت له: ما هذا الذى فعلت إنه لقيس ، فحلف أنه لا يعرفه.

وأنشد قيس معاتبًا لنفسه :

أتبكى على لبنى وأنت تركتهــا وكنــت عليهــا بــالملا أنــت أقــدر
فــإن تكــن الدنيــا بلبنــى تقلبــت فللدهــر والدنيــا بطــون وأظهــر
كــأنى فــى أرجوحــة بــين أحبــل إذا فكرة منهــا علــى القلــب تخطــر

---

(١) الحيازيم، الحيزوم، وسط الصدر.التراقى: من عظم الــترقوة، مقــدم الحلق فــى أعلــى الصــدر.
اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق، فى سقف الفم. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزم]، [رقى]،[لهو].
(٢) يجتوى : يكره .انظر: القاموس المحيط، مادة [جوى].

Marfat.com

وقيل: إنه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى، فعاد مبهوتًا، فسأله الرجل، فقال له: لا تركب لى مطيتين.

فقال: أنت قيس.

قال: نعم.

قال: ارجع لنخيرها فإن اختارتك طلقتها، وظن الرجل أنها تبغض قيسًا، فخيرها فاختارت قيسًا، فطلقها لوقته.

وحكى أن سبب طلاقها أن قيسًا قصد ابن أبى عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة فى ذلك ، فجاء إلى الحسن والحسين و أعلمهما أن له حاجة عند زوج لبنى ، وطلب أن ينجداه عليه، فمضيا معه حتى اجتمعوا به، وكلموه فى ذلك، فقال: سلوا ما شئتم.

فقال له ابن أبى عتيق: أهلاً كان أو مالاً.

قال: نعم.

فقال: أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندى، **فقال:** أشهدكم أنها طالق ثلاثاً ، فاستحيوا منه وعوّضه الحسن مائة ألف درهم، وقال له: لو علمت الحاجة ما جئت .

وروى أن لبنى عاتبت قيسًا على تزويج الفزارية، فحلف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها، و لم يكلمها لفظة واحدة، وأنه لو رآها لم يعرفها، وأخبرته لبنى أنها كارهة زوجها ، وأعلمته أنها لم تتزوجه رغبة فيه، بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها . فطلقها حين علم منا بينهما، وأرسل أخو الفزارية إلى قيس حين أبطأ عنه يسأله الرجوع، فأعاد الرسول بالخيار فى أمر أخته، فاختار الرجل عدم الفرقة، وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له، وكان ذلك قبل طلاق لبنى، فقال له: إن شئت كتبت إلى زوجها بطلاقها.

فقال: لا ولكن ائذن لى أن أكون ببلدها، ففعل، فنزل قيس حين زال هدر دمه بحيها، وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض و أضرابهما ، فرق الناس له، هذا ولما طلقت نقلت إلى العدة بأمر ابن أبى عتيق، فمن ذاهب

Marfat.com

إلى أنها أكملت عدتها وتزوجها وأقاما إلى الموت، بدليل مدحه لابـن أبـى عتيـق حيث قال:

جـزى الرحمـن أفضـل مـا يجـازى ... علـى الإحسـان خـيرًا مـن صديـق
فقـد جربـت إخوانـى جميعًـا ... فمـا ألفيـت كـابن أبـى عتيـق
سـعى فـى جمـع شملـى بعـد صـدع ... ورأى حـدث فيـه عـن الطريـق[1]
وأطفـأ لوعـة كـانت بقلبـى ... اغصتنـى حرارتهـا بريقـى

ومن ذاهب -وهم الأكثر- إلى أنها ماتت فـى العـدة، وأن مدحـه لابـن أبـى عتيق حين لم يشك فى عودها إليه، وقد نهاه عن مدحه، وقال له: من سمع بهـذا يعدّنى قوادًا . والقائلون بموت لبنى فى العدة أجمعـوا أن قيسًـا خـرج حـين بلغـه ذلك حتى وقف على قبرها.

وأنشد:

مـاتت لبينـى فموتهـا موتـى ... هـل ينفعـن حسـرة علـى الفـوت
إنـى سـأبكى بكـاء مكتئـب ... قضـى حيـاة وجـدًا علـى ميـت

ثم بكى حتى أغمى عليه، فحمل ومات بعد ثلاث، ودفن إلى جانبها، وكـان ذلك فى سنة [واحدة].

وله أشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب فى منازل الأحباب عـن أبـى العبـاس على تردد فى أنه لابن الدمينة .

وفـى عـروة العـذرى إن مـت أسـوة ... وعمرو بن عجلات الذى قتلـت هنـد
وبـى مثـل مـا قـد نابـه غـير اننـى ... إلى أجـل لم يـأتنى وقتـه بعـد
وفيـض دمـوع العـين بـالليل كلمـا ... بـدا علـم مـن أرضكـم لم يكـن يبـدو

ومنها:

لقـد عنيتنـى يـا حـب لبنـى ... فقـع إمـا بمـوت أو حيـاة
فـإن المـوت أيسـر مـن حيـاة ... منغصـة لهـا طعـم الشـتات[2]

---

(١) الصدع: الفرقة والبعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [صدع].

(٢) الشتات: الفرقة. انظر: القاموس المحيط، مادة [شتت].

Marfat.com

وقـــال الآمـــرون تعـــز عنهـــا فقلـــت ولا إذا حـــانت وفـــاتى

ومنها:

فما وجدت وجـدى بهـا أم واحـد ولا وجـد النهـدى وجـدى علـى هنـد

ولا وجـد العـذرى عـروة فـى الهـوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعـدى

ومنها:

لو أن امرأ اخفى الهوى عن ضميره لمـــت ولم يعلـــم بـــذاك ضمـــير

ولكـن سـألقى ا لله والنفـس لم تبـح بســـرّك والمســـتخبرون كثـــير

ومنها:

عفـا سـرف مـن أهلـه فشـوارع فجنبـا أريـك فـالبلاد الدواقـع[1]

فمكـــة فالأخيـــاف طيـــة بهـا مـن لبينـى مخـرف فمرابـع[2]

لعـــلّ لبينـــى أن يحـــم لقاؤهـــا ببعـض بـلادى أن مـا حـم واقـع

يجـذع مـن الـوادى خـلا عـن أنيسـه عفـا وتخطتـه العيـون الجـوازع

ولمـا بـدا منهـا الفـراق كمـا بـدا بظهر الصفا الصلـد الشـقوق الشـوائع[3]

تمنيـت أن تلقـى لبينـاك والمنـى تعـاصيك أحيانًـا وحينًـا تطـاوع

ومـا مـن حبيـب وامـق لحبيبـه ولا ذى هوى إلا لـه الدهـر فـاجع[4]

وطـار غـراب البـين وانشـقت العصـا لبـين كمـا شـق الأديـم الصواقـع[5]

ألا يـا غـراب البـين قـد طـرت بـالذى أحـاذر مـن لبنـى فهـل أنـت واقـع

---

(١) عفا: انمحى، ودرس، وبلى .الدواقع ؛ مفردها داقع: يقصد به الفقـر والـذل والجـوع. انظـر: القاموس المحيط، مادة [عفا]، [دقع] .

(٢) مخرف: من اخترف فى المكـان، إذا أقـام بـه وقـت الخريـف. مرابـع: مـن ربـع ، وهـو الـدار والمنزل. انظر: القاموس المحيط، مادة [خرف]، [ربع].

(٣) الصفا: نوع من أنواع الحجارة الضخمة. الصلد: الصلب. الشوائع: المتفرقة. انظر: القـاموس المحيط، مادة [صفا]، [صلد]، [شاع].

(٤) وامق: بعيد المكان. فاجع: مـن فجـع، إذا أوجعـه بإعدامـه مـا يتعلـق بـه مـن الأهـل. انظـر: القاموس المحيط، مادة [ومق]، [فجع].

(٥) الأديم: أديم الأرض، سطحها وظاهرها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أدم].

Marfat.com

وإنـك لـو أبلغتهـا قيلـى اسـلمى ... طوت حزنًـا وارفـض منهـا المدامـع

أتبكـى علـى لبنـى وانـت تركتهـا ... وكنـت كـآت غيـه وهـو طـائع

فـلا تبكـين فـى أثـر شـىء ندامـة ... إذا نزعتـه عـن يديـك النـوازع

فليـس لأمـر حـاول الله جمعـه ... مشـت ولا مـا فـرّق الله جـامع

كـأنك لم تقنـع إذا لم تلاقهـا ... وان تلقهـا فـالقلب راض وقـانع

فيا قلب خـبرنى إذا شـطت النـوى ... بلبنى وصدت عنك ما أنـت صـانع[1]

أتصـبر للبـين المشـت مـع الجـوى ... أم أنت امـرؤ ناسـى الحيـاة فجـازع[2]

فمـا أنـا إن بـانت سـليمى بهـاجع ... إذا مـا اسـتقلت بالنيـام المضـاجع[3]

وكيـف ينـام المـرء مستشـعر الجـوى ... ضجيـع الأسـى فيـه نكـاس روادع[4]

فـلا خـير فـى الدنيـا إذا لم تزورنـا ... لبينـى ولم يجمـع لنـا الشـمل جـامع

أليسـت لبينـى تحـت سـقف يكنهـا ... وإيـاى هـذا إن نـأت لى نـافع

ويلبسـنا الليـل البهيـم إذا دجـا ... ونبصـر ضـوء الصبـح والفجـر سـاطع

تطـأ تحـت رجليهـا بسـاطًا وبعضـه ... أطـأه برجلـى ليـس يطويـه مـانع

وافـرح أن تمسـى بخـير وإن يكـن ... بهـا الحـدث العـادى ترعنـى الروائـع

كـأنك بـدع لم تـر النـاس قبلهـا ... ولـن يطلعنـك الدهـر فيمـن يطـالع

وقـد كنـت أبكـى والنـوى لا أظنـه ... بنـا وبكـم لم نـدر مـا البـين صـانع

واهجركـم هجـر البغيـض وحبكـم ... علـى كبـدى منـه كلـوم صـوادع[5]

---

(١) شطّ: من شط فلانًا: أبعده. انظر: القاموس المحيط، مادة [شطط].

(٢) المشت: المتفرق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شتت].

(٣) هاجع: من هجع، إذا نام. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجع].

(٤) نكاس: المرض أو الذل، الضعف والعجز.روادع: من الرادع؛ معاودة المرض. انظر: القـاموس المحيط، مادة [نكس]،[ردع].

(٥) الكلوم: الجرح. صوادع: من صدع، إذا انشق وتفرق. انظر: القاموس المحيط، مـادة [كلـم]، [صدع].

Marfat.com

فواكبدى من شدة الشوق والأسى ... وواكبدى إنى إلى الله راجع
واعجل للاشفاق حتى يشفنى ... مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للأرض التى من ورائكم ... لترجعنى يومًا إليك الرواجع[1]
فيا قلب صبرًا واعترافًا لما ترى ... ويا حبها قع بالذى أنت واقع
لعمرى لمن أمسى وأنت ضجيعه ... من الناس ما اختيرت إليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها ... وللبين غمّ ما يزال ينازع
إذا لم يكن إلى الجوى فكفى به ... جوى حرق قد ضمنتها الأضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى ... بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهارى نهار الواهين صبابة ... وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما ... تقسم بين الهالكين المصارع

وهذان البيتان فى غير رواية أبى على:

ولولا رجاء القلب أن يعطف النوى ... لما حملته بينهنّ الأضالع
له وجبات أثر لبنى كأنها ... شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى إذا بدى ... لى الليل هزتنى إليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى بالليل والهم جامع
إذا نحن انفدنا البكاء عشية ... فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى ... شحوب وتبرى من يديه الأشاجع
وما كل ما منيت نفسك خاليًا ... تلاقى ولا كل الذى أنت تابع
تداعت له الأحزان من كل وجهة ... فحن كما حن الطيور السواجع[2]
وجانب قرب الناس يخلو بهمه ... وعاوده فيها هيام مراجع
أراك اجتنبت الحى من غير بغضة ... ولو شئت لم تجنح إليك الأصابع

---

(١) أعمد: أقصد. انظر: القاموس المحيط، مادة [عمد].

(٢) السواجع: من سجع الطير، إذا هدر وردد صوته. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجع].

Marfat.com

كـــان بـــلاد ا لله مـــالم تكـــن بهـــا وإن كـــان فيهـــا النـــاس قفـــر بلاقـــع
ألا إنمـــا أبكـــى لمـــا هـــو واقـــع وهـل جزع من وشـك بينـك نـافع
أحال علىّ الدهر مـن كـل جـانب ودامـت ولم تقلـــع علـــى الفجـــائع
فمـن كـان محروقًـــا غـــدا لفراقنـــا مـــذ الآن فليـــك لمـــا هـــو واقـــع

وقد انتهت أخباره كما وجـدت، وكـأنى بغبى يعـترض على نقلى لـه من مراتب من حظى بالتلاق إلى مراتب من مـات دونـه مـن العشـاق، و لم يـدر أن الحيثيات توجب بالتأمل الصائب ، والفهم الذكى الثـاقب ، مـا لم يدركـه الغبـى الغافل ، أما تقدم هذه الأربعة فقد علم .

وأما ذكر هذا هنا فقد قـال فـى **النزهـة والبـدور المسـافرة وطوالـع الأزهـار** وغالب شرح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق "إنه رأس أهل الهـوى" ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب أوقعة فى هذه المرتبة.

وقال المتكلمون على الديوان المذكور إن سـلطان العشـاق وأسـتاذ العـارفين على الإطلاق قد أشار إلى تفضيله على الكل حيـث شبه غرامـه بغرامـه وحسـن لبنى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال:

بفـرط غرامـى ذكـر قيـس بوجـده وبهجتهـــا لبنـــى أمـــت وأمـــت

لا يقال قد أفرد غيره بالذكر أيضا لأن أساليب دقائق كلامه وأفـانين مطـاوى نظامه تجل عن أن تنال إلا بشق الأنفس وا لله يؤتى فضله مـن يشـاء فـإن قولـه : فإن كنت ليلى إن قلبى عامر ، ونحوه ليس تمويهًا بعظـم الشـأن كمـا فـى البيـت السابق أهـ.

قلت: وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت إلى غيره، فيجاب بأن قوله ﷺ :

بهـا قيـس لبنـى هـام بـل كـل عاشـق كمجنـــون ليلـــى أو كثـــير عـــزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الأرفع ومثّل بالأمثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلـك وا لله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ وأعظم وأرفع فى مقاسات الغرام وأفخـم وفيـه تلميـح بمـا ذكـر فـى التفضيل بين البشر والملائكة.

Marfat.com

فصل

أخبار المجنون وصاحبته ليلى

قد اختلف في اسمه هل هو عامر، أو مهدي، أو الأقرع أو معاذ وقيس ابنه أو ابن الملوّح، أو البحتري بن الجعد، والصحيح الأول لإشارة عارف الوقت في البيت السابق، وفي نسبه عامريّ أو كلابيّ، أو جعديّ أو قشيريّ أو المجانين متعددة، أو هما اثنان في بني عامر، أو لم يكن أحد، وإنما امرؤ تعشق واستكبر عن أن يصرح باسمه واسم محبوبته فموّه بالمجنون وليلى، والصحيح أنه من بني عامر، وهو: عامر بن ملوّح بن مزاحم، يتصل نسبه عند صاحب الأغاني إلى كعب بن ربيعة بن صعصعة. كان مديد القامة، جعد الشعر، أبيض اللون، و لم ينله الهزال والجنون وتغير اللون إلا من العشق، وصاحبته هي ليلى بنت مهدي بن سعد، تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة، و كنيتها أم مالك، وهذا أخذ من قوله ذلك في شعره كثيرًا نحو قوله:

تكاد بلاد الله يا أم مالك بما رحبت يومًا عليّ تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوّح بن مزاحم وأنه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة **بقوله:**

عقرت على قبر الملوّح ناقتي بذي السرح لما أن جفاه أقاربه

وقلت لها كوني عقيرًا فإنني غداة غد ماش وبالأمس راكبه

فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم فكل امرىء للموت لابد شاربه

وروى بإسقاط هاء السكت وحذف البنيت الأخير وذكروا من سبب عشقه لليلى أنه مر يومًا على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنادمة، فنزل وعقر لهن ناقته، وأقام معهن بياض اليوم، فأقبل فتى اسمهٌ مُنازلٌ يسوق غنمًا، فانصرفن إليه وتركن المجنون، فقام مغضبًا.

وأنشد :

أاعقر من جرًا كريمة ناقتي ووصلي مقرون بوصل منازل

Marfat.com

إذا جـــاء قعقعـــن الحلـــيّ ولم أكـــن إذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخـل

فقوله: من جرا كريمة ، يعني من أجلها -كريمة اسم المرأة الـتي كـن عندهـا- وروى، ووصلى مفضول، أي دون وصل "مُنازِل" ، وهو أليق بالمقام.

وفي النزهة:

إذا جـــاء قعقعـــن الحلـــىّ ولم يكـــن إذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل[1]

يقول: قد أظهرن صوت الحليَّ حين جاء منازل، وهذه كناية عـن قيـامهن لـه و لم يكن ذلك عند مجيئي، وهذا هو اللائق. و لم يؤخذ من البيت السابق.

وقيل: تداعيا[2] المناضلة أو الصراع.

فقال له المجنون: قم إلى حيث يرينك ولا تراهن، فافعل ما تقول.

وأنشد في ذلك :

إذا مـا انتضلنـــا في الخـــلاء نضلتـــه وأن يرم رشـقًا عندهـا فهـو نـاضلي[3]

فعلى هذا يكون ضمير (عندها) عائدًا علـى النسـوة، وهـذا دليـل علـى شـدة استحيائه، فإنه يقول له ما دمت تنظر إليهن فإنك تشجع فتغلبني.

وهذا على حد قوله:

حمامـة جرعـى حومـة الجنـدل اسـجعي فـــأنت بمـــرأى مـــن ســـعاد وسمـــع

يقول: جِدِّي في السجع فإن سعاد تنظرك وتسمعك.

قلت: هذا ما نقل في الأصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيـه علـى تعلقـه بليلـى، وإنما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال: لما دعته النسوة إلى النزول نـزل وجعل يحادثهن ويقلب طَرْفَه حتى وقعت عينه على ليلى، فلم يصرف عنها طرفه وشاغلته، فلم يشتغل، ثم قال لها: هل عندكن ما تأكلن؟

قالت: لا.

---

(١) قعقعن: من قعقع، إذا جعل له صوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [قعقع].

(٢) تداعيا: من داعاه، إذا طلبه لشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [دعا].

(٣) انتضلنا: تسابقنا فى رمى السهام. رشقًا: مـن رشـقه ببصـره، إذا ألح فـى النظـر إليـه. انظـر: القاموس المحيط، مادة [نضل]، [رشق].

Marfat.com

فعمد إلى الناقة فنحرها وقطعها، وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يجز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى أعرق كفه، فجذبتها من يده و لم يدر.

ثم قال لها: ألا تأكلين الشواء؟

قالت: نعم .

فطرح من اللحم شيئًا على الغضى[1] وأقبل يحادثها.

فقالت له: انظر إلى اللحم هل استوى أم لا ؟

فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت و لم يشعر، فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك، ثم شدّت يده بهدب قناعها، ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه.

وقيل : إنها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب، فقالت له: هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف؟

فقال: ومن لي بذلك، ثم نزل وعقر ناقته كما مر ، وإنها كانت مغرمة بأحاديث الناس والأشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها إلى ذلك فتداخلت بينهما المحبة.

وفي نديم المسامرة: أنهما نشئا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله:

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم[2]

صغيرين نرعى إليهم يا ليت اننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم[3]

فتحابا وأنها حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارًا قبل الحَجْبِ ويذهب ليلاً وفي ذلك يقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمني ... ويجمعني بالليل والهم جامع

---

(١) الغضى : نوع من الشجر جمره يطول ولا يطفأ إلا بعد حين. انظر : لسان العرب ، مادة [غضا].

(٢) ذات تمائم: كناية عن الصغر، وهى التميمة الخرزة التى كان يضعها العرب فى أعناق صغارهم للوقاية من العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [تتم].

(٣) البهم: جمع البهمة، وهى أولاد الماعز والبقر. انظر: القاموس المحيط، مادة [بهم].

Marfat.com

قلت: وقد تقدم أن البيتين لقيس بن ذريح.

وصرح في نزهة العشاق بذلك، وقال: إن المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فإنهما كانا متعاصرين، حتى نقل في الأغاني أن قيسًا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة[1] العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه، فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام إليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل إلى الآخر ما عنده، فقال المجنون لقيس: إن حيّ ليلى قريب فهل لك أن تبلغها سلامي ، فمضى حتى وقف بها، ونسب نفسه، فتعارفا وبلغها ، فأخبرته أن وجدها به أعظم ، ولكن قالت: أنا عاتبة عليه حيث يقول:

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك لكم خير حب صادق ليس يكذب

إلا إنما أبقيت يا أم مالك صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت؟ ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره؟

فقال لها: لا تحمليه على ما تقول الناس فلم يرد سوءا ، وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من إخوته وكان أبوه ذا ثروة ، فدفع له خمسين بعيرًا وراعيها في مهر ليلى، فلم يقبل أبوها، مع أنه دونهم ؛ لِما مَرَّ مِنْ أن العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالمحبة، فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على أن تختاره ، ففعلت كارهة.

وفي ذلك يقول المجنون :

ألا يا ليل ملكت فينا خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبدلي منا دنيا ولا بر ما إذا حث القتار[2]

يهرول في الصفير إذا رآه وتعجزه ملمات كبار

فمثل تأيم منه نكاح ومثل تمول منه افتقار[3]

---

(١) مخالطة العقل: أى اضطراب العقل واختلاله. انظر: القاموس المحيط، مادة [خلط].

(٢) حثّ القتار: القتار: دخان الأكل المشوى. وإذا حث الرجل القتار فهذا كناية عن كرمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [قتر].

(٣) تأيم: مكث زمانًا بلا نكاح .انظر: القاموس المحيط، مادة [ام].

Marfat.com

وأبصر يومًا في طريقه إلى زيارتها جارية عسراء[1] ، فتطير[2] وأنشد:

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى بجد القوى من ليل أعسر حاسر[3]

صريع العصا جدب الزمان إذا انتحى لوصل امرىء لم تقض منه الأواطر[4]

وشكا ذلك إليها، فقالت: لا بأس عليك وا لله لا اجتمعت بغيرك إلا كارهة، وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها، فدعت شخصًا بحضرته فسايرته أو صرفت وجهها عنه إلى غيره، ثم نظرته قد تغير حتى كاد أن يتفطر.

فأنشدت تقول:

كلانا مظهر للناس بغضًا وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية: وكل مظهر في الناس.

وبعده :

وأسرار الملاحظ ليس تخفى وقد تغري بذي اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات.

وجاء في رواية:

وقد تغري بذي اللحظ الظنون

وبعده :

وكيف يفوت هذا الناس شيء وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول :

أظن هواها تاركي بمضلة من الأرض لا مال لدي ولا أهل[5]

ولا أحد أفضى إليه وصيتي ولا صاحب إلا المطية والرحل

---

(١) عسراء : يوم أعسر مشؤوم ، انظر: لسان العرب ، مادة [عسر] .

(٢) تَطَيَّر : الطيرة مضادة للفأل أى تشاءم ، انظر: لسان العرب مادة [طير] .

(٣)مليئ بالمصائب والبلايا. انظر: القاموس المحيط، مادة ، [حسر].

(٤) الأواطر: جمع وَطَر: البغية والحاجة. انظر: القاموس المحيط مادة [وطر].

(٥) مضلة: أرض يضل فيها الطريق. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضلل].

Marfat.com

محا حبها حب الأولى كن قبلها وحلت مكانًا لم يكن حل من قبل

وفي رواية: ولا وارث إلا المطية. والأولى أصح وأنسب لأن المطية لا ترث ، وتستصحب كما جاء في كلام العرب:

إن الحمار مع الحمار مطية وإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك: أن الصحبة في الأصل مجرد الاجتماع، وأما شدة المخالطة والمداخلة فصداقه . وخرج يوماً في سفر مع قوم، فأفضت به الطريق إلى مسلكين أحدهما يمر برهط[1] ليلى ولكنه يزيد مرحلة، فتقدم إلى القوم وسألهم أن يسلكوها أو يمكثوا له حتى يرجع، فأبوا عليه، فقال: أَنْشدُكُم الله لو أن شخصًا تحرَّم[2] بكم فَضَلَّ بعيرُه أكنتم تسعفونه.

قالوا: نعم.

فقال: إن ليلى لأعظم من ذلك.

وأنشد :

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذن لصبور

هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير

وللصاحب المبرور أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فأنها إذا وليت حكمًا علي تجور[3]

واستشهد شخصًا عن عروة بن حزام[4]، فأخبره بحاله وأنه مات براحة، فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق.

---

(١) رهط الإنسان: قومه وقبيلته. انظر: القاموس المحيط، مادة [رهط].

(٢) تحرم: تمنع وتحرم بذمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حرم].

(٣) تجور: تظلم. انظر: القاموس المحيط، مادة [جار].

(٤) عروة بن حزام، هو: ابن مهاجر الضنى، شاعر من بنى عذرة من متيمى العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء، نشأ معها فى بيت واحد وقد زوجت بأموى، فضنى حبًا ومات ودفن فى وادى القرى سنة (٣٠هـ). من آثاره : ديوان شعر. انظر: الأعلام (٢٢٦/٤)، معجم المؤلفين (٣٧٤/٢).

Marfat.com

وأنشد :

عجبت لعروة العذري أمسى أحاديثًا لقوم بعد قوم

وعروة مات موتًا مستريحًا وها أنذا أموت كل يوم

ولما اشتهر أمرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه أهلها الزيارة، وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش[1] ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها أخبار ليلى، فبلغ أهلها ذلك فزجروا المرأة، وجاء المجنون فأخبرته.

فأنشد متمثلاً بيت امرىء القيس[2] وضم إليه ثانيًا له:

أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

فلا تزجريني عنك خيفة كاشح إذا قال شرًا أو أخيف لبيب

ثم تركها، وكان يأتي غفلات الحي[3]، فلما علموا بذلك شكوه إلى مروان، فكتب إلى عامله بهدر دمه إذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك.

فأنشد :

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها عليَّ يمينًا جاهدًا لا أزورها

وأوعدني فيها رجال أبوهم أبي وأبوها خشنت لي صدورها[4]

على غير شيء غير إني أحبها وأن فؤادي عند ليلى سميرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقًا أدى لزوال عقله، فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها، وإنها جزعت لذلك جزعا أدى إلى سقمها فحج بها أهلها، فرآها ثقفي فخطبها إليهم، فأجابوا بعد أن ردوا جماعة، ونمي إلى المجنون ذلك.

---

(١) حريش : قبيلة من بنى عامر، من العدنانية ، واشتركت فى حرب الرحرحان ، ودخلت إلى الشام ، وانقرضت . انظر : معجم قبائل العرب (٢٦٧/١) .

(٢) امرؤ القيس، هو: ابن حجر بن الحارث الكندى، من بنى آكل المرار، شاعر يمانى الأصل اشتهر بلقبه، جعل يشبب ويعاشر الصعاليك وهو غلام صغير ، خطى شعره باهتمام كبار الأدباء ، جمع شعره كله فى ديوان صغير . توفى سنه (٨٠ق هـ).انظر : الأعلام (١١/٢) .

(٣) غفلات الحى: المكان الذى ليست عمارة فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [غفل].

(٤) خشنت: من خشن صدره، إذا أوغره. انظر: القاموس المحيط، مادة [خشن].

Marfat.com

فأنشد :

ألا أن ليلـــى العامريـــة أصبحـــت تقطـــع إلا مـــن ثقيـــف حبالهـــا
هـم حبسـوها محبـس البـدن وأبتغـي بهـا المـال أقـوام ألا قـل مالهـا
إذا ما التقت والعيس صفر من الثرى من العين جلـي عـبرة العـين حالهـا

هذا ما تظافرت به الأخبار.

وفي رواية:

إلا تلك ليلى العامرية أصبحت

وفيها :

والعيس صفر من البكا

وقد حرف هذا البيت.

وفي رواية الأغاني:

لقد حبسوها محبس البدن

وفي أخرى بعده :

خليلـي هـل مـن حيلـة تعلمانهـا فيدنـى بهـا تكليـم ليلـى احتيالهـا
فـان أنتمـا لم تعلماهـا فلسـتما بـأول بـاغ حاجـة لا ينالهـا
كـان مـع الركـب الذيـن اغتـدوا بهـا غمامـة صيـف زعزعتهـا شمالهـا
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى تحـث بـأطراف المحـارم آلهـا
بمنهلـة الجفـان هيـج شـوقها مجامعـة الآلاف ثـم رآلهـا
إذا التفتت من خلفها وهـي تعتلـي على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها، أنشد:

دعـوت إلهـي دعـوة مـا جهلتهـا وربـي بمـا تخفـي الصـدور خبـير
لئن كـان يهـدي بـرد أنيابهـا العـلا لا فقـر مـني انـني لفقـير
فقـد شـاعت الأخبـار أن قـد تزوجـت فهـل يـأتيني بـالطلاق بشـير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر إليه.

فأنشد:

ألا أيهـا البيـت الـذي لا أزوره وإن حلـه شـخص إليّ حبيـب

Marfat.com

هجرتــك اشــفاقًا وزرتــك خائفًــا وفيــك علــيّ الدهــر منــك رقيــب
سأســتعتب الأيــام فيــك لعلهــا بيــوم ســرور في الزمــان تــؤوب
وأفــردت افــراد الطريــد وبــاعدت بــي النفــس حاجــات وهــن قريــب
لئــن حــال واش دون ليلــى لربمــا أتــي اليأس دون الأمر فهو عصيــب
ومنيتــني حتــى إذا مــا رأيتــني علــى شــرف للنــاظرين يريــب
صــددت وأشمــت العــدوّ بصرمنــا أثــابك يــا ليلــى الجــزاء مثيــب

والبيتان الأولان لمحمد بن أمية ، هذا ما نقله ،والصحيح أن البيت الأول للمجنون، ذكر ذلك في **النزهة** وأقره في **تشريج الناظر** غير أنه قال في الثاني والثالث إنهما ليسا للمجنون.

وفيه وفي رواية هنا:

بيوم سرور وفي الزمان تثوب

والمعنى واحد . وبقي أبيات من هذه القصيدة أخرتها لأن لها حكاية .

وحين بَلَغَه نقلُها إلى الثقفي، أنشد:

كــان القلــب ليلــة قيــل يغــدى بليلــى العامريــة أو يــراح
قطــاة غرّهــا شــرك فبــاتت تجاذبــه وقــد علــق الجنــاح [1]
فــلا في الليــل نــالت مــا ترجــى ولا في الصبــح كــان لهــا بــراح

وفي تسريح الناظر عن الأمالي قال: اجتمع إلى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقدْ ذهبوا به حين بني الثقفي بليلى، فعزموا على أن يسافروا به متنزهين في أحياء العرب ليذهب ما به، فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دورًا والجنون دورًا، وهم يرْدون به كل منتزه ، ويعرضون عليه من بنات العرب كل من أجمع على حسنها، وإنهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب، فركب ابن عم له في طلبه ، فرآه عند مشرعة[2] وبين يديه ظبية لا حراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي، هذا ما في تسريح الناظر.

---

(١) قطاة: طائر فى حجم الحمام. انظر: لسان العرب، مادة [قطو].

(٢) مشرعة: مورد الماء، الذى يرده من يريد الشرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [شرع].

Marfat.com

زاد في نزهة المشتاق أنه كان ينشد:

أيـا شـبه ليلـى لا تخـافين إنـني لـك اليـوم مـن وحشـية لصديـق

فقال له: اذهب بنا، فلم يجب.

فقال: اذهب لنمر بليلى، فقام معه فلما جاء إلى أصحابه جلس متفكرًا لا يخاطبهم حتى جاء الليل، فلما كان السحر هبت نسمة وأبرق برق مما يلي حي ثقيف[1].

فأنشد:

طربت وشاقتك الهمول الدوامع غداة دعا بالبين أسفع نازع[2]

شجاه نعيًا بالفراق كأنه حريب سليب نازح الدار جازع[3]

فقلت إلا قد بين الأمر فانصرف فقد راعنا بالبين قبلك رائع

سقيت سماما من غراب فأنني تبينت ما أخبرت أذهو واقع [4]

ألم تر أني لا محب ألومه ولا ببديل بعدهم أنا قانع

ألم تر دار الحي في رونق الضحى بحيث انحنت للهضبتين الأجارع[5]

وقد يتناءى الإلف من بعد صحبة ويصدع ما بين الخليلين صادع

وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم زمانًا فلم يمنعهم البين مانع

كأني غداة البين ميت حوية آخر ظما سدت عليه المشارع

يخلص من أوصال ماء صبابة فلا الشرب مبذول ولا هو نافع

---

(١) ثقيف: قبيلة منازلها فى جبل الحجاز، بين مكة والطائف. وتنقسم إلى عدة بطون، مثل النمور، لمالة، بنى سالم. انظر: معجم قبائل العرب (١٤٧/١).

(٢) أسفع: من سفع: إذا لطمه وضربه. نازع: من نزعه، إذا خاصمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [سفع]، [نزع].

(٣) حريب: من حرب الرجل، إذا سلبه ماله وتركه بلا شيء. سليب: من سلبه الشيء، إذا انتزعه منه قهرًا. انظر: لسان العرب، مادة [حرب]، [سلب].

(٤) أذهو: من ذها، إذا تكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذها].

(٥) الأجارع، مفردها الأجرع وهى: رملة مستوية لا تنبت شيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [جرع].

Marfat.com

وبيـــض تطلـــى بالعبـــير كأنهـــا ... نعـاج الفـلا جيبـت عليهـا الـبراقع

تحملـن مـن وادي الأراك وأومضـت ... لهـــن بـــأطراف العيـــون المراتـــع

فما جئن ربع الدار حتى تشابهت ... هجائنهـا والجـون منهـا الجوامـع

وحتى حملن الجور من كـل جـانب ... وخاضت صدور الرقم منهـا الأكـارع

فلما استوت تحت الخدود وقد جرى ... عبـير ومسـك بـالعرانين رادع[1]

أشرن بأن حثوا الجمـال فقـد بـدا ... من الصيف يوم لاقـح الظـل مـانع

فلمـا لحقنـا بـالحمول تباشـرت ... بنـا مقصـرات عـاب عنهـا المطـالع

يعرضـن بـالدل المليـح وأن يـرد ... خبـاهن مشـغوف فهـن موانـع

فقلـت لاصحـابي ودمعـي مسـبل ... وقـد صـدع الشـمل المشتت صـادع

أليلـى بـأبواب الخـدور تعرضـت ... لعيـنيّ أم قـرن مـن الشـمس طـالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقًا شديدًا، ودخل عليه جماعة أو هـو أبـوه للعيـادة، فسمعوه ينتحب بأشد تحرق وتوجع.

وينشد:

ألا أيهـا القلـب الـذي لج هائمـا ... بليلـى وليـدًا لم تقطـع تمائمـه

أفق قـد أفـاق العاشـقون وقـد أبـى ... لمـا بـك ان تلقـى طبيبًـا تلائمـه

فمـا لـك مسـلوب العـزاء كأنمـا ... ترى نـأي ليلى مغرمًـا أنـت غارمـه[2]

أجـدك لا ينسـيك ليلـى ملمـة ... تلـم ولا ينتسـيك عهـدًا تقادمـه[3]

فاستتروا حتى أتم نشيده، ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فـزاد في الهيـام، ولمـا عوفي جعل يعاود موضعهـا ويتمـرغ في الـتراب ويبكـي إلى الليـل ، وعـزم على التوحش والخروج فراجـع ابـن عـم لـه في ذلـك، فكـان يعـزم عليـه أن لا يفعـل ويشاغله إلى أن بلغـه أن ليلـى دخلـت إلى جـارة لهـا فنضـت أثوابهـا واغتسـلت

---

(١) العرانين، مفرده عرنين وهو: الأنف، أو أول كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة [عرن].

(٢) مغرم: الغرامة، وهو الدين. انظر: لسان العرب، مادة [غرم].

(٣) الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا. انظر: لسان العرب مادة [لمم].

Marfat.com

ونظرت إلى نفسها ، وقالت: ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيمًا على غير استحقاق، فأنْشُدُكِ الله، أصادق هو في وصفي أم كاذب؟

فقالت: بل صادق، ثم خرجت من عندها، وعادت لأخذ سواك نسيته، فلما صار في يدها، قالت: سقى الله من أعطانيه .

فقالت لها جارتها: ومن أعطاكيه؟

قالت: قيس، فخرج هائمًا.

وأنشد :

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها ... قالت سقى الله منه منزلاً خربا

قالت لجارتها يومًا تسائلها ... لما استحمت والقت عندها السلبا[1]

يا حبذا راكبًا كنا نهش له ... يهدي لنا من أراك الموسم القضبا

ناشدتك الله ألا قلت صادقة ... أصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل: إنما كان خروجه من نظره إليها يوم رحَّلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء أن يسكن ما به، فزاع واختشى قومه أن يفتضح فيقتل لما تقدم من أنه كان قد هدر دمه إن دخل الحي، وحذر، فقال: الموت أولى، وخرج على وجهه.

وعن الهذلي[2]: عن رجل من بني عامر، وهو رباح بن سعد بن أثالة ، قال: خرجت إثر سماء أربعنا[3] بها وأحيت الأرض بعد الجذب، فبينا أنا بوادي القرى[4]أو الغيل [5] إذ لاح لي شخص إلى جانب حجر يبكي، فقصدته وسلمت عليه وإذا هو المجنون، فقلت: ما يبكيك؟

---

(١) السلب : ثياب المأتم السود . انظر: القاموس المحيط، مادة [سلب].

(٢) الهذلى ، هو: خويلد بن خالد، أبو ذؤيب. شاعر، مخضرم، أدرك الإسلام والجاهلية . وسكن المدينة، واشترك فى الغزوات والفتوح. توفى سنة (٢٧هـ). من آثاره : ديوان شعر. انظر: حاجى خليفة: (٧٧١)، والأعلام (٣٧٣/٢)، معجم المؤلفين (٢٧/٢).

(٣) أربعنا : المربع : الموضع الذى يقام فيه زمن الربيع خاص ، انظر: لسان العرب ، مادة [ربع].

(٤) وادى القرى : منخفض فى الحجاز بين الشام والمدينة. انظر: معجم البلدان (٣٩٧/٥).

(٥) الغيل : وادى بنى جعدة فى جوف العارض. انظر: معجم البلدان (٢٥٢/٤).

Marfat.com

فقال: هذا السيل، ثم تنفس الصعداء، ثم أنشد الأبيات التي وعدنا بها، وهي تمام القصيدة التي أولها :

آلا أيها البيت

وقيل: إنه أنشد القصيدة كاملة في هذا الوقت. وفي النزهة أن خالد بن كلثوم ضم هذه إلى تلك من عند نفسه، وإلا فالمجنون لم ينشدها إلا متفرقة وهي:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ وفاضت له من مقلتيّ غروب[1]
وما ذاك الا حين أيقنت أنه يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجًا دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكني أكناف نخلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب[2]
أظل غريب الدار في أرض عامر إلى كل مهجور هناك غريب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى إليّ وإن لم آته لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيبًا ولم يطرق إليك حبيب

وقيل: إن آخر مجلس للمجنون من ليلى، أنه لما اختلط عقله ومزق ما عليه وتوحش، جاءت أمه إليها، فأخبرتها بذلك وسألتها أن تزوره، فعساها أن تخفف ما به، فقالت: أما نهارًا فمتعذّر خيفة أهلي، وسآتيه ليلاً، فلما أمكنتها الفرصة، أتته وهو مطرق[3] يهذي فسلمت عليه.

ثم قالت له:

أخبرت أنك من أجلي جننت وقد فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه إليها وأنشد:

قالت جننت على رأسي فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع الإنسان في الحين

---

(١) الغروب: الدموع. انظر: لسان العرب، مادة [غرب].
(٢) أكناف : مفرده الكنف: الناحية والجانب. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنف].
(٣) مطرق : أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض .انظر: لسان العرب ، مادة[طرق] .

Marfat.com

زاد عليها في نديم المسامرة:

لو تعلمين إذا ما غبت ما سقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته، فهام من ثم مع الوحش، وقيل: سئل عن سبب خروجه، فقال: لقيتها يومًا، فشكيت إليها ما نزل بي من حبها، وقلت: إن لم ترحميني ذهب عقلي.

فقالت: هو المطلوب، فهمت لمرادها.

وقيل: كان هيمانه مقاصة[1] لقوله:

قضاها لغيرى وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم إن الأسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على أنها كانت من الغرام به والميل إليه أيضًا بمنزلة عظيمة .

حكى رباح بن عامر، وكان من الحريشيين، قال: دخلت من نجد أريد الشام فأصابني مطر عظيم، فقصدت خيمة رفعت لي، فإذا بامرأة، فسألتها التظليل، فأشارت إلى ناحية، فدخلت وقد أقبل رعاة وإبل وغنم كثيرة، ثم قالت للعبيد: سلوه من أين الرجل؟

فقلت: من نجد[2].

فتنفست الصعداء، ثم قالت: نزلت بمن فيها؟

فقلت: ببني الحريش[3].

وفي رواية: ببني جعدة [4] ، فرفعت ستارة كانت بيننا وإذا بامرأة كأنها القمر.

---

(١) مقاصة: القصاص : إذا اقتص له منه بحرص مثل جرحه إياه أو قتله به .انظر: لسان العرب مادة [قصص].

(٢) نجد : إقليم فى شرق السعودية، شرقى الحجاز، يمتد صحراء النفود الكبرى والربع الخالى. انظر: معجم البلدان (٣٠٣/٥).

(٣) بنو الحريش : بطن من العدنانية، وهم: بنو الجريش بن كعب بن ربيعة بن صعصعة. انظر: معجم قبائل العرب (١٨٥/١).

(٤) بنى جعدة : جعدت بنو كعب: بطن من عامر بن صعصعة، من العدنانية، كانوا يقطنون مقاطعة فلج باليمامة. انظر: معجم قبائل العرب (١٩٤/١).

Marfat.com

ثم قالت: اتعرف رجلاً فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون.

قلت: أي وا لله سرت مع أبيه حتى أوقفنى عليه وهو مع الوحش لا يعقـل إلا أن ذكرت له ليلى ، فبكت حتى أغمي عليها.

فقلت: مم تبكين و لم أقل إلا خيرًا.

فقالت: أنا وا لله ليلى المشؤومة عليه غير المساعدة له، أو قالت: غـير المكافئـة أو المواسية له.

ثم أنشدت:

ألا ليـت شـعري والخطـوب كثـيرة متـى رحـل قيـس مسـتقل فراجـع

بنفسـي مـن لا يسـتقل برحلـه ومـن هـو إن لم يحفـظ ا لله ضـائع

ولما أيس من ليلـى حـين ارتحلـت مـع زوجهـا واشـتد هيمانـه أجمـع قومـه أن يتقدموا إلى أبيه في حمله الى مكة فلعل ا لله أن يخفف عنه، ففعـل وسـار معـه ابـن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة علـى دوحـة تنـوح فوقـف المجنـون صاغيًـا لهـا وتخلف معه ابن عمه، فقال له: سر بنا فقد أبعد الرفاق، فتنفس الصعداء.

وأنشد :

أأن هتفـت يومًـا بـواد حمامـة بكيـت ولم يعـذرك بـالجهل عـاذر

دعت ساق حر بعدما غلت الضحى فهاج لك الأحزان أن ناح طـائر[1]

تغنى الضحى والصبـح في مرجحنـة كنـاف الأعـالي تحتهـا المـاء حـائر

كـان لم يكـن بـالغيل أو بطـن أيكـة أو الجزع من قول الأشـاءة حـاضر

يقـول زيـاد إذ رأى الحـي هجـروا أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر

وإنـي وان غـال التقـدم حـاجتي ملـم علـى أوطـان ليلـى فنـاظر

ودخل مكة فنظر إلى الناس وهم يدعون ربهم محرمين.

فأنشد:

دعـا المحرمـون ا لله يسـتغفرونه بمكـة وهنـا إن تمحـى ذنوبهـا

ونـاديت إن يـا رب أول سـؤلتي لنفسـي ليلـى ثـم أنـت حسـيبها

---

(١) غلت: من غلّ ، إذا دخل. انظر: لسان العرب، مادة [غلل].

Marfat.com

فإن أعـط ليلـى في حيـاتي لا يتـب إلى ا لله خلـــق توبـــة لا أتوبهـــا

فزجره أبوه عن ذلك، وأمره أن يدعـو ا لله أن ينسـيه ذكرهـا، وأخـذه حتـى أمسكه أستار الكعبة، ثم قال له: قل اللهم أنسني ذكرها وامـحِ مـن قلـبي حبهـا، فقال: اللهم اجمعني بها وارزقني حبها وزدني بها كلفًا وفيها تلفًا.

وأنشد مكملاً للأبيات السابقة:

يقـــر لعيـــني قربهـــا ويزيدنـــي بهـا عجبًا مـــن كـــان عنـــدي يعيبهـا
فكـم قـائل قـد قـال تـب فعصيتـه وتلـــك لعمـــري توبـــة لا أتوبهـــا
فيـا نفـس صـبر الست وا لله فـاعلمي بـأول نفـس غـــاب عنهـــا حبيبهـــا

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفًا يهتف بليلى، فخر مغشيًا عليه إلى الصبـاح، ثم أفاق متغيرًا حائل اللون.

وأنشد:

عرضـت علـى نفسـي العـزاء فقيـل لي مـن الآن فايـأس لا أعـزك مـن صـبر
إذا بـان مـن تهـوى وأصبـح تائبًـا فلا شيء أجدى مـن حلولـك في القـبر
وداع دعـا إذ نحـن بـالخيف مـن مـني فيهـج أحـزان الفـؤاد ومـا يـدري
دعـا بـاس ليلـى غيرهـا فكأنمـا أطـار بليلـى طـائرًا كـان في صـدرى
دعـا باسـم ليلـى ضلـل ا لله سـعيه وليلـى بـأرض عنـه نازحـة قفـر

ثم انساب منهم وكانت هذه سـياحته الكاملـة، فجعـل يقتـات بعشـب الـبر حتى طالت أظفاره وغطاه شعره فألفته الوحوش فكان يرد الماء معهـا، ثـم يهيـم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقوامًا وأرضًا ينكرها، فيقول أيـن جبـل توبـاد من بني عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم، فيقولون لـه: أيـن أنـت من توباد، ويعرضون عليه الثياب والطعام، فيأبى، ويقول: دلوني عليه، فيرحمونـه ويقولون له: اتبع نجم كذا يوصلك إليه ، فيمضي حتـى يقـع بـاليمن، فيكـون لـه مثل ذلك إلى أن يظفر أحيانا بالجبل، فينشد حين ينظره :

وأجهشـــت للتوبـــاد حـــين رأيتـــه وكـــبر لـــلرحمن حـــين رآنـــي[1]

---

(١) أجهشت: من جهش إليه: أى فزع إليه باكيًا. انظر: لسان العرب، مادة [جهش].

Marfat.com

وأذريت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته فدعاني[1]

فقلت له قد كان حولك جيرة ... وعهدي بذاك الصرم منذ زمان

وقلت له أين الذين عهدتهم ... بقربك في حفظ وطيب أمان

فقال مضوا واستودعوني ديارهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان[2]

وأني لا بكي اليوم من حذري غدًا ... فراقك والحيان مؤتلفان

سجالاً وتهتانًا ووبلاً وديمة ... وسحًا وتسجالاً وتنهملان[3]

وعن فتى من قيس أو هو رباح بن مالك قال: لما أخذ المجنون إلى مكة للاستشفاء، كما مر، مررت يومًا وإذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد همّ أن يلقي نفسه من جبل، فسألت عنه، فإذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا[4] نجد، فقلت: علام تحبسونه؟ قالوا: نخاف أن يجني على نفسه، ولو تقدمت إليه فأخبرته أنك من نجد أسكنت روعه، ففعلت فجعل يسألني عن موضع موضع ويبكي أحرّ بكاء.

ثم أنشد:

ألا حبذا نجد وطيب ترابها ... وأرواحها أن كان نجد على العهد

ألا ليت شعري عن عو يرضي قبا ... لطول الليالي قد تغيرتا بعدي[5]

وعن جارتينا بالنخيل إلى الحمى ... على عهدنا أم لم يدوما على العهد

وعن علو يات الرياح اذا جرت ... بريح الخزامى هل تهب على نجد[6]

---

(١) أذريت: من ذرى دمعه: أى صبه وأساله. انظر: لسان العرب مادة [ذرا].

(٢) الحدثان: الدهر. انظر: لسان العرب، مادة [حدث].

(٣) سجالاً: أى تارة له وتارة عليه.ووبلاً: شدة المطر. ديمة: مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. سحا: سال وأنصب بغزارة. تسجالاً: انصباب الماء بكثرة. تنهملان: من هملت العين، إذا سالت وفاضت بالدمع. انظر: لسان العرب، مادة [سجل]، [وبل]، [دام]، [سحا]، [سجل]، [همل].

(٤) صبا: ريح مهبها جهة الشرق. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

(٥) قبا : من قبا الشيء جمعه وضمه. انظر: لسان العرب، مادة [قبا].

(٦) علويات الرياح: أعالى الريح. الخزامى: نوع من أنواع النبات طيب الرائحة. انظر: لسان العرب، مادة [علا]، [خزم].

Marfat.com

وعن أقحوان الرمل ما هو صانع اذا هو اثري ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر أصوات هجمة تطالع من وهد خصيب إلى وهد[1]
وهل أنغضن الدهر أفنان لمتي على لاحق المتنين منذ لد الوخد

ومر يومًا على جبلي نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير، فقال لرفقة معه: هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى، قال: فأي الرياح تهب منه؟ قالوا: الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهب، فمضوا وتركوه، ثم عادوا بعد ثلاث فأقاموا معه حتى هبت.

فأنشد:

أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إليّ نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها[2]
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

قلت: قال في النزهة بعد ذكر هذه الأبيات: إن أبا الفرج بن الجوزي تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا، فأقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها، فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه، وطال بينهما الأمر، وأنها حضرت مجلس وعظه يومًا فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين، فتنفس الصعداء.

وأنشد:

أيا جبلي نعمان

الأبيات ، فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له، فحكت لبعض النساء ذلك، فمضين فأخبرنه ، فراسلها فأجابت فتزوج بها.

ومر يومًا بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيًا عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب، وسألوها أن تكلمه رقة عليه، فاستعذرت من الخوف، فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف و الاستعذار و إنها لولا الخوف لأتته ، فلما بلغته المرأة ذلك ثاب إليه عقله.

---

(١) هجمة: من هجم، إذا أتى الشيء على غفلة من الشخص. الوهد: الأرض المنخفضة. انظر: لسان العرب، مادة [هجم]، [وهد].
(٢) صميمها: الصميم: العظم الذى به قوام العضو. انظر: لسان العرب، مادة [صمم].

Marfat.com

وأنشد :

أقول لأصحابي هـي الشـمس ضوءها ... قريـــب ولكـــن في تناولهـــا بعـــد
لقـد عارضتنـا ريـح ليلـــى بنفحـــة ... على كبـدي من طيـب أرواحهـا بـرد
فما زلـت مغشيًا علـي قـد مضـت ... أنـاة ولا عنـــدي جـــواب ولا رد[1]
أقلـــب بـــالأيدي وأهلـــي تعولـــني ... يفدونـني لـو يسـتطيعون أن يفـــدوا
ولم يبـق الا الجلـــد والعظـــم عاريًـا ... ولا عظـم لي أن دام مـا بـي ولا جلـد
أدنيـاي مـا لي في انقطـاعي وغربـتي ... اليـك ثوابًـا منـــك ديـــن ولا نقـد
عديـني بنفســي أنـت وعـــدًا فربمـا ... جلا كربـة المكـروب عن قلبـه الوعـد
وقـــد يبتلـــي قـــوم ولا كبليـــتي ... ولا مثل وجدي في الشقاء بكـم وجـد
غزتـني جنـود الحـب من كـل جـانب ... إذا حـان من جنـد فقـول أتـــى جنـد

وسئل يومًا وهو حاضر من الغمرة[2]: ما أحسن ما رأيت؟

قال: ليلى.

فقيل له: ذلك معلوم وإنما نعني غيرها.

فقال: ما رأيت شيئًا غيرها وما ذكرتها إلا سقط من عيني إلا ظبيًا رأيته يومًـا فذكرت ليلى فزاد في عيني حسنًا ، فانطلقت أعـدو خلفـه حتـى كلـت رجـلاي وغاب عن عيني، فأخذت راحتي ثم انطلقت حتى وجدته، وقـد فتـك بـه ذئـب، فأخذت سهمًا وضربت به الذئب فلم يحـظ قلبـه، فشـققت بطنـه وأخرجـت مـا أكل فضممته إلى ما بقي من الظبي ودفنته.

وأنشد :

أبـــى الله ان يبقـــى لحـــي بشاشـــة ... فصـبرًا على مـا شـاء الله بـــي صـــبرا
رأيـت غـــزالاً يرتعـي وسـط روضـة ... فقلـت أرى ليلـى تـــراءت لنـــا ظهـــرا
فيـا ظبي كـل رغـــد هنيئًـا ولا تخـف ... فـانك لي جـار ولا ترهـــب الدهـــرا
وعنـدى لكـم حصـن حصـين وصـارم ... حســام إذا اعلمتـــه أحســـن العـــبرا

---

(١) الأناة: الانتظار والتمهل. انظر: لسان العرب، مادة [أنى].

(٢) الغمرة :الغفلة والمقصود : بعد ما أفاق من سكره. انظر:لسان العرب ، مادة [غمر].

Marfat.com

فمـا راعـني الأذويـب قـد انتحـى فـأعلق في أحشـائه النـاب والظفـرا
فبـوأت سـهمي في كتـوم غمزتهـا فخالط سهمي مهجـة الذئـب والنحـرا
فـاذهب غيظـي قتلـه وشـقى جـوى بقلـبي الحـر قـد يـدرك الوطـرا

واجتمع ، اليه النساء يومًا، فقلن له: أما آن لك أن تصرف عنك هوى ليلى ليرد إليك عقلك فإنها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر إحدانا.

فقال: لو ملكت لفعلت ولكني مغلوب.

فقلن: ما أعجبك منها؟

قال: كل شيء رأيته وسمعته.

فقلن: صفها .

فأنشد:

بيضـاء خالصـة البيـاض كأنهـا قمـر توسـط جنـح ليـل مـبرد
موسـومة بالحسـن ذات حواسـد أن الجمـال مظنـة للحسـد[1]
وتـرى مدامعهـا ترقـرق مقلـة سوداء تعرب عـن سـواد الأثمـد[2]
خـو إذا ذكـر الكـرام رأيتهـا تحمـي الحمـى وإذا تكلـم تقصـد

وقال له رجل من قومه: إنى قاصد حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها.

قال: نعم أنشدها إذا وقفت بحيث تسمعك هذه الأبيات:

ا لله يعلـم أن النفـس قـد هلكـت باليـأس منـك ولكـني أمنيهـا
منيتـك النفـس حتـى قـد أضـر بهـا وأبصـرت خلفًـا ممـا أمنيهـا[3]
وسَـاعَةٌ مِنْـكٌ ألهولهـا وَلـو قَصُـرَت أَشْـهَى إلَـيّ مِـن الدُّنْيَـا ومَـا فِيْهَـا

قال الرجل : فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت بحيث تسمع الأبيات، فبكت حتى غشى عليها.

---

(١) مظنة: مظنة الشيء، موقعه وموضعه الذى يظن وقوعه فيه. انظر: لسان العرب، مادة [ظنّ].
(٢) الإثمد: حجر يكتحل به. انظر: لسان العرب، مادة [ثمد].
(٣) خلفا: من خلف الوعد، إذا لم يفى به. انظر: لسان العرب، مادة [خلف].

Marfat.com

ثم قالت: أبلغه عني السلام وأنشده:

نفسي فِدَاؤُكَ لَوْ نَفْسِي مَلَكْتُ إذا ... ما كان غَيْرُكِ يُجزِيهَا ويُرْضِيهَا

صبرًا على ما قضاه الله فيك على ... مرارة في اصطباري عنك أخفيها

قال الرجل: فلما بلغته ذلك بكى حتى غشى عليه، ثم أفاق وهو يقول: عجبت لعروة العذري ، (البيتين السابقين في صدر القصة) ، ولما أيس أهله منه وخالط الوحوش أخذوا يحتالون على إصلاحه، فقال أبوه يومًا لشخص: أريد أن تمر به فتذكر له ليلى وأنك من عندها وأنها تذكره كثيرًا فإذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له أنها تشتمه وتنقصه فعساه أن يداخله كرهها .

قال الرجل: فمضيت حتى اجتمعت به و أعلمته بذلك حتى ذكرت أنها تشتمه. **فأنشد:**

تَمُرُ الصَّبَا صَفْحًا بسَاكِنِ ذي الغَضَى ... ويَصْدَعُ قَلْبِي أن يَهِبَ هُبُوبُهَا

إذا هَبَتِ الرِّيحُ الشَّمَال فإنَّها ... جوابي بما يُهْدي إليّ جَنُوبُهَا

قَرِيْبَة عَهدٍ بالحبيبِ وإنَّمَا ... هوى كلِّ نَفسٍ حَيْثُ كان حَبِيبُهَا

وحَسْبُ الليالي أن طرحنك مطرحًا ... بدار قلى تُمسِي وأنت غَرِيبُهَا[1]

حَلاَلُ لليلى شَتْمُنَا وانْتِقَاصُنَا ... هَنِيْئًا ومَغْفُورٌ لليلى ذُنُوبُهَا

هذا ما ذكر في الأصل.

وأنكر في النزهة ذلك، وقال: إن أبا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق.

وفي تسريح الناظر: أن الذي أمر الرجل بذلك زياد بن كعب أحد بني عم المجنون وهو الأوجه.

وقيل للمجنون يوماً: أتحب ليلى؟

قال: نعم حبًا خالط الدم ومازج الأعضاء.

قيل: فما يغني حبك لها وهي مريضة وأنت لا تعودها.

فتنفس الصعداء وأنشد:

يقولون ليلى بالصفاح مَرِيْضَةٌ ... فماذا إذا يغني وأنتِ صَدِيْقُ[2]

شَفَى الله مَرْضَى بالصفاحِ مَرِيْضَةٌ ... على كُلِّ شَاكٍ بالصفاح شَفِيْقُ

---

(١) طرحنك: من طرحه، إذا تركه ورماه وأبعده. انظر: لسان العرب، مادة [طرح].

(٢) الصفاح: موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة. انظر: معجم البلدان (٤٦٧/٣).

Marfat.com

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة: وكان واليًا على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبي. قال: قدمت على بني عامر لأخذ أموال الصدقة، فرأيت شخصًا عاريًا يلعب بالتراب، فأمرت له بثوب، فقيل لي: لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فإنه سيد الحي، ولكنه تولع بحب امرأة فصيرته هكذا.

قال: فقمت إليه وكلمته فلم يعقل.

فقيل لي: إن أردت أن يفهم ما تقول فاذكر له ليلى.

فقلت: أتحب ليلى؟

قال: نعم.

فقلت له: أتريد أن أزوجك بها؟

قال: أو ممكن ذلك.

قلت: نعم؟

فقال: يا له من جميل لو أن أهل الأرض شكروك معي لم يفوا، فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه بوعد منه إلى يوم مجتمع لهم ، فهم ليأخذه فأخبروه بإهدار السلطان دمه، فصرفه .

وقيل: هموا بقتله ، فصرفه إنما كان خوف الفتنة، **فقال المجنون له:** وا لله إنك لم تف بالوعد، ثم مزق ما عليه وانصرف. وفي الكتاب ما يشعر بأن القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من أن نوفلاً لم يزل من ذلك اليوم متطلبًا لأخبار المجنون جامعًا لأشعاره وأنه قدم سنة من السنين يسأل عنه، فقالوا: لم نعرف له خبرًا، فركب في طلبه حتى لاح له وراء أَراكة[1] بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفيًا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى. هذا ما في الأصل.

وفي نزهة المشتاق: أنه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفًا، وشكا ما به إلى شيخ كبير فى بنى سعدٍ ، فقال له الشيخ: إن للمجنون داية[2] يألفها وإنها تحمل له الطعام والخبز أحيانًا فيأكل منها ولو صحبتها لأمكن أن

---

(١) أراكة : واحدة الأراك وهو شجر السواك ، انظر :لسان العرب ، مادة [أدرك] .

(٢) الداية :المرضعة لغير ولدها انظر : لسان العرب مادة [دوى] .

Marfat.com

تظفر به ففعل ، فهرب المجنون منهما، فرجع وأخبر الشيخ، فقال لـه الشيخ: قد قرأت في سالف الأخبار أن سلطانًا قال لوزيره: أخبرني عن أعظم رائحة وأقوى لذة وأشد حافر على الأرض وقد أمهلتك ثلاثًا فإن لم تجب جللتك[1] بالسيف.

فمضى مهمومًا وكان له ابنة قد اتخذت قصرًا مفتوحًا إلى الأربع جهات على قارعة الطريق للنزهة، فلما رأت ما بأبيها استعطفته حتى أخبرها، فاستسهلت الأمر وقالت له: إذا عدت إليه من الغد فأخبره أن أقوى رائحة، رائحة الخبز، وأعظم الأشياء لذة الجماع، وأشد حافر على الأرض البغال، فلما أعلمه قال له: أخبرنى من أين لك ذلك؟ فصدقه الأمر، فاستحضر البنت، وقال لها: لئن لم تخبريني عن تعليل ذلك وإلا ضربت عنقك فإنك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع، فقالت: أيد ا لله الملك إن قصري منفتح للأهوية فلم أجد من لدن قطنت[2] به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز و لم يتحرك جدار القصر من شيء غير البغال، وأما الجماع فإنني أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن إليه.

والرأى عندي أن تصنع خبزًا وتجعله في طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فإنه يقف لبعد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنسًا. قال الرجل: فمضيت وعملت برأي الشيخ وطيبت الخبز بالأفاويه حتّى إذا أقبل ولمحته من خلال الأراكة كشفت الخبز، وَصَعِدَتْ لتشرب الظباء فشربن وسرن ووقف يشم الرائحة.

فأنشد من الشجرة :

أَتبكي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وشعبًا كما معا

فاندفع يقول:

فَمَا حُسْنُ أَنْ يَأْتِيَ الأمرُ طائعًا وَتجْزَعَ أَنْ دَاعِي الصَبَابَةِ أَجْزَعا

بَكَتْ عيني اليسرى فلما زَجَرتُها على الجهلِ بعد الحلمِ اسبلتا معا

---

(١) جللتك: أذهبت نفسك وقتلتك .انظر: لسان العرب ، مادة [جلل] .

(٢) قطنت : أقمت به وتوطنتُ : انظر لسان العرب مادة [قطن] .

Marfat.com

وأذْكُـــر أيّـــامَ الحِمَـــى ثُـــمَّ انثـــني ... على كبدي من خَشْيَةِ أن يُصْدَعَا[1]

فَلَيْسَـــتْ عَشِـيَّاتُ الحِمَـى بَرِوَاجـــعٍ ... إليـك ولكـن خـل عَيْنَيْـكَ تدمعـا

معي كـل عـز قـد عصـى عاذلاتـه ... بوصل الغواني من لـدن أن ترعرعـا[2]

إذا راح يمشي في الرِداءَيْـن أَسْـرَعَتْ ... إليـه العيـونُ النّـاظَراتُ تطلعـا

ثم سقط مغشيًا، فتمثلت بقوله:

يا دارُ ليلـى بِسِـقْطِ الحَـيِّ قَـدْ دَرَسَـتْ ... إلا الثمـام وإلا موقـد النـار[3]

أَبْلَـى عِظَـامَكَ بَعْـدَ اللحْـمِ ذِكْرِكَهـا ... كمـا ينحـت قـدح الشـوحط البـاري

مـاتفتئوا الدَّهْـرَ مـن ليلـى تمـوت كـذا ... في موقـف وقفتـه أو علـى داري

فرفع رأسه، وقال: من أنت حياك الله؟ فقلت له: نوفل ، أَخْبِرْني ما صَنَعْـتَ بعدى.

فأنشد :

إلا حجبت ليلى

الأبيات ، ثم أخذ يفاوضنى في الكلام حتى سنح له قطيع ظبـاء فطفـق يعـدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعد.

قلت: وفي النزهة: أنه تطلبه مرة أخرى غير هـذه فوجـده بـين حجريـن ميتًـا فأخذه ودفنه، وسيجيء ذكر ما رأى لـه مـن الأشـعار منقوشًـا في الـتراب أورده آخر القصة على النمط السابق في غيره.

ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها، فعزم عليهما أن يطلقاهـا، فأبيـا عليـه، فأطلقها بشاة من غنمه.

وأنشد :

شـريت بكبـش شـبه ليلـى ولـو أَبَـوْا ... لأعطيـت مـالي مـن طَرِيْـف وتَـالِدِ[4]

---

(١) الحمى: ما يحمى ويدافع عنه. انظر: لسان العرب، مادة [حمى].

(٢) عاذلاته، جمع العاذل وهو الشخص الذى يلوم الآخرين. انظر: لسان العرب، مادة [عذل].

(٣) الثمام ، جمع الثمة : القبضة من الحشيش . انظر : لسان العرب، مادة [ثمم].

(٤) الطريف: المال الحديث. التالد: المال القديم. انظر: لسان العرب، مادة [طرف]، [تلد].

Marfat.com

فيـا بـائعي شـبها ليلـى قتلتمـا وجنبتمـا مـا نالـه كُـلُّ عَـايِدِ
فلـو كنتمـا حُرَّيْـن مـا بعْتُمَـا فَتَـىً شـبيهًا لليلـى بَيْعَـة المُـتَزَايِدِ
واعْتَقْتُمَاهَـا رغبـة في ثَوَابِهَـا ولم تَرغَبَـا في نَـاقِصٍ غَـيْرَ زائِـدِ

وقيل: إن الرجلين أخوه وابن عمه ، وإنه أنشدهما متعرضًا لبخلهما :

يـاأخوى اللَّذَيْـنِ اليـوَم قـد أَخَـذَا شـبهًا لليلـى بَحَبْـلٍ ثـم غلاهـا
إنّـي أَرَي اليَـوْمَ في أَعْطَـافِ شـاتكما مشـابهًا أَشْـبَهَتْ ليلـى فحلاهـا

وإنه عرض عليهما القتل حين أبيا إفلاتها لأنه كـان أجلـد منهمـا، وفي روايـة فداها بقلوص[1] ولما ذهبت تعدو أنشد أيا شبه ليلى الأبيات وزاد هنا:

فَعَيْنَـاكِ عَيْنَاهَـا وجِيْـدك جِيْدُهـا وَلَكَـن عَظْـمَ السّـاقِ مِنْـكِ رَقِيْـقُ

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفي إحداها: يا صاحبي اللذين وهو أسلم من الزَّحَاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره . وأما مـا قيـل مـن أنـه مـر بزوج ليلى وهو في حي بني عامر عند ابن عم له يصطلي[2] فوقف على رأسه.

وأنشد:

برَبـكَ هَـلْ ضَممْـتَ إليـك ليلـى قبيـلَ الصُّبْـح أو قَبلْـتَ فَاهَـا
وهـل زُفَّـتْ عليـك قُـرُونُ ليلـى زَفِيـفَ الأقْحُوانَـةِ في نَداهَـا

فقال: أما إذا حلفتنى، فنعم ، فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديـه وسـقط مغشيًا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغمومًا. وما قيـلٍ أيضًـا مـن أن أبا المجنون طرقه[3] ضيوف ليلاً فأرسله إلى أبي ليلى ليقترض منه سمنا ، فأمرهـا أبوها أن تخرج إليه بنحى[4] فتملأ وعاءه، فجعلت تسكب فيـه ويتحادثـان حتـى غرقت أرجلهما وأنه جاء ليلة أخرى يستقبسها نارًا، فخرجت إليه بقضبـة فكـان يتحدث معها ويقطع من بُرد[5] عليه يغلف به النار، وكلما احترقت قطعـة أخـذ

---

(١) القلوص : أول ما يركب من إناث افبل إلى ان تثنى ، فإذا أثنت فهى ناقة .
(٢) يصطلى: من اطصلى: استدفأ، طلب الدفء. انظر: لسان العرب، مادة [صلى].
(٣) طرقه: أى أتاه ضيوف ليلاً. انظر: لسان العرب، مادة [طرق].
(٤) النحى: جرة فخار يجعل فيها اللبن ليمخض. انظر: لسان العرب، مادة [نحى].
(٥) البرد: ثوب مخطط. انظر: لسان العرب، مادة [برد].

Marfat.com

أخرى حتى صار عريانًا ، فلم يصح إسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ما قيل من أن جنونه كان مجازاة لقوله: (قضاها لغيري) أو لسماع هاتف.

أنشده:

كِلاَنَا مُغْرَمٌ في حُبِّ ليلى بفيّ وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله، وأما حال موته فالصحيح ما قدمناه، وقيل: إن رجلاً شاميًا كان مغرمًا بأشعاره وأشعار قيس بن ذريح، قدم للاجتماع به أو الرجل من بني جعدة أو مُرَّة أو هو الصباح بن عامر الكفاني، أقوال، فسأل أهله عنه فأخبروه أنه متوحش من الإنس إلا صديقًا له يذهب إليه في كل يوم يكتب ما يقول من الأشعار، وداية تذهب إليه بطعام، فمضى إليهما يسألهما الحيلة في الاجتماع عليه، فقالا له: اقصده في موضع كذا فستجده جالسًا عند خط حوله التراب وهو يعبث بأصابعه فيه، فإذا رآك أخذ الأحجار وهمّ بضربك، فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد ما يحضرك من شعر قيس فإنه مغرم به فإذا فعلت بلغت ما تريد منه، فمضى الرجل يقتفي أثره حتى وجده على ما وصف فلما أنس به قال رحم الله قيسًا حيث يقول:

نَبِيْتُ ونَضْحَي كُلَّ يَوْمٍ وليلةٍ على منهج تَبْكِي عليه القَبَائِل[1]
قَتِيل للبَنَى صَدع الحُبُّ قَلْبَهُ وفي الحُبِّ شغل للمحبين شَاغِلُ

فقال: أنا والله أشعر منه حيث أقول:

سَلَبَتْ عِظَامِيَ لحمها فتركتها معرّقةً تضحى إليه وتَضْجرُ
وأخليتها من منحها وكأنها قَوارِيْرُ في أجَوافِها الريحُ تَصْفِرُ
إذا سَمِعَتْ ذِكْرَ الفِرَاقِ تَقَطَّعَتْ علائِقُهَا لمّا تَخَافُ وتَحْذَرُ[2]
خُذِي بيدي ثم انْهَضِي بي تَبَيَّني بِيَ الضُّرّ إلا أَنَّنِي أتَسَتَّرُ

ثم انساب يعدو وفارقته، فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة وأنشدت قول قيس:

تبادر أم تروح غداً رداحا وَلَنْ يَسْتَطِيعَ مرتهن براحا

---

(١) المنهج: الطريق الواضح. انظر: لسان العرب، مادة [نهج].

(٢) علائقها: العلائق، ما يعلق الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [علق].

Marfat.com

سـقيم لا يُصَـابُ لـه دوَاءَ ... أَصَـابَ الحُـبُّ مُقْلَتَـه فباحـا
وعَذَّبَـهُ الهَـوى حَتَّـى بَـرَاه ... كمـا ألقيـت بالسـفن القداحـا[1]
فكـاد يذيقـه جَـرَعَ المَنايَـا ... ولـو أَسْـقَاه ذلـك لاسْـتَرَاحَا

فقال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فَمَـا وُجـد مَغْلُـوب بِصَنْعَـاء مُوَثَّـقٌ ... لساقيه مـن ثقـل الحديـدِ كُبُـولُ[2]
قَلِيْـلُ المـوالي مسـتهام مـروعٌ ... لـهَ بعْـدَ نومـات العشـاء عَوِيْـلُ
يقـول لـه الحـداد أنـت مُعَـذَّبُ ... غَـداةَ غَـدٍ ومسـلم فقتيـل
بَـأَعْظَمَ مِنِّـي رَوْعَـةً يـومَ راعَنِـي ... فِـرَاقُ حَبِيْـبٍ مـا إليـه سَـبِيْلُ

ثم فعل فعلته بالأمس وعاودته، فقلت: أحسن وا لله قيس حيث يقول :

ألا يَـا غُـرَابَ البَيْـنَ وَيحـكَ أَنْبِـني ... بِعِلْمِـكَ في لَبْنَـى وأَنْـتَ خَبِـيْرُ
فَـإنْ أَنـتَ لم تخْـبُر بِشَـيء عَلِمْتَـه ... فَـلاَ طـرت إلا والجِنَـاحُ كَسِـيْرُ
ودرت بـأعداءِ حَبِيْبِـكِ بينهـم ... كمـا قَـدْ تَرانِـي بـالحبيبِ أَدُوَر

وفي رواية ابن الأعرابي :

ألا يـا غُـرَابَ البَيْـنَ هـل أنـت مخْـبِرِي ... بخَـيرٍ كمـا خَـبَّرْتَ بالنـأي والشَّـر
وَخَـبرْتَ أَنْ قَـدْ جَـدَّ بَيْـنُ وقَرَّبُـوا ... جمـالاً للبـني مُثْقَـلاتٍ مـن العـذر
وهجـت فـدى عـين للبنـى مريضـة ... إذا ذكـرت فـاضت مَدَامعُهَـا تَجْـري
وقلـت لَـذَاكَ الدهـر مـا زال فاجعًـا ... صَدَقْتَ وَهَلْ شَـيء بـاقٍ على الدَّهْـر

فقال له المجنون: أحسن وا لله ولكني أشعر منه حيث أقول: **كأن القلب...** البيتين فأمهلته حتى فرغ . ثم قلت: وأحسن قيس أيضًا حيث يقول:

وإني لمفن دمع عيني بالبكا

الأبيات السابقة في قصة قيس قال: فبكى حتى ظننت أنه فاضت نفسه، ثم قال: أحسن وا لله وأنا أشعر منه حيث أقول:

---

(١) القداح: الدود الذى ينخر فى الشجر، أو فى الأسنان. انظر: لسان العرب، مادة [قدح].
(٢) الكبول: القيود. انظر: لسان العرب، مادة [كبل].

Marfat.com

وادتيتـــني حتـــى إذا مـــا ســـبيتني بقـول يحـل العصـم سَـهل الأبَـاطِحِ[1]
تنـــاءيت عـــني حـــين لا لى حيلـــة وغـادرت مـا غـادرت بـين الجوانـح

وقال: ولم أزل أعاوده أكتب ما يقول، إلى أن تطلبته فوجدته بين أحجار ميتًا وفي رواية أن هذا الرجل لم يجتمع به ، وأخرى رآه ميتًـا محمـولاً قـد دلـت عليـه دايته و أنه لم يكتب أشـعارًا إلا مـن عنـد صديقـه المقـدم ذكـره بالجملـة فمحـل الإجماع أنه وجد ميتًا فاحتمل وغسـل ودفـن وحضـر جنازتـه جميـع بـني جعـدة وسعد والحريش ، وحضر أبو ليلى فأظهر جزعاً شـديدا وتنصـل واعتـذر بأنـه لم يعلم أن أمره يقضي إلى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العـار وزوّجـه، ولمـا غسـل وجدوا رقعة مكتوبًا فيها:

ألا أيهـا الشـيخ الـذي مـا بنـا يرضـى شقيت لاهنئت من عيشـك الخفضـا[2]
شـــقيت كمـــا أشـــقيتني وتركتـــني أهيـم مـع الهـلاك لا أطعـم الغمضـا
كـــأن فـــؤادى في مخـــاليب طـــائر إذا اذكـرت ليلـى يشـد بـه قبضـا
كـأن فجـاج الأرض حلقـة خـاتم علـى فمـا تـزداد طـولاً ولا عرضًـا

وقيل: إن ليلى توفيت قبله و إنه سمع هاتفًا يقول

أمنعيـــة بـــالموت ليلـــى ولم تمـــت كـــأنك عمـــد أظلـــك غـــافل

فسقط ميتًا، وهذا أمر يتعذر الوصول إلى تحقيقه وله أشعار كثيرة بـلا أسـباب من محاسنها قوله:

أتـاني هواهـا قبـل أن أعـرف الهـوى فصـــادف قلبًـــا فارغًـــا فتمكنـــا

ومنها :

تقـول العـدا لا بـارك الله في العـدا تقـاصر عـن ليلـى ورثـت رسـائله
ولو أصبحت ليلـى تـدب علـى العصـا لكـان هـوى ليلـى جديـدًا أوائلـه

---

(١) الأباطح، جمع مفرد الأبطح: مسيل واسع فيه رمل وحصى صغير. انظر: لسان العـرب، مـادة [بطح].

(٢) الخفض: لين العيش وسعته. انظر: لسان العرب، مادة [خفض].

Marfat.com

ومنها:

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ومن بين رمسينا من الأرض منكب[1]

لظل صدى رمسي وأن كنت رمه لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت: قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول ثوبة في ليلى الأخيلية:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندل وصفائح[2]

لسلمت تسليم البشاشة أو زفا إليها صدى من جانب القبر صائح[3]

أقول: وفحوى الكلام أن قول المجنون أبلغ لأن تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام ثوبة من الثاني ، ويمكن نقل هذا إلى مبحث حُكمي وعكس كلام صاحب النزهة. فقد أجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بأن استلذاذ الأرواح و إدراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية أشد وأقوى فتأمله.

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها بأبوابه حيث استجار حماها

لمست ثيابي إن قدرت ثيابها ولم ينهني عن مسهن حمامها

ولو شهدتني حين تأتي منيتي جلا سكرات الموت عنى ابتسامها

ومنها:

أقول لإلف ذات يوم لقيته بمكة والأنضاء ملقى رحالها[4]

بربك أخبرني ألم تأثم التي أضر بجسمي من زمان خيالها

فقال بلى وا لله سوف يمسها عذاب وبلوى في الحياة تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة سريع إلى جيب القميص أنهمالها

عفا الله عنها ذنوبها وأقالها وإن كان في الدنيا قليلاً نوالها[5]

---

(١) المنكب: المكان المرتفع من الأرض. انظر: لسان العرب، مادة [نكب].

(٢) الجندل: الصخر العظيم. انظر: لسان العرب، مادة [جند].

(٣) زفا:نقل الشيء من مكان إلى مكان. انظر: لسان العرب، مادة [زفى].

(٤) الأنضاء، مفردها نضو: المهزول من الحيوان. انظر: لسان العرب، مادة [نضو].

(٥) أقالها:رفعها. إذا رفعه. انظر: لسان العرب، مادة [قيل].

Marfat.com

ومنها:

واحبس عنك النفس والنفس صبة ... بذكراك والممشى اليك قريب[1]

مخافة أن يسعى الوشاة بظنة ... واحرسكم إن يسترب مريب

لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها ... وكنت أعز الناس عنك تطيب[2]

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل ... لك الدهر مني ما حييت نصيب

أما والذي يبلوا السرائر كلها ... ويعلم ما تبدي به وتغيب

لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة ... لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها:

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة ... أعالجها لا استطيع لها ردا

إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا ... وجدت لمسراها ومنسمها بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى ... ندوبًا وبعض القوم يحسبني جلدا

وإني يماني الهوى منجد النوى ... سبيلان القي من خلافهما جهدا

سقى الله نجدًا من ربيع وصيف ... وما ترجى من ربيع سقى نجدا

بلى إنه قد كان للعيش مدة ... وللعيس والركبان منزلة حمدا

أبى القلب أن ينفك من ذكر نسوة ... رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا

إذا رحن بسجين الذيول عشية ... ويقتلن بالالحاظ أنفسنا عمدا[3]

مشا عيطلات رجح بحضورها ... روادف وعثاث ترد الخطا ردا[4]

وتهتز ليلى العامرية إذ مشت ... ولاثت بثوب القز ذا غدر جعدا[5]

إذا حرك المدرى ضفائرها العلا ... مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

---

(١) صبة: مشتاقة. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

(٢) اخترمتها: أهلكة . انظر: لسان العرب، مادة [خرم].

(٣) الذيول: الهوان والذل. انظر: لسان العرب، مادة [[ذال].

(٤) عيطلات: من العيطل: الطويلة العنق فى حسن. رجح: هززه وذبذبه. عثاث: العثة من النساء: الضئيلة الجسم. انظر: لسان العرب، مادة [عطل]، [رجح]، [عث].

(٥) الجعد : اللئيم . انظر : لسان العرب ، مادة [جعد].

Marfat.com

ومنها:

أبـــى القلـــب الأحبـــة عامريـــة لها كنيـة عمـرو وليـس لهـا عمـرو
تكـاد يـدي تنـــدى اذ مـــا لمســـتها وتنبـت في أطرافهـا الـورق الخضـر

ومنها:-وقد ضعف- فعاده الناس و لم تعده ليلى فأنشد :

إلا مـا لليلى لا تـرى عنـد مضجعـي بليـــل ولا يجـــري بذلـــك طـــائر
بلى إن عجـم الطـير تجري إذا جـرت بليلـى ولكـن ليـس للطـير زاجـر
أزالـت عـن العهـد الـذي كـان بيننـا بـذي الأيـك أم قـد غيرتهـا المقـادر
فـوا الله مـا في القـرب لي منـك راحـة ولا البعـد يســليني ولا أنـا صـابر
ووا الله مـــا أدرى بأيـــة حيلـــة وأي مـــرام أو خطـــار أخـــاطر[1]
وتـــا الله إن الدهـــر في ذات بيننـــا علـــيّ لهـــا في كـــل حـــال لجـــائر
فلو كنـت إذ أزمعـت هجـري تركـت لي جميـع القـوى والعقـل مـني وافـر
ولكـــن أيـــامي بحقـــل عنـــيزة وبـــالردم أيـــام حباهـــا التجـــاور[2]
وقـد أصبـح الـود الـذي كـان بيننـا أمـــانيّ نفـــس والمؤمـــل حـــائر
لعمـري لقـد كـدرت يـا أم مـالك حيـــاتي وســـاقتني اليـــك المقـــادير

ومنها:

فـوا كبـدي من حـب مـن لا يحبـني ومـــن زفـــرات مـــا لهـــن فنـــاء
أريتـك إن لم أعطـك الحـب عـن يـد ولم يـــك عنـــدي إذ أبيـــت ابـــاء
أتـــاركتي للمـــوت أنـــت فميـــت ومـــا للنفـــوس الخائفـــات لقـــاء

ومنها:

وجـــاءوا اليـــه بالتعـــاويذ والرقـــي وصبـــوا عليـــه المـــاء مـــن ألم النكـــس
وقـالوا بـه مـن أعـين الجـن نظـرة ولـو عقلـوا قـالوا بـه نظـرة الأنـس

---

(١) المرام : جمع مرمى : مكان الرمى .خطار: جمع الخطـر: وهـو مـا يراهـن عليـه. انظـر: لسـان العرب مادة، [رمى]، [خطر].

(٢) الردم: ما يسقط من الحائط المتهدم، أو السد. انظر: لسان العرب، مادة[ردم] .

Marfat.com

ومنها:

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فأنتم شغلي
وأري جليسي إذ يحدثني ... إن قد فهمت وعندكم عقلي

ومنها:

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى ... بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها ... وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى ... لأخرى سواها أكثرت أم أقلت

ومنها:

ذكرت عشية الصدفين ليلى ... وكل الدهر ذكراها جديد
عليّ ألية إن كنت أدرى ... أينقص حب ليلى أم يزيد

ومنها:

ياويح من أمسى تخلس عقله ... فأصبح مذهوبًا به كل مذهب[1]
خليًا من الخلان إلا معذرا ... يضاحكني من كان يهوى تجنبي
إذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت ... روائع عقلي من هوى متشعب[2]
وقالوا صحيح ما به طيف جنة ... رلا الهم الابافتراء التكذب
تجنبت ليلى إذ يلح بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا إنما غادرت يا أم مالك ... صدى أينما يذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ... بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها إذا قذفت بها ... من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرّب

ومنها:

واني لمجنون بليلى موكل ... ولست عزوفًا عن هواها ولا جلدا
إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة ... لتذكارها حتى يبلى البكا الخدّا

---

(١) تخلس: من خلس: إذا سلب. انظر: لسان العرب، مادة[خلس].
(٢) روائع: من راع، إذا أصابه الخوف والفزع. انظر: لسان العرب، مادة[راع].

Marfat.com

ومنها:

ألا يـا حمـام الأيـك مـالك باكيًـا ... أفـارقت إلفًـا أم جفـاك حبيـب

دعـاك الهـوى والشـوق لمـا ترنمـت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب[1]

تجـاوب ورقـا قـد أذن لصوتهـا ... فكـل لكـل مسـعد ومجيـب

ومنها :

لقـد غـردت في جنـح ليـل حمامـة ... علـى إلفهـا تبكـي وإنـي لنـائم

كذبـت وبيـت الله لـو كنـت عاشـقًا ... لمـا سـبقتني بالبكـاء الحمـائم

ومنها :

إذا قربـت داري كلفـت وإن تـأت ... أسفت فـلا بـالقرب أسـلو ولا البعـد

وان وعـدت زاد الهـوى لانتظارهـا ... وان بخلـت بـالوعد مـت علـى الوعـد

ففـي كـل حـب لا محالـة فرحـة ... وحبـك مـا فيـه سـوى محكـم الجهـد

ومنها: وهو كما قال في النزهة من الأشعار التي قيلت على الأوهام، قـال: لمـا حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النـوم ويعـاتب امـرأة حاضرة، فقيل له في ذلك، فحلف أن ليلى كانت إلى جانبه في هذا الوقت.

ثم أنشد:

طرقـك بـين مسـبح ومكـبر ... بحطيـم مكـة حيـث كـان الأبطـح

فحسـبت مكـة والمشـاعر كلهـا ... وجبالهـا بـاتت بمسـك تنفـح

ومنها :

لئـن نزحـت دار بليلـى لربمـا ... عنينـا بخـير والزمـان جميـع

وفي النفـس مـن شـوقي إليـك حـرارة ... وفي القلب من وجدى عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي أطـول قصيـدة أنشـدها وواظـب عليهـا، قيل: إنه كان يحفظها دون أشعاره، وإنه كان لا يخلو بنفسـه إلا وينشـدها وهـي من محاسن الأشعار، وأرقها لفظًا، وأعذبها سبكًا، وألطفها شجوًا، وأبلغها نسـيبًا

---

(١) ترنمت: غنت غناء حسناً. انظر: لسان العرب، مادة[رنم].

Marfat.com

وغزلاً تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها اختلاف كثير، أحسنه :

تذكـرت ليلـــى والســـنين الخواليـــا ... وأيـام لا أعـدى علـى الدهـر عاديًـا
ويـوم كظـل الرمـح قصـرت ظلـه ... بليلـى فلهـاني ومـا كنـت لاهيـا
فيا ليـل كـم مـن حاجـة لي مهمـة ... إذا جئتكـم بـالليل لم أدر مـا هيـا
خليلـــيّ ألا تبكـــي لي ألتمـــس ... خليـلاً إذا أنزفـت دمعـي بكـى ليـا
فمـا أشـرف الايفـاع إلا صبابـة ... ولا أنشـد الأشـعار إلا تداويـا[1]
وقـد يجمـع الله الشـتيتين بعدمـا ... يظنـان كـل الظـن أن لا تلاقيـا
لحـي الله أقـوام يقولـون إننـا ... وجدنـا طـوال الدهـر للحـب شـافيا
وعهـدي بليلـى وهـي ذات مؤصـد ... تـرد علينـا بالعشـي المواشـيا
فشب بنـو ليلـى وشـب بنـو ابنهـا ... وأعـلاق ليلـى في فـؤادي كمـا هيـا
إذا مـا جلسـنا مجلسًـا نسـتلذه ... تواشـوا بنـا حتـى أمـل مكانيـا[2]
سـقى الله جـارات لليلـى تبـاعدت ... بهـن النـوى حيـث احتللـن المطاليـا
بتمريـن لاحـت نـار ليلـى وصحبـتي ... بقـرع العصـا ترجـى المطـى الحوافيـا
فقـال بصـير القـوم لمحـة كوكـب ... بـدا في سـواد الليـل مـن ذي يمانيـا
فقلـت لهـم بـل نـار ليلـى توقـدت ... بعليـا تسـامى ضوؤهـا فبـدا ليـا
خليلـي لا وا لله لا أملـك الـذي ... قضـى الله في ليلـى ولا مـا فضـى ليـا
قضاهـا لغـيري وابتلانـي بحبهـا ... فهـلا بشـيء غـير ليلـى ابتلانيـا
وخبرتمـاني ان تيمـاء مـنزل ... لليلـى إذا مـا الصيـف ألقـى المراسـيا
فهذي شهور الصيف عنا قـد انقضـت ... فمـا للنـوى ترمـي بليلـى المراميـا
فلـو أن واش باليمامـة داره ... وداري بـاعلى حضـر موت أتـى نيـا
ومـاذا لهـم لا أحسـن الله حـالهم ... مـن الحـظ في تصريـم ليلـى حباليـا

---

(١) الإيفاع: من يفع: إذا ترعرع الغلام وناهز البلوغ . انظر: لسان العرب، مادة[يفع].
(٢) تواشوا: تناقلوا الكلام بينهم كذبًا. انظر: لسان العرب، مادة[وشى].

Marfat.com

وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل ... بي النقض والإبرام حتى علانيا[1]

فيا رب سوّ الحب بيني وبينها ... يكون كفافًا لا عليّ ولا ليا

فما طلع النجم الذي يهتدى به ... ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا

ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا ... سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا

ولا سميت عندي لها من سمية ... من الناس إلا بل دمعي ردائيا

ولا هبت الريح الجنوب لأرضها ... من الليل إلا بت للريح جانبا

فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها ... عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا

فاشهد عند الله اني أحبها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشوق مني والغرام قضى ليا

وأن الذي أملت يا أم مالك ... أشاب فؤادي واستهان فؤاديا

أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهرًا لا أعد الليالیا

واخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالليل خاليا

أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وان كان المصلي ورائيا

وما بي إشراك ولكن حبها ... وعظم الحوى أعيى الطبيب المداويا

أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... واشبهه أو كان منه مدانيا

خليليّ ليلى أكبر الحاج والمنى ... فمن لى بليلى أو فمن لها بيا

لعمري لقد ابكيتني يا حمامة ... العقيق وابكيت العيون البواكيا

خليليّ ما أرجو من العيش بعدما ... أرى حاجتى تشرى ولا تشترى ليا

وتجرم ليلى ثم تزعم أنني ... سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا

فلم أر مثلينا خليلى سبابة ... أشد على الرغم الاعادي تصافيا

خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى ... خليلين إلا يرجوان تلاقيا

واني لا ستحييك أن تعرض المنى ... توصلك أو أن تعرضى في المنى ليا

---

(١) الإبرام: إحكام الأمر. انظر: لسان العرب، مادة[برم].

Marfat.com

يقـول أنـاس علـى مجنـون عـامر ... يـروم سـلوا قلـت أنـى لمـا بيـا
إذا مـا استطال الدهـر يـا أم مـالك ... فشـأن المنايـا القاضيـات وشـأنيا
إذا اكتحلـت عينـي بعيـني لم تـزل ... بخـير وجلـت غمـرة عـن فؤاديـا
فـانت الـتي ان شئت شقيت عيشـتي ... وأنـت الـتي ان شـئت انعمـت باليـا
وانـت الـتي مـا من صديق ولا عـدى ... يـرى نضـوا مـا أبقيـت الا رثـي ليـا[1]
أمضروبـة ليلـى عليَّ أزورهـا ... ومتخـذ ديـن لهـا أن ترانيـا
إذا سـرت في الأرض الفضـاء رأيتـني ... أصـانع رحلـي أن يميـل حياليـا
يمينًـا إذا كـانت يمينًـا وان تكـن ... شمـالاً ينـازعني الهـوى عـن شماليـا
وانـي لا ستغشـى ومـا بـي نعسـة ... لعـل خيـالاً منـك يلقـي خياليـا
هـي السـحر إلا أن للسـحر رقيـة ... وانـي لا ألقـي لهـا الدهـر راقيـا
إذا نحـن أدلجنـا وأنـت أمامنـا ... كفـى المطايانـا بذكـراك هاديـا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت ... لهـا وهـج مسـتضرم في فؤاديـا
ألا أيهـا الركـب اليمـانون عرِّجـوا ... علينـا فقـد أمسـى هوانـا يمانيـا
أسـائلك هـل سـال نعمـان بعدنـا ... وحـب الينـا بطـن نعمـان واديـا
إلا يـا حمـامي بطـن نعمـان هجتمـا ... علـيَّ الهـوى لمـا تغنيّتمـا ليـا
وأبكيتمـاني وسـط صحـبي ولم أكـن ... أبـالي دمـوع العين لـو كنـت خاليـا
ويـا أيهـا القمريتـان تجاذبـا ... بلحنيكمـا ثـم اسـجعا علانيـا
فـان أنتمـا اسـتطربتما أو أردتمـا ... لحاقـا بـأطلال الغضـى فاتبعانيـا
ألا ليـت شعري مـا للعَلـي ومـا ليـا ... ومـا للضبـا مـن بعـد شيب علانيـا[2]
ألا أيهـا الواشـي بليلـى ألا تـرى ... إلى مـن تشـها أو لمـن انـت واشـيا
لئـن ظعـن الاحبـاب يـا أم مـالك ... فمـا ظعـن الحـب الـذي في فؤاديـا

---

(١) النضو: الهزيل. انظر: لسان العرب، مادة[نضو].
(٢) العلى: الشريف من القوم، ذو المقام الرفيع، أو المكان العالى. انظر: لسان العرب، مادة[علا].

Marfat.com

فيا رب إذ صيرت ليلى هي المنى فزني بعينيها كما زنتها ليا

وإلا فغضها إلي واهلها فاني بليلى قد لقيت الدراهيا[1]

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان كنت من ليلى على اليأس طاويا

خليليّ ان ضنوا بليلى فقرّبا إلى النعش والاكفان واستغفرا ليا

---

(١) فغضها :من غصن فلان ، إذا وضع من قدره وانتقصه. الدراهيا: نوائب الدهر. انظر: لسان العرب، مادة[غصن]، [دره].

Marfat.com

فصل
أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء

هو: عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق .

قيل: إنه أول عاشق مات بالهَجْرِ من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون : **عجبت لعروة العذريّ... البيت.**

وقال أبو عيينة :

فما وجد النهدي إذ مات حسرة ... عشية بانت من حبائله هند[1]

ولا عروة العذريّ إذ طال وجده ... بعفراء حتى شف مهجته الوجد[2]

كوجدي غداة البين عند التقاتها ... وقد طار عنها بين أترابها البرد[3]

وقال آخر :

وقبلك مات من وجد بهند ... أخو نهد وصاحبه جميل

وعروة والمرقش هام دهرًا ... بأسماء فلم يغن العويل[4]

قتيل الريح من قبل الغواني ... فلا قود ولا يودي قتيل[5]

وقال جرير[6] :

هل أنت شافية قلبًا يهيم بكم ... لم يلق عروة من عفراء ما وجدا

---

(١) بانت : بعدت . حبائله: جمع الحبالة: المصيدة. انظر: القاموس المحيط، مادة [بان]، [حبل].

(٢) شفّ : ضمر ورقّ . انظر: القاموس المحيط، مادة [شفف] .

(٣) أترابها : صديقاتها اللائى من نفس سنها. انظر: القاموس المحيط، مادة [ترب].

(٤) العويل : البكاء والصياح بصوت مرتفع. انظر: القاموس المحيط، مادة [عال].

(٥) القود: القصاص. انظر: القاموس المحيط، مادة [قاد].

(٦) جرير ، هو: ابن عطية بن الخطفى التميمى البصرى، أبو خرزة، شاعر زمانه، عاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجعهم وكان هجاؤه مرًا ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وكان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. من تصانيفه: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٠/٤)، الأعلام (١١٩/٢).

Marfat.com

مـــا في فـــؤادي مـــن داء يخـــامره إلا الـتي لـو رآهـــا راهـــب ســـجدا[1]

إنّ الشـــفاء وإن ضفنـــت بنائلـــه فرع البشـام الـذي تجلـو بـه الـبردا[2]

إلى غير ذلك .

وعفـراء، هـي: بنـت هصـر أخـي حـزام كلاهمـا ابنـا مـالك مـن بطـن مـن العذريين، يقال له نهد .

قال في تسريح النواظر: إن سبب عشقه لها ، أن أباه حزامًا توفي ولعروة مـن العمر أربع سنين، وكفله هصر أبو عفراء فنشأ جميعًا فكان يألفهـا وتألفـه . فلمـا بلغ الحلم ، سأل عروة عمه تزويجها، فوعده ذلك. ثم أخرجه الى الشام بعير له . وجاء ابن أخ له يقال له: أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحـج، فـنزل بعمـه هصـر فبينما هو جـالس يومًـا تجـاه البيـت، إذ خرجـت عفـراء حاسـرة عـن وجههـا[3] ومعصميها تحمل إدواة سمن وعليها إزار خز أخضر .

فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة، فخطبها من عمـه فزوّجـه بهـا . وإن عروة أقبل مع البعير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر، فعرفها من البعد وأخبر أصحابه، فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جوابًا حتى افترق القوم.

فأنشد :

وإنـــي لتعرونـــي لذكـــراك رعـــدة لهـا بـين جلـدي والعظـام دبيـب[4]

فمـــا هـــو إلا إن رآهـــا فجـــاءة فـــأبهت حتـــى مـــا يكـــاد يجيـــب

فقلـــت لعـــرّاف اليمامـــة داونـــي فـــإنك إن أبرأتـــني لطبيـــب

فمـا بـي مـن حمـى ولا مـس جنـة ولكـــنّ عمـــي الحمـــيريّ كـــذوب

عشـــية لا عفـــراء منـــك بعيـــدة فتسـلو ولا عفـــراء منـــك قريـــب

---

(١) يخامره : يداخله. انظر: القاموس المحيط، مادة [خمر] .

(٢) البشام : شجر طيب الريح والطعم، يستاك به. انظر : القاموس المحيط، مادة [بشم].

(٣) حاسرة : كاشفة . انظر: القاموس المحيط، مادة [حسر].

(٤) تعرونى : تغشانى وتنتابنى . انظر: القاموس المحيط، مادة [عرا].

Marfat.com

بنا من جوى الحزن والبعد لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول على ما به عود هناك صليب
وما عجبي موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل : إنه لم ينشد في ذلك الموقف سوى البيتين الأولين .

وأما قوله : **فقلت لعرّاف اليمامة** . إلى قوله: **وما عفراء منك قريب** . فإنه أنشده حين أتى به إلى الطبيب ؛ وسبب ذلك أنه حين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أيامًا لا يتناول قوتًا حتى شفت[1] عظامه و لم يخبر بسره أحدًا ، وأنه حمل ليلة إلى فضاء ليتنزه به، فسمع رجلاً يقول لوالده على أيّ ناقة حملت الشُعَبَ ، يعني قرب الماء ، فقال على العفراء ، فأغمي عليه ساعة، ثم قام مخبولاً .

وكان باليمامة عرّاف يعني كاهنًا له قرين من الجن يعرّفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له: رياح بن راشد وكنيته أبو كحلاء مولى لبني يشكر فحملوه إليه، فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقي والصبّ عليه.

وأصل ذلك: أن العرب كانت إذا تخيلت بشخص سحرًا جعلت على رأسه طبقًا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به ، وإن الكاهن فعل بعروة ذلك مرارًا فلما لم ينجع ، أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق .

وقيل: إنه عرف ذلك من يوم قدومهم به ، فلما أحس باليأس أنشد : **فقلت لعرّاف اليمامة** ... الأبيات. فحمل إلى عرّاف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك ، فأنشد الأبيات الآتية في نونيته وهي قوله: **جعلت لعرّاف اليمامة** . وأما قوله : **بنا من جوى الأحزان** ويروى:

وبي من جوى الأحزان

فعلى الأصح كما في **النزهة** أنه من هذا الشعر .

وقيل: أنشده حين حمل إلى ابن عباس ليدعو له بمكة. وقد سلف أن صاحب القصة غيره وإن صحح ابن عساكر خلافه .

---

(١) شفت عظامه : هزل ونحل . انظر: القاموس المحيط، مادة [شف].

Marfat.com

ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زمانًا حتى شاع انتحاله في العرب مثلاً .
و إن ابن أبى عتيق مر به فرأى أمه تلاطف غلامًا كالخيال فسألها عن شأنه .
فقالت: هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه[1] ، فلما شاهده قضي عجبًا ثم استنشده.

فأنشد: **جعلت لعرّاف اليمامة حكمه** ... الأبيات. ولما علم الضجر من أهله ، قال لهم: احتملوني إلى البلقاء[2] فإني أرجو الشفاء .

فلما حلّ بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها ، عاودته الصحة . فأقام كذلك إلى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه . فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له: متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم؟

فقال: من؟

قال: عروة.

قال: أنت أحق بما وصفته به، وا لله ما علمت بقدومه، وكان زوج عفراء موصوفًا بالسيادة ومحاسن الأخلاق في قومه . فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة حتى لقي عروة، فعاتبه وأقسم بالمحرجات. أنه لا ينزل إلا عنده فوعده ذلك ، فذهب مطمئنًا و إن عروة عزم أن لا يبيت الليل ، وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى، دون منازل قومه .

وقيل: وصلها لرواية ابن العاص ، قال استعملني عمر رضي ا لله عنه في جباية صدقات العذريين فبينما أنا يومًا بإزاء بيت إذ نظرت امرأة عند كسر البيت وعلى جانبها شخص لم تبق إلا رسومه فجلست أنظر اليه فتموّج ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة.

فقلت لها: من الرجل؟

قالت: عروة.

---

(١) نضوا الغطاء : كشفه وخلعه . انظر: القاموس المحيط، مادة [نضا].

(٢) البلقاء : من أعمال دمشق. بين الشام ووادى القرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. انظر: معجم البلدان (١/٥٧٩).

Marfat.com

فقلت: كأنه قضى.

فقالت: نعم .

ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها: قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وإن ذلك على الحسن الجميل، فهل تأذن لي أن أخرج إلى قبره فأندبه فقد بلغني أنه قضي ، قال: ذلك إليك. فخرجت حتى أتت فتمرغت عليه وبكت طويلاً .

ثم أنشدت :

ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام

فإن كان حقًا ما تقولون فاعلموا ... بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقي الفتيان بعدك راحة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

ولا وضعت انثى تمامًا بمثله ... ولا فرحت من بعده بغلام

ولا لابلغتم حيث وجهتم له ... ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود: أن ركبًا شاهدوا موته ، فلما قدموا الحي أنشد رجل منهم عند بيت عروة :

ألا أيها القصر المغفل أهله ... بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء **ألا أيها الركب**... هكذا بيتًا فبيتًا إلى أربعة والباقي لعفراء وهذا غير صحيح لأن القبر في طريقها قبل منازلهم . وفي هذه الرواية بدل قوله **فلا لقي الفتيان ، فلا هنيء الفتيان بعدك غارة** . والأول ألطف ، **وبدل :**

فلا وضعت أنثى

فقال للحبالى :

لا يرجين غائبًا

وفيه إضافة غير مناسبة إذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة إلا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب ، ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحرّكت فوجدت ميتة.

وما قيل من أنها منعت المجيء إلى قبره ومن أنه كان في عهد عثمان أو معاوية وأن الذي شهده الحاكي أحدهما ومن أن عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما

Marfat.com

غير صحيح الرواية كما في **النزهة** نعم حمل قول عمر على الرؤية.

وتمسك من قال إن عفراء لم تزر قبره بقولها :

عدانـــي أن أزورك يـــا خليلـــي معاشـــر كلهـــم واش حســـود
أشـاعوا مـا علمـت مـن الدواهـي وعابونـــا ومـــا فيهـــم رشـــيد
فامـــا إذ ثويـــت اليـــوم لحـــدا فـــدور النـــاس كلهـــم اللحـــود
فـــلا طـــابت لي الدنيـــا فراقًـــا لبعـــدك لا يطيـــب لي العديـــد

ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبت من القبرين شـجرتان حتـى إذا صارتـا علـى حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفـان مـن أي ضـرب مـن النبـات وكثيرًا ما أنشدت فيهما الناس.

فمن ذلك قول الشهاب محمود[1] :

بـا لله يـا سـرحة الـوادي إذا خطـرت تلـك المعـاطف حيـث الرنـد والغـار[2]
فعـانقيهم عـن الصـب الكئيـب فمـا علـى معانقـة الأغصـان إنكـار

وقول صاحب الأصل :

غصنـان مـن دوحـة طـال ائتلافهمـا فيهـا فجالت صـروف الدهـر فافترقـا
فصـار ذا في يـد تحويـه ليـس لـه منهـه بـراح وهـذا في الغـلاة لقـاء
حتـى إذا ذويـا يومًـا وضمهمـا بعـد التفـرق بطـن الأرض واتفقـا
حنـا علـى العهـد في أرجائهـا فحمنـا كـل ألفـه في الـترب واعتنقـا

قلت: وبين هذين خلاف في اللفـظ والمعنـى، ويحتمـل رجوعـه إلى خصـوص وعموم مطلق؛ فإن الأول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغـير دال على خصوص المقـام وفيـه التكـرار الـذي عدتـه البلاغـة عيبًـا فـإن الرنـد والغـار

---

(١) الشهاب محمود ، هو: ابن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلى الحلبى، أبو الثنـاء، أديـب كبـير. ولد بحلب وولى الإنشاء فى دمشق، كان شيخ صناعة الإنشاء فى عصره، وهو شـاعر مكـثر. توفى سنة (٧٢٥هـ)، من مصنفاته : مقامة العشاق، حسن التوسل إلى صناعة الترسل. انظـر: البداية والنهاية (١٤/١٢٠)، الأعلام (٧/١٧٢).

(٢) الرند: شجر من أشجار البادية، طيب الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة [رند].

Marfat.com

مترادفان وفيه عيب خفي إلا على الناقد فإنه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة: يعني الشجرة ، أن تعانق ، تلك المعاطف: يعني معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالإنكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم في قضاء الوطر .

وأما الثاني: فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة[1] .

وتوفي عروة بن حزام على ما ذكر الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة.

ورأيت في كتاب مجهول التأليف أن وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشروين .

ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بألفاظ رقيقة ومعان أنيقة.

وهي هذه :

خليلي من عليا هلال بن عامر ... بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني

ولا تزهدا في الأجر عندي واجملا ... فإنكما بي اليوم مبتليان

ألم تعلما أن ليس بالمرج كله ... أخ وصديق خالص فذراني

أفي كل يوم أنت رام بلادها ... بعينين انسانًا هما غرقان[2]

وعيناي ما وافيت نشر فتنظرا ... بما فيهما إلا هما تكفان

ألا فاحملاني بارك الله فيكما ... إلى حاضر البلقاء ثم دعاني

على جسرة الأصلاب ناحية السرى ... تقطع عرض البيد بالوخدان[3]

ألما على عفراء إنكما غدا ... بشحط النوى والبين مفترقان[4]

---

(١) السماجة : القبح . انظر : القاموس المحيط، مادة [سمج].

(٢) رام : طلب . انظر : القاموس المحيط، مادة [روم].

(٣) الوخدان : الاسم من وخد البعير: أسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام. انظر: القاموس المحيط، مادة [وخد].

(٤) الشحط : البعد . النوى : الدار . انظر: القاموس المحيط، مادة [شحط]، [نوى].

Marfat.com

فيا واشي عفراء ويحكما بمن ... وما والي من جئتما نشيان
بمن لو أراه غائبًا لفديته ... ومن لو رآني عائبًا لفداني
فيا واشي عفرا دعاني ونظرة ... تقر بها عيناي ثم زماني
أغر كما مني قميص لبسته ... جديدًا وبرد ايمنة زهياني
متى تكشفا عني القميص تبينا ... بي الضرر من عفراء يا فتيان
إذا تريا لحمًا قليلاً واعظمًا ... بلين وقلبًا دائم الرجفان
على كبدي من حب عفراء قرحة ... وعينان من وجدي بها تكفان
فعفراء أرجى الناس عندى مودة ... وعفراء عني المعرض المتواني
أحب ابنة العذري حبًا وان نات ... ودانيت فيها غير ما متداني
اذا رام قلبي هجرها حول دونه ... شفيعان من قلبي لها جدلان
إذا قلت قالا بلى ثم أصبحا ... جميعًا على الرأي الذي يريان
فيا رب أنت المستعان على الذي ... تحملت من عفراء منذ زمان
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى ... من الناس والأنعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لبانة ... ويرعاهما ربي فلا يريان
فيا ليت محيانا جميعًا وليتنا ... إذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت أنا الدهر في غير ريبة ... خليان نرعى القصر مؤتلفان
هواي أمامي ليس خلفي معرج ... وشوق قلوصي في الغدو يماني
هواي عراقي وثنى زمامها ... لبرق إذا لاح النجوم يماني
متى تجمعي شوقي وشوقك تطلعى ... ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لي الأصحاب إذ يعدلونني ... أشوق عراقي وأنت يماني
تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعرّاف اليمامة حكمه ... وعرّاف نجد أنهما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله ... وقاما مع العوّاد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا ... ليستخبراني قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة إلا وقد سقياني

Marfat.com

وما شفيا الداء الذي بي كله ... ولا ادّخر نصحا ولا ألواني
فقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتي ... عن الرأس ما التاثها ببنان
معي صاحبا صدق إذا ملت ميلة ... و كانا بجنبي سرعة عدلاني
فيا عم يا ذا العذر لا زلت مبتلى ... حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية ... فألزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثتني غما وكربًا وحسرة ... وأورثت عيني دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق إلى هويته ... وقلبك مقسومًا بكل مكان
وأني لأهوى الحشر إذ قيل انني ... وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا يا غرابي دمنة الدار بيننا ... أبا لهجر من عفراء تنتحبان
فإن كان حقًا ما تقولون فأذهبا ... بلحمي إلى وكريكما فكلاني
كلاني أكلاً لم ير الناس مثله ... ولا تهضما جنبي وازدرداني
ولا تعلمان الناس ما كان قصتي ... ولا يأكلنّ الطير ما تذزاني
الا لعن الله الوشاه وقولهم ... فلانة أضحت خلة لفلان
إذا ما جلسنا مجلسًا نستلذه ... تواشوا بنا حتى أمل مكاني
تكنفني الواشون من كل جانب ... ولو كان واش واحد لكفاني
ولو كان واش باليمامة أرضه ... أحاذره من شؤمه لأتاني
يكلفني عمي ثمانين ناقة ... ومالي والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدّثت سرك صاحبًا ... أخالي ولا فاهت به الشفتان
سوى انني قد قلت يومًا لصاحبي ... ضحى وقلوصانا بنا تخدان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة ... نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها ... ومالي بزفرات العشيّ يدان
فياعم لاسقيت من ذي قرابة ... بلالا فقد زلت القدمان
ومنيتني عفراء حتى رجوتها ... وشاع الذي منيت كل مكاني
والله لولا حب عفراء ما التقى ... عليّ رواقًا بيتك الخلقان

Marfat.com

رواقــان خفاقــان لا خــير فيهمــا إذا هبــــت الأرواح يصطفقـــــان

ولم أتبع الأظعــان في رونــق الضحــى ورحلــي علــى نهاضـــة الخديـــان

لعفــراء إذ في الدهــر والنــاس غـــرة إذا خلقـــان بـــالصبي يســـراني

لادنــو مــن بيضــاء خفاقــة الحشـــى بنيـــة ذي قـــارورة شـــنآن

كــان وشـــاحيها إذا مـــا ارتدتهمــا وقـــامت عنانًـــامهره سلســـان

وليـــس بـــأبدان لهـــا ملتقاهـــا ومتناهمًـــا رخـــوان يضطـــران

وتحتيهمــا حقفــان قــد ضربتهمــا قطـــار مـــن الجـــوزاء ملتبـــدان

أعفــراء كــم مــن زفــرة قــد أذقتــني وحـــزن ألح العـــين بـــالهملان

وعينان ما وافيت نشرًا فتنظرا بمأقيهما

فهـل حـاد يـا عفـراء أن خفـت فوتهـا علـــيّ إذا نـــاديت مرعويـــان

ضروبــان للتــالي القطــوف إذا ولى بســيحان مــن يعصــي بــه حــذران

فمــا لكمــا مــن حــادين كســيتما ســرابيل مغــلاه مــن القطــران

ومــا لكمــا مــن حــادين رميتمــا بحمـــى وطـــاعون ألا تقفـــان

فويلــي علـــى عفـــراء ويـــلاً كأنـــه علـى الكبـــدو الأحشـــاء حـــدّ ســـنان

ألا حبــذا مــن حــب عفــراء ملتقــى نعـــم والا لا حيـــث يلتقيـــان

لــو أن أشــد النــاس وجــدًا ومثلــه مـــن الجـــن بعـــد الأنـــس يلتقيـــان

ويشـــتكيان الوجـــد ثمـــة اشـــتكي لا ضعف وجـــدي فـــوق مـــا يجـــدان

فقـــد تركتـــني مـــا أعـــى لمحـــدّث حديثًـــا وأن ناجيتـــه ونجـــاني

وقـــد تركـــت عفـــراء قلـــبي كأنـــه جنـــاح غـــراب دائـــم الخفقـــان

قولـه: خليليّ ، خطـاب بـالنداء محـذوف الأداة وليـس بشـرط أن يكونـا وجوديين، فقد جرت عادة العرب بذلك ، حتى قيل إنهـم وإن خـاطبوا الواحـد جعلوا الصيغة لاثنين ، إما ليجري مجرى التـأكيد ، أو أنهـم يطلبـون التعظيـم، أو أنهما أقل الرفقة .

وقوله: إلى حاضر البلقاء : يريد المكان الذي كانت به، كما سبق في الحكايـة .

ويروي: إلى حاضر الروحاء : موضع بالبلقاء من طرف حوران.

Marfat.com

وقوله: جسرة الأصلاب : صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة. ويروي: **نوّاخة السرى وموّارة** أي عجلة تبلغ المآرب .

وقوله: بمن لو أراه البيت... كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شيء .

وقوله : **متى تكشفا** روى بدله **متى ترفعا** ، والأول أبلغ لأخصيته ولزوم رؤية البدن منه.

وقوله: إذا تريا : جواب متى. وروى بدله: **تعرفا** ، والأول ألطف .

وقوله: كأنّ قطاة ... البيت : قد أخذه المجنون، حيث قال : **قطاة غرها شرك فباتت** (البيت) : وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف. ومعنى هذا أنه شبه كبده في شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص .

وأما المجنون: فقد تظرف ثم بالغ لأنه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلّق هو الشَّرَك . واعلم أن ابن الأثير ألف كتابًا أسماه: **أعمدة المعاني للمنثور والمنظوم** ذكر فيه من اقترح معني ومن سرق منه وزاد عليه فقال في هذا الموضع : إن المجنون تظرف حيث أسند الخفقان إلى القلب، والتعليق إلى الشَّرَك وأما أنا فأقول: إن قول عروة أبلغ لأن الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب، فإسناد الخفقان الناشىء عن العشق إليه أبلغ؛ ولأن حركته تستلزم حركة القلب دون العكس، ولا يساوي هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلماتهم إذ الملحوظ حينئذ الروح الحيواني .

قوله : عرّاف اليمامة : قد سبقت قصته، والعرّاف في الأصل : الكاهن ، واستعمله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة ، **وما الثأتها** : يعني ما رددتها، وهي كناية عن شدة المرض ، وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره ، وقوله: **فلو أن واش باليمامة.** قد استعاره المجنون حيث قال:

ولو أن واش باليمامة داره ... وداري بأعلى حضر موت أتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حيث الإيهام لأن قوله: **أحاذره من شؤمه** يحتمل أن يكون بأقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة، وأما حضرموت واليمامة فكلاهما في إقليم واحد فلا يعظُمُ مجيء الواشي .

Marfat.com

فصل
أخبار عبد ا لله بن عجلان وصاحبته هند

هو: عبد ا لله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الأنساب أربعين فخذًا.

وفي النزهة أنه عذري وليس كذلك ، ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمي العصا وذلك دون خمسة جدود .

وقال في كتاب الأنساب: كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمسة بطون فإذا بلغ ذلك ، قالوا: قطع النسب ، ورميت العصا، وكان عبد ا لله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب.

قال في بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق: وهو جزء لطيف لابن رشيق، موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق: إن عبد ا لله هذا أقل العشاق أيامًا ، عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة، وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة، فما قيل فيه ، **قول قيس :**

فما وجدي بها أم واحد ... ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى ... كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله: النهدي، إشارة إلى ابن عجلان هذا، وقد سماه عمرًا في أبيات سبقت في قصته، وقوله: على هند ، متعلق بوجدي . فليحذر من فهم صاحب (النزهة).

وقول البحتري :

هوى لا جميل في بثينة نالـه ... بمثلي ولا عبد بن عجلاّن في هند

وهند ،هي: بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبد ا لله في النسب.

قال في الظرائف: إن سبب اعتلاقه بها ، أنه خرج يومًا إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان ، وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه .

Marfat.com

فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور ورآهن على تلك الحالة ، فمكث ينظر إليهن مستخفيًا فصعدن حتى بقيت هند ، وكانت طويلة الشعر، فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ، ونهض ليركب راحلته فعجز ، وأقعد ساعة، وكان يقال عنه قبل ذلك إن العرب كانت تَصُفُّ له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته.

فأنشد فورًا :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة ... إذا شئت لمسًا للثريا لمستها[1]

أتتني سهام من لحاظ فأرشقت ... بقلبي ولو أستطيع ردّ لرددتها

ثم قال: هذه وا لله الضالة التي لا ترد، ثم عاد وقد تمكن الهوى منه، فأخبر صديقًا له، فقال: اكتم ما بك واخطبها إلى أبيها فإنه يزوجك بها وإن أشهرت عشقها حرمتها، ففعل وخطبها فأجيب، وتزوج بها وأقاما على أحسن حال ، و أنعم بال لا يزداد فيها إلا غرامًا، فمضى عليهما ثمان سنين وإنها أقامت على ذلك دون أن تحمل ، وكان أبوه ذا ثروة ليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال، فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى، فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى، فألح عليه وهو لم يجب إلى أن بلغه يومًا أن عبد ا لله قد تمكن السكر منه، فعدَّها فرصة وأرسل إليه يدعوه ، وقد جلس مع أكابر الحي فمنعته هند، وقالت: وا لله لا يدعوك لخير وما أظنه إلا عرف أنك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق، ولئن فعلت لمت وأظن أنك فاعل.

قال في النزهة: وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا، و أخبرت هنداً أنها ستطلق ، فأبي عبد ا لله إلا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران، فأثرت في ثوبه . فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها، فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدًا كاد أن يقضي معه.

---

(١) الثريا : مجموعة كواكب فى عنق الثور، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثرا].

Marfat.com

وأنشد:

طلقـــت هنـــدًا طائعًـــا فندمـــت بعـــد فراقهـــا
فـــالعين يـــذرف دمعهـــا كـــالدر مـــن آماقهـــا
متحلبًـــا فـــوق الـــردا فتجـــول في رقراقهـــا[1]
خـــود رداح طفلـــة مـــا الفحـــش مـــن أخلاقهـــا[2]
ولقـــد ألـــذ حديثهـــا وأســـر عنـــد عناقهـــا
إن كنـــت ســـاقية بـــزل الادم أو بحقاقهـــا
فاســـقي بـــني نهـــد إذا شـــربوا خيـــار زقاقهـــا
فـــالخيل تعلـــم ألحقهـــا غـــداة لحاقهـــا
بأســـنة زرق منحـــن القـــوم حـــد رقاقهـــا
حتـــى تـــرى قصـــد القنـــا والبيـــض في أعناقهـــا

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد ، وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام ، وكان سبب وفاته على الأصح؛ أنه قصد هندًا وقد تزوجت في نمير[3]، وهي قبيلة من عامر ، وكان بينهم وبين بني نهد[4] ثارات ودماء كثيرة ، فحذره أبوه من ذلك ومنهاه الاجتماع بعكاظ في الأشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب .

فأبى وخرج سرًا حتى أتاها ، فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقى إبلاً له ، فلما تعارفا شدَّ كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا إلى الأرض، فجاء زوجها فوجدهما ميتين .

وقيل: إن عجوزًا دخلت عليه في مرضه، فأخبرتهم أنه عاشق، وأن يطبخوا له

---

(١) متحلبًا : منساب . انظر : القاموس المحيط، مادة [حلب].

(٢) خود : تمايل الغصن . رداح : الشجرة الكبيرة . انظر: القاموس المحيط، مادة [خود].

(٣) نمير: بطن من عامربن صعصعة، من العدنانية، كانت منازلهم بنجد، وكانت لهم كثرة وعزة فى الجاهلية والإسلام. انظر: معجم قبائل العرب (١١٩٥/٣).

(٤) نهد : بطن من قضاعة، من القحطانية، وهم بنو نهد بن زيد، كانت منازلهم بالعين، وكانت منهم طائفة بالشام . انظر : معجم قبائل العرب (١١٩٧/٣).

Marfat.com

شاة ويرفعوا قلبها ويقدّموها إليه ، ففعلوا فجعل يحاولها بضعة فقال: أما لشاتكم قلب، فقال له أخوه: أعاشق أنت و لم تدر ، فتأوه ومات.

وقيل: رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه ، حين جاذبته، فمات .

وقيل: إنه ترنم بهذه الأبيات يومًا ومدَّ بها صوته فمات.

وهي :

ألا أن هنـد أصبحـت منـك محرمـا وأصبحـت مـن أدنـى حموتهـا حمـا

فـأصبحت كـالمقمور جفـن سـلاحه يقلـب بـالكفين قوسًـا وأسـهما[1]

وقيل: إن هذه الأبيات لمسـافر بـن عمـرو[2]، أنشـدها حـين ولـع بهنـد بنـت عتبة[3]وأراد زواجها ، فخرج إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها .

وقيل: إنها حملت منه فخرج هاربًا ، وأصابه مـن عشـقها مـرض كـبر معـه ، فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه، فكوي وبـرىء، فقـدم أبـو سفيان أو هو غيره، فسأله عن مكة . فلما انتهي إلى زواج هند، شهق فمات .

وقيل : خرج فمات فى الطريق .

وقيل : هي ؛ يعني الأبيات للمغيرة في أسمـاء النهشـلية ، والصحيـح أن أبيـات المغيرة هذه :

تحدثنـا أسمـاء ان سـوف نلتقـي أحـاديث طسـم إنمـا كنـت حالمـا

ألا أصبحـت أسمـاء حجـرًا محرمًـا وأصبحـت مـن أدنـى حموّتهـا حمـا

---

(١) جفن : غمد السيف . انظر: القاموس المحيط، مادة [جفن].

(٢) مسافر بن عمرو ، هو : ابن عبد شمس، شاعر، من سادات بنى أمية وأجوادهم فى الجاهليـة، شعره غير كثير. قال السهيل: مات من حب صبعة بنت الحضرمى، وفى الأغانى : هند بنـت عتبة ، توفى سنة (١٠ ق.م) . انظر: الأغانى (٤٦/٨)، الأعلام (٢١٣/٧).

(٣) هند بنت عتبة، هى: ابنه ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابية، قرشية، عالية الشـهرة، أم الخليفة الأموى (معاوية بن أبى سفيان) كانت فصيحة، جريئة، صاحبة رأى وحزم، تقـول شعرًا جيدًا ، أجمل ما عرف من شعرها هو ما كانت تقوله فى رثاء شهداء بدر من مشـركى قريـش، قبل إسلامها، هى من مثلت بحمزة وأكلت كبده فكانت ممن أهدر النبى دماءهم، يوم فتح مكـة لـولا إسلامها ، توفيت سنة (١٤هـ) انظر: الإصابة (٣٤٦/٨)، أعلام النساء (٢٣٩/٥).

Marfat.com

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله :

قد طال شوقي وعاد لي طربي ... من ذكر خود كريمة الحسب

غرّاء مثل الهلال صورتها ... أو مثل تمثال صورة الذهب[1]

ومنها :

ألا بلغا هندًا سلامي وإن نأت ... فنلبي منشطت بها الدار مدنف[2]

ولم أر هندًا بعد موقف ساعة ... بأنعم من أهل الديار تطوّف

أتت بين أتراب تمايسن إذ مشت ... دبيب القطا أوهن منهن ألطف[3]

يباركن مرات خليًا وداده ... ذكيًا والأيدي مدال ومسوف

أشارت إلينا في حياء وراعها ... سراة الضحى مني على الحي موقف

وقالت تباعد يا ابن عم فانني ... منيت بذي صول يغار ويعنف[4]

ومنها :

خليلي زورا قبل شحط النوى هندًا ... ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا

ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة ... أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا[5]

ومر عليها بارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا[6]

غدًا يكثر الباكون منا ومنكم ... وتزداد داري من دياركم بعدا

---

(١) غرّاء : كريمة الأفعال . مدنف : قريب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غرر] [دنف].

(٢) مدنف: قريب. انظر: القاموس المحيط، مادة [دنف].

(٣) تمايسن : تمايلن وتبخترن . دبيب : سير . انظر: القاموس المحيط، مادة [ميس]، [دبب].

(٤) الصول : القهر والغلبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [صال].

(٥) الغى : الضلال. انظر: القاموس المحيط، مادة [غوى].

(٦) جزنا: مررنا. انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

Marfat.com

فصل

أخبار ذى الرمة وصاحبته مى

هو: غيلان بن معدى بن عمرو الكناني القحطاني، أو هو سعدى.

وقيل: ابن عقبة بن يهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بإلياس بن مضر، وهو الأصح، أديب، شاعر، رقيق النظام ، جزل الكلام ، وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج، خبير بأحوال العشق.

والرمة، بالضم وتكسر: قطعة حبل تجعل في عنق البعير.

ووهب طريف بن غطفان بعيرا لشخص بالحبل الذي في عنقه، فقيل: **أعطاه برمته،** فضرب مثلاً لمن يعطي الشيء جميعه.

وبالكسر العظام البالية ، وسمي بذلك لأنه كان كثيرًا ما يجعل في عنقه أو على عاتقه الحبل، أو أنه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق .

ومي هي: بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني، أحد ملوك العرب، ووالده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل إليه العرب ويعطي القياد حتى ضربت به الأمثال .

قال طرفه : بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه .ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم؛ يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك .

قال في النزهة: وكان ذو الرمة لطيف المنظر، حسن الهيئة، طويلاً إلى رقة وبياض، واسع الصدر، عجل المشية .

وكانت ميّ جارية إلى القِصَرِ ، ما هي سمراء بدينة، إلا أن في كلامها عذوبة، وفي طرفها تَغَزُّل .

قال في الظرائف: إن سبب اعتلاقه بها أنه مر يومًا بالحي وقد أدركه الأوام[1]، فنظر إلى بيت قد شرع رواقه[2]، وارتفعت أطباقه، وعلا عموده

---

(١) الأوام : العطش . انظر: القاموس المحيط، مادة [أم].

(٢) رواق البيت : مقدمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [راق].

Marfat.com

وأطنابه، ومدت أوتاده وأسبابه[1] ، فقصده حتى وقف بإزائه ، وإذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس وقد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل[2] ، ووجهها يشف من خلاله، فناداها.

هل من إداوة تبرد الغليل ، فأبرزت إليه ماء قد شيب بلبن ، فشرب، ثم ناشدته الراحة ، وقدمت إليه طعامًا، فأكل، و لم تزل تنادمه[3] وهو يعجب بها، ويتحرك لها قلبه إلى أن انصرف بعد بياض النهار، وقد علق من قلبه بحبها لاعج[4] عجز عن إطفائه، وغرام كلٌّ عن إخفائه، فجعل يعاودها الزيارة ، فقيل له في تقليل ذلك، وإن بلادها، بعيدة عن بلاده، وإن ذلك يوجب له نصبا ومشقة.

فأنشد :

وكنت إذا ما جئت ميا أزورها أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون ، فأفضوا إلى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري؛ وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال : منى خذوا خبره .

أتاني يومًا ، فقال: إن حي مية خلوف فهل تسعدني في الزيارة ؟ فركبنا حتى أتيناها، فلما نظر النساء إلى ذي الرمه عرفنه، فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث.

فقالت ظريفة من النساء: أسمعنا يا ذا الرمة ما قلت، فالتفت إليّ وقال لي : قل .

فأنشدت قوله :

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت إلى قوله:

نظرت إلى أظعان مي كأنها ذرا النخل أو أثل تميل ذوائبه[5]

---

(١) أسبابه: أستاره. انظر: القاموس المحيط، مادة [سبب].

(٢) عثاكيل : جمع عثكال : هو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم. انظر: القاموس المحيط، مادة [عثك].

(٣)تنادمه: تجالسه الشراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندم].

(٤) اللاعج : الهوى المحرق . انظر: لسان العرب ، مادة [لعج] .

(٥) ظعائن، جمع ظعينة : الهودج . أثل : شجر يشبه الطرفاء ، إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودًا. ذوائب، جمع ذؤابه : أعلى الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [ظعن]،[أثل]، [ذأب].

Marfat.com

فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سواكبه[1]
بكى وامق حال الفراق ولم تخل حوائلها أسراره ومعاتبه[2]
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل مخاولها أسرارة ومقانبه

قالت الظريفة: لكن اليوم فلتحل، ثم مضيت، فلما انتهيت إلى قوله :

وقد حلفت با لله مية ما الذي أحدثها إلا الذي أنا كاذبه
إذاً فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوّ أحاربه

قالت مي: ويحك يا ذا الرمة، خف عواقب الله عز وجل، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله :

إذا سرحت من حب مي سوارح على القلب أمته جميعًا غواربه

فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله .

فقالت مية: ما أصحه وهنيئًا له.

قال: فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله :

إذا نازعتك القول مية أو بدا لله الوجه منها أو نضى الدرع سالبه[3]
فيا لك من خد أسيل ومنطق رخيم ومرحوق تعلل شاربه[4]

وفي رواية القالي: (إذا راجعتك) بدل (إذا نازعتك) ، فقالت الظريفة: هذا القول قد تنوزع والوجه

بدا فمن لنا بأن ينضى الدرع سالبه

فقالت مي: ماذا تريدين وتضاحكا.

فقالت الظريفة: إن لهذين لشأن، فقم بنا، فقمت وجلست بحيث أراهما،

---

(١) مغرورق : ملآن بالدموع . انظر: القاموس المحيط، مادة [غرق].
(٢) الوامق : المحب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ومق].
(٣) نضى الدرع : نزعه . انظر: القاموس المحيط، مادة [نضو].
(٤) رخيم : رقيق وجميل. مرحوق، من رحيق : ضرب من الطيب . انظر: القاموس المحيط، مادة [رخم]، [رحق].

Marfat.com

فتعاتبا طويلاً ولم يبرح من مكانه، ولم أسمع منهما غير أن قالت: كذبت والله. لم أعلم علام كَذَّبَتْه ، ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد أتحفته بها فقال لي: شأنك وهي، ثم قال: وهذا قلائد قد اعطتنيها، فوالله لا قلدتها بعيرًا وعقدها فى سيفه وانصرفنا ، فلما ظعن الحي جاءني، فقال: امض بنا نودّع الآثار، فجئنا حتى وقفنا على أطلال مية.

فأنشد :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلا ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر[1]

وإن لم تكوني غير شام بقفرة ... تجر بها الأذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة، فقلت: مه.

فقال: إني جلد ، وإن كان مني ما ترى ، ثم انصرفنا ، فوالله ما رأيت أشد صبابة ولا أحسن صبرًا منه ، وكان آخر العهد به ، وله أشعار كثيرة.

فمن ألطفها القصيدة الحائية التي أولها :

أمنزلتي مي سلام عليكما ... على النأي والنأي يودّ وينصح

ومنها :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتنصح[2]

من المؤلفات الرمل أدما بحرّة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

رأينا كأنا عامدون لصيدها ... ضحى فهي تنبو تارة وتزحزح[3]

هي الشبه اعطافًا وجيدًا ومقلة ... ومية أبهى بعد منها وأملح

ومنها :

على حين راهقت الثلاثين وارعوت ... لذاتي فكاد الحلم بالجهل يرجح[4]

إذا خطرت من ذكر مية خطرة ... على القلب كادت في فؤادي تجرح

تصرف أهوى القلب ولا أرى ... نصيبك من قلبي لغيرك يمنح

---

(١) جرعاء : رملة مستوية لاتنبت شيئًا. القطر: سيل الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [جرع]، [قطر].

(٢) تشرئب : تمد عنقها لتنظر إلى الشيء. الشادن: الظبي. انظر: القاموس المحيط، مادة [شرأ]، [شدن].

(٣) تنبو: تتجافى وتبعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نبو].

(٤) راهقت: بلغت من العمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رهق].

Marfat.com

فبعض الهوى بالهجر يمحي فينمحي ... وحبك عندي يستجد ويرجح

ولما شكوت الحب كيما تثيبني ... بوجدي قالت إنما أنت تمزح

بعادًا وادلالاً علي وقد رأت ... ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح[1]

لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى ... تباريح من ذكراك فالموت أروح[2]

ومنها :

خليلي عدا حاجتي من هواكما ... ومن ذا يواسي النفس إلا خليلها

ألما بمي قبل أن تطرح النوى ... بنا مطرحًا أو قبل بين يزيلها

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة ... قليلاً فإني نافع لي قليلها

ومنها :

خليلي عوجا من صدور الرواحل ... بمجهود حزوي فأبكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي وحيّ البلابل

ومنها :

ولما تلاقينا جرت من عيوننا ... دموع كففنا غربها بالأصابع[3]

ونلنا سقاطاً من حديث كأنه ... جنى النحل ممزوجًا بماء الوقائع[4]

ومنها :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب ... به آل مي زاد قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

---

(١) يبرح: يتعبه ويجهده جهدًا شديدًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٢) تباريح : تباريح الشوق: توهجه. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٣) غَرَبْ الدمع: سيلانه دون توقف. انظر: القاموس المحيط، مادة [غرب].

(٤) الوقائع : جمع وقيعة: نقرة يستنقع فيها الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [وقع].

Marfat.com

فصل
أخبار مالك وصاحبته جنوب

هو: مالك بن الحرب بن الصمصامة بن أخرش الجعدي ، من بني أخرش، أخو ذي الرمة.

قال في الأنساب: هم أكبر فخذ من قحطان ، و لم يعقب أخو ذي الرمة غيره وغير مسعود وهمام؛ وهم قبائل معروفة .

وكان مالك شجاعًا جلدًا، ذا نجدة، ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره .

وجنوب هي: بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدي ، علقها شابا، وسبب ذلك أنه جاء يومًا إلى أخيها الأصبغ يسترفقه إلى حي من كنانة، لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة، فرأي جنوب وقد ألقت ما عليها خلا سب[1] أخضر شفاف، فرآها على بغتة، فوقعت من قلبه، فعاد وقد تمكن حبها منه، فأفضى بذلك إلى رجل من أصحابه، فوشى به إلى أخيها ، وكان معروفًا بالشجاعة فحلف ليقتلنه إن تيقن ذلك، فضمهما يومًا مجلس وقد أقبلت جنوب، فلم يستطع أن يكلمها وأخذته رعدة، فضمه شخص إلى صدره ، وفطن الأصبغ فقام خجلاً، وبقي مالك مغشيًا عليه.

فلما أفاق أنشد :

خَلِيْلَيَّ إنْ حَانَتْ وَفَاتِي فادْفِنَا ... بِرَابِيَةٍ بَيْنَ المَقَابرِ فالنفر

لكيما تقولُ العَبْدَلِيَّةُ كُلَّمَا ... رأت جدثي سُقِيْتَ يا قَبْرُ من قَبْرِ

وفي النزهة:

فادفنا عظامي ما ... بين الرابية فالنفر

قال: والرابية: طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب، والنفر:تربة مشهورة . وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى، وفيها بدل **سقيت حييت** ، **ثم إن العرب نجعوا**

---

(١) السب : الستر أو الخمار أو شُقّة كتان رقيقة، انظر: لسان العرب ، مادة [سبب] .

Marfat.com

نجعة وسيمة، يعني مكانًا أمطر وأعشب سابقًا ، فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيًا حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بعيرها وأنشد :

رأيتك إن ازمعتم اليومَ نِيَّةً ... وغالك مصطافُ الحِمَى ومرابِعُه
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي ... إذا ما نَأَى هَانَتْ عليه وَدَائِعُهُ

فبكت، ثم قالت:أرعى وا لله ولا تهون عندي ودائعه، فأطلقها ومضى في نشيده يقول:

ألا إن وردًا دونه قلة الحمى ... مني النفس لو كانت تنال شرائعه
فلا أنا فيما صَدَّنِي عنه طامِعٌ ... ولا أرتَجي وَصْلَ الذي هو قَاطِعُه
وكيف ومن دون الورد عوائق ... واجنح حال ما أحب ومانعه

ثم انصرف ، فبات ليله قلقًا ، فلما أصبح ركب وضرب الفضاء لينزه نفسه، فبينما هو على ماء يستريح إذ سمع شخصًا يشتكي إلى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه.

قال له: منذ كم أصابك؟

قال: من أمس .

فقال:من هذا الهواء الذي كان بارحة أمس فإنه جنوب وهواء الجنوب ضار.

فلما طرق الكلام رأسه، قال: أى وا لله ولا أضر من هواها أجد، وسقط كالمصروع، فجاؤا إليه واحتملوه بعد أن قارب الفراق ، ثم مضوا به إلى الحي، فقام ليلتين ثم قضى .

وفي النزهة: أنهم دعوا له طبيبًا، فلما أبصره أنكر حاله، فدعا بشراب وسقاه.

فلما تمكن منه أنشد :

خَلِيلَيَّ إن العَبْدَلِيَّةَ أَزْمَعَتْ ... على الصَدِّ والهُجَران فاستدينا عنسي[1]
فلا صَبْرَ لي بَعْدَ الفِرَاقِ على الجفَا ... ولا رَاحَةَ إلا التوسد في رمسي[2]
فَصَبْرُ مِحبٍّ عَنْ حَبِيب يحِبُّه ... مُحَالٌ وهل جِسْمٌ يعيش بلا نفسِ

ثم شهق شهقة خرجت بها نفسه.

---

(١) عنس الرجل : أسن و لم يتزوج.. انظر: القاموس المحيط، مادة [عنس].

(٢) الرمس : القبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رمس].

Marfat.com

قلت: وهذه الأبيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الأذهان في منتخب شعر قتلى الحسان .

وفي النزهة: نقلة عن ذي الرمة ، ورواه بلفظ (إن المنقرية) ، يعني : مية.

وفي لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه: أن مالكًا هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم إليها لبن ، فلما امتصته ووقع الكلام في أذنها، اضطربت اضطراباً خفيفًا ، ثم اضطجعت فإذا هي ميتة .

Marfat.com

فصل
أخبار عبد ا لله بن علقمة وصاحبته حبيشة

هو: عبد ا لله بن علقمة بن زرارة، من قحطان .

وصاحبته: حبيش بنت سعد بن أسلم ،من خريمة ؛ قبيلة من اليمن ، و لم يذكره في النزهة ولكني رأيت في ظرائف الأخبار أن سبب اعتلاقه بها أنه، أضاف أهلها ، فأجلسوه في متحدث لهم ، فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر، فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر ، فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها، وكانت طويلة إلى الرقة واسعة الصدر ،وكأن وجهها البدر ، فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة أن يظهروا على حاله ، ثم جاءت إليه باللبن ليشرب ، فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده، ففطنت لما به ، وكان شابًا كأنه القمر فداخلها ما داخله، و لم يكونا متقاربين في المنزل؛ لأنهما من فخذين[1] ، فافترقا على ما داخلهما من الهوى. وإن الغلام أرسل أمه بهدية إليها وتبعها وأقاما عندها، فلم يزل كذلك يذهب مع أمه ويعود إليها أيامًا ، وكان في أوائل الهجرة ، فأرسل رسول ا لله صلي ا لله عليه وسلم سرية إلى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد، فصادفوا العرب ظاعنين، ورأوا عبد ا لله وراء القوم يسوق قلوصًا له ، فأمسكوه، وعرضوا عليه الإسلام، فقال: وما هو ؟

فقالوا: كذا وكذا .

فقال: أرأيتم إن لم أسلم فما أنتم صانعون؟

قالوا: نضرب عنقك .

فقال: هل لكم أن تتركوني أمضي إلى الظعن ؟

قالوا: بلى، ونحن في أثرك .

فمضي يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش ، فناداها: أسلمي ، فقد نفد العيش . وفي رواية : انقطع.

فقالت حبيش: أو أسلم عشرًا أو تسعًا وترًا ، أو ثمانيًا أو ثلاثاً تتراً ، على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب.

---

(١) الفخذ : قال ابن الكلبى : الشعب أكرمه القبلية ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ.

Marfat.com

ثم أنشد :

أَرَيْتُــك إن طــالبتُكم فوجدتُكــم ... بــبرزةَ أو أدركتــم بــالخوانقِ

أمــا كــان حقًــا أن ينــوّل عاشــقٌ ... تكلّــف إدلاج الســرى والودائــق[1]

فــإني لا سِــرًّا لــدي أضعتُــهُ ... ولا راقَ عيــني بعــد وجهــك رائــقُ

علــى أن مــا نــاب العشــيرة شــاغلٌ ... ولا ذكــرٌ إلا أن يكــون توامُــقُ[2]

فهــا أنــا مأســور لديــكِ مكبــلُ ... ومــا إن رآنــي بعدهــا اليــوم نــاطقُ

فأجابته:

أرى لــك أســبابًا أظنــك مخرجًــا ... بهـا النفـس مـن جنـبي والـروح زاهـقُ

فأجابها:

فـإن يقتلونـي يــا حبيــش فلــم يَـدَعْ ... هواكِ لهــم مـني سـوى غُلّـةِ الصـدرِ[3]

فـأنت الـتي قفلـت جلـدي علـي دمـي ... وعظمي واسبلت الدموع علـى النحـر

فأجابته:

ونحــن بكينــا مــن فراقــك مــرة ... وأخـرى وقاسـينا لـك العسـر باليسـر

فــأنت ولا تبعــد فنعــم أخــو النــدى ... جميــلِ المحيــا في المــروءة والبشــر

وفي رواية بعد قوله: تكلف ادلاج السرى والودائق:

فـلا ذنـب لي قـد قلـت أنّـا هنــا معًـا ... أثيــبي بــود قبــل أخــذ الصفــائق[4]

أثيــبي بــود قبــل أن يشــحط النــوى ... وتنــأى الليــالي بــالحبيب المفــارق

ثم ضربه غلام فأطار يده، وقدم فضربت عنقه .

وقيـل: أوثقـوه أولاً حـين أدركـوه ، وإنـه رأي رجـلاً منهـم، فقـال لـه: أمـا تستطيع أن تعرضني على النساء قبل أن تقتلوني؟

---

(١) إدلاج السرى : السير ليلاً. الودائق: جمع وديقة: شـدة الحـر. انظـر: القـاموس المحيـط، مـادة [سرى]، [ودق].

(٢) توامق : شدة الحب. انظر : لسان العرب، مادة [ومق] .

(٣) غلّة الصدر: حرارة الحب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غلل].

(٤) الصفائق: الركاب الجائية والذاهبة. . انظر: القاموس المحيط، مادة [صفق].

Marfat.com

فقال: سهل ما طلبت ، وعلى كلا الأحوال أنهم قتلوه، وأنها نزلت حين رأت ذلك، فقبلته، وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت.

ولما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك قال: أما كان فيكم رجل رحيم .

وفي نديم المسامرة للمقدسي: أن عبد الله هذا ، حين فشا أمره مع حبيش، قالوا لأمه: إن ولدك قد تولع بهذه، وليست من حيكم ، فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ، ففعلت فقيل له ما ترى فيهن قال حسنًا وجمالاً، فقيل: أيما أحسن هنّ أم حبيش؟ فتنفس الصعداء ثم قال: ماء ولا كصَدْاء[1] ، ومرعى ولا كالسعدان، فمضى مثلاً في العرب .

---

(١) الصدآء : عين الماء أو بئر . انظر: لسان العرب ، مادة [صدأ] .

Marfat.com

فصل
أخبار نصيب وصاحبته زينب

هو: ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة، الشهير بالشاعر الزنجي، مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة .

وصاحبته أم بكر: زينب بنت صفوان بن غازى ، كنانية في الأصح وليست زنجية كما زعم .

وسبب الوصلة بينهما: أن نصيبًا كان يرعى إبلاً لمولاه ، وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان ، في المبروك بوادي البوار ، وكانت زينب تأتي رعاة أبيها فتأخذ لبنًا ، وأن نصيبًا تولع ببري القسي[1]، و إراشة[2] السهام وحجم الأوتار، فبرع في ذلك حتى اشتهر في أحياء العرب ، وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة، فتقوم عنه بالخدمة، وتتخلف الحلوب من النوق في المعاطن[3]، فتأتي زينب وهي جارية صغيرة فتأخذ اللبن ، فينظرها، وكان حاذقًا حسن التأمل في دقائق المحاسن ولطائف الشمائل ، وهي من ذلك في أرفع المراتب ، فنشأ عنده من حبها ما غير باله ، وأشغل حاله، فشبب بها، وفشا ذلك فأتت العرب مولاه . فقالت: إن عبدك هذا قد برع في الشعر ، ونخشى أن يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا ، وليس لنا في أحدى الخلتين جيزة.

فقال له مولاه: إني بائعك، فانظر لنفسك ، فأقبل حتي دخل على الأمير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان.

فأنشد :

لعبد العزيز على عزته ... وغيرهم من ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامره
وكلبك أراف بالزائرين ... من الأم بالابنة الزائره

---

(١) القسى : جمع قوس الحواجب التى على شكل قوس ، لسان العرب ، مادة [قوس] .

(٢) إراشة السهام : سنها. انظر: القاموس المحيط، مادة [راش].

(٣) المعاطن: جمع معطن: مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [عطن].

Marfat.com

وكفـــك حـــين تـــري الســـائلين لأثـــرى مـــن الليلـــة المـــاطره
فمنـــك العطـــاء ومنـــا الثنـــاء بكـــل محـــبرة ســـائره

فأمر له بألف دينار .

فقال: أصلحك الله إني عبد، لا آخذ الجوائز ولكن أباع .

فقال لخادمه: امض به إلى باب الجامع فإذا انتهت الرغبات فيه فأخبرني، فمضى، فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارًا .

فقال نصيب: قولوا: يُحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى إلى ألف دينار .

فأخذه الأمير فكان في خدمته إلى أن توفي، فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج ، فكان من أكبر سماره، وكان يلهج بالعشق .

وقال ابن فاتك في محاسن العبيد: إن سليمان استخفى ليلة فسمع نُصَيْبًا وقد استخلي بنفسه يبكى ويقول متمثلاً بكلام المجنون: **قضاها لغيري** ... البيت. فاستحضره فقال: ما هذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها، أو عاشق أنت؟

قال: إي والله -جعلت فداك- من العشق .

فقال: ولمن؟

قال: لجارية في كنانة علقتها فمنعت منها لقلة حسبي، وحقارة نسبي عند العرب، فكنت أجلس في ممرّها لأخالسها النظر وفي ذلك أقول :

جلســـت لهـــا كيمـــا تمـــرّ لعلـــني أخالســـها التســـليم إن لم تســـلم
فلمـــا رأتـــني والوشـــاة تحـــذرت مدامعهـــا خوفًـــا ولم تتكلـــم
مساكين أهل العشق مـا كنـت اشـتري حيـــاة جميـــع العاشـــقين بدرهـــم

فوعده سليمان بتزويجها .

ففي النزهة ومحاسن العبيد لابن فاتك: أنه زوجه بها، وأقام معها، وأنها توفيت عنده في خلافة سليمان .

وقيل: إنه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد، وما ذكره هنا من أن يزيد استخبره: هل عشقت؟ فقال: نعم عشقت جارية حمراء؛ يعني من البيض، ومنعت

Marfat.com

منها مدة، فلما تُوفي من كان يمنعها كتبت إليها :

فـإن أك حالكًـا فالمسـك لونـي ... ومـا لسـواد جلـدي مـن دواء
وبـي كـرم عـن الفحشـاء نـاء ... كبعـد الأرض عـن جـوّ السـماء
ومثلـي في رجـالكم قليـل ... ومثلـي لا يـردّ عـن النسـاء
فـإن ترضـى فـردّى قـول راض ... وإن تـأبى فنحـن علـى السـواء

فقالت: المال والعقل يغطيان غيرهما لو تزوجتني ؛ يدل على أن ليس ليزيد في تزويجها شيء . وقيل: إنه تزوجها على يد ابن أبي عتيق .

وفي تسريح النواظر: أنه لم يتزوجها وأنهـا اعتـذرت حـين أرسـل إليهـا بـأن العرب تعيرها بزواج الزنجي، والمتواتر خلاف ذلك.

أخبر التنوخي والتوزي كلاهمـا عـن ابـن الجـزار بسـنده إلى العتـبي. قـال: شهدت هوادج مزينة حين نزلنا إلى مكة ، فلما نـزل الحـاج خـرج مـن أعظمهـا هودجا، امرأة وقد مهد لها مهاد، فجلست، وأقبل زنجي حتى جلس إلى جانبهـا، فمرّ سائق إبل وهو يقول:

بزينـب ألـم قبـل أن يدخـل الركـب ... وقـل إن تملينـا فمـا ملـك القلـب

فوثبت المرأة ، فضربت الذي إلى جانبها وقالت: قد فضحتنا، فسـألنا عنهمـا، فقيل: هي زينب وهو نصيب.

ونحوها عن الزبـير عـن الخزامـي وعـن ابـن خلـف وابـن الجوهـرى في **أخبـار السودان** وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الأول فإنه قال: إنها زنجية .

وعن ابن خلف من طريق آخـر، بينـا نحـن في الركـب إذا بزنجـي يمشـي وإلى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما، فقلت له: من أنت؟

قال: أنا الذي أقول :

ألا ليت شعري مـا الـذي هـو حـادث ... غـدا غربـة النـأي المفـرّق والبعـد
لـدى أم بكـر حـين يقذفهـا النـوى ... بنا ثم يخلـو الكاشـحون بهـا بعـدي[1]
أتصرمـني عنـد الذيـن هـم العـدا ... فتشمتهم بـي أم تـدوم علـى العهـد[2]

---

(١) الكاشحون: الذين يضمرون العداوة. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٢) أتصرمنى: أتقاطعنى. انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

Marfat.com

فصاحت المرأة: لا وا لله بل ندوم على العهد .

وتوفي نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل: إحدى عشرة .

وفي كتاب ابن الجوهري: كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة ، وقيل: توفيت قبله ورؤي باكيًا عليها وهو يقول :

أيا دهر ما هذا لنا منك مرة ... عثرت فأقصيت الحبيب المحببا

وأبدلتني من لا أحب دنوّه ... واسقيتني صابًا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره :

كسيت ولم أملك سوادًا وتحته ... قميص من القوهي بيض بنائقه[1]

وما ضرّ أثوابي سواد وإنني ... لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه

ولا خير في ودّ امرىء متكاره ... عليك ولا في صاحب لا توافقه

إذا المرء لم يبذل من الود مثله ... بعافية فاعلم بأني مفارقه

ومنها :

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيًا أبدًا حزينًا ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

---

(١) القوهى: قميص ينسب إلى منطقة قوهستان فى غيران وقد ورد ذكره فى الشعر الجاهلى وانظر ذلك فى فهرس ألفاظ الفارسية المعربة مادة [قوهى] . بنائقه: جمع بنيقه : رقعة تزاد فى نحر القميص لتوسيعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بنق].

Marfat.com

فصل
أخبار المرقش وصاحبته اسماء

هو: عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بـن ثعلبـة بـن ربيعـة ، أعلـى قبائل طيء، ولد باليمن قبل خروج ربيعة، ثم انتقلوا إلى العراق، فنشـأ بهـا، ولـه أخوان: أنس وحرملة ، رفعهم أبوهم إلى نصرانيّ ببغداد يتعلمون الكتابة ، وكان سعد والده يرى دين النصرانيـة ، ومـات فقـام عمـرو مقامـه في العـرب ، فكـان شجاعًا مهابًا في العرب .

خرج يومًا وقد قُطِع وادي نجران بأسد ونمر، فلـم يطـق أحـد أن يمـر منهمـا، فلما رأى عمرو الأسد وثب عليه فراوغه ، ووثب فصـار علـى ظهـره، فأمسـك أذنيه مستثبتًا، ثم دق رأسه وسلخ جلده، فلما أحس بالنمر التف في جلد الأسـد وناما رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثـم سـلخه وأخـذ جلـده عليه، وأقبل على العرب، فسموه المرقش .

وقيل: سمي بذلك لقوله:

الـــدار قفـــر والرســـوم كمـــا رقـــش في ظهـــر الأدنـــي قلـــم

ومن ولد أخيه حرملة، رجل دعته العرب بالمُرقش الأصغر لشبهه ذاك .

وأسماء، هي: بنت عوف بن سعد بن مالك أيضًا ، وكان عمرو قد ألفها مـن التربية صغيرين فخطبها إلى عمه فأنعم، ومضى عمرو إلى جـار الفـلاة فمدحـه ، وحظى عنده فأمسكه مدة وإن الغلاء وقع بالبادية، وطرقها جدب فقدم مـراديّ على عوف فخطب أسماء فزوّجه بها على مائة ناقة، واحتملها إلى قومه.

وعمدوا إلي عظام كبش فذبحوه، ودفنوا عظامـه، وصيروهـا قـبرًا ، فلمـا قـدم عمرو، أخبروه أنها ماتت، وأروه القبر، فلزمة حتى ضني وتغير حاله.

فبينما هو يومًا منتحبًا إذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب ، يقول هذا : أخذته من عظام الكبش الذي دفن ، وقيل لعمرو إنها أسماء، فدعاه وسأله الخـبر، فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي .

فقيل: إن إخوته شعروا به، فردّوه فمات.

Marfat.com

وتضافرت الأخبار بأنه وصل إلى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض، فقال زوج ابنته لها: اتركيه واذهبي بنا فقد أجهدنا ، فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل :

يا صاحبيّ تلبثا لا تعجلا ... إن الرواح رهين أن لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرّب بيننا ... أو بسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا راكبًا ما عرضت فبلغن ... أنس بن سعد إن لقيت وحرملا
لله درّكما ودرّ أبيكما ... لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام إن مرقشًا ... أضحى على الأصحاب عيا مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه ... إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا[1]

فلما رأى أخواه الكتابة ، قتلا الرجل والمرأة .

وأما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحًا فأوى إلى غار هناك وكان يألفه راع من مراد، فبينما هو به إذا هو بغنم وراعيها ، فلما بصر به الراعي قال له: من أنت؟ قال له المرقش أن رجل من مراد فراعى من أنت ؟ فأعلمه باسم الذي هو عنده، فإذا هو زوج أسماء .

فقال له: تكلم مولاتك؟ قال: لا، ولكن تأتيني جارية من عندها لأخذ اللبن .

قال في النزهة: وكانت أسماء قد مرضت أيضًا شوقًا إليه، فلم تغتذ إلا بقدح من لبن في اليوم ، فنزع عمرو خاتمه، وقال للراعي: ألقه في القدح، فستصيب به خيرًا .

فلما رأته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي ، فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمرًا وبه رمق فاحتملوه عندهم ، فمات.

وقيل أنشد عند موته :

سما نحوي خيال من سليمى ... فأرقني وأصحابي هجود[2]
فبت أدير أمري كل حال ... وأذكر أهلها وهم بعيد

---

(١) شلو: أعضاء الإنسان بعد البلى والتفرق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شلا].
(٢) هجود: نائمون. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجد].

Marfat.com

على أن قد سما طرفي لنار ... يشب لها بذي الارطي وقود[1]

حواليها مها بيض التراقي ... وآرام وغزلان رقود[2]

نواعم لا تعالج بؤس عيش ... أو انس لا تروح ولا ترود

يرحن معًا بطاء المشي رودًا ... عليهنّ المجاسد والبرود

سكنّ ببلدة وسكنت أخرى ... فقطعت المواثق والعهود

فما بالي أفي ويخان عهدى ... وما بالي أصاد ولا أصيد

وربّ أسيلة الخدّين بكر ... منعمة لها فرع وجيد

وذي أشر شنيب النبت عذب ... نقيّ اللون برّاق برود[3]

لهوت بها زمانًا في شبابي ... وزين بها النجائب والقصيد[4]

أناس كلما أخلقت وصلاً ... عناني منهم وصل جديد

وله :

أغالبك القلب اللجوج صبابة ... وشوق إلى أسماء أم أنت غالبه[5]

يهيم ولا يعني بأسماء قلبه ... لدات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله: راكبًا (البيتين) ، أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلاً على ذكاء العرب، وأسندها إلى مجهول.

وأصلها: قال في روضة القلوب: إن أسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل أبوه صبرا في تميم ، فخرج يستجيش له نصرة، وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسيرة، فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته لحقته علة، فعزما على قتله ، فلما أحس ذلك، قال لهما: هل أنتما مبلغا ابنتي هذين البيتين، قالا: وما هما؟

---

(١) الأرطى: شجر ثمره كالعناب. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرط].

(٢) آرام: حجارة يهتدى بها فى المفازة. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرم].

(٣) أشر: تحزيز فى الأسنان. شنيب: أبيض الأسنان حسنها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أشر]، [شنب].

(٤) النجائب ، جمع نجيب : الفاضل النفيس فى نوعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجب].

(٥) اللجوج : المضطرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [لجج].

Marfat.com

قال: تقولان :

ألا يـا بنـات الحـيّ إن أباكمـا لله در كمـا ودر أبيكمـا

فلما أتيا الحيَّ أخبرا بموته ، فقالوا: هل أوصي بشيء؟

فقالا: لا ضرر علينا فيما ذكره، وذكرا لهم القول .

فقالت: إحدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبي .

فقالوا: ومن أين لك ذلك؟

قالت: إن هذا الكلام سفه وهدر، وقد كان مصونًا عن ذلك، وإنما كتم عنهما تكملة البيتين.

والأصل :

ألا يـا بنـات الحـي إن أباكمـا أضحـى قتيـلاً في الـتراب مجنـدلا

لله دركمـا ودر أبيكمـا لا يـبرح العبـدان حتـى يقتـلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة .

قلت: وفي البيت خزم[1] بالحرف الأول، وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال في الصناعة .

وقوله: (بنات الحيّ) ، ثم عدل إلى التثنية في قوله: (إن أباكما) جريًا على الغالب في خطاب العرب فإنهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والإفراد .

قال ابن النحاس: وأصل ذلك: أن البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه، أو أنه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيمًا ، ثم عاد إلى أصله.

وقد حكى في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل ، وقال في صدر البيت الأول (من مبلغ الأقوام أن مهلهلاً) والباقي على حكمه .

---

(١) خزم: زيادة حرف أو أكثر فى أول بيت الشعر. انظر: لسان العرب مادة [خزم] .

Marfat.com

فصل
أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا

هو: عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري .

وصاحبته هي: ريا بنت الغطريف السلمي ، علقها بمسجد الأحزاب يوم متنزه ، وأصل ذلك: أن عبد ا لله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال: بينما قد زرت رسول ا لله ﷺ ليلاً، وجلست إذا أنا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه:

أشجاك نوح حمائم السدر ... فاهجن منك بلابل الصدر[1]

ياليلة طالت على دنف ... يشكو الفراق وقلة الصبر

أسلمك من تهوى لحرّ جوى ... متوقد كتوقد الجمر

ما كنت أعلم انني كلف ... حتى تلفت وكنت لا أدري

فالبدر يشهد انني كلف ... مغري بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الأصل تقديم هذا ، وصدر الذي قبله:

ما كنت أحسب انني شجن

فتبعت الصوت فرأيت شابًا حرقت الدموع خدّهُ ، فقال لي: اجلس أحدثك ، أنا فلان ، كنت يومًا بمسجد الأحزاب إذا بنسوة يتنزهن ، فيهن جارية لم أر مثلها ، وقفت عليَّ وقالت: ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟ ثم مضت، فلم أعرف خبرها ، ثم غشي عليه ساعة فلما أفاق أنشد :

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... تراكم ترونني في القلوب على البعد

فؤادي وطرفي يأسفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي

ولست ألذ العيش حتى أراكم ولو ... كنت في الفردوس أو جنة الخلد

فشرعت في تسليته ، فقال: هيهات أو يؤوب القارظان، مثل مشهور، أصله أن أخوين خرجا يجتنيان القرظ، نبت معروف، فلم يعلم لهما خبر.

قال عبد ا لله: فلما طلع الصبح، قلت له: قم بنا إلى مسجد الأحزاب.

---

(١) السدر: شجرة النبق. أهجن: من هاجن : إذا حركه وأثاره. انظر: لسان العرب، مادة [سدر]، [هيج].

Marfat.com

فأنشد :

يـا للرجـال ليـوم الاربعـاء أمـا ... ينفـك يحـدث لي بعـد النـوي طربـا

مـا أن يـزال غـزال فيـه يظلمـني ... يهـوى إلى مسـجد الأحـزاب منتقبـا

يخـبر النـاس أن الأجـر هيمـه ... أو أنـه طـالب للأجـر محتسـبا[1]

لـو كـان يبغي ثوابًا مـا أتـى ظهـرًا ... مضمخًا بفتيـت المسـك مختضبـا[2]

فمضينا إلى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة و لم نر الجارية فيهن .

فقلن له: ما ظنك بطالبة وصالك .

فقال: وأين هي ؟

قلن له: مضى بها أبوها إلى السماوة .

فأنشد :

خليلـيّ ريـا قـد أجـدّ بكورهـا ... وسـارت إلى أرض السـماوة عيرهـا

خليلـيّ قـد غشيت من كثرة البكـى ... فهـل عنـد غـيري عـبرة اسـتعيرها

فقلت له: قد وردت بمال جزيل أريد به الحج ، وقد عزمت على أن أبذلـه في حاجتك فهل لك أن تسير معي إلى قومها وأبيهـا ، فقـال: نعـم، فسـافرنا إلى أن وافينا أباها ، ففرش لنا الأنطاع[3] ونحر لنا النحائر ، فحلفنا ألا نأكل له طعامًا أو يقضي حاجتنا .

فقال: اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة .

فقال: من عتبة ؟

فقلنا: من الأنصار .

قال: ذاك إليها.

فقلنا له: أخبرها ، فدخل عليها وأعلمها فشكرت[4] عتبة.

فقال: قد نمى[5] إليّ أمرك معه وأقسم لا أزوجك به .

---

(١) هيمه: من هامه: إذا طلب لنفسه شيء واهتم لها. انظر: لسان العرب، مادة [هيم].

(٢) فتيت: من فت الشيء، إذا كسره بأصابعه إلى قطع صغيرة. انظر: لسان العرب، مادة [فتت].

(٣) الأنطاع ، جمع نطع : بساط من الجلد يفرش للجلوس عليه. انظر: لسان العرب، مادة [نطع].

(٤) شكرت : أى أثنت عليه. انظر: لسان العرب، مادة [شكر].

(٥) نمى : أى وصل إليه. انظر: لسان العرب، مادة [نمى].

Marfat.com

فقالت: إن الأنصار لا يردّون ردًا قبيحًا فإن كان ولا بد فأغلظ عليهم المهر .

فقال: نعم ما أشرت به ، ثم خرج.

فقال: قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجريـة[1] ومائـة ثوب من الإبراد والخز وخمسة أكراس[2] من العنبر. فضمنا له ذلك وقلنا لـه: إذا أحضرناها أجبت.

قال أجبت: فأحضرنا ذلك ، فأولم أربعين يومًا ثم أخذناها ومضينـا ، فحـين قاربنا المدينـة خـرج علينـا خيـل كثـيرة حسـبناهم بـأمر أبيهـا فقاتلنـاهم زمانـا ، فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمـه يفـور ، فجاءتنـا النجـدة فـإذا هـو ميـت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه.

وأنشدت :

تصـبرت لا انـي صـبرت وإنمـا أعلـل نفسـي أنهـا بـك لاحقـه
ولو انصفت روحي لكانت إلى الـردى أمـامك مـن دون البريـة سـابقه
فمـا أحـد بعـدي وبعـدك منصـف خليـلاً ولا نفـس لنفـس موافقـه

ثم شهقت شهقة فماتت، فواريناهما معًا . قال عبد ا لله: فأقمت سـبع سـنين ثم رجعت إلى زيارة النبي ﷺ فقلـت: لا أبـرح أو أزور عتبـة ، فجئـت فـإذا أنـا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر ، فسألت عنها، فقالوا: شـجرة العروسين .

---

(١) هجر : هى فى عرف سكان الجزيرة ، المدينة المنورة واشهرها هجر البحرين .

(٢) أكراس: من كرس الشيء، إذا تلبد بعضه إلى بعض. انظر: لسان العرب، مادة [كرس].

Marfat.com

فصل
أخبار الصمة وصاحبته ريا

هو:أبو مالك الصمة بن عبد ا لله بن مسعود بن رقاش القشـيري التغلبي، مـن بني ربيعة ، كان أديبًا شجاعًا عارفًا بأيام العرب ووقائعها ومواضعهـا وكثـيرًا مـا يسند إليه ابن دريد والأصمعي ، قال:ابن الفوّار والوزير إنه أدرك أوائل الإسلام.

وريا هي: بنت مسعود بن رقاش أيضًا ، كانت ذات ظرافـة وفراسـة ومعرفـة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الأدب وملح الأشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها ، فلما شكا ما يجد منها إلى بعض أصدقائه أرشده إلى تزوجها ، فخطبها إلى عمه ، فأنعم علـى مائـة مـن الإبل ، فمضى الصمة إلى أبيه فأعطاه تسـعًا وتسـعين، فـأبي مسـعود إلا التمـام، وعبد ا لله إلا ذلك، وحلف كل على ما قـال، وأوقفـوا الأمـر، فحملـت الصمـة الأنفة على أن خرج عنهما إلى العراق .

فقالت الريا: ما رأيت رجلاً أضاعه أبوه وعمه ببعير إلا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها ، فلما طال عليه الأمر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العـود بلا طلب مرض حتى أضناه السـقم ، وقيـل: أتـى كاهنًـا بـالعراق، فسـأله: عمـا أضمر، فأخبره أنه لا يتزوج بها أبدًا، فضعف ، والصحيح كمـا حكـاه صـاحب **قوت القلوب** في أخبار المحب والمحبوب، أنه قدم رجل يقال له غـاوي بـن رشـيد بن طلابة المذحجي على مسعود، فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائه ناقة برعاتهـا ، فزوجه بها فحملها إلى مذحج[1] فبلغ الصمة ذلـك فـلزم الوسـاد[2] وطـال أمـره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه.

فأنشد:

أمـن ذكـر دار بالرقاشـين أعصفـت بـه بارحـات الصيـف بـدأ ورجعـا

---

(١) مذحج : قبيلة يمانية الأصل اشتهرت بالبصرة فى العصر الإسلامى . انظر: معجم قبائل العرب .

(٢) الوساد، جمع وسادة: المخدة، وهو كناية عن كثرة النوم لما به من المرض. انظر: القاموس المحيط، مادة[وسد] .

Marfat.com

حننـت إلى ريـا ونفسـك بـاعدت مـزارك مـن ريـا وسـعيًاكما معـا
فمـا حسـن أن يـأتي الأمـر طائعًـا وتجـزع أن داعـي الصبابـة اسمعـا
كـأنك لم تسـمع وداع مفـارق ولم تـر شـعبي صـاحبين تقطعـا[1]
بكـت عيـني اليمـني فلمـا زجرتهـا عـن الجهـل بعـد الحلـم اسبلتا معـا[2]

الرقاشين: اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة ، والبارحات: رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب، والضمير يعود على الوادي .

وفي قوت القلوب: أعصفت بها سانحات الصيف، يريد بـالدار ، والسـانحات أيضًـا: ريـاح لكنهـا لا تخـص الصيـف فيشـكل التعيـين هنـا، وقولـه وشـعباكما معطوف على قوله :

ونفســـــــك بـــــــاعدت

يريد أن السعي والنفس ابعداه عـن المحبوبـة، وغلـط في **قـوت القلـوب** حيـث أعرب وشعبيكما نصبًا بالياء على أنه معمول (باعدت) عطفًا على (مزارك) .

وقوله:

فمـــا حســـن أن يـــأتى الأمـــر وبكـــت عينـــى اليمنـــى

البيتين قد استعارهما المجنون وباقي الشعر واضح ويقال: إن في القصيدة طولاً:

ولمـا رأيـت البشـر أعـرض دونـا وجـالت بنـات الشـوق تحـتي نزعـا
تلفـت نحـو الحـي حتـى وجدتـني رجعت من الإصغاء ألوي وأجزعـا[3]
وأذكـر أيـام الحمـي ثـم أنثـني على كبـدي من خشـية ان تصدعـا
فليسـت عشـيات الحمـى برواجـع عليـك ولكـن خـل عينيـك تدمعـا
أمـا وجـلال ا لله لـو تذكرينـي كذكـراك مـا كففـت للعـين مدمعـا
فقـالت بلـى وا لله ذكـرى لـو أنـه تضمنـه صـم الصفـا لتصدعـا

---

(١) شعبى، الشعب: الطريق فى الجبل. انظر: لسان العرب، مادة [شعب].
(٢) اسبلتا، من اسبل الدمع، أى أرسله. انظر: لسان العرب، مادة [سبل].
(٣) ألوى، من لوى، إذا أكثر التمنى. انظر: لسان العرب، مادة [لوى].

Marfat.com

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقي بطبيب حاذق ، فلمـا تأملـه قـال: إنمـا يشكو العشق لا غيره وأرى أن يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين ليتشـاغل عمـا هو فيه، فأخرجه صاحبه مع بعض الخدم إلى الثغور ، فبينا هو يومًا على شـاطىء نهر وقد جدّ به الكرب إذ سمع امرأة تنـادي ابنتهـا يـا ريـا فسـقط مغشـيًا عليـه، فاحتملوه إلى بستان هناك وأضجعوه.

فلما أفاق أنشد :

تعـز بصـبر لا وجـدك لا تـرى ... سنام الحمى إحـدى الليـالي الغوابـر[1]

كـان لسـاني مـن تذكـري الحمـى ... وأهـل الحمى يهفـو بـه ريـس طـائر

ولم يزل يرددها حتى قضى ، ولما وصل خبره إلى ريا داخلهـا مـن الوجـد مـا أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت.

ومن لطيف شعره قوله:

ألا مـن لعـين لا تـرى قلـل الحمـى ... ولا جبـل الآثـال إلا اسـتهلت[2]

ألا قـاتل الله الحمـى مـن محلـة ... وقـاتل دنيانـا بهـا كيـف ولـت

غنينـا زمانًـا بـاللوى ثـم أصبحـت ... بـراق الهوى مـن أهلهـا قـد تخلـت

فما وجد اعرابية قذفت بهاصروف ... اللـوى مـن حيـث لم تـك ضنـت

تمنـت أحـاليب الرغـاء وخيمـة ... بنجـد ولم يقـدر لهـا مـا تمنـت[3]

إذا ذكـرت نجـد وطيـب ترابهـا ... وبرد الحصى من أرض نجد أرنـت[4]

ومنه :

أرى الدهـر بـالتفريق والبـين مولعـا ... وللجمـع مـا بـين المحبـين آبيـا

فـأف عليـه مـن زمـان كـأنني ... خلقـت وإيـاه نطيـل التعاديـا

---

(١) سنام: حدبة فى ظهر البعير، ويطلق على أعلى مافى الشىء. الحمى: من لا يحتمل الضيـم، أو هو الآبى ذو الأنفة. الغوابر، جمع الغابر:الماضى. انظر: لسان العرب، مادة [حمى]، [غبر].

(٢) قلل، جمع القلة: وهو أعلى كل شىء. انظر: لسان العرب، مادة [قل].

(٣) الرغاء: هو رغوة اللبن ونحوه. انظر: لسان العرب، مادة [رغا].

(٤) أرنت: من رنا إليه، إذا حن إليه. انظر: لسان العرب، مادة [رنا].

Marfat.com

فصل
أخبار كعب وصاحبته ميلاء

هو: أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم بن أبي بن رباح بن ضمرة، طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل، وكان جوادًا سخيًا شجاعًا، مألوف الصورة.

وميلاء: هي بنت لأبي بن رباح، أصغر أخواتها، كانت أجمل نساء الحجاز، وكان كعب قد خطب إلى عمه أخت ميلاء ، وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديدًا وألفها طويلاً، وإنه دخل عليها يومًا فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة، فسرته حين نظر إليها ، فقال : أنشدكِ الله هل تعلمين امرأة أحسن منك؟ فقالت نعم أختي ميلاء، فقال: ومن لي بأن أنظرها، فأخبأته وأرسلت إليها فحضرت ، فلما رآها وقعت من قلبه موقعًا أدى إلى زوال عقله من العشق، فانطلق فى طلبها، فاستعرضها وشكا إليها مالقى فى حبها فأعلمته أنها أعظم من ذلك في حبه ، وشعرت أختها فتبعتها فرأتهما يتشاكيان المحبة، فمضت إلى أخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك ؛ وقالت: إما أن تزوجوا كعبًا من ميلاء، أو تغيبوها عني .

فلما علم بمعرفة إخوتها به هرب إلى الشام فمكث بها أيامًا ، وإن شاميًا خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء وإلى جانبها أختها.

فأنشد الشامي متمثلاً :

أفي كل يوم أنت من بارح الهوى ... إلى الشمّ من أعلام ميلاء ناظر[1]

بعمشاء من طول البكاء كأنما ... بها حرّ نار طرفها متحادر[2]

---

(١) الشم، مفرد الأشم: ذو الأنفة والكرم. أعلام: جمع علم، وهو السمة والأمارة. انظر: لسان العرب، مادة [شمم]، [علم].

(٢) بعمشاء: من عمشت العين:إذا ضعف بصرها من كثرة البكاء. متحادر: من تحدرت العين الدمع: إذا سكبته. انظر: لسان العرب، مادة [عمش]،[حدر].

Marfat.com

تمنى المنى حتى إذا قلت المنى جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك يعد ما ضم ضمة بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت: وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه إلى الشام، والمصنف تبع الشيزري في أنه قاله بالشام ، وأصل الحال غلط الشيرزي في قوله (الشم) فإنه قرأها (إلى الشام) بدليل أن الشامي لما أنشد الشعر سألته: ممن الرجل؟

قال: من الشام.

قالت: أو تعرف صاحب الشعر .

قال: هو أعرابي اسمه كعب، مع أنه يحتمل أن معرفتها من ذكر اسمها ويكون ما ذكر صحيحًا . ولما أخبرها باسم الأعرابي أقسمت عليه أن لا يبرح حتى ينظره إخوتها فإنهم يكرمونه، ثم سألاه: هل تروي له غير ذلك ، قال: نعم.

وأنشد :

خليليّ قد رصت الأمور وقستها بنفسي وبالفتيان كل مكان[1]
ولم أخف يومًا للرفيق ولم أجد خليًا ولاذا البث يستويان[2]
من الناس انسانان ديني عليهما مليان لو لا الناس قد قفياني[3]
منوعان ظلامان ما ينصفانني بدلهما والحسن قد خلباني[4]
يطيلان حتى يعلم الناس أنني قضيت ولا وا لله ما قضياني
خليليّ أما أم عمرو فمنهما وأما عن الأخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم يرم مثلنا من الناس إنسانان يهتجران
أشد مصافاة وابعد عن قلى واعصى لواش حين يكتنفان

---

(١) رصت: من رصا الشيء: إذا أحكمه وأتقنه. قستها: من قاس الشيء إذا قدره. انظر: لسان العرب، مادة [رصص]، [قيس].

(٢) البث: شدة الحزن. انظر: لسان العرب، مادة [بثث].

(٣) دينى: من دانه: إذا ذله وتحكم فيه. قفيانى: من قفوا الرجل: إذا اتهموه ورموه بالباطل. انظر: لسان العرب، مادة [دان]، [قفا].

(٤) منوعان: من منعه الشيء: حرمه منه وكفه عنه، أو من تمنع عنه: إذا كف عنه وامتنع. انظر: لسان العرب، مادة [منع].

Marfat.com

بين طرفانا الذي في نفوسنا ... إذا استعجمت بالمنطق الشفتان[1]

فوا الله ما ادري أكل ذوي هوى ... على شكلنا أم نحن مبتليان

فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى ... فبي كل يوم مثل ما تريان

خليليّ عن أيّ الذي كان بيننا ... من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني

وكنا كريمي معشر حم بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صيان[2]

نذود النفوس الحائمات عن الهوى ... وهن باعناق إليه ثواني

سلاه بأم العمر يشفي فقد بدا ... به السقم لا يخفى وطول هوان

فما زادنا بعد المدى نقص حده ... ولا رجعنا عن عملنا ببيان

خليليّ لا وا لله ما لي بالذي ... تريدان من هجر الصديق يدان

ولا لي بالهجر اعتلاق إذا بدا ... كما أنتما بالبين معتلقان

ولا لاهيًا يومًا إلى الليل كله ... يبيض لطيفات الخصور رواني[3]

يمنيننا حتى يرعن قلوبا ... ويخلطن مطلا ظاهرًا بليان[4]

أعينيّ يا عينيّ حتام أنتما ... بهجران أم العمر تختلجان[5]

فما أنتما إلا عليّ طليعة ... على قُرب اعتدائي كما تريان

فلو أن أم العمر أضحت مقيمة ... بمصر ودوني الشحر شحر عمان[6]

إذن لرجوت الله يجمع بيننا ... وإنا على ما كان ملتقيان

من البيض نجلاء العيون كلاهما ... مقيم وعيشي ضارب بجران

أفي كل يوم أنت رامَ بلادها ... بعينين انسانًا هما غرقان

---

(١) استعجمت: استصعبت . انظر: لسان العرب، مادة [عجم].

(٢) حمّ: لنا . انظر: لسان العرب، مادة [حمم].

(٣) روانى: من الرواء: وهو حسن المظهر. انظر: لسان العرب، مادة [روى].

(٤) مطل: من أمطله، إذا سوّف له الشيء وأخره. انظر: لسان العرب، مادة [مطل].

(٥) حتام: من حتم عليه الشيء: إذا أوجب ولزم عليه. انظر: لسان العرب، مادة [حتم].

(٦) الشحر: الساحل، الشاطيء، شحر عمان: ساحل البحر بين عمان وعدن. انظر: لسان العرب، مادة [شحر].

Marfat.com

إذا ذرفت عيناي قالت صحابتي لقد ولعت عيناك بالهملان

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني[1]

هذا ما نقله الجلّ ، و أخرج هنا عن الأغاني من قوله : **ولا لاهيًا يومًا** .

إلى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله : **ففي كل يوم أنت رام** .

وقوله : **ألا فاحملاني** .... البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام .

ثم نزل وجاء إخوتها فأكرموه ودلوه على الطريق بعد أن استخبروا منه عن كعب وموضعه ، ثم توجهوا في طلبه، وضعفت ميلاء على ما رواه في نهاية الأدب بصداع أصابها .

فلما حضروا بكعب نزل ناحية ، وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين ، فأحس قلبه بالشر . فقال لصبى بإزاء البيت الذي هو فيه: من أبوك؟ قال: كعب -وكان تركه صغيرًا حين مضى إلى الشام -فقال له: ما اجتماع الناس على طنب[2] هذا البيت ؛ قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة . فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند إلى طنب البيت ، وحرّك فوجد ميتًا فدفنوه إلى جانبها رحمة الله عليهما .

---

(١) الروحاء: قرية من قرى العراق، على نهر عيسى، قرب السندية. انظرك معجم البلدان (٨٧/٣) ذرانى: التركانى . انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].

(٢) طنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت. انظر: لسان العرب، مادة [طنب].

Marfat.com

القسم الثانى
فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شيء من سيرته أو مآل حقيقته

ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء المجانين، ونحن وإن كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضًا، لكنهم إنما نقصوا شيئا مما ذكرنا بالنسبة إلى هذا الكتاب لقلة فحصه وإلا فهم مشهورن كثيرًا بخلاف من يأتي بعد، وستقف على كثير منهم كامل النسب والحسب أذكره إن شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم أتبعه في التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك إذ لا طائل فيما صنع، ولا فائدة فيما نوع ووضع وإنما كان الأولى أن يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون .

فمنهم : أسامة بن لؤي بن غالب القرشي المشهور .

قال في النزهة: نحر يوماً لضيوف مائة من الإبل فأكلوا قليلاً وبقي الغالب، فعاتبه أخوه كعب في ذلك، وقال له: لو أبقيت عليها لحاجة كان أولى ، فغضب منه ورحل مستخفيًا فنزل على أزديّ فنظرت إليه زوجته فوقع من قلبها، وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا أن يعرّف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك، فأخذته وامتصته، ففطن زوجها لذلك، فعزم على قتله فسم له قدحًا من لبن وقدمه إليه، فغمزته، فأراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته فى الخميلة[1] إلى عرفجة[2] لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق أسامة فمات لوقته، وبلغ الأزدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا مافي هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفاة الأقدار لم أوردها إذ لا مناسبة لها بهذا العيار.

ومنهم :عمرو بن عوف وبيا . .

هوى جارية اسمها بيا، فشغف بها طويلاً، فخطبها إلى أهلها فلم يجيبوه، وزوجوها من غيره، فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحارث بن كعب[3].وطال الحال على عمرو فطاش[4] عقله وطار لبه، فأشار

---

(١) الخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، انظر: لسان العرب ، مادة [خمل] .
(٢) عرفجة: نبات سهلى. انظر: لسان العرب، مادة [عرف].
(٣) بنى الحارث بن كعب : بطن من مذحج، من ا لقحطانية . سكنوا فى مقاطعة نجران .انظر: معجم قبائل ا لعرب (١: ٢٣١)
(٤) طاش عقله: فقد صوابه . انظر: لسان العرب، مادة [طاش].

Marfat.com

عليه أصدقاؤه أن يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل ا لله إما جمعه عليهـا أو صرف قلبه عنها، ففعـل فبينمـا هـو يطـوف في الموسـم إذ رآه شـخص مـن بـني الحارث ، فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة، فأعلمه بمكانها منهم.

فقال عمرو: هل لك في صنيعة يحسن شكرها.

قال: نعم، قل.

فقال عمرو: ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير إلى مكان يقرب منها وتمضي أنت فتعلمها بمكاني، ففعلا، ومضى به الرجل حتـى جعلـه في بيتـه، وذهب فأعلم بيا، فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما لقيا مـن الوجـد، فـأنكر زوجها غشيانها[1] المنزل من غـير عـادة وحسـن حالها بعـد مـا كـانت فيـه مـن الضجر، فأظهر لها سفرًا يغيب فيه عشرًا ثم عاد بعد ليلتـين وقـد فرشـت لعمـرو بساطًا أمام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنًا فنبـه عمـرًا ، فثـار عليه بالسيف، فقال: من ينجيني منك ياعمرو وأنا لم أهرب إلى هنا إلا منك.

فقال: يا ابن العم وا لله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وإنما غلـب علـى حبهـا من الصغر.

فقال زوجها حيث تحقق أن لا ريبة: فلا بأس عليك، فأقاما جميعًا حتى مـات عمرو من العشق والعفة والوجد .

وحكى أنها عمرت بعده، فسئلت على أي شيء مات عمرو وجـدًا بـك مـع أنه لا حسن عندك، فقالت: ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروي الشعر وأحسـن الأدب.

ومنهم : بشير الشهير بالأشتر وجيداء .

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه، فمنعها أهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة، فلما طال شـوقه واضمحـل حالـه جـاء إلى صديق له يقال له نمير فقال له: هل عندك صنيع تمن به عليّ عسى أن تعود روحي إليَّ.

---

(١) غشيانها : تركها .انظر: لسان العرب، مادة [غشى]

Marfat.com

قال: أشر بما شئت فإني فاعل.

قال له: تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدًا.

قال نمير: فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعدًا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك .

فلما كان الليل أقبلت فقام إليها بشير وهممت بالانصراف عنهما، فقالا: وا لله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك فجلسنا حتى مضى من الليل، فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير أن تزهق[1] ثم سألها الإقامة معه بقية الليلة.

فقالت: لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير.

فقلت: فيم شئتم ؟ فرمت بثيابها إلي وقالت اذهب إلى خدري كأنك أنا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده[2] ثم ارم به إليه، فإني أفعل ذلك فإذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فإنه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة.

قال نمير: ففعلت ذلك غير أني بعد أن طال وقوفه باللبن وأراد وضعه وأردت أخذه فاختلفنا فكب القدح، وقال هذا طماح[3]، ثم عمد إلى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني[4] نفسي وهممت أن أوجره[5] بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا أخالف زوجي، ظنًا أنني ابنتها ، وتقول: مالك وللأشتر، ثم قامت عني على أن ترسل لي ابنتها الأخرى تؤنسني ، فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت إلى جانبي، فوضعت يدي على فمها، ثم قلت: إن أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على أختك، فارتعدت ساعة ثم

---

(١) تزهق: تخرج من جسده. انظر: لسان العرب، مادة [زهق]

(٢) نكده:من نكد فلان، إذا منعه حاجته و لم يعطه إلا القليل منها.انظر: لسان العرب، مادة [نكد]

(٣) طماح: كبر وفخر. انظر: لسان العرب، مادة [طمح].

(٤) زايلتنى: من زالت نفسه إذا كادت أن تخرج منه. انظر: لسان العرب، مادة [زال].

(٥) أوجره : وجرة أة طعنه ، لسان العرب ، مادة [وجر] .

Marfat.com

أنست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى إذا جاء الصباح وأقبلت أختها فأنكرت من معي، فقلت: هي أختك وستخبرك بما كان ثم مضيت إلى بشير فأعلمته بالخبر فلما رأي تأثير السوط في بدني وخروج الدم ، قال: لقد عظمت صنيعك ووجب شكرك .

قال ابن طاهر: فلم يقم بعدها بشير إلا دون شهر وجاءه شخص فقصد مماجنته[1] فقال له: وهو يتناول عنبًا: أتتفكه وجيداء قد قضت الساعة، فلم يسمع منه إلا شهقة وحرك فإذا هو ميت، فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هناك فماتت.

ومنهم : مسعدة بن واثلة الصارمي .

قال في تسريح النواظر: وكان غلامًا حسن الوجه سخي الكف شجاعاً وإن أباه توفي، فاختلف مع عمه على بكرات[2] ، فرحل مغضبًا حتى نزل على بني باهلة[3] فأقام عندهم برهة، فورد الماء يومًا فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته، قالت: هل لك في أن تكفيني كلفة التعب؟ قال: وفيم تتعبين، وماذا تطلبين؟ قالت: ملء هذه السقاية، ورمت بها إليه فلما ملأها وهمت أن تتناولها شمرت عن زندين كأنما حجبت عظامهما بالبلور الصافي، ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي، قال ثم مضى متغير الحال فشكا إلى صديق له ما جرى له، وسأله عن اسم الجارية فقال: هي رملة بنت أثيلة بن مصقع وأعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو إليها ماعنده من حبها.
قال الشيزري: فداخلها من العشق ما داخله فلما علم أهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفًا فرأى حمامات على أراكة ينحن فهاجت بلابله.

---

(١) المماجنة :المداعبة والهزل .انظر: لسان العرب ، مادة [مجن] .

(٢) البَكر : الغنى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة ، انظر: لسان العرب ، مادة [بكر] .

(٣) بنو باهلة : قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، وهم من العدنانية،وهم: بنو سعد مناة بن مالك بن أعصر، واسمه منبه بن سعد بن قيس بن عيلان، منازلهم اليمامة. انظر: معجم قبائل العرب(١: ٦٠).

Marfat.com

فأنشد:

دعت فوق أغصان من الأيك موهنا مطوقة ورقاء في أثر إلف[1]

فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق بين الشراسف[2]

ثم أدركه الليل قريبًا من حي خشي أن يكونوا من قومها فنزل قريبًا منهم فسمع قائلاً يقول:

تمتع من شميم عرار نجد فيما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم أخذته سنة فإذا هو بقائل ينشد:

ولا شيء بعد اليوم إلا تعلة من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرًا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول:

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

لم يبق يومًا عاشقان بحالة إلا وقد جاءتهم الأغيار

كل وإن طال المدى متصرم حكم الإله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرًا وسار فلما برق الفجر إذا هو براع ينشد:

كفى بالليالي مخلقات لجدة وبالموت قطاعا حبال القرائن[3]

فعرف صوته، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال له: ما دهاك ؟ قال: قد ضاجَعَتْ رملة الثرى[4]، فسقط مغشيًا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل إلى بيته.

فأنشد:

يا راعي الضأن قد ألقيت لي كمدا يبقي ويقلقني يا راعي الضأن

نعيت نفسي إلى روحي فكيف إذا أبقى ونفسي في أثناء كفاني

لو كنت تعلم ما أسررت في كبدي بكيت مما تراه اليوم أبكاني

فلم يزل يردده حتى مات .

---

(١) المطوقة: الحمامة ذات الطوق. الورقاء: الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة. انظر: لسان العرب، مادة [طوق]، [ورق].

(٢) ضرام: اشتعال النار. الشراسف، جمع شرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم]،[شرس]

(٣) مخلقات، جمع مخلقة: جديرة به. انظر: لسان العرب، مادة [خلق].

(٤) ضاجع الثرى : افترش التراب كناية عن الموت. انظر : القاموس المحيط ، مادة[ضجع] .

Marfat.com

ومنهم : ذرعة بن خالد العذري .

كان غلامًا حسن الوجه، عذب المنطق، سخي الكف، راوية عارفًا بأيام العرب وأشعارها. خرج يومًا للصيد فلما ورد المشرعة[1] وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمه[2] فحين أبصرها سقط مغشيًا عليه، فقامت إليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها، قال: وهل مقتول يداويه قاتله، قالت: كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه إليه وقد داخله من الحب، ثم رجع وهو يقول: خرجنا لنصيد فاصطُدنا.

ثم أنشد:

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصًا ... من الريم صادتني سريعًا حبائله[3]

فلما رماني بالنبال مسارعًا ... رقاني وهل ميت يداويه قاتله

إلا في سبيل الحب صب قد انقضى ... سريعًا ولم يبلغ مرادًا يحاوله

قال ابن الفرات[4]: ثم إنه لزم الوساد أيامًا، وإن أمه أقسمت عليه حين سمعته يكرر الأبيات إلا ما أخبرها بحاله فأظهرها على الأمر، فعرفت الجارية فإذا هي ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذري، فمضت إليها وأعلمتها القصة وقبلت رجليها على أن تزور بيتهم فعسى أن يشفى ولدها، فقالت: إن الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر إليه فإن أمسكه فإنه يشفى ثم جزت لها شيئًا من شعرها فلما ذهبت إليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيئًا فشيئًا حتى اشتهى ما يأكل، فقدم إليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبًا من الأبيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضًا إلى أن فطن أهلها فآلوا على قتله وبلغه فوقع إلى اليمن وكان كلما اشتد

---

(١) المشرعة : المواضع التى ينحدر إلى الماء منها . انظر: لسان العرب ، مادة [شرع] .

(٢) تمه : بالكسر والفتح بمعنى التام ، انظر: لسان العرب ، مادة [تمم] .

(٣) الريم: الظبى الخالص البياض. انظر: لسان العرب، مادة [رأم].

(٤) ابن الفرات، هو: محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد المصرى، الحنفى، مؤرخ، ولد بالقاهرة، من أثاره: الطريق الواضح المسلوك، وتوفى سنة (٨٠٧هـ). انظر: كشف الظنون (٢٧٩)، شذرات الذهب(٧: ٧٢)، معجم المؤلفين(٣: ٤٠٥).

Marfat.com

شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك، فلما كان يوم من الأيام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود، فعنف، فقال: دعوني فإني أرجو أن أظفر أو أموت، فصحبه غلام.

قال أبو شراعة: فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الأبيات ويقول له: إذا حاذيت موضع كذا فأنشدها رافعًا صوتك ولك أحد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع.

فأنشد:

مريض بأفناء البيوت مطرح ... به ما به من لاعج الشوق يبرح[1]

وقالوا لأجل اليأس عودي لعل ما ... تشكاه من آلام وجدك يمسح

وليس دواء الداء إلا بحيلة ... أضربنا فيها غرام مبرح

إذا ما سألناها نوالاً تنيله ... فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته[2] بالأبيات ينشدها، فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول :

رعى الله من هام الفؤاد بحبه ... ومن كدت من شوقي إليه أطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة ... فإن الوشاة الحاضرين كثير[3]

فيمشون يستشرون غيظًا وشرة ... وما منهم إلا أب وغيور[4]

فإن لم أزر بالجسم رهبة مصدر ... فالقلب آت نحوكم فيزور

وفي النزهة: (فإن لم أزر بالجسم خيفة معشر) وهو أحسن، ثم رجع الصبي، فأنشد أبياتها فأغشى عليه ساعة، ثم أفاق وهو ينشد:

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي ... فياليت شعري ما بنو العم صنع[5]

أراهم وللرحمن در صنيعهم ... تراكى دمي هدرًا وحاب المضيع

---

(١) اللاعج: الهوى المحرق. انظر: لسان العرب، مادة [لعج].

(٢) العقيرة : صوت الرجل إذا غنى أو قرأ أو أبكى . انظر: لسان العرب ، مادة [عقر] .

(٣) الأتراح: الحزن والهم. انظر: لسان العرب، مادة [ترح].

(٤) استشرى: اشتد فى الغضب. انظر: لسان العرب، مادة [شرى].

(٥) الخود: المرأة الشابة. الغريرة: الحسنة الخلق. انظر: لسان العرب، مادة [خود]، [غرر].

Marfat.com

ثم مضى متنكرًا حتى دخل بيته ولزمه أيامًا إلى أن زفت ظريفة إلى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة، ثم أغمي عليه، فحرك فإذا هو ميت، وبلغها خبره فلزمت البكاء أيامًا و لم تمكن الرجل من نفسها، فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت إلى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك، ثم احتملها إلى الخيمة، فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقًا ولكنها لم تفقه كلامًا فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها.

وفي روضة القلوب: أنها غرقت و لم تخرج إلا ميتة.

ومنهم : شخص .

قال التوزي مسندًا عن بعضهم: إنه رآه وقد تهيأ إلى الحج، فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به إلى القصر وجوار تتناوله بأيديها ، فقال له: ويحك ألم ترد الحج.

فأنشد :

ولما رأيت الحج قد آن وقته ... وأبصرت برك العيس بالركب

رحلت مع العشاق في طلب الهوى ... وعرّفت من حيث المحبون عرفوا

وقد زعموا أن الجمار فريضة ... وتارك مفروض الجمار يعنف

فهيأت تفاحًا ثلاثًا وأربعًا ... فزعفرلي بعض وبعض مغلف

وقمت حيال القصر ثم رميته ... فظلت له أيدي الملاح تلقف

وإني لا أرجو أن تقبل حجتي ... وما ضمني للحج سعي وموقف

ومنهم رجل من بني كندة: فخذ من بني عذرة أورده مجهولاً وكذا ابن الإصبع في الطبقات في ترجمة الحارث بن كلدة.

وفي النزهة قال: لا نعلم اسمه، وحكايته مشهورة وهي أن أخاه استحلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يومًا أن دخل وزوجة أخيه سافرة فرآها، فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها، فكان ما لقيه من رؤية معصميها أضعاف ما لقيه من وجهها، فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فأقام أيامًا يكابد العناء حتى لزم

---

(١) عسف: مال عن الطريق وعدل عنه إلى غيره. انظر: لسان العرب، مادة [عسف].

Marfat.com

الوساد وجاء أخوه فأبصره وقد ذوت[1] أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرّافًا ولا طبيبًا حتى دعاه له فلم ينجح شيئاً ، فوصف له الحارث بن كلدة[2] وكان أحذق أهل زمانه فلما رآه.

قال: ليس به إلا العشق.

فقالوا: وما السبيل إلى معرفة ذلك؟

قال: تسقوه الخمر فعساه أن يصرح. ففعلوا ثم غدا عليهم .

فقالوا له: قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة.

فقال: زيدوه، ففعلوا فصرح بريا زوجة أخيه.

فقال أخوه: أشهدكم أنها طالق ثلاثًا لأني أعتاض عنها ولا أعتاض عن أخي، فبشروه فقال: هي علي كأمي إن تزوجتها، ومات بعد قليل.

وقيل خرج هائمًا و لم يدر أين مات، و إن أخاه حين فقده مات أسفًا، ولما سقوه الخمر غنى أبياتًا حذفتها هنا وفي **مختصر الطبقات** لسخافتها، فاختلف في أيهما أكرم.

ونظير ذلك في السماحة: ما وقع للحكم بن المطلب المخزومي فإنه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم وأراد الدخول بها فلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم أباه، وكان أبوه يحب أخاه عتبة أكثر منه فأقسم عليه أن يهب الجارية لأخيه ففعل فأبى أخوه فأعتقها، حتى قيل إنه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل إن رجلاً حجازيًا لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسري بهدايا فصادف الحكم وكان جابياً حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له: وفر عليك المشاق.

ومنهم : غلام .

قال في النزهة: هذلي واسمه راشد بن صفوان الهذلي.

---

(١) ذوت : ذَوَىَ العود -بالفتح- اى ذَبَل . انظر: لسان العرب ، مادة [ذوى] .

(٢) الحارث بن كلدة، هو: الثقفى،طبيب،رحل وتعلم الطب فى ناحية فارس وتمرن هناك وعاش حتى أيام معاوية، من آثاره: محاورة مع كسرى فى الطب.توفى سنة(٥٠هـ). انظر: كشف الظنون(٧٨٣) ، معجم المؤلفين(١: ٥١٩).

Marfat.com

قال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر: إن اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتي إليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب إلى الصيد فجاء يومًا فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره.

وأنشد:

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فقص عليه الخبر فأسلم، فقال له: ما اسمك ؟ قال: غاوي. قال وكلبك ؟ قال راشد. قال لا أنت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يغدو على بني عامر لألفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من أجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد أن يأتي على نفسه ثم إن الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها إلى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الأخبار ذهب عقله فكان يسيح عاريًا فصادف صيادًا كان اصطاد خشفًا[1] فوقف ينظر إليه ويبكي.

ثم أنشد:

وذكرني من لا أبوح بذكره ... محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت ودمع العين يجري بحرقة ... ولحظي إلى عينيه لحظة شاخص

ألا أيهذا القانص الظبي حله ... وان كنت تاباه فعشر قلائص[2]

خف الله لا تحبسه إن شبيهه ... حبيبي فقد أرعدت فيه فرائصي[3]

فقال له الصياد: دونك، فحله فتقدم إليه وقبله وأطلقه وأتبعه نظره حتى غاب، ثم قال للصياد: ائتني غدًا في موضع كذا، وأقبل يسوق عشرًا من الإبل فأبى الصياد قبولها، فأقسم عليه إلا ما أخذها فقبلها وانصرف.

---

(١) الخِشْف : الظبي أول مايولد . انظر: لسان العرب ، مادة [خشف] .

(٢) قلائص، جمع قلص: الناقة. انظر: لسان العرب، مادة [قلص].

(٣) فرائص، جمع فريصة : اللحمة بين الكتف والجنب، ترتعد عند الفزع. انظر: لسان العرب، مادة [فرص].

Marfat.com

ومنهم : قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية .

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة[1] وخزاعة[2] يتقاربون في المنزل لأن بينهم نسبًا لم ترم فيه العصا فكان قيس يجلس إلى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهم الهوى وقيل إنها رأته وقد ركب يومًا في ملعب وزينة ففخر على أكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على متنزة فنزل وتحادثت معه ساعة، فأقبل راع يسوق غنمًا، فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكلن وقمن، ترك الفاضل منها على الأرض ثم تمثل بهذا البيت، ويقال: إنه لحاتم الطائي:

إذا لم يكن للطير في زاد عزوة . نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة: إذا لم يكن للوحش ، والمعنى قريب ، فانتشأ الود بينهما و لم يزالا على ذلك برهة إلى أن أجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان، فلما كان يوم من الأيام نظرت كنانة إلى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا أن الغيث عمها، فارتحلوا إلى أن نزلوا بها، فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم، فتنفس الصعداء.

وأنشد:

إذا ما نأت نعمى فهل أنت جازع . قد أقربت لو أن ذلك نافع

قد اقربت لو أن في قرب دارها . نوالاً ولكن كل ما صين مانع[3]

فإن تلق لي نعمي هديت فحيها . وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع

وظني بها حفظ لغيبي ورعية . لما استرعيت والظن بالغيب واسع

وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى . ويسترجع الحي السحاب اللوامع

---

(١) كنانة: قبيلة عظيمة من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن معد بن عدنان. كانت ديارهم بجهات مكة. بطونهم: قريش، عبد مناة، بنو مالك. انظر: معجم قبائل العرب (٣: ٩٩٦).

(٢) خزاعة: قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، منازلهم كانوا بأنحاء مكة فى الظهران، بطونهم: كثيرة، منهم بنو المصطلق، بنو كعب، بنو عدى، ...انظر: معجم قبائل العرب (١: ٣٣٨).

(٣) صين: من صانه: إذا حفظه. انظر: لسان العرب، مادة [صان].

Marfat.com

وما ذات جيد نازعت حبل حابل لتنجو ثم استسلمت وهي طائع[1]
بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظر نحوي كذى البث خاشع
كأن فؤادي بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يا نعم خلي محلنا فإن الهوى والشمل يا نعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أنت راجع
فقلت لها تا لله يدري مسافر إذا أضمرته الأرض ما ا لله صانع
وإني لعهد الود راع وإنني لوصلك ما لم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللاً بالأماني يعتوره الخيال أيامًا إلى أن بلغه أن خزاعة بجبل بشام من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل إنه عند رؤيتها سقط ميتًا.

وقال في النزهة: أقام عندهم إلى أن أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ.

ومنهم : توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي .

وكان شجاعًا مبرزًا في قومه، فصيحًا مشهورًا بمكارم الأخلاق ومحاسنها، وخفاجة[2] -على ما ذكر في **النزهة**- فخذ من قحطان، وكانت تنزل ببني الأخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون في السرج[3]، وكان رئيس بني الأخيل حذيفة بن شداد بن كعب، وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يومًا، فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والأسفار للقاء القادمين من الغزو، فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادث معها إلى أن أخذت قلبه، وأطارت لبه، فشكا لها يومًا ما نزل به منها، فأعلمته أن بها منه أضعاف

---

(١) الجيد: العنق. حبل: يقصد به حبل الصيد. حابل: مَنْ أخذ الصيد بالحبال. انظر: لسان العرب، مادة [جاد]، [حبل].

(٢) خفاجة: هم خفاجة بن عمرو، بطن من بنى عقيل بن كعب، من قيس بن عيلان، من العدنانية. وهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كانوا يقطنون الجنوب الشرقى من المدينة. انظر: معجم قبائل العرب (٢: ٣٥١).

(٣) السرج : فناء الباب . انظر: لسان العرب ، مادة [سرج] .

Marfat.com

ذلك، فأقاما على التزاور إلى أن حجبها زوجها، فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع، فكان يذهب بعقله أحيانًا فأشاروا عليه بتعاطي الأسفار والخوض في المحادثات فعزم على الشام فمرّ بجميل فأنزله وأحسن خدمته، ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما، فصرعه جميل، ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا.

فقال له توبة: كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر أنه بريح هذه الجالسة، وأشار إلى بثينة ثم دعاه إلى واد يخفى عنها وتصارعا فيه، فصرعه توبة ثم مضى في طريقه ، فمرّ سحرًا بأشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الأشجان.

فأنشد:

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها[1]
وخفت نواها من جنوب عفيرة ... كما خف من نيل المرامي جفيرها[2]
يقول رجال لا يضرك نأيها ... بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى ... ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة ... وان كان حولا كل يوم نزورها
خليليّ روحا راشدين فقد أبت ... ضربة من دون الحبيب ونيرها
يقرّ بعيني أن أرى العيس تعتلي ... بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها ... وسامح من بعد المرام صقورها
وأشرف بالأرض اليفاع لعلني ... أرى نار ليلى أو يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها ... مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لا تفيدك صحبتي ... لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الأسباب حتى بلغتها ... برفقي وقد كاد ارتفاقي يضيرها
فلما دخلت الخدر أطلت نسوعه ... وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاخ الذفاري منصة ... وذي سيرة قد كان قدمًا يسيرها

---

(١) مريرها، المريرة: القوة والعزيمة. انظر: لسان العرب، مادة [مرر].

(٢) نواها: بُعْدها . انظر: لسان العرب، مادة [نوى].

Marfat.com

وأني ليشفيني من الشوق أن أرى ... على الشرف النائي المخوف أزورها
وأن أترك العيش الحسير بأرضها ... يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعمة ... ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى ... فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته ... وإعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا ... عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صفي النفس كيف بقولها ... لو أن طريدًا خائفًا يستجيرها
تجير وأن شطت بها غربة النوى ... ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبًا ... وأني بياض الوجه جر جرورها
وغيرني أن كنت لما تغيرت ... هواجر لا أكتنها وأسيرها
إذا كان يوم ذو سموم أسيره ... وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة ... تكنفها الأعداء ناء نصيرها
فإن لا تناهوا يركب اللهو نحوها ... وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى في مريرة ... معذب ليلى أن رآني أزورها
وادماء من حرْ الهجان كأنها ... مهاة صوار غير ما مس كورها
من الناعبات المشي نعبًا كأنما ... يناط بجذع من أراك جريرها
من العر كنانيات حرف كأنها ... مريرة ليف شد شدًا من غيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة ... مخوف رداها حين يستن مورها
ترى الضعفاء القوم فيها كأنهم ... دعاميص ماء نس عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه ... وبين العشا قد ريب منها أسيرها
أبت كثرة الأعداء أن يتجنبوا ... كلابي حتى يستثار عقورها

Marfat.com

وما يشتكي جهلي ولكنّ عزتي تراها بأعدائي لبيئًا طرورها
أمخترمي ريب المنون ولم أزر جواري من همدان بيضًا نحورها
تنوء باعجاز ثقال واسوق جدال واقدام لطاف شعورها
أظن بها خيرًا وأعلم أنها ستنفك يومًا أو يفك أسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كانما أتت حجة من دونها وشهورها
عليّ دماء البدن ان كان بعلها يرى لي ذنبًا غير اني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي ويا بأبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة، قال: صاحب **النزهة** أنشدها كلها حين سمع سجع الحمائم.

وقيل: أنشدها متقطعة بحسب الوقائع وإنما جمعتها الشعراء وها أنا أورد ذكر غريبها وما وقع لبعض أبياتها من الحكايات.

قيل: لما وقفت ليلى على قوله: ولما دخلت الخدر غضبت غضبًا شديدًا ثم أمسكت عن كلامه برهة، فتوسل إليها وعرض عليها أنه يريد أن يسقي نفسه السم إن لم تكلمه، فجمعت ثلاثة من أهلها بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما آنسته قالت: أى خدر دخلت معي حتى تقول ما تقول.

فقال: هذا استرسال الشعراء، ثم ذكر لها أمثال ذلك، وتنصل، ففرحت بسماع أهلها ذلك، وقوله: (منصة) يريد بها السترٍ، وقوله (حمامة بطن الوديين ترنمي) هو أول بيت تفوه به من القصيدة إلى قوله: (وكنت إذا ما زرت ليلى) ثم ضم الباقي.

وأما قوله: (وكنت إذا ما زرت ليلى) فألحقه بعد إكمالها وسبب إنشاده أنه كان يزورها على خيفة وخفية، فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه أمارة، فقالت: إذا مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئنًا فلا حرج حينئذ، فلما قوي حرصهم وتوعدهم لها وأجمعوا أن يفتكوا به إذا رآها خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها على البعد، فلما أقبل ورآها سافرة مضى في طريقه متنكباً وهو يقول: وكنت إذا ما زرت ليلى الأبيات، ثم دخل الشام فأقام بها يسيرًا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه إلى العرب فكان يخرج إلى الربوة ليسلي نفسه فلم يكن له دأب إلا البكاء فأقام أيامًا لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فمرّ حين قابل حيها بصغير يلعب فقال له: هل أنت عارف بليلى ؟

Marfat.com

قال: نعم.

قال: امض إليها وأنشد: ((وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت)) وعد إلى فسأحسن منقلبك.

فمضى الغلام فأنشد البيت لليلى فعلمت أن توبة قد ورد الحي.

فقالت للغلام: قل له إنها الآن مبرقعة ، فمضى الغلام إليه وأعلمه بذلك فأعطاه دينارين، وأقبل فجدد زيارتها، ثم قال لها: مكنيني من تقبيل يدك.

وفي الروض النضير: أنه سألها قبلة .

فأنشدت:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

ففطن أنها استرابت منه فحلف أنه لم يرد سوءًا وأن نفسه قد حدثته بأن يجربها فاستشاطت شوقًا ثم ودعها على استحياء ومضى، فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين، فخرج فقتل في الوقعة، ولما وقع وبه رمق أدركه ابن عمه فقال له: هل لك حاجة ؟

قال: نعم تبلغ ليلى هذه الأبيات.

وأنشد:

ألا هل فؤادي من الصبا اليوم طافح ... وهل ما وأت ليلى به لك ناجح[1]

وهل في غد إن كان في اليوم علة ... سراح لما تلوى النفوس الشحائح

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... اليها صدى من جانب القبر صائح

ولو أن ليلى في السماء لأصعدت ... بطرفي إلى ليلى العيون الكواشح

ولو أرسلت وحيًا إلى عرفته ... مع الريح في موارها المتناوح[2]

أأغبط من ليلى بما لا أناله ... إلا كل ما قرت به العين صالح

---

(١) وأت: وعدت. انظر: لسان العرب، مادة [وأى].

(٢) موارها: من مورت الريح إذا هاجت وثارت. المتناوح: من تناوحت الريح، إذا هبت شمالاً مرة، وجنوبًا مرة. انظر: لسان العرب، مادة [مور]، [نوح].

Marfat.com

سقتني بشـــرب المســتضاف فصــرت كما صــرد اللوح النطاف الصحاصح
وهــل تبكــين ليلــى إذا مــت قبلهــا وقــام علــى قــبري النســاء النوائــح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها وجاد لهــا جــار مــن الدمــع ســافح
وفتيان صدق قد وصلت جنــاحهم علــى ظهــر مغــبر التنوفــة نــازح[1]
بمــائرة الضبعــين معقــورة النســا أمــين القــرى مجــترة غــير جــانح
ومــا ذكرتــي ليلــى نــأى دارهــا بنجــران إلا الترهــات الصحــاصح

قوله: (ولو أن ليلى) البيتين قد سبق الكلام عليهما في قصة المجنون و (زقا) بالزاي، وقوله: (وهل تبكين ليلى)، يعني وهل هي باكية إذا مت، فليلى في البيت فاعل، حذرًا مما توهم هنا.

وفي النزهة: وما ذكر تنبيه على بعد دارها وقيل إن هذه القصيدة أنشدها حين خرج قبل ورود الوقعة، وإنما أنشد عند موته قوله:

عفــا الله عنهــا هــل أبيــتن ليلــة مــن الدهــر لا يســري إلى خيالهــا

وإن ابن عمه حين جاء أنشدها الأبيات أو هذا البيت.

فأجابته:

وعنــه عفــا ربــي وأحســن حالــه فعــزت علينــا حاجــة لا ينالهــا

وقيل: مات عشقًا، وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة، فقد قيل: إن وفاة توبة كانت سنة سبعين، وقيل: إحدى وسبعين ووفاة ليلى كانت إحدى ومائة.

قيل: مرت بقبر توبة، فقال زوجها: هذا قبر توبة الكذاب.

فقالت: لم يكن وا لله كذابًا.

فقال لها: أليس يقول: (ولو أن ليلى الأخيلية) البيتين ، سلمي عليه لننظر، فامتنعت، فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومة فأجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت إلى جانبه.

---

(١) جناجهم:جوارهم. التنوفة: البرية لا ماء فيها ولا أنيس. نازح: من نزح إذا نفذ الماء، وغيره. انظر: لسان العرب، مادة [جنح]، [تنف]، [نزح].

Marfat.com

وقيل: طير كانت العرب تزعم أنه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثأره.

وحكى أنها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في **النزهة** عن متفرقين ووثقها، وأما هنا فقد حكى ما قررناه عن ليلى نفسها، وأنها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الإبل برعاتها، وذلك فيما أخرجه المدائني عن مولى عنبسة.

قال: كنت مع أستاذي عند الحجاج إذ قال له الحاجب: إن بالباب امرأة.

فقال: أدخلها، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه إلى الأرض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت.

فقال: ما جاء بك.

قالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد.

فقال لها: صفي لنا الفجاج.

فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والبرك معقل، وذو العيال مجشل، والهالك المقل، والناس مسنتون[1] رحمة من الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعاء ولا ربعاء ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، وفرقت الرجال، وأهلكت العيال.

فانظر إلى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها مع تجبره . فقولها خلاف النجوم: تريد به الأنواء ، فإن العرب يعرفون بمساقط النجوم الأنواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الأمطار فكأنها تَعْتَدُ بذلك فإذا لم تأت بذلك فقد أخلفت ، وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر، وفيه عطف الأخف على الأعم، وكلب البرد : شدته ، والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك إلى ثامن عشر شباط أعني أمشير والفجاج هنا : الأرض ، وغبرتها: كناية عن عدم نداوة الأرض فإن ذلك يثير الغبار، واقشعرار الأرض عدم نباتها، والبرك : الإبل ، وعقلها : كناية عن عدم ما تحمله ، والإجشال : اليبس . والإملاق ، والهبعاء: الحسنة، والربعة : السيئة، وعن

---

(١) مسنتون :مجدبون. انظر: لسان العرب ، مادة [سنت] .

Marfat.com

الأصمعي: الهبعاء ما يزرع في سوى الربيع، والربعاء ما يزرع فيه أو هما مطران أو الإبل والغنم ضعيف.

وفي تهذيب الإصلاح للتبريزي: هما كلمتان يراد بهما الإخبار عن نفاد ما في اليد مثل (ما عنده سبد ولا لبد) والعافطة العنز والنافطة النعجة.

ويقال أيضًا: لا ثاغية ولا راغية، أي لا غنم ولا إبل ، ثم مدحته حتى استعفى .

وقال: لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها.

ثم قال لخازنه: اقطع لسانها، فأراد ذلك.

فقالت: ويحك إنما أراد بالعطاء، فراجعه فغضب وأمر بعودها.

ثم قال لجلسائه: هذه ليلى التى مات توبة من حبها.

ثم قال: أنشدينا ما قال فيك، فأنشدت حمامة بطن الواديين.

فقال: وما قلت أنت فيه؟

فقالت: كثيرًا أيها الأمير.

فقال: هات .

فأنشدت:

نظرت ومن دوني عماية منكب ... وبطن الركايا نظرته النواظر

اونس أن لم يقصر الطرف دونهم ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولاً

ومن محاسنها في توبة:

أتته المنايا بين زعف حصينة ... وأسمر خطى وجرداء ضامر

على كل جرداء السراة وسابح ... دوان بشباك الحديد زوافر

عوابس تغدو التغلبية ضمرا ... فهن سراح بالشكيم الشواجر

فلا يبعدنك الله يا توب أنما ... لقاك المنايا دارعًا مثل حاسر

فإن لم يكن بالقتل برّ فإنكم ... ستثقون يومًا ورده غير صادر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا برى ... لقدر عيالاً دون جار مجرور

ولا تأخذ الإبل المهاري رماحها ... لتوبة من صرف السري في الصنابر

Marfat.com

إذا مـــا رأتـــه قائمًـــا بســـلاحه ... نفتـــه الخفـــاف بالثقـــال البهـــاذر
إذا لم يجـــز منهـــا برســـل فقصـــره ... ذرى المرهفـات والقـلاص التواجـــر
قـرى سـيفه منهـا مشاشًـا وضيفـه ... ســنام المهـاري السـباط المشـافر
وتوبـــة احيـــى مـــن فتـــاة حييـــة ... واجـــراً مـــن ليـــث بخفـــان خـــادر
ونعـم الفتـى أن كـان توبـة فـاجرًا ... وفـوق الفلـى أن كـان ليـس بفـاجر
فتـى ينهـل الحاجـات ثـم يعلهـا ... فتطلعـــه عنهـــا ثنايـــا المصـــادر
كـان فتـــى الفتيـــان توبـــة لم ينـــخ ... قلائـص يفحصـــن الحصـــى بـــالكراكر
ولم يثـــن ابـــرادًا عتاقًـــا لفتيـــة ... كـــرام ورحـــل قيـــل في الهواجـــر
ولم ينجـــل الضيفـــان عنـــه وبطنـــه ... خميـص كطـي السـبت ليـس بخـادر
فتـى كـان للمـــولى ســـناء ورفعـــة ... وللطارق الســـاري قـرى غـير فـاتر

ومنها:

فأقســمت أبكـي بعـد توبـة هالكًـا ... وأحفـل مـن نـالت صـروف المقـادر
علـى مثـل همـام وكـأبن مطـرف ... تبكـي البواكـي أو كبشـر بـن عـامر
غلامـان كانـا اسـتوردا كـل سـورة ... مـن المجـد ثـم اسـتوثقا في المصـادر
ربيعـي حيًـا كانـا يفيـض نداهمـا ... علـى كـل مغمـور نـداء وغـامر
كـان سـنا ناريهمـا كـل شـتوة ... سـنا الـبرق يبـدو للعيـون النواظـر

ومن مراثيها فيه أيضًا:

أيـا عـين بكـى توبـة بـن حمـير ... بسـح كفيـض الجـدول المتفجـر
لتبكـي عليـه مـن خفاجـة نسـوة ... بمـاء شـؤن العـبرة المتحـدر
سمعـن بهيجـا اضلعـت فذكرنـه ... ومـا يبعـث الأحـزان مثـل التذكـر
كـان فتـى الفتيـان توبـة لم يسـر ... بنجـد ولم يطلـع مـع المتغـوّر
ولم يـرد المـاء السـدام أذا بـدى ... سـنا الصبـح في بـادي الحواشي منـوّر
ولم يغـل بـالجود الجيـاد يقودهـا ... أسـرته يـوم المشـان فاقسـر
ولم يغلب الخصم الصحاح ويملأ الجفان ... سـديفًا يـوم نكبـاء صرصـر

Marfat.com

وصحـــراء مومـــاة يحاربهـــا القطـــا قطعـــت علـــى هـــول الجبـــان بمنســـر
يقـودون قبـــا كالســـراحين لاحهـــا ســـراهم وســـير الراكـــب المتهجـــر
فلمـــا بـــدت أولى العـــدوّ ســـقيتها بصيـــاب مســـكوب المـــزاد المقـــير
ولمـــا أهـــابوا بالنهـــاب حويتهـــم بخـــاطي البضيـــع كـــره غـــير أعســـر
بمـــرّ ككـــرّ الأنـــدري مثـــابر إذا مـــا ونينـــا مخصـــف الشـــد محضـــر
وألـــوت بأعنـــاق طـــوال وراعهـــا صلاصـــل بيـــض ســـابغ ومســـوّر
ألم تـــر أن العبـــد يقتـــل ربـــه فيظهـــر جـــدّ العبـــد مـــن غـــير مظهـــر
قتلتـم فتـــى لا يســـقط الـــروع رمحـــه أذا الخيـــل جـــالت في القنـــا المتكســـر
فيـا تـوب للهيجـا ويـا تـوب للنـدى ويـــا تـــوب للمســـتنج المتنـــوّر
ويـــا رب مكـــروب أجبـــت ونـــائل بذلـــت ومعـــروف لديـــك ومنكـــر

وأنشدته غير ذلك مما لا حاجـة لنـا إلى ذكـره، إذ ليـس علـى شـريعتنا فـأنعم عليها فوق ما سألت، ثم قال لها هل بقـي لـك حاجـة ؟ قـالت: نعـم، تدفـع إلى النابغة أحكم فيه بما أرى، وكان يتهاجى هو وإياها .

فلما سمع بذلك هرب إلى الشام فتبعته، ثم استأذنت عبد الملـك فيـه فـأذن لهـا وأظنه الذي سألها عن توبة أكان كما يقول العاس، فقالت يا أمير المؤمنـين: كـان وا لله سبط[1] البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر . لا معاوية كما قيـل هنا . ثم إنها لم تزل في طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من أعمـال بغـداد على جانب الفرات، وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب، وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تضافر الروايات صحة الأول .

ومنهم : عامر بن سعيد بن راشد .

وينسب إلى كعب بن الأميل الطائي، كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد.

قال في النزهة: إن ولادتهما كانت في ليلة واحـدة ونشـآ غـير متفرقـين حـين بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكـان أخـوه

(١) سبط البنان: معتدل القوام، حسن القد. انظر: لسان العرب ، مادة [سبط] .

Marfat.com

واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق أن وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة، فمات إثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر، وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون، وقال الشيزري لم يمنعه منها لإملاقه ، وإنما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها.

فلما مات أشاعه في العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته أن تعرض عليه العذريات، فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء، ويقول ماء ولا كصداء، المثل السابق، فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيء على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوّجها منه، فلما زفت إليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف.

قال الأخفش سعيد بن مسعدة: خرجت في طلب ضالة لي، فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيء فإذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها.

وأخرج الحكاية في نديم المسامرة: عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي، فأسندها إلى الأصمعي، وأخرج الدقاق عن الأسدي أن المباشر للحكاية هو الأصمعي وعلى كلا التقديرين، فمحل الاتفاق أن الرجل حين انتهى إلى البيت رأى عجوزًا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة، وفي كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة، قال: فسألتها عنه، فقالت: هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة، ثم قالت: هل لك أن تعظه؟ فوعظته وزهدته حتى قلت له إنها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير:

هل وصل عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف

فقال: هو، مائق؛ يعني أحمق، وأنا وامق يعني صادق الألفة، فلست كهو إنما أنا كأخي تميم يعنى جميلا ، حيث يقول:

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرًا ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

ألا قاتل الله الهوى كيف قادني كما قيد مغلول اليدين أسير

Marfat.com

ثم أنشد:

ألا مـــا للمليحـــة لا تعـــود ... أبخـــل بالمليحـــة أم صـــدود

مرضـــت فعـــادني عـــوّاد قومـــي ... فمـــا لـــك لم تـــرى فيمـــن يعـــود

فقدتـــك بينهـــم فبكيـــت شـــوقًا ... وفقـــد الإلـــف يـــا أملـــي شـــديد

فلـــو كنـــت المريضـــة لا تكونـــي ... لعدتكـــم ولـــو كـــثر الوعيـــد

ولا اســـتبطأت غـــيرك فاعلميـــه ... وحـــولي مـــن ذوي رحمـــي عديـــد

ثم فاضت نفسه، فجزعت، فقالت العجوز: لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن إن أحببت كمال الصنيعة فانعه إلى بيوت الحَيِّ ، ففعلت، فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته .

وأنشدت:

عدانـــي أن أزورك يـــا منايـــا ... معاشـــر كلهـــم واش حســـود

أذاعـــوا مـــا علمـــت مـــن الدواهـــي ... وعابونـــا ومـــا فيهـــم رشـــيد

فأمـــا إذ حللـــت ببطـــن أرض ... وقصـــر النـــاس كلهـــم اللحـــود

فـــلا بقيـــت لي الدنيـــا فواقـــا ... ولا لهـــم ولا أثـــري عديـــد[1]

ثم خرّت ميتة، فخرج شيخ وهو يقول: لئن لم أجمع بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر.

هذا ما اتفق عليه سوى الوَعظ فلم يرو عن الأخفش وبعض تغيير في الأبيات فإن الأخفش لم يرو الثالث، وروى التميمي: (لم تعدني) أي بدل (لا تعود) .

ومرضت فعادني أهلي جميعًا، وفي **النزهة:** (فما استبطأت غيرك) وهو الأقعد وفي قولها عن التميمي:(عداني أن أعودك يا حبيبي) ، (معاشر فيهم) ، وفيها أنها قالت له حين نعى: بفيك الحجر المصلت، من تنعي؛ قلت: فلانًا، قالت: أو قد مات، قلت: نعم.

---

(١) فواق: ما يأخذ المحتضر عند النزاع. انظر: لسان العرب، مادة [فوق].

Marfat.com

وعن الأصمعي: أنه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله أذكر له الشعر.

فأنشد:

سبق القضاء بأنني لك عاشق حتى الممات وأين منك مذاهبي

فأنشد:

أخلو بذكرك لا أريد محدثًا وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة يأتي فيأتي من أحب أسيرا

فإذا أتى سمج بفرقة بيننا أعقبت منه حسرة وزفيرا[1]

وفيها قال إنه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل .

ومنهم : ما حكى الأصمعي .

قال: بينما أنا أسير إذ فاجأني الليل ، فأويت إلى جبانة فتوسدت قبرًا، فإذا أنا بهاتف منه .

يقول:

أنعم الله بالخيالين عينا وبمسراك يا سعاد إلينا

وحشة ما لقيت من خلل القبر عسى إن نراك أو إن ترينا

فدخلت حين طلع الصبح إلى الحي، فإذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت إلى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت، فحدثتهم بذلك، فأخبروني أن هذا الرجل منهم احب ابنة عمه هذه فتزوّج بها فلم يقم إلا قليلاً .

فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده، فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة. قلت وهذا جائز أن يقع من النفوس المجردة إذا تصادق اعتلاقها فإن اللذات بعد مفارقة الهياكل الجسمانية أعظم.

ومنهم : فتى أسدي .

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى، فمنعه أبوه أن يتزوج إلا بأرفع منها، وأبى الغلام إلا هي، فلما أيس أبوها زوّجها من رجل ، فاشتد وجد الغلام ، وأنه لقيها يومًا.

---

(١) السمج: القبيح. انظر: لسان العرب، مادة [سمج].

Marfat.com

فأنشد:

لعمـري يـا سـعدى لطـال تـأيمي ومعصيتي شـيخي فيـك كلاهمـا[1]

وتركـي للحيـين لم أبـغ منهمـا سـواك ولم يربـع هـواي عليهمـا[2]

فقالت الجارية:

حبيـبي لا تعجـل لتفهـم حجـتي كفـاني مـا بـي مـن بـلاء ومـن جهـد

ومـن عـبرات تعـتريني وزفـرة تكـاد لهـا نفسـي تسـيل مـن الوجـد

غلبـت على نفسـي جهـارًا ولم أطـق خلافًـا علـى أهلـي بهـزل ولا جـد

ولـن يمنعونـي إن أمـوت بزعمهـم غدا خوف هذا العار في جدث وحدي[3]

فـلا تنـس إن تـأتي هنـاك فتلتمـس مكـاني فتشكو مـا تحملـت مـن جهـد

فقد أوضحت له أنها هالكة من الغد بعشقه. فلما كان الموعـد جـاء فوجدهـا ميتة فاحتملها إلى شعب بذرى[4] جبل يقال لـه عرفـات بفتـح المهملـة، وضمهـا ملتزمًا لها، فمات واختفى أمرهما حولاً حتى مرّ شخص من العرب فسمع هاتفًـا على الجبل . يقول:

أنـا الكريمـان ذو التصـافي الذاهبـان بالوفـاء الصـافي

وا لله مـا لقيـت في تطـوافي أبعـد مـن غـدر ومـن اخـلاف

مـن مبتـين في ذرى أعـراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما.

---

(١) تأيمى، التأيم: هو المكث طويلاً بدون زواج. انظر: لسان العرب، مادة [آم].

(٢) يربع: من ربع، أى توقف وانتظر. انظر: لسان العرب، مادة [ربع].

(٣) الجدث: القبر. انظر: لسان العرب، مادة [جدث].

(٤) ذرى، جمع ذروة: وهو أعلى الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].

Marfat.com

ومنهم : عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور.

قال ابن عساكر: وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها، وإن جده النعمان[1] صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور، ضاع أمر الغلام.

قال في الشامات: فأخذه عمه أبو النجاد، فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة، وهي من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالأدب وأحوال العرب أيامًا ووقائع، فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه، خطبها إلى عمه فطلب منه مهرًا يعجز عنه، فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج إلى أبرويز بن كسرى، لما كان بين جدودهما من الوصلة.

فلما ذهب في الطريق مرّ بعرّاف، فبات عنده فاستعلم منه الأمر، فأخبره أنه ساع فيما لا يدرك، فعاد فوجد عمه قد زوّج العقيلة لفزاري، فهام على وجهه إلى اليمامة، فلما بنى بها الفزاري، وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها، فكانت تشد الفزاري إذا جن الليل إلى كسر[2] البيت وتبيت في الخدر، فإذا أصبح الصبح تطلقه فيستحي أن يخبر العرب بذلك ، فأقام على هذا الحال سبعين ليلة.

فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به، خرج لا يُدْري أين ذهب ، وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول إلا الأقل مما يمسك الرمق، ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع.

قال الفريابي[3] في عجيب الاتفاق في تطابق أحوال العشاق: فمرض عمرو مرضًا كاد أن يأتي على نفسه فكان لا يرى إلا شاخصًا إلى السماء متمسكًا

---

(١) النعمان بن المنذر ، هو: ابن امرىء القيس بن عمرو اللخمى، ملك الحيرة من قبل الفرس وليها بعد موت أبيه (٤٠٣م) كان شجاعًا كثير الغارات، داهية، رفيع الذكر. صاحب القصرين الشهيرين الخورنق والسدير، زهد فى الملك عند اكتماله، فانصرف سائحًا فى البلاد، توفى سنة (٤٣١م). انظر: ابن خلدون (٢/٢٦٣)، الأغانى (٢/٣٣)، الأعلام (٨/٣٥).

(٢) الكسر: الجانب والناحية من البيت. انظر: لسان العرب، مادة [كسر].

(٣) الفريابى ، هو: محمد بن عبد الله بن محمد العتقى، الأفريقى، أبو عبد الرحمن. مؤرخ، فلكى، مشارك فى عدة علوم. توفى فى مصر سنة (٢٨٥هـ)، من آثاره التأريخ الجامع إلى أيام العزيز العبيدى. انظر: تاريخ الحكماء (٢٨٥)، هدية العارفين (٢/٥٥)، معجم المؤلفين (٣/٤٥٧).

Marfat.com

بسبب[1] قد علقه بيديه من العشاء إلى الصباح وهو ينشد:

إذا جن ليلى فاضت العين أدمعًا ... على الخد كالغدران أو كالسحائب

أودّ طلوع الفجر والليل قائل ... لقد شدت الأفلاك بعد الكواكب

فما أسقي الا على ذوب مهجتي ... ولم أدر يومًا كيف حال الحبائب[2]

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصًا بالضحك مستبشرًا، فسأله.

فقال:

لقد حدثتني النفس إن سوف نلتقي ... ويبدل بُعد بيننا بتداني

فقد آن للدهر الخؤون بأنه ... لتأليف ما قد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها.

قال الفريابي: فضبط اليوم الذي مات فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم أيضًا.

وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق ، قال: خرجت في طلب غلام آبق، فلما صرت على ماء لبني حنيفة[3] جاءت السماء بالأمطار فلجأت إلى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء، فأنزلتني فلم ألبث إلاريثما أخذت الراحة وقد دخلت لي جارية كأنها القمر، فحيت ثم قالت: ممن الرجل؟

قلت: تميمي.

قالت: من أيتها قبيلة؟

قلت: من نهشل بن غالب[4].

---

(١) السبب: الحبل. انظر: لسان العرب، مادة [سبب].

(٢) مهجتى: المهجة. القلب أو الروح. انظر: لسان العرب، مادة [مهج].

(٣) بنو حنيفة : قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانية، تنسب إلى ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل، تتفرع إلى بطون كثيرة، وكانوا يقطنون اليمامة ثم تفرقوا فى كثير من البلدان. انظر: معجم قبائل العرب (٣١٢/١).

(٤) نهشل بن غالب : هم نهشل بن دارم ، بطن من دارم، من تميم، من العدنانية، وهم : بنو نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن تميم. انظر : معجم قبائل العرب (١١٩٧/٣).

Marfat.com

فقالت: إذًا أنتم الذين يقول فيكم الفرزذق:

إن الـذي سمـك السـماء بـنى لنـا بيتًـا دعائمـه أعـز وأطـول

بيتًـا زرارة محتـب بفنائـه ومجاشـع وأبـو الفـوارس نهشـل

قلت: نعم.

قالت: قد هدمه جرير بقوله:

أخزى الذين سمك السـماء مجاشـعًا وأحـل بيتـك بـالحضيض الأوهـد[1]

قال: فأعجبتني فلما رأت ذلك في عيني.

قالت: أين تؤم؟

قلت: اليمامة.

فتنفست الصعداء ثم قالت:

تذكـرت اليمامـة إن ذكـرى بهـا أهـل المـروءة والكرامـة

إلا فسـقي المليـك أجـش جونـا تجـود بصحـة تلـك اليمامـة

أحيـى بالسـلام أبـا نجيـد فـأهل للتحيـة والسـلامة

قال: فأنست بها، فقلت: أذات خدر أم ذات بعل[2]؟

فقالت:

إذا رقـد النيـام فـإن عمـرًا تؤرقـه الهمـوم علـى الصبـاح

تقطـع قلبـه الذكـرى وقلـبي فـلا هـو بـالخلى ولا بصـاح

سـقى الله اليمامـة دار قـوم بهـا عمـرو يحـن إلى الـرواح

فقلت لها: من عمرو؟

فأنشدت:

إذا رقـد النيـام فـإن عمـرًا هـو القمـر المنـير المسـتنير

ومـا لي في التبعـل مـن بـراح وإن ردّ التبعـل لي أسـير

ثم سكتت كأنها تسمع كلامًا.

---

(١) الأوهد: الممهد أو المنخفض من الأرض. انظر: لسان العرب مادة [وهد].

(٢) ذات خدر: عذراء.انظر : لسان العرب، مادة [خدر].

Marfat.com

ثم أنشدت تقول:

يخيـــل لي أبـــا كعـــب بـــن عمـــرو ... بـــأنك قـــد حملـــت علـــى ســـرير

فـإن يـك هكـذا يـا عمـرو إنـي ... مبكـــرة عليـــك إلى القبـــور

ثم شهقت شهقة فماتت.

ومنهم : ما حكاه الأصمعي .

وقد قال له الرشيد: حدثني بأعجب ما رأيـت، قـال أخـبرني السميـدع بـن عمرو الكلابي -وقد جاوز المائة- ، قال: كنت كثير الأسـفار فمـررت قـاصدًا اليمامة ببيت يلوح، وقد قرب الليل فأردت المبيت عنـده، فقـالت لي امـرأة منـه: أضيف أنت؟

قلت: نعم.

فقالت: على الرحب والسعة، ولكن تنح حتى يأتي رب المـنزل ، فعدلـت إلى طوى[1] هناك فسقيت ناقتي وجلست، وإذا بسـوداء تحمـل جفنـة ثريـد معهـا تمـر ورطب، **فقالت:** تعلل بهذا.

فقلت: في دونه كفاية ، فأكلت وأخرجت دقيقًـا فـأطعمت نـاقتي وتوسـدت ذراعها، وإذا بقيم[2] قد حال بيني وبين البيت، ثم غفت عيني فلم أفق إلا وشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فأضرموها وجـاؤا بكبـش فذبح وكشط[3] وطبخوا وثردوا وقدّم إلينا فأكلنـا، ثـم قـال لي: كـن هنـا حتـى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح، جاء ففعل كما فعل ليلته، فلما أكلنا، قال: لم أقض حقك فأقم عندي يومك.

فقلت: سمعًا وطاعة، فركب ومكثت ساعة، وإذا الجارية تقول لي: أجب ابنة عمك.

فقلت: كيف أكلمها وقيمها غائب.

قالت: من وراء حجاب، فأقبلت فسلمت.

فقالت: يا ابن العم، أتريد اليمامة؟

---

(١) الطوى : السقاء الذى يجعلون فيه الماء . انظر : لسان العرب ، مادة [طوى]

(٢) القيم : قيم المرأة ، زوجها .انظر : لسان العرب، مادة [قوم]

(٣) كشط : نزع جلد البعير بعد الذبح . انظر : لسان العرب، مادة [كشط]

Marfat.com

قلت: نعم.

قالت: فاحفظ عني هذه الرسالة وأعد إلىّ جوابها.

وأنشدت:

أعلى العهد مالك بن سنان ... أم سقاه أفاوق الغدر ساق[1]

أن يكن خان أو تناءى فإني ... لعلى العهد ما استناع رماقي[2]

ما ألم الرقاد مذ بنت إلا ... بجفون قريحة الآماق

فعليك السلام ما لألأ النور ... وما دب في الثرى عرق ساق

ثم قالت: ليكن إنشادك الأبيات بالحضرمة[3]، فلما خرجت في اليوم الثاني، خرج الشاب.

فقال: يا ابن عمي هل أنت مبلغ عني رسالة وعائد إلىّ بجوابها؟

قلت: نعم.

فقال: قف بقرّان بني سحيم[4] .

وأنشد:

أياسر قرّان با لله خبرا ... عن البكرة العيساء كيف نزاعها[5]

فلو أن فيها مطمعًا لمتيم ... نأت دارها عنه وخيف امتناعها

لهان عليه جوب كل تنوفة ... يخاف عليه جورها وضياعها[6]

تغرّبت عن نفسي وأيقنت أنها ... تريد وداعًا يوم جدّ وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الأبيات، وإذا بجارية حاسرة كأنها مهرة تنشد:

---

(١) أفاوق: من تفوق الشراب ، أى شربه شيئاً بعد شيء . انظر : لسان العرب، مادة [فوق].

(٢) استناع : من ناع: إذا مال من شدة الجوع. الرماق: ما يسد الحاجة به، القليل الذى يمسك الرمق. انظر: لسان العرب، مادة [نوع]، [رمق].

(٣) الحضرمة: حضرم فى كلامه أى لحن وخالف بالإعراب عن وجه الصواب، والحضرمة الخلط. انظر: لسان العرب ، مادة [حضرم] .

(٤) بنو سحيم : سحيم بن مرة ، بطن من بنى حنيفة، من العدنانية، وهم: بنو سحيم بن مرة بن الدّول بن حنيفة كانت منازلهم باليمامة. انظر: معجم قبائل العرب (٢/٥٠٥).

(٥) نزاعها، النزاع: الخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [نزع].

(٦) جورها : من جار عن الطريق ، إذا عدل عنه وتاه. انظر: لسان العرب مادة [جور].

Marfat.com

تحمـــل هـــداك ا لله مـــني تحيـــة إليـــه جديـــد كـــل يـــوم سماعهـــا
وخبر عن العيساء إن قد توحمت[1] عليهـــا مراعيهـــا وطـــال نزاعهـــا
لقـــد قطـــع البـــين المشـــتت ألفـــة عزيـــز علينـــا إن يحـــم أنقطاعهـــا

ثم شهقت شهقة فماتت، فلما أردت الإنصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة.

فأجابني فتى:

لم يحـــل عـــن وفائـــه ابـــن ســـنان لا ولا غالـــه انتشـــاء الفـــراق
أن بـــين الحشـــا لهيـــب إشـــتياق . ليـــس يطفـــي جـــواه إلا التلاقـــي
إنمـــا أبقـــت الهمـــوم خيـــالاً باليًـــا ممســـكًا بمـــاء الرمـــاق

ثم شهق شهقة فمات، فلما رجعت إلى الحي أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت فيها نفسها، وعلت الأصوات، فأقبل الشاب: فقال لي ما شأنها؟ فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته، فقال: فها أنا أيضًا ميت فاضطجع فكأنما كانت نفسه بيده.

وهذه الحكاية أخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الأحباب.

والحافظ مغلطاي في الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيره ما حكاه الشيزري عن العُتبي ، قال تذاكرنا العشق يومًا وبيننا شيخ ساكت،فقلنا له: ألا تحدثنا بما عندك في هذا، فقال:جلسنا يومًا للشراب ومعنا قينة.

فغنت:

علامـــــــة ذل الهـــــــوى علـــــى العاشـــــقين البكـــــا
ولا ســـــــيما عاشـــــــق إذا لم يجـــــــد مشـــــــتكى

فقال شاب كان في المجلس: أحسنت وا لله يا سيدتي، أتأذني لي أن أموت؟

فقالت: مت راشدًا إن كنت عاشقًا، وكان يهوى القينة فاضطجع فإذا هو ميت فتنغص مجلسنا، ثم دخلت إلى أهلي فأخبرتهم بالقصة، وكان لي ابنة تهوى الشاب ونحن لا ندري، فلما سمعت الخبر قامت إلى خلوة وأنكرت قيامها، فدخلت إليها فإذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة، فلما خرجنا

---

(١) توحمت، من وحم: إذا اشتهى الشيء بشدة. انظر: لسان العرب، مادة [وحم].

Marfat.com

بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة وإذا هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنـتي لأنها كانت تهواها.

ومنهم : ماأخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعـالي غلام أبي الهذيل .

قال: رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت إلى ظـل أتفيأ بـه، فسمعت صوتًا مطربًا فطرقت الباب أستسقي المـاء، فخرج شاب على أحسن صورة غير أن العلة لم تبق إلا رسمه فـأدخلني إلى موضع أنيق بـالفرش، وجاءت جارية فغسلت رجليّ، ثم بعد يسير جاءت بالطست، فقلت: قد غسلت.

قالت: نعم، ولكن اغسل يديك للغـداء ، فغسلت ، وجاءوا بطعام ، فأقبل يضاحكني ويأكل متغصصًا[1] والعبرة تخنقه، ثم جاء بشراب فسقاني وشرب، ثم قال: قم بنا إلى نديم ، فدخلت معه إلى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل، فجلسنا فشرب وسقاني.

ثم أنشد يقول:

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة ... هالت يداي على صداك ترابها

إني لأغدر من مشى إن لم أطأ ... جفون عيني ما حييت جنابها[2]

لو أن حشو جوانحي متلبس ... بالنار أطفأء حرها وأذابها

ثم أكب على القبر مغشيًا عليه، فجاءه خادم فرش عليه الماء فأفاق وسقاني .

وأنشد:

اليوم ثاب لي السرور لأنني ... أيقنت إني عاجلاً بك لاحق

فغدا أقاسمك البلا ويسوقني ... طوعًا إليك من المنية سائق

ثم قال: قد وجب عليك حقي، فاحضر غدا جنازتي، فدعوت له بطول البقاء وانصرفت.

فقال: عققتني إن لم تقل:

جاور خليلك مسعدًا في رمسه ... كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه، فلم أعرف نومًا حتى أصبحت فأتيته فإذا هو قد مات فدفن إلى جانبها.

---

(١) متغصصًا، من غص بالطعام: إذا اعترض فى حلقه شيء منه. انظر: لسان العرب، مادة [غصص].

(٢) جنابها، الجناب: ما اقترب من محلة القوم. انظر: لسان العرب، مادة [جنب].

Marfat.com

قلت: نقل في **عجيب الاتفاق** وليس من شأنه هذا ، أن هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع عنها زمانًا، ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته، فشربت الماء فشهقت وماتت فدفنها في بيته، وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم، فكانت مدته إلى أن لحق بها ثلاثة عشر يومًا.

وأيضًا من نظير المسلسل ما روي عن يونس النحوي[1]، قال نزلت بصديق لي بادية يقال له مالك العذري، فإذا نحن بامرأة تقول: قد تكلم، فاستبشر النساء بذلك، فسألت صديقي عن الخبر.

فقال رجل منا: أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها إلى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحول لا ينطق.

فقلت: أحب أن أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه.

فقالت أمه: يا ولدي هذا عمك مالك.

ففتح عينيه وأنشد:

ليبكني اليوم أهل الود والشفق ... لم يبق من مهجتي إلا شفا رمق[2]

اليوم آخر عهد بالحياة فقد ... أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس فإذا هو ميت فقمنا عنه، فلما رجعنا إذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الثياب تبكي بحرقة وجزع، فسألناها عن السبب.

فأنشدت:

اليوم أبكي لصب شف مهجته ... طول السقام وأضنى جسمه الكمد[3]

يا ليت من خلف القلب المقيم به ... عندي فأشكو إليه بعض ما أجد

انشر تربك أسرى لي النسيم به ... أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة وماتت، فإذا هي تهوى الشاب.

---

(١) يونس النحوى، هو: ابن حبيب بالولاء، أبو عبد الرحمن، أديب، نحوى، عالم بالشعر، عارف بطبقات الشعراء، من قرية الجبل بين واسط وبغداد، توفى سنة (١٨٢هـ). من آثاره: النوادر، الآثار. انظر: معجم الأدباء (٦٤/٢٠)، الأعلام (٣٤٤/٩)، معجم المؤلفين (١٩١/٤).

(٢) شفا: الشفا من الشيء، قليله. انظر: لسان العرب، مادة [شفا].

(٣) شفّ: أوهنه وأنحله. انظر: لسان العرب، مادة [شفف].

Marfat.com

قلت: قال في النزهة: عن الرياشي عن يونس هذا، قال: اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم، بمدة لا تزيد عن شهرين، فقال لي: أتعرف الشاب الذي مات يوم كذا؟

قلت: نعم.

قال: قدم علينا الحجازي زوج ابنة عمه فأخبر أن المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض، حتى قضت يوم كذا فإذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب.

ومنهم : ما حكاه الكاتب[1] .

قال: كنا في متنزه وقد أقبل ابن عائشة[2] يسوس غلامًا لا يستطيع أن يملك نفسه، فسألناه عن أمره.

فقال: من العشق، فتذاكرنا أخبار العشاق.

فقلت: ألا أحدثكم بأعجب من هذا ؟

قالوا: هات.

قلت: أخبرني بعض العرب، قال: مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال، إلا أنه كالمنتحل من علة، فسلمت عليه، فقال: ممن الراكب؟

قلت: من الحِمَى.

فقال: من كم عهدك به؟

قلت: قريبًا .

فتنفس الصعداء وأنشد:

سقى بلدًا أمست سليمى تحله ... من المزن ما يروي به ويشيم

وإن لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحل به شخص عليّ كريم

---

(١) الكاتب، هو: يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، أديب، كاتب، شاعر، بارع فى صناعة الغناء. من أهل فارس، ونشأ بالمدينة، وأخذ عن معبد. من آثاره: كتب فى الأغانى والمغنيين. انظر: هدية العارفين (٢/٥٧١)، الأعلام (٩/٣٤٤)، معجم المؤلفين (٤/١٩٢).

(٢) ابن عائشة، هو: محمد بن عائشة، أبو جعفر. موسيقار، من المقدمين فى صناعة الغناء ووضع الألحان فى العصر الأموى، من أهل المدينة ، ينسب لأمه، وكانت مولاة لأحد بنى كندة، توفى سنة (١٠٠هـ). انظر: الأغانى (٢/٦٠) ،الأعلام (٦/١٧٩).

Marfat.com

ألا حبذا من ليس يعدل قربه لديّ وإن شط المزار نعيم
ومن لا منى فيه حبيب وصاحت فردّ بغيط صاحب وحميم

ثم أغشي عليه فصببنا عليه الماء فأفاق.

ثم أنشد:

إذا الصب الغريت رأى خضوعي وأنفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضر بها التفاني إلى الأجزاع مطلقة الدموع
إلى الخلوات يأنس فيك قلبي كما أنس الغريب إلى الجميع

فقلت له: إن كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرني بها فإني مطيع .

فقال: اعلم أنك محل الثقة ، ولكن لم تدرك مني إلا صبابة لا تتلافى ، ففارقته فبلغني أنه لم يبت تلك الليلة .

ومنهم : ما حكاه في منازل الأحباب .

قال: كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثه النساء، فعلق جارية فأضنته حتى لزم الوساد، وسئلت في أمره فامتنعت حتى إذا بلغ الموت، جاءته فحين رآها أنشد:

أريتك ان مرّت عليك جنازتي تمر على أيدي طوال وشرّع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي على رمس ميت في الحفيرة مودع

فحلفت أنها لم تعلم أنه بلغ به الحب إلى هذا الحال وأخذت تستعطفه، فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلاعي:

أتت وحياض الموت بيني وبينها . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم أغشي عليه وانكبت تقبله ، فإذا هو ميت فلم تمكث بعده إلا قليلاً.

ومنهم : ما حكاه ابن الجوزي .

أن رجلاً علق جارية نصرانية وأخذ هواها منه حتى أزال عقله، فحمل إلى البيمارستان فأقام به مدة، وكان له صديق يتعاهده، فقال له يومًا، وقد أشرف على التلف: قد أيست من ملاقاة فلانة في الدنيا، وأخاف أن لا ألقاها في الآخرة إن مت مسلمًا. ثم تنصر ومات، فخرج من عنده فوجدها عليلة، وهي تقول: قد أيست من فلان في الدنيا فأنا أسلم لألقاه في الآخرة، ثم أسلمت وماتت.

Marfat.com

ومنهم : الحارث المشهور بابن الفرند من خزاعة .

وقال في الشامل: إنه من قحطان ، نشأ وابنة عمه عفراء بنت الأحمر ممتزجين بالألفة إلى أن بلغا، فتزوّج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما إلى أن عزمت يومًا على أن تزور أباها فجهزها إليه فأقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه، وزادت الوحشة بينهما، وحلف أبواهما على أن يأتي أحدهما الآخر مخافة أن تزري[1] العرب به. فمرض الحارث فكتب إليها :

صبرت على كتمان حبك برهة ... ولي منك في الأحشاء أصدق شاهد
هو الموت إن لم تأتني منك رقعة ... تقوم لقلبي في مقام العوائد

فأجابته :

كفيت الذي تخشي وصرت إلى المنى ... ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووا لله لولا أن يقال تظننا ... بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها، وكانت أعطر نساء زمانها، غشي عليه فإذا هو ميت، فقيل لها: ما كان عليك لو أحييته بزورة .

قالت: خشيت أن يقال صبوت إليه ، ولكني قاتلة نفسي عن قريب ، فلم يشعر بها إلا وهي ميتة .

ومنهم: عياش الكناني .

قال هشام: خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعًا عظيمًا فتخلف عنا، وراسلها فأبت وكان لا يخطىء سهمه إذا رمى،فسحب قوسًا وأقبل في الليل وهي نائمة بين أخواتها فأيقظها، فلما شعرت به ، قالت: لئن لم تذهب لأوقظنهم فيقتلونك ، فحلف إن أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينًا لما به فينصرف، ففعلت فانصرف.

فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته ، فقالت له كالأول، فحلف إن أمكنته من رشفة مضى، ففعلت، وشعر به الحي فتبعوه، فخرج على جبل وأعقب الوقت سماء، فرجع الناس ، وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده، فخرجت مع جارية من الحى وقد زهر القمر فرآها على بعد، وقد أسبلت[2] شعرها من

---

(١) تزرى: زرى عليه، عاتبه أو عابه عليه. انظر: لسان العرب، مادة [زرى].

(٢) أسبلت: أسبل الشعر: أرسله. انظر: لسان العرب، مادة [سبل].

Marfat.com

الندى، فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يُخْطِ قلبها ، ونزل فوجدها تتخبط بدمها وقد أشرفت على الهلاك، فقتل نفسه.

ومنهم : ما وراه أعرابي أو هو جبلة بن الأسود .

قال: خرجت في طلب ضالة لي، فوقعت على راع عنده غنم يرعاها، وقد اتخذ بيتًا في كهف هناك، فسألته القرى فرحب بي وأنزلني ، ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم إلى ويحادثني حتى كتفيت .

فلما جن الليل إذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت إليه، فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت، وسألته الذهاب، فأبى،وقال: الضيافة ثلاث، فأقمت، فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرًا.

ثم أنشد:

ما بال ميـة لا تـاتي كعادتهـا ... أعاجهـاطرب أم صدهـا شـغل
لكنّ قلبي عنكم ليس يشغله ... حتى الممات وما لي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم ... لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقمًا ... تكاد من حرّه الأعضاء تنفصل
لو أنّ غادية منه على جبل ... لما دوا انهد من أركانه الجبل

فسألته عن شأنه، فقال: هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي فأبى عليّ لفقري، وزوّجها من رجل وقد حملها إلى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيًا لهم، فهي تأتيني على غفلة من زوجها، فأنظر إليها ونتحادث ليس غيره، والآن قد قلقت لفوات ميعادها، وفي الطريق أسد قد كسر وأخاف أن يكون أصابها، فعلى رسلك حتى أعود وأخذ السيف ومضى قليلاً ثم عاد يحملها وقد أصابها الأسد فطرحها، ثم غاب ورجع يجر الأسد مقتولاً، فطرحه و انكبّ يقبلها ويبكي، ثم قال لي أسألك بالذمة إلا ما دفنتني وإياها في هذا الثوب . وكتبتَ على القبر هذا الشعر فإني لا بقاء لي بعدها، ثم انكب عليها، فإذا هو ميت، وقيل: انكبّ على السيف فخرج من ظهره.

وفي رواية: ونمنا إلى الصباح فوجدته ميتًا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي أوصي به وهو:

Marfat.com

كنا على ظهرها والدهر في مهل والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرّق الدهر بالتصرف الفتنا فاليوم يجمعنا في بطنهما الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت إلى عمه ، فأخبرته بذلك فكاد أن يقضي أسفًا، على عدم الجمع بينهما.

ومنهم : كامل بن الرضين .

وكان يحب ابنة عم له يقال لها أسماء، فافتتن بها حتى أنحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه أباها أن يزوّجها منه، فقال له: احمله إليّ لأزوّجه بها، ففعل، فلما علم بذلك قال أو أنا بموضع تسمعني به. قالوا: نعم فشهق شهقة فمات، فقالت: قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلأتبعنه، ثم مرضت، فقالت: لأخص نسائها صوّري لي صورته ففعلت، فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت إلى جانبه وكتب على قبريهما:

بنفسي من لم يمتعا بهواها على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة فلما أصيب قرّبا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرًا يحبه ويا زورة جاءت بريب المقادر

ومنهم : مرة النهدي .

وكان قد شغف بابنة عمه ليلى ، وكانت أوحد نساء زمانها حسناً ، فكتم حبه لها حتى تزوجها، فأقاما مدة لا يزداد حالهما إلا شغفاً إلى أن أمره الخليفة بالتجهيز إلى غزو خراسان . فشكا إليها عدم القدرة على فراقها، فقالت: اصنع ما شئت، فحملها معه حتى أودعها عند صاحب له، وتعجل الغزو.

فلما رجع كره أن يدخل ابتداء ، فجلس بإزاء القصر ، فخرجت جارية ، فسألها : ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم؟ قالت: ذاك القبر الجديد قبرها، فتردد حتى خرجت أخرى، فأخبرته مثل ذلك، فمضى إلى القبر فجعل يتمرغ عليه ويبكي.

ثم أنشد:

ويا قبر ليلى لو شهدناك أعولت عليها نساء من فصاح ومن عجم[1]

---

(١) أعولت: من عول: إذا رفع صوته بالصياح والبكاء. انظر: لسان العرب، مادة [عول].

Marfat.com

ويا قبر ليلى ما تضمنبت قبلها شبيهًا لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى أكرمنّ محلها يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
ويا قبر ليلى إنّ ليلى غريبة براذن لم يشهدك خال به وعمّ

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن إلى جانبها .

ومنهم : رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف .

تزوّج ابنة عمه، فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه، وضاق حاله، ولم يكتسب شيئًا يقتات به، فقالت له يومًا: لو خرجت إلى هشام بن عبد الملك فسألته شيئاً لما منعك ، فجهز نفسه ، فلماّ صار قرب الرصافة أغمي عليه ساعة، ثم أفاق وأنشد:

بينما نحن بالملاكت بالقا ع سراعًا والعيس تهوى هويا[1]
خطرت خطرة على القلب من ذكرا ك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحادين ردّ المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقين من دلج السير وقول الحداة بالليل هيا[2]

ثم قال للجمال: ارجع.

قال: يا سبحان ا لله قد وصلت إلى الرصافة.

فأقسم لا يخطو إلا راجعاً ، فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فأخبره أنَّ زوجته قد ماتت فلم يسمع منه إلا شهقة وفارقته نفسه.

---

(١) تهوى: من هوت الدابة: إذا أسرعت فى سيرها. انظر: لسان العرب، مادة [هوى].

(٢) دلج: إذا أدلج سار فى الليل. انظر: لسان العرب، مادة [دلج].

Marfat.com

فصل

فيمن أناخ به الحب ثقله حتى أذهب عقله

وهؤلاء المعروفون عند أهل القوانين بعقلاء المجانين، وقد أفردوا كثيرًا بالتـأليف وجعلتهم من المجاهيل لاشتباههم بهم فيما قدّمت من الشروط.

فمنهم : ما أخرجه مغلطاي عن الأديب .

قال: عشق فتى عندنا جارية، فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله، فكان آونة يسكن إلى الناس وأخرى يسكن الخربـات ويتوحـش، فمـررت بـه يومًـا في خربة يثير التراب على وجهه، فسألته عن حاله .

فأنشد:

يتمـــني حبهـــا وأضنـــاني ... وفي بحـــار الهمـــوم القـــاني
كيـف احتيـالي وليـس لي جلـد ... في دفع ما بـي وكشـف أحزانـي
يـا رب اعطـف بقلبهـا فعسـى ... ترحـم ضعفـي وطـول أشـجاني

ففارقته ومضيت، فلما كان بعد مدة إذا أنا به يتمرغ على الأرض، فلما أبصرني.

قال: يا عم أنا الليلة ميت، فدعوت له ومضيت، فلما أصبحت غـدوت عليـه فإذا هو قد قبض.

ومنهم : ما ذكره ابن المرزبان[1] في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة .

قال: صحبنا شاب فكان لا يلهج إلا بهذه الأبيات:

إلا إنمـا التقـوى ركـائب ادلجـت ... وأدركـت السـاري بليـل فلـم ينـم
وفي صحبـة التقـوى غنـاء وثـروة ... وفي صحبـة الأهـواء ذل مـع العـدم
فـلا تصحـب الأهـواء واهجـر محبهـا ... وكن للتقـي إلفـا تكـن في الهـوى علـم

فسألناه : لمن الأبيات؟ قال: لأخ لي كنت أحبه حبًا شديدًا، ولم أر أمزح منه مع التقوى، فسألته: اللدنيا تلهج بهذه، أم لأخـرى ، فقـال: لأمـر لا أخـبرك بـه حتى ينفذ من يدي.

---

(١) ابن المرزبان، هو: سهل بن المرزبان، أبو نصر، أديب ، فكثر من جمع نفائس الكتب، له نظـم حسن، كان معاصرا للثعالبى صاحب اليتمية وبينهما مداعبات ومكاتبات. من آثـاره: أخبـار بن الرومى، الألفاظ، توفى سنة (٤٢٠هـ). انظر: الأعلام (١٤٣/٣).

Marfat.com

ودام على ذلك حتى لزم الفراش، فكانت الأطباء تختلف إليه ولم تؤثر معه شيئًا، وكان يصرخ الليل ، كله فأجمعنا على أن ندعه وشأنه، فكان يجلس نهاره على الباب، وكلما مرّ به شخص يسأله إلى أين يذهب، فيقول: إلى موضع كذا، فيقول: لو مررت على من نريد لحملناك حاجة، فقال له صاحب له: أنا مارّ حيث تريد.

فقال:

تقرأ السلام على الحبيب تحية ... وتبثه بتطاول الأسقام[1]

وتفيده أنّ التقى ذم الهوى ... لما غدا مستغولاً بزمام

قال : نعم، فما كان بأسرع من أن رجع.

فقال: بلغتهم رسالتك، فقالوا:

لئن كان تقوى الله ذمتك أن تنل ... أمور أنهى عنها بنهي حرام

فزرنا لنقضي من حديث لبانة ... ونشفي نفوسًا آذنت بسقام[2]

قال: فوثب قائمًا، ثم أنشد يقول:

سأقبل من هذا وفيه لذي الهوى ... شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق

إذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى ... وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال: ومضى، فقمت خلفه وحدي حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأي والدين، وكانت له ابنة من أجمل النساء ، فوقف على الباب .

وقال:

فها أنا قد جئت أشكو صبابتي ... وأخبركم عما لقيت من الحب

وأظهر تسليمًا عليكم لتعلموا ... بأنّ وصولي ثم ذا منكم حسبي

قال: فلما فهمت القصة وخشيت أن يظهر أمره، قلت له: ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك.

قال: بلى.

---

(١) تبثه: تخبره وتطلعه على الأمر. انظر: القاموس المحيط ، مادة [بثث].

(٢) لبانة: الحاجة التى يهم الإنسان قضاؤها. انظر: القاموس المحيط ، مادة [لبن].

Marfat.com

قلت: كيف وهم يقولون:

بـــا لله ربـــك لا تمـــر ببابنـــا إنـــا نخـــاف مقالـــة الحســـاد

فقال: يا صالح أقد قالوا هذا؟

قلت: نعم، فجعل يهذي ويقول:

إن كـان قـد كرهـو زيـارة عاشـق فـلرب معشـوق يـزور العاشـقا

ثم رجع، فلزم الوساد حتى مات.

ومنهم :ما حكاه الوراق[1] عن الصوفي .

قال: حدثني صديق لي، قال: دخلت البيمارستان ببغداد، فرأيت شابًا نظيف الثيـاب قـد شد إلى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة، فسلمت عليه، وقلت له: ماذا تريد؟

فقال: قرصين وفالوذج[2]، فأحضرتهما، فلما فرغ قلت له: هل تطلب غير هذا؟

قال: وما أظنك تقدر عليه.

قلت: اذكره، فلعل ا لله أن يساعدني عليه.

فقال: تمضي إلى زقاق الغفلة، فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا أنحله.

فمضيت وفعلت ما قال، فخرجت إلىّ عجوز، فقالت: قل له عليلكـم مـن ذا أعله، فرجعت إليـه وأخبرتـه بذلـك، فشـهق شـهقة فمـات، فرجعـت إلى البـاب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية.

ومنهم : ما حكاه السامري .

قال: مررت أنا وصديق لي بدير هرقل، فقال هل لك أن تدخل فتنظـر إلى مـا فيه من ملاح المجانين، فدخلنا، وإذا بشـاب نظيـف الثيـاب، حسـن الهيئـة، جميـل المنظر، فحين بصر بنا، قال: مرحبًا بالوفد قرب ا لله بكم بابي، من أين أقبلتم؟

فقلنا: جعلنا فداءك ومتع ا لله بك ، أقبلنا من كذا ، ثم قلنا لـه: مـا أجلسـك ههنا وأنت لغير هذا المكان أهل وهو لغيرك محل، فتنفس الصعـداء وهـو مشـدود إلى الجدار في سلسلة وصوب طرفه إلينا.

---

(١) الوراق، هو: عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الديـن، شـاعر، كـان كاتبًـا لـوالى مصـر، ولـه ديوان شعر، توفى سنة (٦٩٥هـ) انظر: شذرات الذهب (٤١٩/٥) ، الأعلام (٦٣/٥) .

(٢) فالوذج: كلمة فارسية تعنى حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل. انظر: القاموس المحيط، مادة [فلذ].

Marfat.com

وأنشد:

الله يعلـــم أنـــني كمـــد ... لا أســتطيع أبــث مــا أجــد

روحـــان لي روح تضمنهـــا ... بلــد وأخــرى حازهــا بلــد

أمــا المقيمــة ليــس ينفعهــا ... صــبر وليــس يقرهــا جلــد

وأظــن غــائبتي كشــاهدتي ... بمكانهــا تجــد الــذي أجــد

قلت وسيأتي منه: إنه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ، ولا يمكن أن يقال: إن هذا المحكى عنه هو، لأن خالدًا لم يحبس وإنما كان سائحًا، كما سيأتي فلم يبق إلا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوي: ولما فرغ من شعره التفت إلينا، فقال: هل أحسنت.

فقلنا: نعم، ثم ولينا.

فقال : بأبي ما أسرع ذهابكما، أعيراني سمعكما فعدنا إليه.

فأنشد:

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ... ورحلوها وسارت بالهوى الإبل[1]

وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو إليّ ودمع العين منهمل[2]

فودعت ببنان عقدها عمن ... نادبت لا حملت رجلاك يا جمل

ويلي من البين ماذا حلّ بي وبها ... يا نازح الدار حلّ البين وارتحلوا

يا حادي العيس عرج كي أودعها ... يا حادي العيس في ترحالك الأجل[3]

إني على العهد لم أنقض مودتهم ... فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له، مجونًا لننظر ما يفعل: ماتوا ، فقال: أقسمت عليكم، ماتوا ؛ قلنا: نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع[4] منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فإذا هو ميت. فمْا ندمنا على شيء أعظم منه.

وحكاها المبرد كما هي وزاد أن قال: فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه.

---

(١) العيس: إبل بيض يخالط بياضها سواد خفيف. انظر: القاموس المحيط ، مادة [عيس].

(٢) السجف: الستار الذى يسدل على باب البيت. انظر: القاموس المحيط ، مادة [سجف].

(٣) عَرِّج: قِفْ. انظر: القاموس المحيط ، مادة [عرج].

(٤) دلع لسانه : أخرجه من فمه. انظر: القاموس المحيط ، مادة [دلع].

Marfat.com

فقال: أنشدوني شيئًا من الشعر أو أنا أنشدكم.

فقلنا له: أنشد ، فأنشد الشعرين ، فلما قال (ما فعلوا) قال رجل بغيض معنا: ماتوا.

فقال: وأنا أيضًا أموت .

فقال له: افعل ما شئت، فتحدّب حتى مات.

وأخرج الزجاج في أماليه :عن المبرد الحكاية أيضًا ، لكنه قال: فقال لنا: أنشدوني.

فقلت : لرفيقي أنشده.

فأنشد:

قبلت فاها على خوف مخالسة ... كقابس النار لم يشعر من العجل

ماذا على رصد في الدار لو غفلوا ... عني فقبلتها عشرًا على مهل

غضي جفونك عني وانظري أمما ... فإنما افتضح العشاق بالمقل

فقال: أنا وهذا القائل على طرفي نقيض، فإنه يرى محبوبه وأنا مقصي.

فقلنا له: أنت عاشق .

قال: نعم .

قلنا: لمن ؟

قال: أنت سؤلة[1].

قلت: محسن إن أخبرت .

قال: عقد لي أبي على ابنة عم لي، ثم توفي وترك مالاً كثيرًا، فاستولى عمي على المال ونسبوني إلى الجنون.

قال المبرد: هذا كله والقيّم يقول: احذروه فإنه يتغير، ثم التفت إليّ فقال: أنشدني أنت فإنك من أهل الأدب ، فلم يحضرني إلا قول الشاعر:

قال سكينة والدموع زوارف ... تجري على الخدين والجلباب

ليت المغيري بالذي لم أجزه ... فيما أطال تبصري وطلابي

كادت ترد لنا المنى أيامه ... إذ لا آلام على هوى وتصابي

خبرت ما قالت فقلت كأنما ... ترمي الحشا بصوائب النشاب[2]

أسكين ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وحب شراب

بألذ منك وإن نأيت وقلما ... يرعى النساء أمانة الغياب

---

(١) سُؤْله :كثير السؤال . انظر: لسان العرب ، مادة [سأل] .

(٢) النشاب: السهام. انظر: القاموس المحيط ، مادة [نشب].

Marfat.com

ومنهم : ما حكاه الأسدي عن أبيه .

قال: دخلت دير هرقل، فوجدت شابًا حسن الهيئة مكبلاً بالحديد، فقلت لـه: من الذي أوجب لك هذه الحالة ؟

فأنشد :

نظـرت إليهـا فاسـتحلت بنظرتـي ... دمـي ودمـي غـال فأرخصـه الحـب

وغـاليت في حـبي لهـا ورأت دمـي ... رخيصًا فمـن هذيـن داخلهـا العجـب

ومنها : ما حكاه ابن غنيم .

قال: مررت بخربة، فرأيت مجنونًا مصفدًا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول :

ألا ليـت أن الحـبّ يعشـق مـرة ... فيعـرف مـاذا كـان بالنـاس يصنـع

يقولـون فـز بالصـبر إنـك هـالك ... وللصـبر مـني ألـف مـرة أجـزع

ومنهم : ما حكاه أبو الحسن المؤدب .

قال: انحدرت من بالس[1] أريد العراق ، فبينما أنا في بعض أزقة الموصـل[2] إذ سمعت ضجة، فسألت ، فقيل: دار المجانين، فدخلت فإذا أنا بشاب في الحديد قـد تضرّج بالدم، فلما بصر بي قال: من أين؟

قلت: من بالس .

قال: وأين تريد؟

قلت: العراق

قال : أتعرف بني فلان؟

قلت : نعم .

قال: هم الذين صيروني إلى ما ترى في عشقهم .

وأنشد :

زمـوا المطايـا واسـتقلوا ضحـى ... ولم يبـالوا قلـب مـن تيمـوا[3]

مـا ضرّهـم وا لله يرعـاهم ... لـو ودّعـوا بـالطرف أو سـلموا

---

(١) بالس: قرية فى سوريا شرقى حلب، من الإقليم الرابع. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٩٠).

(٢) الموصل: هى مدينة مشهورة وإحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرًا، وعظمًا، وسعة رقعة، ومنها يقصد إلى جميع البلدان؛ فهى باب العراق ومفتاح خراسان. انظر: معجم البلدان (٥/٢٥٨).

(٣) زموا : شدوا ، أو أخطموا. المطايا: الإبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [زمّ، المطايا].

Marfat.com

ما زلت أذري الدمع في أثرهم حتى جرى من بعد دمعي دم[1]
ما أتصفوني يوم بانوا صحى ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

ومنهم : الفويرك وهو من المشاهير في عقلاء المجانين .

قال الأبليّ: رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رآني قال : أما ترى ما يصنع هؤلاء بي مع ما أنا فيه من العشق والجنون ، قال: بلى وا لله وبي عشق شديد.

قلت: فما أنشدت فيه شيئًا؟

قال: بلى وأنشد :

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حدّ وهذا له حدّ
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا على مهجتي أن لا يفارقها الجهد
فأيّ طبيب يستطيع بحيلة يعالج من داءين ما منهما بدّ

وقال يومًا وقد لقيته وفي عنقه حبل يقودونه: يا أبا بكر، بماذا يعذب ا لله عبادة؟

قلت: بجنهم.

فقال: صفها.

فقلت له: ومن الذي يقدر أن يصف عذاب ا لله؟

فقال: أنا وا لله في عذاب أعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية .

وأنشد :

أنظر إلى ما صير الحبّ لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حبّ من لم يزل من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حبّ من من دونها الأستار والحجب

وقال له ابن الزيات: متى حدث بك العشق؟

قال: من زمان طويل ، ولكن كنت أكتمه حتى غلب.

فقال: أنشدني ما قلت فيه .

فأنشد :

كتمت جنوني وهو في القلب كامن فلما استوى والحب أعلنه الحبّ

---

(١) أذرى الدمع : صبت عينيه الدمع. انظر: القاموس المحيط مادة [ذرا].

Marfat.com

وخلـى والجســـم الصحيـــح يذيبـــه فلمـا إذاب الجسـم ذل لـه القلـــب
فجســمي نحيـل للجنـــون وللهـــوى فهـذا لـه نهـب وهـــذا لـــه نهـــب

ومنهم : خالد بن يزيد[1] .

يكنى أبا القاسم، ويعرف بالكاتب، خراسانيّ الأصل ، بغدادي المنشـأ، أحـد كتاب الجيش في الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقة وحسـن الشـعر، ثـم اعتراه الجنون، قيل: من السوداء.

نقله في النزهة وقال: إنها كانت تعتريه زمن الباذنجان فإذا جاء الشتاء ، حسن حاله.

وحكى في امـتزاج الأرواح ورياض اللظـائف أنـه خـرج إلى بعـض الأعمـال بأذربيجان ، فشهد مجلسًا وفيه قينة، فأعجب بها وطلب أن يصطحبها، فـامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله، فكان يصحو أحيانًا ويغمـر أحيانًـا، فـترك العمـل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك في كتابة بعض الأعمال فمرّ بماجنة تغني :

مـن كـان ذا شـجن بالشـام يطلبـه ففـي سـوى الشـام أمسـى الأهـــل

فسقط مغشيًا عليه حين سمع ذلك، وتذكر به حال الماجنة وأنهـا أخبرتـه أنهـا تطلب الشام ، ثم أفاق ورجع ورمـى العمـل، وكـان يركـب قصبـة[2] ويطـوف ببغداد، وأهلها يطلبونه خصوصًا أرباب الدواوين ليسمعوا شعره .

قيل : قال له ابن الجهم يوما : هب لي قولك :

ليت ما أصبح من رقة حدّيك بقلبك

فقال: من الذي يهب ولده ، ورآه يومًا والصبيان يضربونه ، فأدخله بيته، ثـم قال له بعدما أخذ الراحة: ماذا تريد؟ قال: هريسة ورطبا فأحضرهما، فلما أكـل قال له: أسمعني شيئًا من شعرك.

فأنشد :

تناسيت مـا أودعـت سمعـك يـا سمعي كـأنك بعـد الضـر خـال مـن النفـع
فـإن كنـت مجبـولاً علـى الصـد والجفـا فمـن أيـن لي صـبر فاجعلـه طبعـي[3]

---

(١) انظر: الأعلام (٢/٣٠١) ، تاريخ بغداد (٨/٣٠٨) .
(٢) القصبة : من أنواع البعير ، انظر لسان العرب ، مادة [قصب].
(٣) مجبولاً : على فطرته. انظر: القاموس المحيط، مادة [جبل].

Marfat.com

هـــل الحـــب تجنيـــه علـــيّ التفاتـــة فـأفرح بعـد اليـأس مـني ومـن نفعـي
عـلام الجفـا يـا مـن كلفـت بحبـه اتتلفـني بـالهجر منـك وبـالقطع[1]
لئن كان أضحى فـوق خديـك روضـة فـإن علـى خـدي غديـرًا مـن الدمـع

فقال له: أحسنت وا لله ووجد لذلك وجدًا عظيمًا ، ثم قال له : أسمعني شيئًا غير هذا، قال: حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت ، وخرج من عنده .

وله أيضًا :

يـا تـارك الجسـم بـلا قلـب إن كنـت أهـواك فمـا ذنـبي
يـا مفـردًا بالحسـن أفردتـني منـك بطـول الهجـر والحـب
ان تـك عيـني أبصـرت قينـة فهـل علـى قلـبي مـن عتـب
حسـيبك ا لله لمـا بـي كمـا انـك في فعلـك بـي حسـبي

ودخل على ابن عباد فرفع مجلسه ، فقال ابن الأعرابي: من هذا ؟

فقال: أو ما تعرفه ؟

قال: لا .

قال :هو خالد الكاتب .

فقال له ابن الأعرابي : أسمعنا من شعرك .

فأنشد :

لـو كنـت مـن بشـر لم يفـتن البشـرا ولم يفـق في الضيـاء الشـمس والقمـرا
نـور تجسـم منحـلا ومنعقـدًا سـلك تضمـن في تنظيمـه دررا

فقال له ابن الأعرابي: كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق، أنشدنا غير هذا.

فقال :

أراك لمـا لججـت في غضبـك تـترك ردّ السـلام في كتبـك[2]

حتى أتى على قوله :

أقـول للسـقم عـد إلى بدنـي حبـا لشـيء يكـون مـن سـببك

---

(١) كلفت : أحببته حبًا شديدًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلف].

(٢) لججت: تماديت فى الخصومة والعناد. انظر: القاموس المحيط مادة [لجّ].

Marfat.com

فقال له: إنك لفوق ما وصفت به.

ووقف عليه إبراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء أسود، فقال له: أنت القائل :

قـد بكـى العَـال لي مـن رحمـة فبكـائى لبكـاء العَـال

قال: نعم .

قال: يا غلام ادفع له ما معك.

فقال خالد: وما ذاك ؟

قال: ثلاثمائة دينار .

قال: لا أقبلها ، أو تعرفني من أنت ؟

قال: أنا ابن المهدي ، فأخذها وانصرف إبراهيم ، فلما بويع له بالخلافة طلبه، فقال له: أنشدني من شعرك .

فأنشد :

عش فحبيك سريعا قاتلي والضني إن لم تصلني واصلي[1]

قد طغى الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى تركاني كالقضيب المائل

وحكى عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن أن لجهم من رؤيته مع الصبيان وإدخاله و إطعامه لكنه قال : فأطعمته رطبًا فقط واستنشدته .

فأنشد :

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه يخطر في القلب منك مسلكه[2]

يكاد يجري من القميص من النعمة لو القميص يمسكه

---

(١) الضنى: المرض والهزال. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضنا].

(٢) يخطر: ما يرد على القلب من تدبير أو أمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [خطر].

Marfat.com

فصل

في ذكر من جرع كأس الضنى، وصبر على مكابدة العناء واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتداء

حكى صاحب النزهة ، قال: نشأ ببني حران[1] شاب لبعض التجار يدعى واصفًا، وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة ، وكان له ابنة عم تسمى لطيفة ، وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال، ومحاسن الأخلاق والخصال ، فتوفي أبوها وتركها صغيرة، فكفلها عمها حتى بلغت ، فكانت تنظر إلى ابن عمها فيعجبها إلى أن تمكن حبه منها ، فمرضت وهي تكتم أمرها.

وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للأمور، فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانًا، فإذا دخل الغلام صحت، والتمست ما تأكل، فأخبرت أباه ، فقال: يا لها نعمة ، ثم زوجه منها،فأوقع الله حبها في قلبه، فأقاما على أحسن حال مدة ، وهو يأمرها أن تكون دائمًا متزينة متطيبة ، ويقول لها: لا أحب أن أراك إلا كذا، فلم يزالا على ذلك حتى ضعف الشاب ومات، فحزنت عليه وفقدت عقلها ، فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي وتمكث على قبره باكية إلى الغروب .

قال الأصمعي: مررت أنا وصاحب لي بالجبانة، فرأيتها على تلك الحالة، فقلنا لها: علام ذا الحزن الطويل؟

فأنشدت :

فان تسألاني فيم حزني فإنني ... رهينة هذا القبر يا فتيان

وإني لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه حين يراني

فعجبنا منها، ثم جلسنا بحيث لا ترانا لننظر ما تصنع .

---

(١) بنى حران: فرقة من الكيار ؛ إحدى عشائر الباب، أحد أقضية حلب. انظر: معجم قبائل العرب (١/٢٥٨).

Marfat.com

فأنشدت :

يا صاحب القبر من كان يؤنسني ... وكان يكثر في الدنيا موالاتي[1]

قد زرت قبرك في حلي وفي حلل ... كأنني لست من أهل المصيبات

لزمت ما كنت تهوى أن تراه وما ... قد كنت تألفه من كل هيآتي

فمن رآني رأي عبرى مولهة ... مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت، فتبعناها حتى عرفنا مكانها.

فلما جئنا إلى الرشيد ، قال: حدثني بأعجب ما رأيت، فأخبرته بأمر الجارية .

فكتب إلى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم، ففعل، وأتي بها إليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن .

قال الأصمعي: فلم يذكرها الرشيد إلا ذرفت عيناه .

وحكى بعض أهل المدينة ، قال: دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني ، فدخلنا عليها فإذا هي منخرطة[2] الوجه، متغيرة، تكثر من السهو والإطراق[3] كأنها مشغولة، فعزمت عليها أن تخبرني بما بها ، فقالت: برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوقي إلى من سار ، والذي ترى مما وصفت لك، فإن كنت ذا أرب[4]، صرفت العتب عن ذي الكرب ، واجتهدت في طلب الدواء لمن أشرف على العطب، وأخذت العود فغنت تقول :

سيوردني التذكار خوض المهالك ... فلست لتذكار الحبيب بتارك

أبى الله إلا أن أموت صبابة ... ولست لما يقضى الإله بما لك

كأن بقلبي حين شط به النوى ... وخلفني فردا صدور التيازك

تقطعت الأخبار بيني وبينه ... ليعد النوى واستد سبل المسالك

فو الله لقد خفت أن تسلب عقلي بغنائها .

فقلت: جعلني الله فداءك وهذا الذي صيرك إلى ما أري يستحق ذلك مع أن الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن ويخف فقد قال الأول:

---

(١) موالاتى: الاعتناء بأمرى. انظر: القاموس المحيط، مادة [ولى].

(٢) منخرطة الوجه : لونها متغير. انظر: القاموس المحيط، مادة [خرط].

(٣) الإطراق: إمالة الرأس إلى الصدر والسكوت عن الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرق].

(٤) أرب: دهاء وفطنة. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرب].

Marfat.com

صبرت على اللذات لما تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فان أطعمت تاقت وإلا تولت[1]

فقالت: قد رمت[2] ذلك، فكنت كما قال قيس: ولما أبي إلا جماحًا... (البيتين).

فأسكتني حججها عن المحاورة ، وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها .

وحكى الزبير بن بكار[3]: قد دخلت على الأمير بن طاهر حين قدم من الحجاز، فتبسم في وجهي ثم قال :

لئن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب

وإن أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده ، فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة نحوت وبغال تحمل عليها أمتعتك ، فشكرت فضله .

فلما عزمت على الانصراف قال: زوّدنا أيها الشيخ حديثًا نذكرك به.

فقلت: أحدثك بما رأيت أو بما سمعت.

قال: بما رأيت أو بما سمعت .

قال: بما رأيت.

قلت: بينما أنا بين المسجدين، أو قال: على إثاوة الأعرج ، إذا أنا برجل صاد ظبيًا وهمَّ ليذبحه، فنشب الظبي بقرنيه في الرجل فدخلا في جوفه فسقط الصياد والظبي ميتين.

أو قال:رأيت حبالة منصوبة وظبيًا مذبوحًا ورجلاً ميتًا، فجاءت امرأة حاسرة وهي .

تقول:

ياحسن يا بطل لكنه أجل على الاساءة ما أودي بك البطل
يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها وذاك يا حسن عندي كله جلل

---

(١) تاقت: اشتاقت. انظر: القاموس المحيط، مادة [تاق].

(٢) رُمْت: أردت. انظر: القاموس المحيط، مادة [روم].

(٣) الزبير بن بكار،هو: أبو عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير بن العوام، العلامة، الحافظ، قاضى مكة وعالمها، حدّث عنه بن ماجه فى (سننه) وثقه الدارقطنى، كان عالمًا بالنسب وأخبار المتقدمين، توفى سنة (٢٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣١١/١٢) ، تاريخ بغداد (٤٦٧/٨).

Marfat.com

أمســـت فتـــاة بـــني نهـــد علانيـــة وبعلهـــا في أكـــف القـــوم يبتـــذل[1]
قـــد كنـــت راغبـــة فيـــه أظـــن بـــه فحـــان مـــن دون ضـــن الرغبـــة الأجـــل

ثم شهقت فماتت ، فلم أر أعجب من الثلاثة .

وفي رواية: وبعلها فوق أيدى القوم محتمل. فوهب له عشرة آلاف درهم .

قال: أتدرون ما استفدنا من الشيخ.

قالوا: لا .

قال: قوله :**علانية** يعني ظاهرة، وهذا حرف لم أسمعه من العرب .

وحكى أن امرأة أحبت رجلاً وكان متمنعًا عنها زمانًا، فراسلته أن يتزوج بها ففعل وكانت بينهما ألفة شديدة، فمكثا على ذلك مدة ، فمرض ومات، فجعلت المرأة تتردد إلى قبره ولزمته يومًا تبكي .

وتنشد :

كفـــى حزنًـــا أن أروح بحســـرة وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري
فيا نفس شقي جيب عمرك عنـــده ولا تبخلـي بـا لله يـا نفـس بـالعمر
فمـا كـان يـأبي أن يجـود بنفســه لينقذني لـو كنـت صاحبـة القـبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فإذا هي ميتة .

وحكى الربيع قال: مررت بجارية على قبر تقول :

بنفســي فتــى أوفـــى البريـــة كلهـــا وأقواهـم في المـوت صـبرًا علـى الحـب

قال: فقلت لها: بم صار كذلك؟

قالت: كان إذ أعنـف في حبي يصبر، وإذا لحى عليه يسكت، وإذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين :

يقولون إن جاهرت قـد عضـك الهـوى إن لم أبـح بـالحب قـالوا تصـبرا
فمـا للـذي يهـوى ويكتـم حبـه مـن الأمـر إلا أن يمـوت فيقـبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات، فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران، ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فإذا هي ميتة فدفنت إلى جانبه.

---

(١) يبتذل: يهان. انظر: القاموس المحيط، مادة [بذل].

Marfat.com

وحكى رجل من تميم قال: ضلت لي إبل فخرجت في طلبها، فإذا أنـا بجاريـة كأنها قمر تغشى بصر من ينظر إليها ، فلما رأتني قالت: مالك ؟

قلت: ضلت لي إبل فلم أعرف خبرها .

فقالت: هل أدلك على من عنده علمهنّ ؟

قلت: بلى.

قالت: إن الذي أعطاكهنّ هو الذي أخذهـنّ وهـو أحـق بردهـن فسـله مـن طريق التيقن لا من طريق الاختبار.

فأعجبني كلامها ووقفت أنظر إليها ثم راودتها عـن نفسـها، فقـالت: هبـك ليس لك مانع من أدب، أما لك زاجر من الحياء؟

فقلت: لن يرانا إلا الكواكب .

فقالت: أين مكوكبها ؟

فقلت: ألك بعل.

قالت: قد كان ولكن دعي إلى ما خلق له فصار إلى ما خلق منه .

ثم أنشدت :

إني وإن عرضـــت أشـياء تضحكـني ... لموجع القلـب مطـوي علـى الحـزن

إذا دجـا الليـل أحيـاني تذكـره ... وزادني الصبح أشجانًا على شـجني[1]

وكيـف ترقـد عـين صـار مؤنسـها ... بـين الـتراب وبـين القـبر والكفـن

أبلـي الـثرى وتـراب الأرض جدّتـة ... كـأن صورتـه الحسـناء لم تكـن[2]

أبكـي عليـه حنينًـا حـين ٰاكـره ... حنـين والهـة حنـت إلى وطـن

أبكي على مـن حنـت ظهـري مصيبتـه ... وطـير النـوم عـن عيـني وأرقـني

وا لله لا أنس حبي الدهـر مـا سـجعت ... حمامـة أو بكـى طـير علـى فنـن[3]

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها: هل لك في زوج لا تذمّ خلائقـه وتؤمن بوائقه ؟ فأطرقت مليًا .

---

(١) دَجَى الليل: تمت ظلمته. انظر: القاموس المحيط، مادة [دجا].

(٢) الثرى: التراب الندى. جدّته: أى هيئته السليمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثرا]، [جدد].

(٣) سجعت حمامة: هدلت على جهة واحـدة؛ ويسـتخدم فـى المثـل "مـا سـجع الحمـام" أى إلى الأبد. فنن: غصن الشجرة . انظر: القاموس المحيط، مادة [سجع] ، [فنن].

Marfat.com

ثم أنشدت تقول :

كنـا كغصنـين في أصـل غذاؤهمـا ... مـاء الجـداول في روضـات جنـات

فـاجتث خيرهمـا مـن جنـب صاحبـه ... دهـر يكـر بفرحـات وترحـات[1]

وكـان عـاهدني إن خـانني زمـني ... أن لا يضـاجع انثـى بعـد مثواتـي

وكنـت عاهدتـه أيضًـا فعالجـه ... ريـب المنـون قريبًـا مـن سـنيات

فـاصرف عنـك عمـن ليـس يردعـه ... عـن الوفـاء خـلاف في التحيـات

وحكى إبراهيم الموصلي[2] ،قال: كـان كثـيرًا مـا يصـف لي "زلـزل" جاريـة عنده، فلما مات مولاها وسمعت عرضها للمبيع ركبت حتى دخلـت عليهـا فـإذا هي جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص منـه فسـألتها أن تغـني ، فأخذت العود وغنت :

اقفـر مـن أوتـاره العـود ... فـالعود للإقفـار معمـود

واوحـش المزمـار مـن صوتـه ... فمـا لـه مـن بعـدك تغريـد

مـن للمزامـير ولذاتهـا ... وعـارف اللـذات مفقـود

فـالخمر تبكـي في أباريقهـا ... والقينـة الخمصانـة الـرود[3]

فركبت إلى أمير المؤمنين فأعلمته بها ، فاستحضرها فلما وقعت من قلبه ، قال لها: هل لك أن أشتريك ؟

فقالت: أما إذا اشتريتنى فلا خير لك فيّ ، فرحمها وأعتقها وأجرى عليها مؤونة .

ومن وفاء النساء: أن كسرى أبرويز ترك جارية كانت حظية، فطلـب ولـده أخذها، فعالجت ناووس[4] كَسرى ففتحته، ودخلت فمصت خاتمًا مسمومًا كان في أصبعه، فماتت .

---

(١) يكرّ : يعود ويرجع. ترحات: الأحزان والهموم. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرّر]، [ترح].

(٢) إبراهيم الموصلى، هو " ابن على بن إبراهيم العمرى، أبو إسحاق ، المحدث الحجة، قدم بغداد وحدّث بها، وثقه الدارقطنى والخطيب، توفى سنة (٣٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/١٤) ، تاريخ بغداد (١٣٢/٦).

(٣) الخمصانة: ضامرة البطن. انظر: القاموس المحيط، مادة [خمص].

(٤) ناووس: حجر منقور، تجعل فيه جثة الميت. انظر: القاموس المحيط، مادة [نوس].

Marfat.com

القسم الثالث

فيمن خالسته عيون الإماء فأسلمته إلى الفناء وكادت أن تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء

ومما ينبغي ذكره هنا مصدر الحكاية المشهورة عن حبابة ، وهي جارية في الأصل للأحوص، وقيل: لرجل مدنيّ ، وإنها كانت تسمى العالية ، وإنه دخل بها على يزيد بن عبد الله في خلافة أخيه وعليها إزار له ذنبان ، وبيدها دف فغنته :

ماأحسن الجيد من ملكية والسلبات إذ زانها ترائبها

يا ليتني ليلة إذا هجع النا س ونام النيام صاحبها

في ليلة لا يرى بها أحد يسعى علينا إلا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، فبلغ أخاه فعزم على أن يحجر عليه، فردها، فاشتراها رجل من إفريقية ، وقد تولعت بها نفس يزيد، وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان،وربيحية بنت عبد الله بن جعفر، وأمهر كلاً منهما عشرين ألف دينار.

فخاف من سليمان الحجر، فلم يزل ينتظر حتى انتقلت إليه الخلافة ، فأرسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة ، فبلغه أنها في المدينة ، فمضى إليها فقيل : بمصر، فمضى إليها فقيل: بإفريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها ، لولا أني أخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرًا، ولما ارتحل بها مولى سعدى، أنشد الإفريقى وقد تبعتها نفسه :

ابلغ جبابة اسقي ريعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر[1]

أن سار صحبي لم أملك تذكركم أو عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما مرّ بها على مكة شيعها الناس ، وقيل: من المدينة، وكانوا مائتي رجل إلى ذي خشب ، وسألوها أن تزوّدهم صوتًا .

فأنشدت :

سلكوا بطن مخيض ثم ولوا راجعينا[2]

---

(١) وطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همة .انظر: القاموس المحيط، مادة [وطر].

(٢) مخيض: موضع بقرب المدينة. انظر: معجم البلدان (٥/٨٧).

Marfat.com

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد ، فوهب كلاً ألـف درهـم ، ولما وصل بها إلى سعدى ألبستها حلـلاً، ووهبتهـا جواهـر وطيبًـا كثـيرًا ، ثـم قـالت للخليفة: قد وهبك ا لله الملك، فهل بقي عليك شيء ، وهي تعلم ما في نفسه .

فقال: لا .

فقالت: بل أنا أعلم، فأخبرني عسى أن أوصلك إليه .

فقال: العالية ؛ يعني حبابة .

فقالت: أو تعرفها إذا رأيتها ؟

قال: نعم ، فأخذت بيده حتى أدخلته عليهـا، فسرّ وعظمـت منزلـة سـعدى عنده ، وكانت عاهدت حبابة أن لا تدع لها حاجة عند الخليفة إلا قضتها ، وأن يجعل الخلافة لولدها، ففعلت، وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهي أيضًا جارية كانت لمدنيّ، وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعًا عظيمًا، فلمـا اجتمعتًـا عنده، قال: أنا الآن كما قيل :

فألقت عصاها واسـتقر بهـا النـوى كمـا قـر عينًـا بالإيـاب المسـافر

وأول ما عظمت به عنده أنه دخل يومًا فسمعها تغني من وراء الستر ولا علم لها به:

كـان لي يـا يزيـد حبـك حينًـا كـادءيقضـي علـيّ حـين التقينـا

فكشف الستر، فوجدها مستقبلة الجدار، فعلم أنها لم تشعر بـه، فـألقى نفسـه عليها وارتفعت منزلتها عنده.

وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفـة بـالأدب والآلات والغناء، وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة[1] وأم عوف[2] وغيرهم، وكـان يزيـد

---

(١) جميلة ، هى : جميلة السلمية، مغنية من أعلم المغنيات فى العصر الأموى، وأصـل مـن أصـول الغناء، أخذ عنها معبد وحبابة وسلامه الغنـاء كـان معبـد يقـول عنهـا: (أصـل الغنـاء جميلـة، وفروعه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنيين) كان عمر بن أبى ربيعة يبكى لسماع صوتهـا. انظر: أعلام النساء (٢١١/١).

(٢) أم عوف: هى مغنية محسنة ، أخذت عنها الغناء حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنها كانت تختلف إلى يزيد قبل أن تفضى إليه الخلافة وهى طاعنة فـى السـن . انظـر : الأغـانى ، أعلام النساء (٣٧٩/٣) .

Marfat.com

قبل خلافته يختلف إلى أم عوف ويقترح عليها أن تغني :

متى أجر خائفًا تسر مطيته ... وإن أخف آمنًا تنبو به الدار

سيروا إليّ وارخوا من أعنتكم ... إني لكل امرىء من وتره جار[1]

فسأل حبابة أن تغنيه و لم يمكنها الطعن على أم عوف، فبكت يزيد بحبه لها بأن غنت إثر الصوت :

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزًا ومن يحبب عجوزًا يفندا[2]

فضحك وقال: لمن هذا ؟ فقالت: لمالك، فكان كثيرًا ما يسألها أن تغنيه،فغنت يومًا:

لعمرك انني لا حب سلعا ... لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عيني وإني ... لأخشى أن تكون تريد فجعي

حلفت برب مكة والهدايا ... وأيدي السابحات غداة جمع

لأنت على التناني فأعلمته ... أحبّ إليّ من بصري وسمعي

ولما أنشدته البيت الأول تنفست الصعداء ، فقال يزيد ما لك وله وا لله لو أردته حجرًا حجرًا لجئت به إليك.

فقالت: ما أصنع به، إنما أريد صاحبه أو ساكنه.

واقترح عليها وعلى سلاَّمة يوماً أن تغني كل منهما ما في نفسه ، ومن أصابت فلها ما تطلب، فغنت سلامة فلم تصب، وغنت حبابة :

خلف من بني كنانة حولي ... بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما في نفسه، فقال: احتكمي .

فقالت: تهب لي سلامة وما لها .

فأبى وقال: اطلبي غيرها فأبت إلا هي .

فقال: أنت أولى بها وبمالها .

فغمت سلامة؛ لأنها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد ، حتى كان يأمرها أن تدرب حبابة ، فذكرتها ذلك .

---

(١) أعنة : جمع عنان : لجام الدابة . انظر: القاموس المحيط، مادة [عننّ].

(٢) يفندا:من الفند : الخرف وإنكار العقل من الهرم أو لمرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [فند].

Marfat.com

فقالت: لا ترين إلا خيرًا .

ثم طلب يزيد شراءها فأعتقتها وزوّجتها منه ، واختلفتا يومًا في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله :

الا حيّ الديار بسعداني ... أحبّ لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني ... فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبر أنه إلى حبابة أميل ، فقضى لها.

فقالت سلامة: إنما قضيت للمنزلة، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما له عليّ من الحق، فأذن لها فمضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ، و لم تزل تفتقده حتى رجع.

وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الأحوص .

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز .

فقال الأحوص: إنما هو لجرير يهجوك به .

فقال: ويل ابن المراغة[1] ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره ، وقيل إن معبدًا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير :

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الهوى ... وأن يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كلما ... علت فوقه نذافة العطب أعزلا

فيا عز إن واش وشى بي عندكم ... فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بودّك عندنا ... لقلتا تزحزح لا قريبًا ولا سهلا

فأهلاً وسهلاً بالذى شدّ وصلنا ... ولا مرحبًا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ، ودار في الدار وهو يقول : السمك الطري أربعة أرطال عند بيطار حيان . فلما رجع إلى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد ، فرجع لحبابة كما سبق ، فقالت له سلامة: يا ابن الفاعلة، تعلم أن الحق معي، ولكن قضيت للمنزلة ، فضحك يزيد وأحسن

---

(١) المراغة :لقب أم جرير ، وقد لقبها به الفرزدق لأنها ولدت فى مراغة الإبل .

Marfat.com

صلتها، وكان البيدق من المهرة في الغناء وكان يختلف إلى حبابة، فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة ، فقالت له: إن هذا أبي وشكرت من صوته، وأشارت إليه أن يقرأ، فقرأ حتى بكي يزيد ، ثم أومأت أن يغنيّ فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين بن شريح:

من لقلب مصفد ... هائم القلب مكمد[1]

أنت زوّدته جوى ... بئس زاد المزوّد

ناويًا تحت تربة ... وهي رمس بفدفد[2]

غير إني أعلل ... النفس باليوم أو غد

فطرب يزيد، فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت ، فأشارت إليه أن يأخذه، فأدخله في كمه .

فقال يزيد لحبابة: انظري إلى أبيك كيف أخذ مدهننا.

فقالت: ما أحوجه إليه ، ثم خرج فأمر له بثمانين دينارًا، وغنته يومًا الشعر السابق أول القصة ، بتلحين ابن سريج ، فطرب وقال: هل رأيت أطرب مني ؟

فقالت: نعم، معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فغضب وأحضره، فأرسلت حبابة فأعلمته أن لا يطرب إلا عندما تغني الصوت المذكور ، فلما غنته رقص وطرب ، وجعل يقول الدخن بالنوى[3] ، فأمر له يزيد بثمانية آلاف دينار .

وقال لها مرة أخرى: من أطرب مني؟

فقالت: مولاي الذي باعني فاستحضره مقيدًا ، فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة أيضًا، غنت فألقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته ، وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا، فضحك الخليفة وأكرمه بألف دينار .

ثم لم يزل منعكفًا على الإقامة معها ، والمحافظة على اللهو والطرب والشرب، وقيل: إنه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان إذا طرب سقط فيها، ومزق حلة قيمتها ألف دينار .

---

(١) مصفد: مقيد ومكبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفد].

(٢) فدفد: الفلاة التى لا شيء بها. انظر: القاموس المحيط، مادة [فدد].

(٣) الدخن بالنوى : يعنى يبيع اللوبياء بنواة . انظر : القاموس المحيط ، مادة [دخن] .

Marfat.com

قيل: ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الأصمعي: كان رجلاً نهمًا، إذا قدّم إليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه ، وأما أخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه.

فقال الرشيد للأصمعي: ما أعلمك بالناس ، وا لله إن ثيابهما عندي، وإنّ الدهن في أكمام سليمان، وأثر الخمر في ثياب يزيد ، ولما استمر على حاله وكان قد ولى الخلافة إثر عمر بن عبد العزيز ﷺ وقد اعتاد الناس العدل والإصلاح ، ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات، فضجوا، فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر . وقيل إنه قال من نفسه: ، وا لله ما عمر بأحوج إلى ا لله مني، فهجر الجواري والشراب أيامًا .

وقال لمسلمة: أرجو أن لا تعتبني بعد اليوم ، ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة، فأرسلت إلى الأحوص، فعمل شعرًا، واستحضرت معبدًا فلحنه، ثم احتالت على إسماعه الخليفة؛ قيل: عارضته وهو خارج إلى الصلاة ، وقيل: رشت خادمًا مقربًا منه فأوقفها بحيث يسمع، وأنشدته، فطرب وقال: مروا مسلمة، أو قال: صاحب الشرط، فليصل بالناس، ولعن من يلومه في ذلك، وعاد فاعتكف على ما كان عليه .

وقيل: إن الذي أمره بالكف عن ذلك مولى خراسانيّ ، كان ذا رتبة عنده ، وإنه قال له: سأحضرك معهنّ ، وأقول إنك أعمي ، فإن عنفتني رجعت .

وفعل فشعرن به، وقمن يضربنه، فوقاه يزيد ثم قال له: أدوم على ذلك أم لا، فقال: دم، فاستمر.

والشعر الذي أنشده الأحوص هو هذا :

ألا لا تلمه اليوم أن يتلددا ... فقد غلب المحزون أن يلجلدا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لا مني ... ومن شاء آسى في البكاء واسعدا

وإني وإن فندت الصبا في طلب الصبا ... لا علم أني لست في الحب أوحدا

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرًا من يابس الصخر جلدا

فما العشق إلا ما تلذ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا[1]

---

(١) الشنان، جمع الشن: القربة الخلق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شننٍ].

Marfat.com

وعهـدي بهـا صفـراء رود كأنمـا نضى عرق منها على اللون عسجدا[1]

مهفهفـة الأعلـى وأسـفل خلقهـا جرى لحمه مـن دون أن يتخـددا[2]

مـن المدمجـات اللحـم خـدًا كأنهـا عنـان صنـاع مدمـج الفتـل عضـدا[3]

كـأن ذكـيّ المسـك منهـا وقـد بـدت وريـح الخزامـى عرفـه ينفـح النـدا[4]

وانـي لأهواهـا وأهـوى لقاءهـا كمـا يشـتهي الصـادي الشـراب المـبردا

فقلـت ألا يـا ليـت أسمـاء أصقبـت وهـل قـول ليـت جـامع مـا تبـددّا[5]

علاقـة حـب كـان في زمـن الصبـا فـابلى ومـا يـزداد لا تجـدّدا

نظـرت رحـاب الموقـرات فكـم أرى أكـاريس يحتلـون خاخًـا فمنشـدا[6]

فـاوفيت في نشـز مـن الأرض يـافع وقد يسعف الايفاع مـن كـان مقصـدا

كريـم قريـش حـين ينسـب والـذي أقـرت لـه بـالملك كهـلاً وأمـردا[7]

وليـس عطـا مـن كـان منـه بمـانع وإن جـل عـن أضعـاف أضعافـه غـدا

أهـان تـلاد المـال في الحمـد أنـه أمـام هـدى يجـري علـى مـا تعـوّدا[8]

تـردّى بمجـد مـن أبيـه وجـدّه وقـد أورثـا بنيـان مجـد مشـيدا

ولـو كـان بـذل المـال والجـود مخلـدا مـن النـاس إنسـانًا لكنـت المخلـدا

فاقسـم لا انفـك مـا عشـت شـاكرًا لنعمـاك مـا طـار الحمـام وغـردا

هكذا وجدت القصيدة وإن بترها المصنف إلا أن في بعض أبياتها تغييرًا.

---

(١) العسجد: الذهب. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسد].

(٢) يتخددا: يهزل وينقص. انظر: القاموس المحيط، مادة [خدّد].

(٣) صناع، صناع اليد: ماهرة حاذقة الفتل: اندماج فى المرفق. عضدا:الساعد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف. انظر: القاموس المحيط، مادة [صنع]، [فتل]، [عضد].

(٤) الخزامى: عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. انظر: القاموس المحيط، مادة [خزم].

(٥) أصقبت: اقتربت. انظر: القاموس المحيط، مادة [صقب].

(٦) أكاريس: الأصرام من الناس .انظر: القاموس المحيط، مادة [كرس].

(٧) أمرد: الشاب الذى بلغ خروج لحيته، وطرّ شاربه، و لم تبد لحيته. انظر: القاموس المحيط، مادة [مرد].

(٨) تلاد المال: ما توالد عندك. انظر: القاموس المحيط، مادة [تلد].

Marfat.com

ففي نسخة بدل **إذا لم تكن تعشق** ، **إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا** ؛ يعني بالعزهاة بالمهملة فالزاي، محب اللهو والطرب، وبدل قوله: **وإني وإن فندت،** أغرقت ، وبدل قوله: **لكنت المخلدا** ، لكان.

ولما سمعه قال لحبابة: من يقول هذا.

قالت: الأحوص، فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يومًا هي وسلامة ، فغنيتا **إلى أن قالت حبابة:** كريم قريش .

فقال يزيد: من تعنى ؟

قالت: أنت .

فقالت سلامة: اسمع باقيه ، وأكملته ، فأجزل صلة الأحوص .

وكانت إذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول: أحسنت يا حبيبتي ، أتامرين أن أطير، فتقول له: إلى من تكل الأمة ؟ فيقول: إليك، واشتد طربه بها يومًا فقال لها: قد استخلفتك واستعملت فلانًا عنك .

فقالت: قد عزلته.

فقال: أوليه وتعزلينه ، وقام مغضبًا، فلم تكترث به، وارتفع النهار فدعا خادمًا لها.

فقال له: ما تصنع حبابة ؟ قال: قد اتزرت بإزار خلوقى ، وهي تلعب بلعبها.

فقال: هل تقدر أن تمر بها عليّ ، ولك حكمك .

فمضى فلاعبها ساعة واستلّ لعبة وفرّ، فانطلقت في طلبه تخطر حتى مرت عليه، فوثب واعتنقها وهو يقول وليته، وهي تقول عزلته ، واصطلحا وأقاما على ذلك إلى أن قال يزيد يومًا: قد بلغني أن السبرور لم يصف لشخص يومًا كاملاً وإني مجرب ذلك ، ودعا بحبابه فأوْصاهم أن لا يدخلوا عليه أحدًا، واحتجب معها ببستان له .بمقربة من الغوطة تسمى ببيت رأس .

وعلى زعم المؤرخين أنَّ يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به.

فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار، وإنه ضاحكها ثم رشقها بعنبة أو حبة رمان ، وقيل هي ابتلعتها فشرقت بها فماتت ، واشتد غم يزيد وحزنه، وأقام ثلاثًا يرشفها ويضمها ، ولم يقم أحدا لدفنها حتى ضج به القوم وعذلوه، فأذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض إلى الصلاة عليها ، فقيل: حمل

Marfat.com

على رقاب الناس ، وقيل: قال له مسلمة: أنا أكفيك مع أنه لم يحضر ثم ضم جويرية كانت تخدم حبابة فأنس بها، فقال لها يومًا: ههنا كنا نجلس، قالت: نعم.

فأنشد :

كفى حزنًا للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج إلى قبرها فبكى طويلاً ، ثم تمثل بقول كثير :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قائل من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

ثم مكث خمسة عشر يومًا وعاوده القلق فأمر بنبشها ، فقيل: منعه أخوه، وقال له الناس: إنك أتيت في عقلك فيخلعونك، فرجع.

وقيل: استخرجها وجعل يقبلها ، فقيل له: قد تغيرت، فقال أراها أحسن منها اليوم، و إنه مات حينئذ ، وقيل: أقام أربعين يومًا ثم مات ودفن إلى جانبها .

قالوا: و لم يسبق أن خليفة مات عشقًا سواه ،وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت حسب ما قيل في عهد المنصور(١) .

وحكى عن رجل أنه قال: دخل عليَّ غلامي ومعه كتاب، ففتحته وإذا فيه :

تجنبك البلاء ونلت خيرا ونجاك المليك من التموم

فعندك لو مننت شفاء نفس وأعضاء فنين من الكلوم(٢)

فعلمت أنه عاشق وأمرت بإدخاله فلم يجدوه ، فعرضت الكتاب على جواريّ وقلت: من عرفت منكنّ أمر صاحب هذا فهي له ومائة دينار ، فحلفن أنهنّ لم يعرفن ذلك، وبقي الكتاب والدراهم سنة في جانب البيت ، فبينا أنا يومًا جالسًا دخل عليَّ غلامي بكتاب مثل الأول وفيه:

ماذا أردت إلى روح معلقة عند الثرا قي وحادي الموت يحدوها

حبست حاديها ظلمًا فجدّ بها في السير حتى تخلت في تراقيها

---

(١) المنصور، هو: عبد الله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر، ثانى خلفاء بنى العباس، وهو والد الخلفاء العباسيين، كان بعيدًا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، ذا أدب وعلم ، توفى سنة (١٥٨هـ) . انظر: الطبرى (٢٩٢/٩) ، تاريخ بغداد (٥٣/١٠) ، الأعلام (١١٧/٤) .

(٢) الكلوم: الجروح. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلم].

Marfat.com

والله لـو قيـل لي تـأتي بفاحشـة وان عقبـاك دنيانـا ومـا فيهـا
لقلـت لا والـذي أخشـى عقوبتـه ولا بأضعافهـا مـا كنـت آتيهـا
لـو لا الحيـاة لبحنـا بـالذي كتمـت بنـت الفـؤاد وأيدينـا أمانيهـا

فطلبته فلم أجده أيضًا، فغمني أيضًـا أمـره ، وقلـت للخـادم : لا يـأتيك أحـد بكتاب إلا قبضت عليه حتى أراه ، وكان قد قرب الحاج فلمـا وقفـت بعرفـة إذا بشاب على ناقة إلى جانبي وقد أخذ منه النحول والسقم إلا أن عليه آثار الجمـال والأدب، فسلم عليّ وقال: هل تعرفني؟

قلت : زدني .

قال: أنا صاحب الكتابين .

قلت: قد وهبت لك الجارية ومائة دينار،فامض واعرفها وتسلمها فقـد تعبـت من أمرك .

قال: لم أطلب شيئًا مما تقول .

قلت: فعرفني اسمها لأكرمها من أجلك.

قال: ما كنت بالذي يبوح بشيء .

وانصرف بعد أن أنشد :

لعمـرك مـا اسـتودعت سـري وسـرها سـواها حـذار أن تضيـع السـرائر
أصون الهـوى خوفًـا عليـك مـن العـدا مخافـة أن يغـري بذكـراك ذاكـر

ومنهم : أبو عبد ا لله الخبشـاني ، عشـق جاريـة سـوداء يقـال لهـا: صفـراء ، ومرض من حبها حتى لزم الوساد، فقيل لمولاه: لو أرسلت بها إليه فعساه أن يجد الشفاء، فلما دخلت عليه، قالت: كيف أصبحت؟

قال: بخير ما رأيتك.

قالت: ما تشتهى؟

قال: قربك .

قالت: مم تشتكي ؟

قال: هجرك .

قالت: فيم توصي ؟

قال: بك إن سمح لي.

Marfat.com

قالت: إني أريد الانصراف .

قال: لا تعجلي ثواب الصلاة عليّ ، فلما رآها ولت شهق شهقة فمات .

ومنهم شاب بصري ، قال في النزهة: اسمه ظريف بن نعيم الغفاري، كان بأعظم حالة من الجمال، وأمكن رتبة من المال ، وإنه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة أن يرسله بمتجر إلى بغداد ، فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين إلى اكتساب بالأسفار فلا تفجعني فيك ، فأبى إلا السفر، فجهز له حِمْلاً وسار حتى دخل بغداد ، فأقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملانها ناظره ، ويشرح بمنازهها خاطره ، إلى أن أشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة؛ يعني المكان الذي تباع به الجواري، فحضر مع خواص التجار، وجيء بجارية بهرت الحاضرين، وأشغلت الناظرين .

فكانت كلما أراد أحد تقليبها لم تمكنه، من النظر إلى أكثر من عضو واحد، وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته، حتى وقعت عينها على البصري فأحبته وأطمعته بنفسها، فساوم مولاها حتى أخذها بمائة ألف درهم، ثم انطلق بها إلى منزله .

فلما كان الليل إذا بطارق، فخرج فإذا هو صاحب شرطة الحجاج ، فأخذوه حتى دخلوا به عليه.

فقال له: عليٌّ بالجارية التي اشتريتها .

فقال: أصلح ا لله الأمير، إنها روحي فلا تكن سبب هلاكي .

فأمر بالقبض عليه ، وأرسل من جاء بالجارية ، فلما رآها علم أنها لم تبق له إن عرف الخليفة ذلك ، فوجه بها إلى الشام من ليلتها إلى عبد الملك وحبس الشاب ، فلما زال عقله أطلقه وأخذ ماله ، فتوجه الشاب إلى دمشق، فأقام بها مدة متنغص الحياة، فأراد أن يحتال للاجتماع بالجارية فلم يمكن ، فوقع في قصة ، أنه رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته نعمى أن تغني لي ثلاثة أصوات أقترحها ثم يفعل ما شاء !! ، ثم يفعل ما شاء . فلما سمع القصة اشتدّ غضبه ثم عاوده الحلم، فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية ، وقال: مرها بما شئت ، فقال لها: غني لي قول قيس بن ذريح: **لقد كنت حبس النفس** إلى أربعة أبيات، فغنت فمزق أثوابه ، ثم قال لها: غني قول جميل :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

Marfat.com

إلى ستة أبيات فغنت فغشي عليه ، ثم أفاق فقال: غني قول المجنون :

وفي الحيرة الغادون مـن بطـن وجـرة

إلى أربعة أبيات ، فلما غنت قام وألقي نفسه من علو شاهق فمات .

فقال عبد الملك: لقد عجل على نفسه، أيظن أني أخرجت جارية وأعود بها، خذها يا غلام فأعطها لورثته ، أو فتصدقوا بها عليه . فلما نزلوا بهـا نظـرت إلى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول :

مـن مـات عشـقًا فليمـت هكـذا لا خـير في عشـق بـلا مـوت

وألقت نفسها في الحفيرة فماتت ، وسأل القوم عن الغلام فقيـل إنـه قـدم مـن كذا وكذا يومًا ورؤي في الأسواق وهو يقول :

غـدًا يكـثر البـاكون منـا ومنكـم وتـزداد مـن ديـاركم بعـدا

وقيل: إن القصة وقعـت بـين يـدي سـليمان بـن عبـد الملـك، وإنـه اقـترح في الصوت الأول قول امرىء القيس :

أفـاطم مهـلا بعـض هـذا التدلـل

إلى ثلاثة أبيات وفي الثاني :

غـدًا يكـثر البـاكون منـا ومنكـم

البيتين وفي الثالث:

تـألق الـبرق نجديـا فقلـت لـه يـا أيهـا الـبرق انـي عنـك مشـغول

يكفيـك مـني عـدوّ ثـائر حنـق بكفـه كحبـاب المـاء مصقـول

وإنه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقي .

ومنهم الشريف البياضي: عشق جارية لبنت فخر الملك، فأحبها حبًـا عظيمًـا وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره، ولم يزل حتى مرضت فمرض هو أيضا، فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرًا فما دون، ثم لحق بها، وله فيها أشعار كثـيرة منها :

خليلـيّ مـرّا بـالعراق مناديـا إلا مـن رأى قلبًـا مـن الوجـد باليـا

وإن أنتمـا اعييتمـا في ابتغائـه ولم تجـداه فابغيـا لي ناعيـا

Marfat.com

ومنها:

دع الوقوف على الأطلال والدمن ... فليس ينفع مسكون بلا سكن[1]
أما تراني لا أنفي على طلل ... بعد الفراق ولا آوي إلى وطن
وكيف يأنس قلبي بالديار وقد ... أصاب فيها الردى من كان يؤنسني
إن الذين أذاقوني فراقهم ... أفنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت أيدي المنون به ... ضنا بما فيه أن يبقى على الزمن
جعلت روحي له من روحه عوضًا ... مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي إذ روحي تحل به ... وصرت كالميت إذ لا روح في بدني
وكيف تصحب روحي بعده جسدي ... وكان إن غاب تأبى أن تصاحبني

ومنهم ما أخرجه ابن الجوزي[2] في تنوير العيش : عن التنوخي والثوري يرفعانه إلى إسماعيل بن جامع ، قال: وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت إلى خالى باليمن فكنت عنده في غرفة تشرف على نهر فنظرت يومًا إلى سوداء قد أقبلت تملأ قربة، فوضعتها واستراحت.

ثم أنشدت:

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي ... لها عسل مني وتبذل علقما
فداوي مصاب القلب أنت قتلته ... ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت، فنزلت أعدو حتى لحقتها استعيد الصوت، فأبت وقالت: إني لفي شغل عن ذلك؟

قلت: بماذا ؟ قالت: عليّ درهمان.

فأعطيتها إياهما واستعدت الصوت حتى حفظته ، فلما أصبحت فإذا هو قد ذهب مني ، وأقبلت السوداء على عادتها، فاستعدته منها ، فقالت: كأنك تستكثره بأربعة دراهم ، وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار .

---

(١) الدمن: آثار الدار وطللها. انظر: القاموس المحيط، مادة [دمن].

(٢) ابن الجوزى، هو: جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد، ولد ببغداد، عاش حياته بين الجد فى الطلب والتحصيل، وبين الإقراء والتصنيف، وقد بلغ فيه مكانة عالية. يقول عنه الحافظ الذهبى: "الشيخ الإمام العلامة، المفسر شيخ الإسلام ومفخر العراق..." توفى سنة (٥٩٧هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء (٨٣/١٣) ، النجوم الزاهرة (١٧٤/٦) .

Marfat.com

فلما كنا عند الرشيد، أو قال: عند المأمون وبين يديه أربعة أكياس كل واحد ألف دينار ، قال: من أطربني فله ألف دينار، فغنيته البيتين، فرماني بكيس واستعاد الصوت، فرماني بالآخر حتى أعطاني الأربعة فحدثته القصة ، فقال: لم تكذب السوداء .

ومنهم ما أخرجه ابن إسحاق قال : انحدرت مع محمد بن إبراهيم من سر من رأى[1] ، ودجلة في طغيانها ، فأحضر الشراب فاندفعت جارية تغني :

وا رحمة للعاشقينا ما أن أرى لهم معينا

كم يشتمون ويضربو .ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية أخرى: فيصنعون ماذا؟ قالت: هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ألقى بنفسه وهو يقول:

أنت التي عرّفتني كيف الهوى لو تعلمين

لا خير بعدك في البقاء والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما، فقيل: وجدا متعانقين ، وقيل : استخرجا ودفنا .

وفي رواية الحافظ: أن القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة، وأن الغلام هو الذي ألقى نفسه حين سمع الجارية، فتبعته، وأنها غنت هذا الصوت :

ياقمر القصر متى تطلع أشقى وغيري بك يستمتع

إن كان ربي قد قضى كل ذا .منك على رأسي فما أصنع

ومنهم : شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر، فشغف بها حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها ، فلما فطن به زينها ونزل بها إليه، فوجده نائمًا فنبهه وقال له دونكها فامض بها إلى منزلك، فلما رآها فحص برجله وحرّك فإذا هو ميت، وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها إليه، فقيل: إنها ماتت بعد ذلك بيسير وإن موتها كان عشقا.

---

(١) سُرَّ مَنْ رَأى : بلد كانت تسمى قديمًا ساميرا ، نسبه إلى سامير بن نوح لأنه كان ينزلها، وسماها المعتصم بسر من رأى. انظر: معجم البلدان[٣/٢٤٣].

Marfat.com

القسم الرابع

فى ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق

وهذا القسم هو الذى ترجمه بمن ساعده الزمان بمطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك إما لشفاعة أو جاه أو حيلة أو عناية أزلية، وهم أيضًا بالنسبة إلى النساء إما متعلق بالأحرار أو مرمى بالعشق من جهة الجوار .

فمن الصنف الأول عبد الله بن أبى بكر الصديق[1] عشق عاتكة[2] فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله، فلما تزوج بها أقام سنة لايشتغل بسواها، ثم قدم عليه تجارة من الشام، فخرج ليتعاطى أمرها، فخيل له حين خرج أنه لم يعد ينظر إلى عاتكه، فعاد فى الأثر فجلس معها وترك التجارة، فلما كان يوم جمعة وهو معها إذ فاتته الصلاة وهو لايدرى، وجاء أبوه فوجده عندها، فقال له: أجمعت، فقال: وهل صلى الناس؟ فقال: قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم نهتم فى ذلك ولم نقل شيئًا، وقد ألهتك عن الصلاة، طلقها، فطلقها طلقة، واعتزلت ناحية، فلما كان الليل قلق قلقًا شديدًا .

فأنشد :

أعاتك لاأنساك ماذر شارق ... ومناح قمرى الحمام المطوق[3]

لها منطق جزل ورأى ومنصب ... وخلق سوى فى حياء ومصدق

فلم أرى مثلى طلق اليوم مثلها ... ولامثلها فى غير شىء يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى، فسمعه، فرق له، فقال: راجعها، فقال: قد راجعتها، ثم أشرف على غلام له، فقال له: أنت حر، وشهد أنى راجعت

---

(١) عبد الله بن أبى بكر الصديق، هو: عبد الله بن عثمان، وهو شقيق أسماء بنت أبى بكر، كان يأتى الرسول ﷺ وأبو بكر بأخبار قريش فى أثناء الهجرة، رمى بهم فى حصار الطائف ومات شهيدًا. انظر: الإصابة (٢٤/٤).

(٢) عاتكة، هى: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، أخت سعيد بن زيد، إحدى الصحابيات المهاجرات، كان تحت عبد الله بن أبى بكر، فلما مات، تزوجها عمر، ولما مات، تزوجها الزبير، وخطبها على، فقالت: أضن عليك القتل. انظر: الإصابة (٢٢٧/٨).

(٣) ذر شارق: أى طلعت الشمس. قمرى الحمام: نوع من أنواع الحمام حسن الصوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذرّ]، [قمر].

Marfat.com

عاتكة، ثم ضمها إليه وأعطاها حديقة على أن لاتتزوج بعده، فلما قتل بالطائف[1] رثته بأبيات منها :

وآليت لاتنفك عينى حزينة ... عليك ولاينفك جلدى أغبرا

فا لله عينًا من رأى مثله فتى ... أكرّ وأحمى فى الهياج واصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الجون أشقرا[2]

وتزوجها عمر بعد أن استفتى عليا فى ذلك، فأفتى بأنها ترد الحديقة إلى أهله وتتزوج، ففعلت، فذكرها على بقولها: **وآليت لاتنفك**.....البيت ، ثم قال:﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[الصف :٣]، ثم تزوجت بعده بالزبير[3] وبعده بالحسين بن على[4]، حتى قال ابن عمر[5]: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت: إنى لأضن بك عن القتل، وخطبها مروان[6] بعد الحسين، فقالت: ما كنت متخذة حموا بعد رسول ا لله ﷺ .

---

(١) الطائف: مدينة سعودية فى الحجاز، جنوب شرقى مكة على جبل غزوان. انظر: معجم البلدان (٤/١٠).

(٢) الجون: الأدهم الشديد السواد من الخيل. انظر: القاموس المحيط، مادة [جان].

(٣) الزبير، هو: ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، أبو عبد ا لله، حوارى الرسول ﷺ وابن عمته، أحد العشرة المبشرون بالجنة، آخر الصحابة وأحبهم إلى رسول ا لله، كثير التعبد، طويل القيام، كثير البكاء، توفى سنة (٣٦هـ). انظر: الإصابة (٢/٤٥٧).

(٤) الحسين بن على، هو: أبو عبد ا لله ابن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، القرشى، الهاشمى. الإمام الشريف، سبط الرسول ﷺ ريحانته من الدنيا، وسيد أهل الجنة فى الآخرة. مات شهيد بكربلاء. انظر: تاريخ الطبرى(٥/٣٤٧) ، تاريخ بغداد (١/١٤١) ، سير أعلام النبلاء (٣/٢٨٠) .

(٥) ابن عمر، هو: عبد ا لله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشى، العدوى، أبو عبد الرحمن، هاجر وهو ابن عشر سنين، كان سريع الحفظ لكل ما يسمعه عن رسول ا لله ﷺ توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (٤/١٥٥).

(٦) مروان ، هو: ابن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف، الملك أبو عبد الملك، القرشى، الأموى، كان كاتب ابن عمه عثمان، وإليه الخاتم ، فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان، وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان، ولما هلك ولد يزيد، أقبل مروان، وانضم إليه بنو أمية، وأخذ دمشق، ثم مصر، مات خنقًا سنة (٦٥هـ). انظر: الإصابة (٣/٤٧٧) ، سير أعلام النبلاء (٣/٤٧٦).

Marfat.com

ومنهم : ما حكاه معبد المغنى .

قال: بينما أنا جالس إذ طرق بابى، فقلت للغلام: اخرج فانظر من بالباب، فخرج وعاد مستأذنًا، فأذنت، فدخل غلام فوضع بين يدى ثلاثمائة دينار وقال: غن لى :

با لله ياطرفى الجانى على كبدى لتطفئن بدمعى لوعة الحزن

لالا أبوحنّ حتى يحجبوا سكنى فلا أراه ولو أدرجت فى الكفن

فعملت له لحنًا شجيًا وغنيته به، فأغمى عليه، فنضحت عليه الماء، فلما أفاق جعل يقبل يدى ورجلى على أن أعيد الصوت، فقلت: أخشى أن تموت، فقال: من لى بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيًا عليه، فلم أزل أنضحه بالورد والطيب حتى أفاق، فوضعت الدنانير بين يديه، وقلت: خذها وامض عنى، فقال: لك مثلها إن أعدته، فشرهت عينى، فقلت له: إن أقمت عندى وأكلت طعامى حتى تقوى نفسك وأخبرتنى بقصتك، أعدته، ففعل، وحدثنى: أنه خرج غِبَ[1] سماء وقد سال العقيق[2]، مع فتية إلى متنزة فإذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لايرتدان إلا باقتناص النفس، فأوقعت به، وعاد مسلوب العقل، فأقام لايعرف لها خبرًا حتى كاد أن يقضى عليه، فقالت له قرابته: لا بأس عليك إذا أربع الوقت خرجنا بك ولانعود إلا بخبرها، قال: فلما جاء الإبّان خرجنا إلى المتنزة، فإذا نحن والنسوة كفرسى رهان فقلت لبعض قرابتى قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال :

رمتنى بسهم أقصد القلب وانتنت وقد غادرت جرحًا به وندوبا

فقالت الجارية: قد أحسن من أجاب :

بنا مثل مانشكو فصبرًا لعلنا نرى فرجًا يشفى السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب، وتبعتها حتى عرفت المنزل، فكنا نجتمع ونتحادث إلى أن علم أهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها أنا على ما ترى.

---

(١) غِب سماء :بعد هطول المطر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [غبب] .

(٢) العقيق: واد فى السعودية قرب المدينة. انظر: معجم البلدان (١١٦/٤).

Marfat.com

قال معبد: فغنيته الصوت، ومضى، فلما حضرت مع جعفر غنيته إياه فطرب، وسأل عنه، فأخبرته القصة، فأمرنى بإحضاره، فأحضرته إليه، فطيب قلبه وذهب إلى الخليفة، فحدثه بالحديث، فاستحضرنا جميعًا وطلب أن أغنيه الصوت فغنيته، فطرب وكتب إلى عامله على الحجاز[1] بإحضار الرجل وأهله، فلما حضروا أمهرها الخليفة وزوجها منه .

ومنهم : رجل عذرى دخل على معاوية[2] فى جمع، فلما أخذ كل مجلسه قام فأنشد:

معاوى ياذا الحلم والفضل والعقل ... وذا البر والاحسان والجود والبذل

أتيتك لما ضاق فى الأرض مسلكى ... وانكرت مما قد أصيب به عقلى

ففرج كلاك ا لله عنى فإننى ... لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى[3]

وخذ لى هداك ا لله حقى من الذى ... رمانى بهم كان أهونه قتلى

وكنت أرجى عدله إذا أتيته ... فاكثر ترادى مع الحبس والكيل

فطلقتها من جهد ماقد أصابنى ... فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له: ماشأنك، قال: تزوجت ابنة عمى، وكانت من المبرزات فى الجمال والحياء، فأنفقت عليها إلى أن أملقتم[4]، فرفع أبوها القصة إلى ابن الحكم فضيق علىّ السجن والقيود حتى طلقت كارهًا، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثًا بعد ذلك، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلى عنها.

---

(١) الحجاز : إقليم فى السعودية غربى نجد على البحر الأحمر يمتد من خليج العقبة شمالاً حتى عسير جنوبًا. انظر: معجم البلدان (٢/٢٥٢).

(٢) معاوية، هو:ابن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن. أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وحدث عن الرسول، وكتب له مرات يسيرة. خرج على علىّ رضي الله عنه وطالب بدم عثمان، ثم بويع له بالخلافة بعد وقعة صفين. توفى سنة (٦٠هـ) انظر: تاريخ الطبرى (٥/٣٢٣) ،تاريخ بغداد (١/٢٠٧) ، سير أعلام النبلاء (٣/١١٩).

(٣) كلاك ا لله: من كلأ ا لله فلانًا ، أى حفظه وحرسه ورعاه. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلأ].

(٤) أملق: أنفق ماله حتى افتقر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملق].

Marfat.com

ويقول فى آخر الكتاب:

ركبت ذنبًا عظيمًا لست أعرفه ... فاستغفر الله من جوار امرئ زانى
قد كنت تشبه صوفيًا له كتب ... من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتانى الفتى العذرى منتحبًا ... يشكو إلى بحق غير بهتان
أعطى الإله عهودًا لا أخيس بها ... أولا فبرئت من دينى وإيمانى[1]
إن أنت راجعتنى فيما كتبت به ... لأجعلنك لحمًا بين عقبان[2]
طلق سعاد وفارقها بمجتمع ... واشهد عل ذاك نصر أو ابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب ... ولا فعالك حقًا فعل إنسان

فلما وقف عليه، قال: وددت لو خلى بينى وبينها سنة، ثم عرضنى على السيف، ثم طلقها فأخرجها، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها ، وقالوا: هذه لاتصلح لأعرابى، إنما تكون لأمير المؤمنين، فعجب بها، ثم استنطقها، فإذا هى فتنة، فقال له: هل لك عوض عنها؟ قال: نعم، إذا بان رأسى عن بدنى.

ثم أنشد :

لاتجعلنى والأمثال تضرب بى ... كالمستجير من الرمضاء بالنار[3]
أردد سعاد على حران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفّه قلق ما مثله قلق ... وأشعر القلب منه أى أشعار
وا لله وا لله لاأنسى محبتها ... حتى أغيب فى رمس وأحجار
كيف السلوا وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك، وخيرها بينه وبين ابن الحكم وبين ابن عمها .

فأنشدت :

هذا وان أصبح فى أطمار ... وكان فى نقص من اليسار[4]

---

(١) أخيس، من خاس: أى غدر ونكث بالعهد. انظر القاموس المحيط، مادة [خاس].

(٢) عقبان: طائر من الجوارح. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقب].

(٣) الرمضاء: شدة الحر. انظر القاموس المحيط، مادة [رمض].

(٤) أطمار، جمع طمر: الثوب البالى. انظر القاموس المحيط، مادة [طمر].

Marfat.com

أكبر عندى من أبى وجارى وصاحب الردهم والدينار
أحشى إذا غدرت حر النار خل سبيلى مابه من عار
لعلنا نرجع للديار وإن عسى نظفر بالأوطار[1]

فقال: خذها لابارك ا لله لك فيها، وأمر أن تقيم إلى تمام العدة، فلما انقضت دفعها إليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار .

ومنهم ماحكاه فى منازل الأحباب عن بعض الحمدونية[2]، قال: صحبت المتوكل[3] إلى الشام، وكنت مغرمًا بالفراديس لظرفها، فحين بلغناها، قال المتوكل: هل لك فى أن تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها، فقلت: نعم، فأخذ بيدى وجعلنا نستقرى الأماكن ونشاهد مافيها من العجائب، وحسن ثياب النصارى، حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر، حتى أقبلت جارية لم يرمق أحسن منها، وبيدها مجمرة[4] تبخر، فسأله عنها ، فقال: هى ابنتى، قال: ما اسمها، قال: شعانين، فقال لها المتوكل: ياشعانين اسقنى ماء، فقالت: ياسيدى ليس هنا إلا ماء الغدران وأنا لا استنظفه لك ولو كانت حياتى ترويك لجدت بها، وأسرعت بكوز فضة؛ فأومأ إلى أن أشربه فشربته، ثم قال لها: إن هويتك تساعدينى فقالت: أنا الآن بإهرتك وأما إذا صدق المحب فى المحبة فما أخوفنى من الطغيان .

أما سمعت قول الشاعر :

كنت لى فى أوائل الأمر حبا ثم لما ملكت صرت عدوًا
أين ذاك السرور عند التلاقى صار منى تجنبا ونبوًا[5]

---

(١) أوطار، جمع وطر: أى الحاجة. انظر القاموس المحيط، مادة [وطر].
(٢) الحمدونية، هم: آل حمدون، فرقة من بنى سعيد . إحدى عشائر الشام الشمالية . انظر: معجم قبائل العرب (٢٩٨/١).
(٣) المتوكل، هو: جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل، خليفة عباسى، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق (٢٣٢هـ) كان جوادًا محبًا للعمران، اغتيل سنة (٢٤٧هـ) بإغراء من ابنه المنتصر. انظر: الطبرى (٢٦/١١) ، الأعلام (١٢٧/٢).
(٤) مجمرة: ما يوضع فيه الجمر. انظر القاموس المحيط، مادة [جمر].
(٥) نبوًا: الجفاء والبعد. انظر القاموس المحيط، مادة [نبو].

Marfat.com

فطرب حتى كاد يشق ثوبه، ثم قال لها: هبينى نفسك اليوم، فصعدت به إلى غرفة مشرفة على الكنائس، وجاء الراهب بخمر لم ير مثله، وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده،فلما أخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت :

ياخاطبًا منى المودة مرحبا ... روحى فداؤك لاعدمتك خاطبا

أنا عبده لهواك فاشرب واسقنى ... واعدل بكأسك عن جليسك اذ أبى

قد والذى رفع السماء ملكتنى ... وتركت قلبى فى هواك معذبا

فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده .

ويقرب من ذلك ماحكى عن الوليد بن يزيد[1] أنه عشق نصرانية،وراسلها فأبت عليه فكاد أن يطيش عقله، فتنكر يوم عيد للنصارى، وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فأدخله، فلما رأته، قالت للبواب: من هذا ؟ قال لها مصاب، فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر إليها، فقيل أتدرين من هذا ؟ قالت لا، قالوا لها هو الخليفة، فأجابت حينئذ وتزوج بها.

وفيها قال:

أضحى فؤادك ياوليد عميدًا ... صبًا قديمًا للحسان صيودا[2]

من حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

مازلت أرمقها بعينى وامق ... حتى بصرت بها تقبل عودا[3]

عود الصليب فويح نفسى من ... رأى منكم صليبًا مثله معبودًا

فسألت ربى أن أكون مكانه ... وأكون فى لهب الجحيم وقودا

---

(١) الوليد بن يزيد، هو : ابن عبد الملك بن مروان. من ملوك الدولة المروانية بالشام، كان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم. ولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك (١٢٥هـ) ونقم وعاب عليه الناس انغماسه فى اللهو والغناء. فبايعوا سرًا يزيد بن الوليد، فنادى بقتله، وقتله سنة (١٢٦هـ). انظر: الطبرى (٦٥/٨) ، ابن خلدون (١٠٦/٣)، الأعلام (١٢٣/٨).

(٢) عميدًا: الذى أتعبه وأنهكه العشق، فصار مريضًا.صبًا: العاشق ذو الولع الشديد. انظر القاموس المحيط، مادة [عمد]،[صبّ].

(٣) وامق: المحب. انظر : القاموس المحيط، مادة [ومق].

Marfat.com

وفى ذلك يقول أيضًا لما اشتهر أمره بها :

ألاحبذا سعدى وإن قيل إننى ... كلفت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا أن نظل نهارنا ... إلى الليل لا أولى نصلى ولا عصرا

وكان يقال: لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لأنه لم يطلب إلا أن يكون صليبًا فى الزنار[1] .

ومثل ذلك: ماحكى عن العباس بن الفضل[2] أنه عشق نصرانية ، بدير سرماجيس فكان لايفارق البيع شغفًا بها، فوجدها يومًا فى بستان فجلست معه أسبوعًا.

فقال فى ذلك :

رب صهباء من شراب المجوس ... قهوة بابلية خندريس[3]

قد تجليتها بناى وعود ... قبل ضرب الشماس بالناقوس[4]

وغزال مكحل ذى دلال ... ساحر الطرف سامرى عروس

قد خلونا بظبية نجتليه ... يوم سبت إلى صباح الخميس

بين ورد وبين آس جنى ... وسط بستان دير سرماجيس

يتثنى فى حسن جيد غزال ... فى صليب مفضض أبنوس

كم لثمت الصليب فى الجيد منها ... كهلال مكلل بشموس

ويقرب من ذلك ماحكاه الصلاح الصفدى[5] فى تاريخه، قال رأيت بحماة

---

(١) الزنار: رداء يشد على الوسط. انظر: القاموس المحيط، مادة [زنر].

(٢) العباس بن الفضل ، ابن يعقوب بن فزارة ، المعروف بابن بربر، أمير من كبار الغزاة كان مقيما فى صقلية، خاض معارك كثيرة، فتح قصريانة، وأوس وتوفى سنة (٢٤٧هـ). انظر: البيان المغرب (١/١١١) ، الأعلام (٣/٢٦٤).

(٣) صهباء : يعنى الخمر، سميت بذلك للونها. الخندريس: الخمر القديمة. انظر : القاموس المحيط، مادة [صهب]،[خند].

(٤) الشماس: رتبة مسيحية دون القسيس . انظر : القاموس المحيط، مادة [شمس].

(٥) الصلاح الصفدى، هو: خليل بن أيبك بن عبد الله، الشافعى أبو الصفاء. مؤرخ، أديب، شاعر، لغوى، دخل دمشق، وأخذ العلم من شهاب الدين محمود، وعن ابن نباته الشاعر. توفى سنة (٧٦٤هـ) ، من آثاره: الوافى بالوفيات، غيث الأدب، تمام المتون. انظر: شذرات الذهب (٦/٢٠٠) ، البدر الطالع (١/٢٤٣) ، معجم المؤلفين (١/٦٨٠) .

Marfat.com

رجلاً وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد[1] ليكتب عنده، فكان لا يمكنه من الخروج فحكى أنه علق نصرانية بشيزر، فكان يكتب إلى المغرب بحماة، ثم يذهب إليها فيجلس معها إلى الصباح، ويأتى، وأقام على ذلك طويلاً، وأنها قالت له يومًا: إن أحببتنى فاكو على رأسك صليبًا، ففعل وأنا رأيته.

ومنهم الشحمى وهو رجل من فزارة[2] أو هو على زبالة، عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه أن يزوجه بها، فتسور[3] عليها ليلة، فأحس به، فقبض عليه، وأتى به إلى خالد القسرى[4]، فأقام جماعة فشهدوا أنه سارق وسأله فأقر ليسترها، فأمر بقطع يده، فرفع أخوه إلى خالد رقعة يقول فيها :

أخالد قد وطئت وا لله عشوة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما يأته المرء أنه ... رأى القطع خير من فضيحة عاتق[5]

ولولا الذى قد خفت من قطع كفه ... لألقيت فى أمر له غير ناطق

إذا مدت الكعبان فى السبق للعلا ... فأنت ابن عبد ا لله أول سابق[6]

فتجسس خالد على الأمر، فلما استصحه، أحضر أباها، وأمره أن يزوجها من الغلام، فأبى، فأجبره ودفع المهر من عنده .

---

(١) المؤيد، هو: إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة. مؤرخ جغرافى، قرأ التاريخ والأدب، وأصول الفقه. توفى سنة (٧٣٢هـ) . انظر: الدرر الكامنة (٣٧١/١) ، سير أعلام النبلاء (٣١٩/١).

(٢) فزارة، هم: بنو فزارة بن ذبيان بن غطفان بن سعيد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من بطن عظيم من غطفان من العرب العدنانية، منازلهم، أرض نجد ووادى القرى. انظر: معجم قبائل العرب (٩١٨/٣).

(٣) تسور عليها: صعد على الحائط ليدخل الدار. انظر القاموس المحيط، مادة [سار].

(٤) خالد القسرى، هو: ابن عبد ا لله بن يزيد بن أسد، من بجيلة، أبو الهيثم، أمير العراقيين، أحد خطباء العرب، من أهل دمشق، ولى مكة للوليد بن عبد الملك، ثم عزله هشام وحبسه، توفى سنة (١٢٦هـ) . انظر: الوفيات (١٦٩/١) ، ابن خلدون (١٠٥/٣) ، الأعلام (٢٩٧/٢).

(٥) عاتق: الجارية إذا بلغت و لم تتزوج بعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [عتق].

(٦) الكعبان ، مثنى الكعب : كل ما يوصف بالشرف والرخصة. انظر : القاموس المحيط، مادة [كعب].

Marfat.com

ومنهم : محمد بن صالح العلوى[1] .

قال: لما خرجنا على المتوكل[2]، أخذت أنا وأصحابى قافلة الحاج فجمعنا مالاً ومتاعًا لايحصى، وكنت قد جلست على كرسى وأصحابى يجمعون إلى المال إذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج، فأضاء منها الموضع، ولا إضاءته بالشمس، فقالت: أين الشريف صاحب السرية فلى إليه حاجة، قلت: إنه يسمع كلامك، فقالت أنا حمدونية بنت عيسى ابن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة، وأنا أسألك أن تأخذ منى ثلاثين ألف دينار مع أنى أعطيتك ما فى يدك، ولكنى أسألك بفضلك أن لايكشف لى أحد وجهًا .

فناديت أصحابى، فلما اجتمعوا، قلت: من أخذ منكم من هذه القافلة عقالاً آذنته بحرب، فردوا حتى الأطعمة وخفرتُهم إلى المأمن. فلما ظفر بى الخليفة، وحبسنى بسُرَّ من رأى[3]، دخل علىّ السجان يومًا، فقال: إن بالباب امرأتين من أهلك تريدان الدخول عليك ، ولولا أن دفعتا إلىّ دملج[4] ذهب ما أذنت لهما، فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد .

فخرجت فإذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئًا فلما بصرت بى قالت إى وا لله هو، وبكت لما أنا فيه، ثم قبلت قدمى، وقالت: لو استطعت أن أفديك بنفسى لفعلت، ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك، ودفعت إلى خمسمائة دينار وثيابًا وطعامًا، وانصرفت وقد أضرمت بقلبى ناراً أقدحتها النظرة الأولى.

فأنشدت :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعبت بشعابه أشجانه

---

(١) محمد بن صالح العلوى، هو: ابن عبد الله، الطالبى القرشى، أمير، من الشعراء النبلاء. ولى المدينة للواثق العباسى، وعزله المتوكل، فخرج عليه فى جماعة، فقبض عليه وحبسه، توفى سنة (٢٤٨هـ) . انظر: وفيات الأعيان (١٥٤/٣) ، الأعلام (١٦٢/٦).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سُرّ من رأى: يعنى سامراء: مدينة فى العراق على ضفة دجلة اليمنى، شمالى بغداد، بناها المعتصم العباس. انظر: معجم البلدان (١٩٥/٣).

(٤) دملج: حلىّ يلبس فى المعصم. انظر : القاموس المحيط، مادة [دمل].

Marfat.com

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهنًا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنعًا أركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق نظرا إليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحت به أجفانه
ياقلب لايذهب بحلمك باخل بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الإله فأمره مالا يزال على الفتى إتيانه
والبؤس ماض لايدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يعاودنى بالإحسان وملاطفة السجان إلى أن خرجت ، وعظم أمرى عند الخليفة، فخطبتها فامتنع ، فكان سجن هواها أعظم علىّ من السجن، فلم أر إلا أن أتيت إبراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته، فركب إليه فلم يفارقه حتى زوجنى بها. ولابن صالح فيها وفى إبراهيم مدائح كثيرة تركتها .

ومنهم : جعد بن مهجع العذرى .

قال عمر بن أبى ربيعة : إنه كان فتى مغرمًا بمحادثة النساء، وحفظ طرف الأخبار وملح الأشعار مع أنه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه، فانقطع سنة، فسألت عنه العذريين، فقال لى رجل تريد أبا المسهر ؟ قلت نعم إياه أعنى، فتنفس الصعداء، ثم قال قد أصبح والله كما قال :

لعمرك ما حبى لأسماء تاركى صحيحًا ولا أقضى به فأموت

قلت: ومابه ؟ قال: مثل مابك من تيهكما فى الضلال. قلت فمن أنت ؟ قال أخوه، قلت كأنك وإياه على طرفى نقيض.

ثم انطلقت أقول :

أرائحة حجاج عذرة روحهم ولما يرح فى القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقى من الهوى متى ما أقل يسمع وإن قال أسمع
فلا يبعدنك الله خلا فإننى سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

Marfat.com

فلما كان الموسم من قابل وأنا بعرفة رأيت شابًا لم تبق إلا رسومه، فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله، فشكا إلى ما به، فقلت له: إن هذا يوم دعاء فادع الله أن يزيل مابك، فلم يزل يدعو حتى الغروب.

فسمعته يقول :

يارب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الضحى ولوحه[1]

أنت حسيب الخصم يوم الدوحة

فقلت له: وما الدوحة؟ قال: إذا انصرفنا حدثتك، فلما انصرفنا حدثنى أن له أخوالاً من كلب وأنه حول ماله إليهم خشية التلف، فأقام معهم وأنه خرج يومًا على فرس وقد صحب شرابًا فاشتد الحر ورفعت له دوحة[2] فقصدها ونزل تحتها، فما استقر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء، يطرد مسحلا[3] وأتانًا[4] فقتلهما، وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلى لفظه فدعوته إلى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه، فتزحزح الدرع عن ثدى كحق العاج، فقلت: امرأة أنت ؟

قالت: نعم، ولكن شديدة العفاف، حسنة الأخلاق والمفاكهة، فتحادثنا ساعة وأخذها النوم. فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلنى ، ثم راجعت المروءة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت أن لها إخوة شرسة وأب كذلك، ثم مضت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك، فإنى موصلك إلى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتى؛ وصحبت ألف دينار ومطرف[5] خز و قبة خضراء من أدم[6]، ومضينا حتى نزلنا بالشيخ، فأحسن ملقانا، فقلت له: قد أتيتك خاطبًا، قال: فوق الكفاءة أنت والمرغوب فى مثله،

---

(١) لوحه، من لوح : إذا ظهر الشىء وبان. انظر القاموس المحيط، مادة [لوح].

(٢) دوحة: الشجرة العظيمة، أو المظلة الكبيرة. انظر القاموس المحيط، مادة [داح].

(٣) المسحل : الحمار الوحشى .انظر : لسان العرب ، مادة [سحل] .

(٤) الأتان : أنثى الحمار الوحشى . انظر : القاموس المحيط مادة [أتن] .

(٥) مطرف: رداء من خز ذو أعلام . انظر : القاموس المحيط، مادة [طرف].

(٦) أدم، جمع أديم، الجلد الذى يغلف جسد الحيوان. انظر : القاموس المحيط، مادة [أدم].

Marfat.com

فقلت: لم أخطب إلا لصاحبى هذا وهـو ابـن أختكـم، فقـال: الحسـيب الكريـم ولكن أخيرها بينكما قلت: ماأنصفتنى، فأومأ صاحبى إلى أن أدعه، فقلت: افعل، فخيرها ففوضت الأمر إلى، فحمدت الله، فزوجتها مـن صـاحبى وأمهرتهـا ألفًـا وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبنى بها من ليلته، ففعـل، وجئتـه مـن الغـد، فقلت: كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك؟ قـال أبـدت لى كثـيرًا ممـا أخفته عنى قديمًا وسألتها عن ذلك.

فأنشدت :

كتمـت الهـوى إنـى رأيتـك جازعًـا	فقلـت فتـى بعـد الصديـق يريـد
فـإن تطرحنـى أو تقـول فتيـة	يضـير بهـا بـرح الهـوى فتعـود[1]
فوريت عمـا بى وفى الكبـد والحشـا	مـن الوجـد بـرح فـأعلمن شـديد

ومنهم : ما حكاه أسدى وهو من العجائب المستلطفة .

قال: ضلت لى إبل، فطلبتها فى قضاعة[2]، حتى إذا دهمنى الليل أمسيت فـى بيت تفرست أنه كفؤ للضيف، فناديت أهله، فلبتنى امرأة كالشمس جمالاً.

وقالت: انزل على الرحب، وأجلستنى عند نار فاصطليت، وأتتنى بعشاء كثير فأكلت، وهى تحادثنى، وإذا إبل كثيرة قد أقبلت إلى البيـت وقـد أقبـل شـخص، فبادرت إليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه، وأنا أظنه عبدًا لقباحتـه حتـى جلس إلى جانبها.

فقال لها: ممن الضيف؟

قالت: أسدى، فعلمت أنه زوجها، فجعلت أتأمل مابينهما من المباينة، ففطن لذلك.

فقال: كأنك تعجب منا، قلت: إى وا لله وأى العجب.

قال: أحدثك بوصولها إلىّ .

قلت: ماأشوقنى إلى ذلك.

---

(١) طرح: ألقاه وأبعده. برح الهوى: أى مشقته وعذابه. انظر : القاموس المحيط، مادة[طرح]، [برح].

(٢) قضاعة: شعب عظيم، اختلف النسابون فيه، فقيل: من حمير، من العرب القحطانية، وهم بنـو قضاعة بن مالك. وقيل: من العرب العدنانية، وهم بنو قضاعـة بـن معـد بـن عدنـان. انظـر: معجم قبائل العرب (٣/٩٥٧).

Marfat.com

قال: اعلم أنى كنت سابع سبعة إخوة إذا رأيتنى ظننتنى عبدهم وكانوا يطرحوننى للرعى ونحوه، فضل لنا بعير .

فقالوا: امض فى طلبه.

فقلت: ما انصفتمونى .

فقال أبى: اذهب يا لكع[1] وإلا جعلته آخر أيامك وتهددنى بالضرب، فمضيت وأنا على أسوأ حالة من البرد والجوع، فدفعنى المساء إلى عجوز عليها سمة الخير والشرف، وإلى جانبها هذه العزبة[2]، فجعلت تسخر بى وتقول : هل لك إذا نام الناس أن تدخل علىَّ فأتحدث معك فإنى لم أر أحسن منك؟

فقلت: دعينى من هذا، وأقبل أبوها وإخوتها سبعة، فناموا بإزاء الخيمة، فأغرانى الشبع والدفء فدخلت الستر، فلما شعرت بى.

قالت: من تكون ؟

قلت: الضيف، قالت اخرج لا حياك الله ولا صبحك، فخرجت فزعًا، فتلقانى كلبهم يريد أن يأكلنى وأنا أرده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فتجاذبنا حتى سقطت أنا وإياه فى حفرة لاماء فيها، وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى إذا بصرت بى قالت :

وددت وا لله أن أجعلها قبرك لولا خشية الضرر، ثم أدلت لى حبلا، وقالت لى: ارق، فحين قاربت فم الحفرة إنهارت من تحت أقدامها، فسقطنا جميعًا .

فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارفًا بما حصل، فأقبلوا بالسيوف والأحجار على قتلنا. فقال أبوها: إنى لأعرف من ابنتى ما لاريبة فيه، فأمسكونا وأخرجونا فأقبل على أبوها، فقال: أفيك خير لأزوجك بها اتقاء الشهرة ، فقلت: حين شممت الحياة وهل عندى إلا الخير، فزوجنى بها على خمسين بكرة وأمة وعبدًا، ورجعت إلى أبى فأخبرته بذلك فأحضرها وأقبلت بها إليهم فأخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما أقول .

---

(١) اللكع: الأحمق. انظر : القاموس المحيط، مادة [لكع].

(٢) العزبة : التى لا زوج لها . انظر : القاموس المحيط، مادة [عزب].

Marfat.com

ومن الصنف الثانى ماحكى عن على ﷺ أنــه كـان لـه مـؤذن شـاب وكـان عنده جارية، وكان إذا رآها المؤذن يقول لها: إنى أحبك، فأخبرت عليًا بذلـك ، فقال لها: قولى له وأنا أيضا أحبك، فماذا تريد ؟ فقالت له ذلك، فقال: إذا نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفى الصابرين أجرهم. ومضت وأخبرت عليًا، فدعـا بـه وزوجه منها .

وحكى عن عبد الله بن جعفر[1] أنه كان يحب جارية فبلغه أنهـا تهـوى عبـدًا من عبيده، فقال لها فـى ذلـك فقـالت أعيـذك بـا لله مـن هـذا، فأقسـم عليهـا أن تصدقه، فأطرقت ساكتة فزوجها منه، ثم داخله من حبها ماكاد أن يذهب عقله، فدعا الغلام، فقال له: هــل تـنزل بعشـرة آلاف درهـم. فقـال: ولا مائـة ألـف. فقال: بارك الله لك فيها، فلم يكن إلا قليل ومات العبد، فأعادها ابن جعفر .

وقيل : إنه حين دخل بها أنشد :

رضيــت بحكــم الله فـى كـل أمــره ... وســلمت أمــر الله فيــه كمـا مضــى

بلانـــى وابلانـــى بحـــب دنيـــه ... وصبرنى حتى انمحى الحب فـانقضى[2]

لعمــرى مــاحبى بحــب ملالـــة ... ولا كـــان حبـــى زائـــلاً فتنقضـــا

ولكـــن حبـــى معـــه دل يزينـــه ... ويعرض أحيانًـا إذا الحـب أعرضـا[3]

حكى الرياشى[4]، قال: اشترى بَصَرِىٌّ جارية على أرفع ما يكون من الجمـال والفصاحة، فكلف بها وكان مثريًا، فأنفق عليها ما فى يده حتى إذا أملق ولم يبق معه شئ أشارت عليه ببيعها شفقة عليه .

---

(١) عبد الله بن جعفر، هو: ابن أبى طالب بن عبد المطلب، الهاشمى، أبو محمـد. أمـه أسمـاء بنـت عميس. ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بهـا مـن المسـلمين، حفـظ عن النبى ﷺ ، وروى عنه مات سنة (٨٠هـ) فى عام الجحاف. انظر: الإصابة (٤/٣٥).

(٢) دنية: أى قليلة الشأن ضعيفة . انظر: القاموس المحيط، مادة [دنا].

(٣) دِلّ: حسن السيرة والوقار. انظر: القاموس المحيط، مادة [دلل].

(٤) الرياشى، هو: العباس بن فرج بن على بن عبد الله ، البصرى، نحوى، لغوى، راويـة للشـعر، عالم بأيام العرب والسير. من آثاره: كتاب الخيل، وشعر. انظر: معجـم الأدبـاء (١٢/٤٤) ، معجم المؤلفين (٢/٣٣).

Marfat.com

فلما حضر بها السوق أخذت إلى ابن معمر[1]، وكان عاملاً على البصرة، فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قبض المال وهم بالانصراف.

أنشدت :

هنيئًا لك المال الذى قد حويته ... ولم يبق فى كفى غير التذكر

أقول لنفسى وهى فى غشى كرية ... اقلى فقد بان الحبيب أو أكثرى[2]

إذا لم يكن للأمر عندى حيلة ... ولم تجدى شيئًا سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وأنشد :

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن ... يفرقنا سوى الموت فاصبرى

أروح بهم فى الفؤاد مبرح ... أناجى به قلبًا طويل التفكر

عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر للبصرى : خذها ولك المال فانصرفا راشدين، فو الله لا كنت سببًا لفرقة محبين .

وحكى عن ابن دأب: أنه مرض مرضًا شديدًا وطال به الأمر، فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شىء ، فأمروا أهله أن يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده ، فأرسل إليه عمه جارية ، فلما سقته وغنت عنده ، أنشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول :

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة ... من الله قد أيقنت أنى لست باقيا[3]

وإذ قد دنا موتى وحانت منيتى ... وقد جلبت عينى إلى الدواهيا

أموت بشوق فى فؤاد مبرح ... فيا ويح نفسى من به مثل ما بيا

فأعلموا عمه بذلك فرحمه، وبعث إليه بجارية ظريفة كثيرة الأدب، فاستخرجت ماعنده بلطف ، فأخبرها أنه رأى جارية أخته فى نومه فعشقها وأصابه هذا الحال ، فأعلمت أخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته .

---

(١) ابن معمر، هو: عمر بن موسى بن عبيد الله، قائد من الشجعان. خرج مع ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وأسر فى خراسان، فجىء به إلى الحجاج فقتله سنة (٨٣هـ) . انظر: ابن الأثير (٨٣) ، الأعلام (٦٨/٥).

(٢) كرية: من كرى، إذا نام. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرى].

(٣) كلاءة من الله: أى حفظه ورعايته. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلأ].

Marfat.com

وحكى رجل ، قال: عشق عبد أسود لصديق لى بالمدينة جارية لرجل سوداء أيضًا ، وكان يواصلها سرًا، فلما علم مولاها جاء إلى مولى العبد فأخبره بذلك، فضرب العبد وسجنه ، فتوله وطار عقله، فدخلت عليه يومًا فقلت له: ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ماعندك فبكى .

وأنشد :

كلانا سواء فى الهوى غير أنها تجلد أحيانا وما بى تجلد

نخاف وعيد الكاشحين وإنما جنونى عليها حين أنهى وأوعد[1]

فخرجت وأعلمت مولاه فحلف لايبيت حتى يجمع بينهما، فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه .

وحكى عن ابن جعفر أيضًا أنه أحب جارية عنده، اسمها عمارة، حبًا شديدًا، فكان لايستطيع فراقها سفرًا ولا حضرًا، فقدم على معاوية سنة من السنين لأخذ حقه، فزاره يزيد[2] فغنت الجارية بحضرته، فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها .

فلما أفضت إليه، الخلافة استشار أهل سره فى أمرها، وأنه لايهنأ له قرار بدونها، فقالوا له: إن ابن جعفر عند الناس بمنزلة، وتعرف ماكان عليه مع أبيك، ولا نأمن عليك فى ذلك، فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فأخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له، فأحضر رجلاً عراقيًا معروفًا بالدهاء والحيل، وأطلعه على أمره، فقال له مكنى مما أريد، ولك على أن آتيك بها، فقال لك ذلك سترى منى ما يسرك ، ثم أعطاه مالاً وثيابًا وجواهر.

وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه، فأحسن ملتقاه، وأخذ العراقى فى التودد إليه، فأرسل إليه بقماش وجواهر وهدايا

---

(١) الكاشحين: جمع الكاشح، وهو العدو الخفى. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٢) يزيد بن معاوية، هو: ابن أبى سفيان، الأموى. ثانى ملوك الدولة الأموية، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه (٦٠هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير، والحسين بن على، وفى عهده كانت الفاجعة من قتل الحسين واستباحة المدينة المنورة والحرم، توفى سنة (٦٤هـ) انظر: الطبرى سنة (٦٤) ، جمهرة أنساب العرب (١٠٣) ، الأعلام (١٨٩/٨).

Marfat.com

تزيد على ألف دينار وسأله قبولها، فقبلها ونقله إلى خواصه، فزاد فى الهدايا إلى أن صار من ندمائه .

فأحضر الجارية، فلما غنت أعجب بها العراقى حتى قال : ماظننت أن فى الدنيا مثل هذه.

فقال له: كم تساوى عندك ؟

قال: الخلافة .

قال عبد الله: تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى.

قال: ياسيدى أنا تاجر أجمع الدرهم إلى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لأخذتها.

قال: قد بعتك .

قال: اشتريت ، وقام العراقى فرحًا بما ظفر به، وبات ابن جعفر متفكرًا .

فما أصبح إلا وقد جاء العراقى بالمال، فقال له ابن جعفر: أنا كنت مازحًا، فقال له: ياسيدى أنت تعلم أن المزح فى البيع جد وهذا لايليق بمثلك وأنت معروف بالكرم والصلات، فكيف ترضى أن يشيع عنك مثل هذا .

وطال بينهما الكلام إلى أن خدعه فأخرجها له وهو كالمجنون لايملك نفسه، فرحل بها من يومه، وأقام ابن جعفر حزينًا باكيًا لايقر له قرار. فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات، فاجتمع بولده معاوية[1]، فقص عليه الخبر وكان صالحًا، فقال له اخرج عنى بها فلا ترنى وجهك .

فخرج العراقى وكان قد قال للجارية، أنا لست من رجالك، وإنما أخذتك للخليفة فاسترت فلم ير لها وجهًا، فلما قال له معاوية ما قال، جاء إليها وقال: قد صرت لى، ولكن استرى فإنى معيدك إلى مولاك، ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر .

---

(١) معاوية بن يزيد، هو: ابن معاوية بن أبى سفيان، من خلفاء بنى أمية، بويع بدمشق بعد وفاة أبيه (٦٤هـ) مكث بالخلافة أربعين يومًا، وكان صالحًا فلما شعر بالضعف تخلى عن الخلافة، توفى سنة (٦٤هـ) . انظر: الطبرى (١٦/٧) ، ابن الأثير (٥١/٤) ،الأعلام (٢٦٣/٧) .

Marfat.com

فلما تلاقيا أخبره بالقصة، وأنه لم يكن تاجرًا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد، وأنه حين رآه قد هلك لم ير نفسه أهلا لها، فأعادها إليه و لم ير لها وجهًا، ثم أخذها فسلمها إليه، فلما تلاقيا وتعانقًا خرا مغشيين ساعة، ثم أدخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال، وانصرف، وأقاما على ماكانا عليه .

وحكى فى الأغانى عن ابن أبى مليكة عن جده، قال: كان فى المدينة رجل ناسك كثير العبادة، فمر يومًا بجارية تغنى شعر أعشى بنى قيس وهو :

بانت سعاد فأمسى حبلها انقطعا واحتلت العود فالحدين فالفرعا

وانكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد أن يخرج عقله وذهب إليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك.

فأنشد :

يلومنى فيك اقوام أجالسهم فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين ألف درهم، ثم أحضر الناسك وكان الصوت الذى سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء، فأحضرها، وقال له: تحب أن تسمع الصوت من صاحبته، قال: نعم، فأمرها فغنت، فسقط مغشيًا عليه .

فقال ابن جعفر: قد أثمنا فيه الماء الماء ، فأتى بالماء فجعل ينضحه حتى أفاق.

فقال له: اسمعه من الجارية.

قال: قد رأيت ماوقع لى منه مع من لا أحبها فكيف منها.

فقال: أتعرفها ؟

قال: وهل أعرف غيرها، فأخرجها له وسلمها إليه.

وقال: هى لك وا لله مارأيتها.

فقبل يديه ورجليه، وقال: قد أعدت عقلى وأحييت نفسى، ودعا له.

فقال:ياغلام احمل معه مثل ثمنها مالاً وثيابًا وطيبًا يتطيب به، فأخذ ذلك وانصرف .

وحكى أنه كان ببغداد[1] رجل من ذوى النعم، فعشق قينه على أوفر ما

---

(١) بغداد: عاصمة العراق على نهر دجلة، عاصمة الخلافة العباسية، أسسها المنصور العباسى .
انظر: معجم البلدان (٥٤١/١).

Marfat.com

تكون من الجمال، والمعرفة بالغناء والضرب، فأنفق عليها ما معه حتى ضاق حاله، فأشار عليه بعض أصدقائه أن يأذن لها فى الغناء عند الناس فإنها مطلوبة ويحصل له بذلك الثروة، فغم لذلك وأخبره أن الموت عنده أسهل من ذلك، وقالت له: الرأى ان تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك أو أكون أنا فى ثروة فإنه لايشترى مثلى إلا غنى .

فحضر بها السوق ، فاشتراها هاشمى من أهل البصرة[1] بألف وخمسمائة دينارًا، فلما قبض المال وتفارقًا ، صار كل منهما على أقبح حال من البكاء ، واجتهد فى الإقالة، قال: فخرجت لا أدرى إلى أين أذهب إذ لا يمكننى الدخول إلى البيت وقد أوحش منها، فدخلت مسجدًا فجعلت الكيس تحت رأسى، فما انتبهت إلا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لأعدو خلفه، فإذا رجلى مشدودة فما تخلصت إلا وقد ذهب ، فاشتد مابى فجئت فلففت وجهى وألقيت نفسى فى دجلة طالبًا أن أغرق ، فأنقذنى الحاضرون ظانين أنى وقعت غلطًا، فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ، ومنهم من رحم ، فخلا بى شيخ منهم فوعظنى، وقال: لست أول من افتقر بعد غنى، أما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار، فسكن مابى قليلا ثم عاودنى القلق، فأخبرت صديقًا لى فأعطانى خمسين درهمًا، وأشار على أن أخرج من بغداد فعسى أن أجد من أكتب عنده من الأكابر لحسن خطى .

فعزمت على واسط[2] لأن لى بها صديقًا من الكتاب فجئت فرأيت زلالاً[3]، مهيأ، فطلبت النزول معهم، فقالوا: نحملك بدرهمين، ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معه غريبًا فتزي بزينا كأنك بعض الملاحين[4] فوقع بقلبى أن الزلال للذى اشترى جاريتى فأتسلى حينئذ بصوتها، فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما

---

(١) البصرة: مدينة فى العراق على شط العرب، تأسست فى عهد عمر بن الخطاب، وازدهرت فى أيام الدولة العباسية . انظر: معجم البلدان (١/٥١٠).

(٢) واسط: مدينة قديمة فى العراق، قاعدتها الكوت. انظر: معجم البلدان (٥/٤٠٠).

(٣) زلال : المركب لأنها تزل على الماء . انظر لسان العرب . مادة[زلل] .

(٤) الملاحين، جمع ملاح: أى النوتى، أو البحار. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملح].

Marfat.com

وقفت إلا وجاريتى قد أقبلت ومولاها فضربت لها ستارة، فلما انحدروا وجاء العشاء وأكلوا وشربوا، قال للجارية: إلى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت أول من فارقت مولاها، وألحوا عليها فأخذت العود وغنت :

بان الخليط بمن علمت فادلجوا عمدًا لقتلك ثم لم يتحرجوا

وغدت كأن على ترائب نحرها جمر الغضى فى ساعة يتأجج[1]

ثم غلب عليها البكاء ونهضت، فانتفضت وصرعت فنضحوا علىّ الماء، وأذنوا فى أذنى فأفقت و لم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت :

فوقفت أنشد بالذين أحبهم وكان قلبى بالشفار يقطع[2]

فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع[3]

فشهقت، فكادت تتلف وصرعت، فقالوا: كيف حملتم مجنوناً اطرحوه، فلحقنى أمر عظيم فتصبرت، فلما شارف القوم المنزل فى بعض الطريق، أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون، وخلا الزلال فعمدت على غفلة إلى العود فأصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها .

فلما رجعوا وكان الوقت مقمرًا تلطفوا بها، وقالوا: ترين مانحن عليه فى هذا الوقت فبا لله عليك إلا ما انشرحت معنا، فأخذت العود، فشهقت شهقة منكرة، ثم قالت: هذا العود على طريقة كان يحبها مولاى ويضرب معى ، وأنه لمعنا ، فقالوا لها: وا لله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك ،فقالت: هو معنا لا محالة ، فقالوا للملاحين: هل حملتم أحدًا؟وأشفقت أن ينقطع السؤال.

فقلت: أنا ياسيدى فأحضرنى، وقال: إنى وا لله ماوطئتها وأنا رجل قد وسع الله على، ما أخذتها إلا لسماع غنائها فكن معنا إلى منزلنا فأعتقها، وأزوجك بها ولا أريد منك إلا أن تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وننصرف .

---

(١) الغضى: النار، أو الجمر المشتعل من أصل خشب يسمى الغضا، وهو أفضل أنواع الوقود عند العرب. انظر : القاموس المحيط ، مادة [غضنا] .

(٢) الشفار: السكين الحاد العظيم. انظر: القاموس المحيط، مادة [شفر].

(٣) بلقع: مهجور، مقفر. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلق].

Marfat.com

فقلت: كيف أمنع ذلك عنك وأنت سبب حياتى، فقال للجارية: أرضيت بذلك؟

قالت: نعم، وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغنى وأنا أقترح عليها الأصوات، فتضاعف سرور الرجل، ودمنا على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلاً ونحن ثملون، فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة، فأخذنى النوم ولم يدروا بى حتى سافر، فأفقت بحر الشمس فلم أجدهم، وعدت إلى المحنة، فجاز بى سمارية[1] فنزلت معهم إلى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعا ولا أحدًا، ولم أكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه .

فرأيت رجلا من بغداد مارًا فقمت لأشكو إليه حالى، فقال: اتبعنى، فتبعته حتى عرفت موضعه، وجئت إلى بقال فأخذت منه ورقة لأكتب عن حالى إلى الرجل، فاستحسن البقال خطى واسترق حالى وسألنى عنه ،فلم أشرح له أكثرمن أنه لم يبق فى يدى شئ، فقال: هل لك أن تكتب عندى فى كل يوم بنصف درهم وماتحتاج إليه، فتضبط مالى، فأجبته، فرأى بعد شهر الزيادة بضبطى وحفظى ما كان يسرق له فزاد فى إكرامى ، فزوجنى بعد حول بابنته وأشركنى فى ماله غير أنى فى خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب .

فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بأنواع الزينة، فسألت عن ذلك، فقيل: عيد الشعانين للنصارى، والناس تخرج للفرجة فوقع فى نفسى أن أخرج معهم وأن عسى أن أظفر بأصحابى ، فاستأذنت الرجل فأصلح لى ما أحتاج إليه، وخرجت فما وصلت إلا والزلال بعينه فى أوساط الناس، فلم أملك أن طرت إليهم فحين رأونى فرحوا بىْ وقالوا: نحن منذ فقدناك ما شككنا أنك غرقت ، فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد، فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكى، ثم أخذونى وأدخلونى عليها وهى على تلك الحالة، فلما رأتنى شهقت شهقة ما شككت فى موتها .

---

(١) سمارية:السُّمَيْرية :ضرب من السفن . انظر : لسان العرب ، مادة [سمر] .

Marfat.com

فلما أفاقت ، قال مولاها: قد وهبتها لك، قلت: لا ولكن افعل ماتقدم من العتق والتزويج، ففعل بالشروط السابقة ، وأعطانى ثيابًا وخمسمائة دينار، وقال: هذا مقدار ماكنت أجريه عليك إلى اليوم وهو مستمر لك فجئت إلى البقال فأعلمته بذلك وطلقت ابنته وأقمت مع الجارية فى أحسن حال.

وحكى أن جعفر بن يحيى[1] حين قدم البصرة مع الرشيد، قال لإسحاق بن إبراهيم[2]: قد بلغنى أن هنا جارية لم ير مثلها لكن لايريها مولاها إلا فى بيته، فاخرج بنا ننظر إليها، فخرجنا والنخاس[3] مستخفين حتى طرقنا الباب، فخرج شاب متغير اللون فى ثوب خشن، فأدخلنا دارًا خربة ، ففرش لنا حصيرًا وأجلسنا ورحل، فخرجت جارية بذلك الثوب إلا أنها تفوق الشمس حسنًا وجمالاً فأخذت العود وغنت:

أن يمس حبلك بعد طول تواصل ... خلقًا وبيتك موحشًا مهجورا[4]

فلقد أرانى والجديد إلى البلا ... دهرًا بوصلك راضيًا مسرورا

كنت المنى وأعز من وطئ الحصى ... عندى وكنت بذاك منك جديرًا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء، فنهضت إلى البيت تعثر فى القميص، فسمعنا لهما بكاء وشهيقا، ثم خفيت أصواتهما حتى ظننا أنهما قبضا، ثم خرج الشاب بالثوب بعينه، وقال: أشهدكم أنها حرة وأريد أن تزوجونى بها، ففعلوا، وغم جعفر لفواتها، وقال له: ماحملك على هذا، قال: حديثى طويل إن شئت حدثتك به، قال: قل، فقال: أنا ابن فلان، وقد كنا من ذوى النعم وهذا يعرف ذلك وأشار إلى النخاس .

---

(١) جعفر بن يحيى ، هو: ابن خالد البرمكى، أبو الفضل وزير الرشيد العباسى، أحد مشهورى البرامكة . استوزره الرشيد، وألقى عليه أزمة الملك، ولكن لما نقم على البرامكة، قتله وأحرق جثته سنة (١٨٧) . انظر: تاريخ الطبرى سنة (١٨٧) ، البداية والنهاية (١٠/١٨٩) ، الأعلام (٢/١٣١) .

(٢) إسحاق بن إبراهيم ، هو: ابن ميمون التميمى، الموصلى، أبو محمد بن النديم، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالما باللغة ، والموسيقى والتاريخ وعلم الكلام، وعلوم الدين. من آثاره: كتاب أغانيه. انظر: تاريخ بغداد (٦/٣٣٨) ، الأغانى (٥/٢٦٨) ، الأعلام (١/٢٩٢).

(٣) النخاس : بائع الرقيق .انظر : لسان العرب ، مادة [نخس] .

(٤) خلقًا ، من خلق الشىء: إذا بلى وقدم. انظر: القاموس المحيط، مادة [خلق].

Marfat.com

ثم قال : وكانت هذه الجارية لأمى فنشأت أنا وإياها فأدخلنا المكتب فبرعنا فى الأدب وأخرجت هى لتعليم الغناء فلم أطق فراقها فصرت معها، فلما برعت فيه طلبت أمى بيعها فأيقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لى وجهزوها لى ودخلت بها بعد أن امتنعت من تزويج بنات الأكابر وأظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتى عليها، والناس يظنونه عفة. فأقمنا فى أرغد عيش إلى أن مات أبى فلم أحفظ النعمة ، فأنفقت الأموال وأكثرت من الهبة وأسرفت حتى لم يبق عندى إلا هذا الثوب أتناوبه أنا وإياها، فأشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة: الرأى أنى أبيعك وأعلم أنى هالك إثر ذلك، ولكنى أختار أن تعيشى بخير.

فلما عرضت عليكم ودخلت إلى، قالت: لو كان عندك منى ما عندى منك ماذكرت بيعًا، فقلت: أتحبين أن أعتقك وأتزوج بك وتقيمى معى على هذا الحال. فقالت إن كنت صادقًا فى الحب فافعل، فخرجت وفعلت ذلك، فعذره جعفر، قال إسحاق: فلما ركبنا قلت له: أنت تبذل الأموال وتغنى المحاويج أفلا ترق لهذا ؟ قال بلى. ولكن قد غبت[1] لفوت الجارية، ثم التفت إلى النخاس، وقال: كم صحبت من المال ؟ قال: ثلاثمائة ألف دينار، قال ادفعها إليه، وأمره أن يأتينى غدًا .

فلما أعطاه النخاس المال وأخبره أن الذى كان عنده جعفر وأنه يدعوك إليه كاد أن يطير فرحا واقبل إليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقًا وجعله من الكُتّاب ، لما رأى عنده من الظرف والأدب ، وأمر كلا من العسكر أن يهاديه، ففعلوا وأقام فى النعم .

وأغرب من ذلك: ماحكى أن أندلسيًا كان مغرمًا بجارية يحبها حبًا شديدًا، وأنه أراد بيعها لوحشة، فلما حقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشترى فى ماله، فأبى، فتشفع عنده بأكابر بلدته فلم يجب، فمضى إلى الملك وأخبره بحاله، فأحضر المشترى وشفع عنده وبذل مالاً كثيرًا فامتنع وادعى محبتها .

---

(١) غبت: من غب فى الأمر، إذا تأنى فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [غبب].

Marfat.com

فلما رأى الأندلسى اليأس منها ألقى نفسه من شاهق ، فـأُبْهِتَ الملـك ، وأمـر أن يتلقى، فقدر أنه لم يصب بشيء، وجئ به إلى الملك، فقال: الله أكبر قد ظهر الحكم فى ذلك، ثم قال للمشترى: قد رأيت مـافعل هـذا مـن حبهـا فـإن كنـت تحبها كما تقول فافعل كفعله فإن عشت فأنت أحـق بهـا، فقـال: أفعـل ثـم هـم بذلك ، ورجع فأمر أن يلقى غصبًا، فلما حقق ذلك، قال: أعطيته إياها فأخذت منه وأعيدت إلى مالكها .

وحكى أن المأمون افتتن بجارية من جوارى أبيـه الرشـيد، وكـان يكتـم أمـره وكانت من خواص الخدمة، فبينما هى يومًا تصب على يديه وقد التفت، إذ أشار لها المأمون بقبلة، فغمزته مشيرة بحاجبهـا إلى أنهـا خائفـة، ففـترت بصـب المـاء، ففطن الرشيد، فحلف إن لم تخبره ليفتكن بها، فأعلمته فنظر إلى المأمون وقد كاد أن يقضى من الخوف فضمه وسكن مابه، ثم قال له: أتحبها؟ قال: نعم. قال: قم، فاختل بها فى هذه الخلوة، ففعل، فلما خرج قال له: أنشد فى هذه.

فأنشد :

ظبـــى كنيـــت بطرفـــى عـــن الضمـــير اليـــه
قبلتـــه مـــن بعيـــد فـــأعتل مـــن شـــفتيه[1]
وردّ أخبـــــــث ردّ بالكســـر مـــن حاجبيـــة
فمـــا برحـــت مكـــانى حتـــى قـــدرت عليـــه

وحكى أن إبراهيم بن المهدى[2]، زمن اختفائه من المأمون، مكث عند عمته علية بنت المنصـور، وكـان عندهـا جاريـة قـد أحسـنت تأديبهـا وتعليمهـا حتـى صارت من ألطف أهل زمنها فوكلتها بخدمة إبراهيم، فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يومًا.

---

(١) أعتل: اعتذر. انظر: القاموس المحيط، مادة [علّ].

(٢) إبراهيم بن المهدى، هو: ابـن محمـد ابـن عبـد الله المنصـور، العباسـى الهـاشمى، أخـو هـارون الرشيد، ولد ونشأ فى بغداد وأقام بها، وولاه الرشيد إمامة دمشـق، ولمـا بويـع المـأمون، أراد الخروج عليه، فأهدر دمه ثم قبض عليه، وعفا عنه، توفى سنة (٢٢٤هـ) . انظر: تاريخ بغداد (١٤٢/٦) ، الأعلام (٥٩/١).

Marfat.com

فغنى :

يـــــــاغزالاً لى اليـــــــه شـــــافع مـــــن مقلتيـــــه

والـــــذى أجللـــــت خديـــــه فقبلـــــــت يديـــــــه

بـــأبى وجهـــك مـــا أكـــثر حســـــــادى عليـــــــه

أنـــــا ضيـــــف وجـــــزاء الضيـــــف إحســـــان إليـــــه

ففطنت للطفها بما أراد، فأخبرت مولاتها فوهبتها له، فلمـا رآهـا مقبلـة أعـاد الصوت، فقبلت رأسه، فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه .

وحكى أن رجلاً مكيًا كان عنده جارية، وكانت على أحسن صورة، وألطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب، حتـى أن النـاس كـانوا يقصـدون الحج لينظروا إليها لأنه كان لا يخرجها إلا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة .

وأنه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة، فوقع عنده من حـب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله و أنحل بدنه وأهاج شجنه، فكان يقنـع فـى كـل سنة بالنظر إليها زمن الموسم، ثم يمكث باقى السنة عليلاً فـى بيتـه. فدخـل عليـه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه، وأطار لبه، فتلطف بـه حتـى عـرف أمـره، وماهو عليه من أمر الجارية .

ورغب إليه أن لايفشى سره، فخـرج حتـى أجتمـع بمولاهـا، فحدثـه القصـة، فزينها وخرج بها كيوم الموسم، فلما اجتمع الناس، قـال: أشـهدكم أنـى وهبـت هذه الجارية لهذا الفتى، فقيل له: كيف تفعل هذا وقـد بـذل لـك فيهـا الأمـوال. قال: دعونى إنى أحييت كل مـن علـى الأرض، لأن ا لله يقـول: ﴿**وَمَـنْ أَحْيَاهَـا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[المائدة:٣٢] .

وحكى عن الحارث بن سليمان ، قال: كنا بمجلس سـليمان بـن عبـد الملـك، فأتاه سعيد بن خالد ، فقال له: أنا شاك إليك من ظلمنى وانتقص حرمتى.

قال:من ؟

قال:موسى شهوات[1] .

---

(١) موسى شهوات، هو: ابن يسار المدنى، أبو محمد، شـاعر، مـن المـوالى. نشـأ وعـاش بالمدينـة، ونزل بالشام، فى أيام سليمان بن عبد الملك، فكان من شعرائه، توفى سنة (١١٠هـ) . انظر: الأغانى (٣/٣٥١) ، البغدادى (١/١٤٤) ، الأعلام (٧/٣٣١) .

Marfat.com

قال: علىّ به فأحضر.

فقال له: أنت شتمت هذا ؟

قال: لا وأيد الله أمير المؤمنين إنما مدحت ابن عمه فاغتاظ .

فقال سليمان: وعلام مدحته؟

قال موسى: يا أمير المؤمنين، عشقت جارية حتى كادت نفسى تتلف فى حبها، و لم أك أقدر على ثمنها، فشكوت حالى إلى أصدقائى، فلم يجبنى أحد، فشكوت إليه، فاستمهلنى ثلاثًا، وأتيته وهو جالس، فقال لغلام عنده: أخرج الوديعة، فإذا بالجارية، فقال: هذه طلبتك.

قلت: نعم.

فقال: تسلمها، ثم قال للغلام : أخرج ما عندى من النفقة، فأخرجها، فإذا هى مائة دينار، فصرها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل إلىّ، فقال سليمان: وما قلت فيه؟

فأنشد :

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد — أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد

ولكننى أعنى ابن عائشة الذى — أبو أبويه خالد بن اسيد

عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى — فان مات لم يرض الندى بعقيد

دعوه دعوه انكم قد رقدت — وماهو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق مايقول عنك موسى.

قال : قد كان ذلك.

فقال: كم عليك من الديون ؟

قال: ثلاثون ألفًا.

قال: هى لك ومثلها وثلث مثلها .

قال موسى: فلقيته صبيحة اليوم .

فقلت: كم عندك من المال؟

قال : والله لم يبق منه شئ.

قلت: ففيم أنفقته ؟

قال: فى تفريج عن صديق و إعطاء محتاج وصلة رحم

Marfat.com

وحكى عن الربيع[1]، قال: سمعت الشافعى[2] ﷺ يقول: اشتريت جارية وكنت أحبها فأقول لها :

ومن السعادة أن تحب ... وأن يحبك من تحبه

ومن الشقاوة أن تحب ... ولايحبك من تحبه

فتقول :

ويصدّ عنك بوجهه ... وتلح أنت فلا تغبه[3]

وحكى عن إبراهيم بن ميمون، قال: حججت فإذا أنا بسوداء قائمة ساهية فأنكرت حالها فمكثت ساعة.

ثم أنشدت :

أعمر وعلام تجنبتنى ... أخذت فؤادى وعذبتنى

فلو كنت ياعمرو أخبرتنى ... أخذت حذارى فما نلتنى

فقلت لها: ومن عمرو ؟

قالت: زوجى أوهمنى أنه يحبنى حتى تزوجته، وعندى من الحب له ما عنده لى، فتركنى ومضى إلى جدة.

فقلت: هل لك أن أجمع بينكما ؟

قالت: ومن لى بذاك، فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادى من يخرج من المركب ياعمرو وكانت قد وصفته لى بأنه أحسن ما أرى فإذا أنا بفتى على ماوصفت فأنشدته الشعر.

فقال: قد رأيتها ؟

---

(١) الربيع ، هو : ابن عبد الجبار بن كامل، الإمام، المحدث، الفقيه، الثقة، أبو محمد المرادى، مولاهم المصرى المؤذن، ناقل العلم عن الشيخ الشافعى، ثقة، توفى سنة (٢٧٠هـ) انظر: سير النبلاء (٥٨٧/١٢) التهذيب (٢٤٥/٣).

(٢) الشافعى، هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، أبو عبد الله، المكى، الإمام الكامل، العالم العامل، صاحب المذهب المشهور. انظر: التاريخ الكبير (٤٢/١) ، الحلية (٦٣/٩)،سير أعلام النبلاء (٥/١٠) .

(٣) تغبه، من غبت : إذا أتاه بعد أيام . انظر: لسان العرب، مادة [غبب].

Marfat.com

قلت: فيما يمنعك منها ؟

قال: والله عندى أضعاف ماعندها وإنما منعنى الاكتساب.

قلت: فكم يكفيك فى كل سنة ؟

قال: ثلاثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم.

وقلت: هذه بعشر سنين، فإذا فنيت أو قاربت فآتنى أوجه إليك بمثلها، ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندى من الحج .

وحكى أن بعض التجار قدم لأصدقائه طعامًا وفيه ديك، وقال ابن الجوزى سِكباج[1] ، و أبى أن يأكل معهم فامتنعوا لأجله، فقال: كلوا فلولا أذى يلحقنى منها لأكلت ثم عاود نفسه، وقال أتحمل وآكل .

فلما فرغو وجئ بالغسول غسل يديه أربعين.

فقالوا له: أبك وسواس ؟

قال: لا، ولكن هذا الأذى الذى قلت لكم ، وله حديث عجيب .

قالوا: وما هو ؟

قال: أوصانى أبى وكان من ذوى النعم ولا وارث له غيرى أن أحسن الإنفاق والتكسب وأن أسبق إلى السوق وأتجر فيه فحفظت ما قال. فبينما أنا يوما فى السوق سحرًا، وقد عرفنى الناس بذلك فكان ربما يأتى ذو حاجة فى وقت لايجد غيرى فأقضيها فاكتسبت بذلك مالاً وجاهًا .

فبينما أنا يومًا جالس إذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندى، فرحبت بها فرأيت نغمة وشكلاً بهرانى، فقلت: ماذا تريدين ؟

قالت: ثيابًا صفتها كذا.

فقلت: اجلسى حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلى وأطارت لبى، فجمعت لها ثيابًا بخمسة آلاف درهم، فأخذتها وانصرفت و لم تعطنى شيئًا و لم أفق من دهشتى أن أقول لها فى ذلك، ووقع عندى أنها محتالة. فقلت أبيع ماعندى وأعطى الناس وألزم بيتى.

---

(١) سكباج : نوع من أنواع الطعام ، انظر :القاموس المحيط ، مادة [سكبج] .

Marfat.com

فمضى على ذلك أسبوع، فبينما أنا جالس إذا أقبلت على العادة فقمت وأجلستها ونسيت ماكان عندى. فقالت قد أبطأنا عليك، فقلت رفع ا لله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه ودفعته لى فأعطيته لأربابه مع ماربحت فى ذلك، ثم طلبت ثيابًا بألف دينار فأخذتها ومضت، فعاودنى مامضى فأبطأت، فقلت: وا لله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار، ثم طالت غيبتها شهرًا وطالبنى الناس فعزمت على بيع عقارى ومالى أو قال بعت وأوفيت، وإذا هى قد أتت على العادة ونزلت عندى فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره.

فشاغلتها بإحضار التجار. فقالت: هل لك زوجة.

قلت: لا وا لله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته فى أن يكلمها، فضحك وقال: هى وا لله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها فى ذلك، فضحكت.

وقالت: الخادم يأتيك برسالتى .

ومضت و لم تأخذ شيئًا إذ لم يكن بها حاجة من الأصل إلا العشق، فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرخ لى أنها مملوكة لأم المقتدر، وقد رغبت فى جعلها قهرمانة. فلما تألفت بك مضت فشكت إليها حبك ورغبت إليها أن تزوجها بك، فأبت دون أن تراك وقد أخذوا فى حيلة يدخلونك بها إليها فإن تمت تم أمرك وهى أن تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت الليلة، فلما كان السحر أقبل خدام ومعهم صناديق فوضعوها وإذا أنا بالخادم والجارية فأدخلونى فى صندوق منها وجعلوا فى الباقى ثيابًا وحملوها إلى الدار فكلما جازوا بطبقة من البوابين يريدون أن يفتشوا ذلك فتمنعهم ، حتى عارض خادم ، وقال : لابد من تفتيش هذا الصندوق .

فأدركنى الخوف حتى انساب معه البول منى، فصاحت: أفسدت المتاع، وكسرت عليه أوانى ماء الورد.

فقال: اذهبى، فمضوا حتى أخرجونى فى خلوة وجعلت تطعمنى وتسقينى حتى أتتنى يومًا فعرضتنى على السيدة فرضيتنى لها، فاحتالت فى خروجى

Marfat.com

وأمرتنى بأن أتزين فى أحسن زينة إلى باب الخلافة ، ففعلت فأخذونى وأجلسونى فى بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون أن هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتى ففرحت فرحًا أطار عقلى غير أنى جعت جوعًا أحرق أحشائى ، واستطعمت الخدام فلم يطعمونى لأنهم لم يعرفونى حتى جاء خادم يعرفنى فشكوت إليه الجوع ، فقدم لى ديكاً ، فأكلت وغسلت يدى غسلاً ظننت معه النقاء .

فلما خلوت بها رفستنى، وقالت: عجبت كيف تفلح وأنت عامى سفلة،وهمت بالخروج فتعلقت بها وأخبرتها القصة، ثم قلت: يلزمنى صوم الأبد والحج ماشيًا والطلاق والعتاق وصدقة مالى أن لا آكلها بعد اليوم إلا وأغسل يدى أربعين مرة، فضحكت، ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا، ولما مضى أسبوع أعطتنى مالاً وأمرتنى أن أشترى به دارًا فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على أحسن حال .

وحكى التنوخى فى المستجاد ونقله فى نديم المسامرة ، قال: حمل لمأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة، فلما اجتمعوا للنزول فى السفينة، جاء طفيلى فنزل معهم، وقال: ما أظن هؤلاء اجتمعوا إلا لوليمة، فلما قيدوا ندم وعلم أن لا خلاص له. فحين ضربت أعناقهم وكان المأمون يعرفهم، سأل عنه، فقالوا: لم نعرفه، فسأله فقال: زوجتى طالق إن كنت أعرفهم أو أحوالهم وإنما رأيتهم مجتمعين فظننت أنها وليمة .

فقال: المأمون يبلغ التطفل بأصحابه إلى هذا، عزروه لئلا يعود إلى مثلها فقال ابن المهدى: هبه لى يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب، قال: وهبته لك، فحدثنى، قال: يا أمير المؤمنين ركبت يومًا حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير[1] ما شممت مثلها قط، ورأيت معصمًا من الشباك أخذ بقلبى أيضًا فاشتهيت أن آكل منه وأخذت فى الحيلة إذ لم أكن أعرف أحدًا من أهل المكان، فجئت إلى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب

---

(١) أبازير، جمع بزر: وهو التابل الذى يطيب به الغذاء . انظر: لسان العرب، مادة [بزر].

Marfat.com

المكان فقال لى عن اسمه، وأنه تاجر يحب عشرة مثله ، فقلت أيشرب الخمر ؟ قال نعم. وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه.

فمكثت ساعة فإذا هم مقبلون، فقال لى: هؤلاء أصحابه، فحركت دابتى حتى لحقت بهم فقلت قد أبطأتم وفلان ينتظركم . ثم دخلنا وهم يظنون أنى من جماعة صاحب المنزل وهو يظن أنى معهم فأكرمنى كل منهم، وقدم الطعام فأكلنا فقلت فى نفسى هذا الطعام قد قضيت منه شهوتى وبقى الكف والمعصم، ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت:

توهمها طرفى فأصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظرى أثر[1]

وصافحها كفى فآلم كفها ... فمن ضم كفى فى أناملها عقر[2]

فهيجت بلابلى وطربت لحسن شعرها ثم غنت أيضًا :

أشرت إليها هل عرفت مودتى ... فردت بطرف العين إنى لى العهد

فحدث عن الاظهار عمدًا بسرها ... وحادت عن الاظهار أيضًا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم نملك نفوسنا ثم غنت أيضًا :

أليس عجيبًا أن بيتًا يضمنى ... واياك لانخلو ولا نتكلم

سوى أعين تبدى سرائر نفس ... وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة افواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على الحذق والإصابة غير أنى قلت: بقى عليك شئ، فرمت العود

وقالت: متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء، فتألموا منى.

فقلت: قد فاتنى ما أملت أن لم أأتلف قلوبهم .فقلت هل عندكم عود ؟

قالوا: نعم، وأحضروه فأحكمت إصلاحه وغنيت :

ما للمنازل لاتجيب حزينا ... اصممن أم قدم البلا فبلينا

لا بل بلين فهجن داء ساكنًا ... لمتيم وأثرن منه دفينا[3]

راحوا العشية روحة مذكورة ... إن متن متنا أو حيين حيينا

---

(١) توهمها: أى تمثله وتخيله. انظر: لسان العرب، مادة [وهم].

(٢) العقر: الجرح. انظر: لسان العرب، مادة [عقر].

(٣) الدفينا: المدفون المستور. انظر: لسان العرب، مادة [دفن].

Marfat.com

فقبلت عند ذلك يدى، وقالت: معذرة إليك، وزاد القوم فى إكرامى، فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت أيضًا .

فغنيت:

أفى العدل أن تمسين لاتذكريننى وقد سجمت عيناى من ذراك الدما[1]

إلى ا لله أشكو بخلها وسماحتى لها عسل منى وتبذل علقما

فردى مصاب لقلب أنت سلبته ولاتتركيه ذاهل العقل مغرما

إلى ا لله أشكو أنها أجنبية وإنى لها ماعشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم مافارقوا به عقولهم، فأمسكت عنهم خشية أن يتلفوا ساعتئذ ثم غنيت :

هذا محبك مطوى على كمده وجدا مدامعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخر على كبده

يامن رأى كلفًا فى حبة دنفًا كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية: هذا وا لله الغناء لاما نحن فيه، وسكر القوم حتى غابوا، إلا صاحب المنزل لجودة شربه، فأمر بحملهم إلى منازلهم، وخلانى، فسألنى: من أنا، فأخذت أورى[2] فأقسم على إلا ماعرفته بنفسى ، وقال قد ذهب أكثر عمرى هدرًا إذا لم أعرف مثلك .

فلما عرفته بنفسى وثب قائمًا، وقال لا أقضى باقى ليلتى فى خدمتك إلا قائما، فأقسمت عليه أن اجلس ، فجلس وأخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى، فأخبرته القصة حتى انتهيت إلى أنه لم يبق على إلا المعصم، فقال تناله إن شاء ا لله تعالى .

وعرض على جواريه فلم أر الغرض، فقال ياسيدى لم يبق عندى إلا أمى وأختى.

---

(١) ذراك: من ذرت العين: إذا صبت دمعها. انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].

(٢)التورية : فى الحديث : كان رسول ا لله ﷺ إذا أراد سفرا ورى بغيرة أى ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره . انظر :لسان العرب ، مادة [ورى] .

Marfat.com

فقلت : ابدأ بأختك فأتى بها فإذا هى الغرض .

فقلت: ها هى.

فقال: وا لله أقررت عينى، ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليهـا وأدخلنـى بها، فلما أصبحنا حول معها متاعًا لايوجد مثله إلا عندك يا أمـير المؤمنـين وهـذا ولدى فلان منها .

Marfat.com

القسم الخامس

فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق

وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها،فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله ، فإنهم يرون تصور السلوّ معصية بل، تصور خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدًا حقق هذ المناط للسالكين، وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا من مدده حيث يقول :

ولَوْ خَطرتْ لِي فِي سِواكَ إرادةٌ عَلى خَاطرِي سهوًا قَضيتُ بردّتِي

فإن الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير أن يتمسك منه بشىء ، هذا عند العقلاء قسرىّ لعدم احتياجه إلى مقدمات .

والإرادة: مجرد الميل ، والخاطر: باب الحدس، والسهو: استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشرى ، وهو صفة للخطور قسرية أيضًا، ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الإصلاح على الخارج به بشىء رحمة وتخفيفا . فقد بان أن الأستاذ يقول: إن شرط المحبة مبنى على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد ، فكأن المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار إليه أيضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله:

فَلمْ تهْونى ما لم تكن فىَّ فانيًا ولم تَفنْ ما لم تجتلى فيك صُورتِي

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو أصناف .

الصنف الأول : فى ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه وهؤلاء إما نساء أو رجال وكل من القسمين إما بالغ مناه أو مكفوف أذاه.

فمن الأول : ماحكى عن مرثد[1] أنه شغف بصحبة عمرو بن قمئة[2] حتى صار يأكل معه ومع زوجته، فعلقته المرأة فأرسلت إليه على حين غفله من مرثد، تقول: إن عمك يدعوك، فجاء فلم يجده، فقامت إليه فراودته عن نفسه فأبى .

---

(١) مرثد، هو: ابن أبى حمران الحارث بن معاوية الجعفى، شاعر جاهلى، لقب بالأسعر. انظر: الأعلام (٢٠١/٧).

(٢) عمرو بن قمئة، هو: ابن ذريح بن سعد بن مالك، البكرى، الوائلى، النزارى. شاعر جاهلى. انظر: الأغانى (١٥٨/١٦) ، الأعلام (٨٣/٥).

Marfat.com

فقالت: لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك .

فقال: إن الأذى أن أفعل ماتحبين، وخرج، فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الأصابع، فلما جاء مرثد أخبرته أن رجلا من أقرب ما يكون إليك ساومنى نفسى، فامتنعت، فجهد فى أن تخبره، فأبت.

وقالت: أنا لا أصرح باسمه ولكن هذا قدمه، فعرفه وهجره.

فأنشد فى ذلك :

لَعمْـرُكَ مـا نفسـى بجـدٍ رشـيدةٌ ... تُؤامِرنُـي شَـرَّ الأَصْـرمِ مَرْثـدَا[1]

عَظيـمٌ رمَـادَ القِـدْرِ لا مُتعبـسٌ ... ولا مؤيـس منّهـا إذاَ هـو أخمـدَ

فَقـدْ ظَهـرتْ مِنّـه بَوائِـقُ جَمـةٌ ... وأفـرغُ منْ لَومـي مـراراً و أصعـدَ[2]

علـى غَـيرِ ذنـبٍ أن أكـونَ جنيتُـهُ ... سِـوىَ قـولِ بـاغٍ جـاهدٍ فَتجهـداَ

وقيل: إنه حلف ليضربنه بالسيف، فهرب إلى الحيرة وأرسل بهذين البيتين :

رَمتنيِ بَناتُ الدهرِ مِنْ حيثُ لا أَدرى ... فَمـا بَـالُ مَـنْ يرُمـىَ وليـسَ برَامـيِ

فَلـوْ أنّهـا نبـلٌ إذًا لاتقيتُهَـا ... ولكِنَمـا أَرْمِـي بغـيرِ سِـهَامِ

انتهى ماذكره .

و فى النزهة: أن مرثدًا أتى يومًا من سفره فى الليـل، وكـان الظـلام شـديدًا فسمع زوجته وهى لاتشعر به تقول :

لَعمْـرُكَ إنّ القلـبَ شـطٌ بـهِ النّـوىَ ... ولم تسـعفْ الأيـامُ للمدنـف الصـبِّ

بُليـتُ بمـنْ لم يـدرْ حـالىِ بحبـه ... ألا إن عَمرًا فـى الهـوى قاسـيِ القلـبِ

فعلم أنها مولعة به وأن ذلك كان كيدًا منهـا ؛ فقتلهـا وأرسـل إليـه فـأصلح أمره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع[3] .

---

(١) رشيدة: من رشد: إذا اهتدى واستقام على طريق الحق. تؤامرنى: من ائتمر: إذا شاور غـيره. الأصرم: من صرم فلان: إذا هجره وانقطع عنه. انظر: لسان العرب، مادة [رشد]، [آمر]، [صرم].

(٢) بوائق، جمع البائقة: الشر. الجمة: معظم الشىء أو كثيره. أفـرع: مـن فـرع: إذا كـثر شـعره. أصعد: من صعد: إذا اشتد فى الشىء. انظر: لسان العرب، مادة [باق]، [جمم]،[فرع]، [صعد].

(٣) الرابع : أى من القسم الرابع .

Marfat.com

ومن الثانى: قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غـير أن المصنـف، رحمه الله، لشدة معرفته باختلاف الألسن واللغات، نقلها من نص الله عز وجـل عليها فى التوراة .

فذكر أن فى سفر دانيال عليه السلام، من هذه القصة ماترجمته : لما كـان فـى السَّنة الثالثـة مـن ملـك يواكيـم ، ملـك يهـوذا ، قـدم بختنصـر ملـك بـابل إلى أورشليم؛يعنى بيت المقدس بالعبرية ، وأسلمها الـرب فـى يـده ، ثـم نـزل ببيـت صنمه بشنعار، وهو موضع مشهور ببيت المقدس.

ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصان قاضيان، عرفا بالعبادة والزهد فى بنى إسرائيل، فكانا يحكمان فـى الشـعب ، ويأويـان إلى بيت يواكيم.

وكان له زوجة يقال لها سوسن، وكانت فى أرفع رتبة مـن الجمـال والحسـن وبهجة المنظر والصلاح؛ لأن والديهما كانا صديقين فى بنـى إسـرائيل، وكـانت فى كل يوم تنزل إلى بستانها تمشى للنزهة.

ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر فـى الحكومـات، وكتـم كلٌ عن الآخر،حتى إذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر، قال كل منهما لصاحبه : قد اشتد الحر، فليذهب كـل منـا فيسـتريح، وخرجـا مضمريـن العـود رجاء الظفر بالجارية، فلما التقيا؛ فحص كل عن عَوْد الآخر ، فأظهرا ماعندهمـا من حبها واتفقا عليها ، وأنها دخلت مع جاريتين البستان، فعزمت على الحموم، وقد استخفيا، فأرسلت الجاريتين ليأتياها بزيت وغسول، فظهرا وأغلقا الأبواب.

وقالا لها: لئن لاتجيبينـا، وإلا قلنـا إنـا وجدنـا معـك شـابًا، ومـن أجـل ذلـك أرسلت الجاريتن وأنت تعلمين مكاننا من بنى إسرائيل .

قالت سوسن: وا لله لا أغضب الرب أبدًا وصرخت، فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ففتح الباب ، وجـاء العبيـد فأخـبراهم بالقصـة، فبقـوا مبهوتـين؛ لأنهـم لايعلمون عليها سوءا ، ثم أتى يواكيـم فـأعلموه بـالأمر وأنهمـا لم يقـدرا علـى مسك الشاب، فجمع الشعب، وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن.

Marfat.com

وقالا: نشهد على هـذه أنهـا دخلـت البسـتان و معهـا جاريتـان فأرسـلتهما وأغلقت الأبواب، فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعهـا، فحـين رأينـا المعصيـة صحنا ، فانفلت الشاب .

فبكت سوسن ورفعت طرفها إلى السماء.

وقالت: يا ا لله يادائم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما كذبا على.

ثم أقاماها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابًا عمره ثلاث عشرة سنة، فجاء وصاح عليهم ؛أن قفوا فإنها بريئة مما رميت به، ثم أمر بالتفريق بينهما.

فقال لأحدهما: من تحت أى شجرة جاء الحدث ؟

فقال: من تحت شجرة بطم.

فقال: كذبت وهذا ملاك ا لله شاهد عليك بالكذب . ثم أخره وقدم الآخر.

وقال له: من تحت أى شجرة جاء الحدث؟

فقال: من تحت شجرة زيت.

فقال: كذبت وأقامهمـا ، فنشـرا ونزلـت نـار فأحرقتهمـا، وحفـظ ا لله الـدم الزكى وعظم أمر دانيال عليه السلام .

ومن الرابع ماحكى فى نديم المسامرة: أنـه كـان بـالبصرة رجـل اسمـه عبـاد، وكان يدعى بالمخنث ؛ لما كان يظهر من التزين بـزى النسـاء، فـاجتمع ليـل مـع قوم، وتذكروا الشجاعة.

فقالوا له هازئين به: هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتـد بـالضريح الفلانـى؟ وكان معروفًابالوحشة بعيدًا عن العمارة.

فمضى حتى صار فيه، فحين شرع يدق الوتد سمع صرير سلسـلة تدنـو كلمـا دق حتى صارعنده، فإذا هو قرد قد ذهب من صاحبـه، فـأخذه وهـم ليخـرج إذ سمع امرأة تخاطب رجلاً.

فتقول: ما الذى صنعت حتى تقتلنى ؟ **فيقول** : أقتلـك وأمـوت خـير مـن أن تصيرى إلى زوجك وأموت غمًا .

فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنهما جنًا،فرمى السلاح،فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فأخبرته بأبيها ، فعرفـه وأن هـذا ابـن عمها كان يهواها، فخطبها إلىأبيها، فأبى وهم بتزويجها من غيره، وأنها خرجت

Marfat.com

لمفترج، فكبسها هذا مع جماعة، فتفرق النساء اللواتى كن معها، وأخذها هو، فصيرها إلى هذه الحالة، فأخذها عباد إلى أهلها، وأخبر أصحابه بالقصة، فكذبوه، فأراهم ذلك فصار يعد من الشجعان .

ومن الثالث: ماحكىعن حبوبة بن حباب الطابخى أنه حين قتل أبوه رجلاً من كلب[1] من فخذ وبرة، ووجبت عليه الدية رهنه صغيرًا مع أمه، وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم وأنه كان شابًا حسنًا جميلاً فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه، فوقع بعدما قتل أخا امرأة اشتهر بها إلى بلقين فأجاروه، ففعل عندهم مافعل فى كلب واشتدوا عليه، فجاء إلى أمه ليلاً فأخفته وأخبرت ظئرا لها.

فقالت: ادفعيه إلى فأخذته فجعلته فى متاع لها خارج البيت ومَرَّ عَدِى رئيس بنى كلب .

فقال: ما هذا ؟

قالت: متاعى وأنا على سفر وأريد أن تجيره .

فقال: قد أجرته، وحمله إلى بيته، وقد أنكره، ففتش فرآه .

فقال: لاحياك الله، وخرج فأقام عنده زمانًا فعلق ابنته وطال بينهما الأمر .

فأنشد فيها :

مَازلتُ أَطْوِى الحىَّ اسمعِ جِسْهمْ ... حَتىَ وقفتُ علىَ رَبيبةِ هَوْدجِ

فَوضعْتُ كَفى عِنْدَ مَقْطعِ خِصْرِهَا ... فَتنفستْ صعدًا ولما تَنهجِ[2]

وتَناولتْ رأسِي لتعلمَ مَسَّهُ ... بمخضَبِ الأطرافِ غَيَر مُشنجِ[3]

قَالتْ وَعيشِ أبى وحرمةِ والدىِ ... لأُنبهنَ الحىَّ إن لَم تخرجِ

فَخرجتْ خِيفةَ أهلِهَا فَتبسمتْ ... فَعلمّتُ أنَّ يمينها لم تحرجِ

وبلغ عدى بن أوس ذلك فقتله .

---

(١) بنو كلب بن وبرة: بطن من قضاعة، من القحطانية. وهم: بنو كلب ابن وبرة، كانوا ينزلون دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشام. انظر: معجم قبائل العرب (٣/٩٩١).

(٢) تنهج: من نهج: إذا تتابع نفسه وأخذ يلهث. انظر: لسان العرب، مادة [نهج].

(٣) مشنج: من شنج: إذا تقبض وتقلص. انظر: لسان العرب، مادة [شنج].

Marfat.com

ومن الثالث: قصة وضاح اليمن[1] المشهورة واسمه إسماعيل أو عبد الله أو عبد الرحمن ابن كلال .

وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه، وأنه نشأ مع أم البنين[2] بنت عبد العزيز صغيرين ، فكان لايصبر أحدهما عن الآخر ، فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما، فحين أفضت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك ، وقيل : ليزيد والصحيح الأول لما سبق فى قصة حبابة، وذكر زوجات يزيد ؛حجبها، فازداد بوضاح الأمر حتى نحل.

فخرج إلى الشام فكان يطوف بالقصر إلى أن ظفر بجارية أم البنين ، فأخبرها بمكانه وأنه ابن عم مولاتها، فأخبرتها فأدخلته فى صندوق ، فكانت إذا أمنت تمكث معه وإذا خافت أدخلته الصندوق، وجىء للوليد بجوهر نفيس فأمر خصيًا بحمله إليها فحين دخل الخصى وجد وضاحًا فأدخلته الصندوق ، واستوهبها الخادم لؤلؤة ، فأبت فمضى وأخبر الوليد ،فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق ، فأبت فراجعها فوهبته إياه، واحتمله إلى مجلسه.

فلما جاء الليل أمرغلمانه فحفروا إلى الماء، ثم قال مشافها للصندوق خفية: قد بلغنا عنك أمر، فإن كان صحيحا فقد كافأناك، وإلا فما علينا فى دفن الخشب ، ورماه ورمى الخصى حيًا ،وقيل: ضرب عنقه حين أخبره وأهال التراب و لم يبين لها غيظًا.

وقيل: فارقها، وإنها كانت تأتى المكان فتبكىفوجدت ميتة فيه .

وقيل: إنه لم يقتله بذلك وإنما شبب[3] بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشارفيما يفعل به .

---

(١) وضاح اليمن، هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال، من آل خولان. من حمير، شاعر، رقيق الغزل، عجيب النسيب ،كان جميل الطلعة، قدم مكة حاجًا فى خلافة الوليد، فرأى أم البنين بنت عبد العزيز، فتغزل بها ، فقتله الوليد سنة (٩٠هـ) . انظر: الأغانى (٦/٣٠) ، الأعلام (٣/٢٩٩).

(٢) أم البنين، هى:بنت عبد العزيز، زوجة الوليد بن عبد الملك، من ربات الفصاحة والبلاغة. انظر: أعلام النساء (١/١٥٠).

(٣) شبب : مدحها فى شعره وذكر جمالها . انظر : القاموس المحيط ، مادة[شبب].

Marfat.com

فقيل له: أكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته، فأبى إلا قتله.

ومنه أيضًا :سحيم وهو حبشى نشأ فى بنى الحسحاس[1]، وكان أعجميًا غليظًا ، ثم تخرج فى الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان.

فقال: لاحاجة لى بمن إذا شبع شبب بالنساء، وإذا جاع هجا، فرده، فاشتراه رجل منهم اسمه أبو معبد فعلق ابنته وإنهم خرجوا إلى سفر فتشوق أبو معبد إلى ابنته.

فكان يتمثل بهذا البيت:

عُميرة ودعْ إن تجهزتَ غاديًا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيًا

فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت.

فمنها فى التشبيب بابنة مولاه :

وبتنا وسادانا إلى علجانة وحقف تهاداه الرياح تهاديا[2]

توسدنى كفا وتثنى بمعصم على وتحوى رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة ولا ثوب إلا درعها ورداثيا

فمازال ثوبى طيبًا من نسيمها إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه.

فأنشد :

وماكنت أخشى جندلا أن يبيعنى بشئ ولو أمست أناملة صفرا

أخوكم ومولى مالكم وربيكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرًا

أشوقًا ولما يمض بى غير ليلة فكيف إذا سار المطى بنا عشرا

فرق له، فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه إلى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به.

---

(١) بنو الحسحاس: الحسحاس بن مالك ، بطن من بنى النجار، من الخزرج، من القحطانية، وهم: بنو الحسحاس بن مالك بن عدى بن النجار. انظر: معجم قبائل العرب (٢٧١/١).

(٢) علجانة: شجيرة تنبت فى الصحارى ذو رائحة عطرة. الحقف: ما استطال واعوج من الرمل. انظر: لسان العرب، مادة [علج]، [حقف].

Marfat.com

فأنشد :

أبـا معبـد بئـس العراضـة للفتـى ... ثمـانون لم تـترك لحلفكـم جلـدا[1]

كسـونى غـداة البـين سمـرا كأنهـا ... شـياطين لم تـترك قـرارًا ولا عهـدا

فمـا السـجن الا ظـل بيـت دخلتـه ... وما السـوط الا جلـدة خـالطت جلـدا

أبـا معبـد وا الله مـاحل حبهـا ... ثمـانون سوطًا بـل يزيـد بهـا وجـدا

فـإن يقتلونـى يقتلـوا ابـن وليـدة ... وأن يـتركونى يـتركوا أسـدا وردا[2]

غـدا يكـثر البـاكون منـا ومنكـم ... وتـزداد دارى مـن ديـاركم بعـدا

فلما علم مولاه إصراره أحرقه .

ومن الأول المتجردة وهى امرأة المنذر بن ماء السماء، وكانت من أعظم نساء العرب جمالاً، فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل، فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يومًا النابغة[3] أن يصفها.

فقال :

وإذا طعنـت طعنـت فـى مسـتهدف ... رابـى المجسـة بالعبـير مقرمـد[4]

وإذا نزعـت نزعـت عـن مسـتحصف ... نـزع الحـزور بالرشـاء المحصـد[5]

---

(١) العراضة: الهدية يهديها القادم من السفر. انظر: لسان العرب، مادة [عرض].

(٢) ابن وليدة: الخادم الشاب.وردا: ما كان أحمر ضارب إلى الصفرة. انظر: لسان العـرب، مـادة [ولد]، [ورد].

(٣) النابغة، هو: زياد بن معاوية بن ضباب، الذبيانى، الغطفانى، أبو أمامـة، شـاعر جـاهلى، مـن أعظم شعراء الجاهلية، كانت تضرب له قبة حمراء فى سوق عكاظ فيحتكم فى شعر الشعراء. كان أحد أشراف الجاهلية ومن ندماء النعمان بن المنذر. من آثاره : دواوين شعر. انظر: سير النبلاء أعلام (٣/٥٥).

(٤) طعنت: من طعن فلان إذا عاب عليه شيء، أو دخل فى الشيء. مستهدف: من كان هـدف لشيء. رابى: من ربى: إذا على وارتفع. المجسة: موضع الجس. مقرمد: من قرمده بالعطر ،إذا طمخه به. انظر: لسان العرب، مادة [طعن]، [هدف]، [ربا]، [جسس]، [قرم].

(٥)نزعت: من نزع الشيء: إذا كف عنه وانتهى. الحزور: الرجل القوى. الرشاء: الحبل، أو حبل الدلو. المحصد:الشديد القتل. انظر: لسان العرب، مادة [نزع]، [حزر]، [رشا]، [حصد].

Marfat.com

فقال المنخل[1]: هذا وصف معاين، وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفًا، فلما خرج النعمان إلى الصيد رجع بغتة، فوجد المتجردة مع المنخل قد ألبسته أحد خلخاليها وشدت رجله إلى رجلها فقتله وله فيها :

إن كنت عاذلتى فسيرى ... نحو العراق ولا تحورى[2]

ولقد دخلت على الفتا ... ة الخدر فى اليوم المطير

والكاعب الحسناء تر ... فل فى الدمقس وفى الحرير[3]

فدفعتها فتدافعت ... مشى القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبى البهير

فرثت وقالت هل بجس ... مك منخل من فتور

ما شف جسمى غير حب ... ك فاهتدى وعنى وسير

وأحبها وتحبنى ... ويحب ناقتها بعيرى

ولقد شربت من المدا ... مة بالصغير وبالكبير

فاذا سكرت فاننى ... رب الخورنق والدير

وإذا صحوت فإننى ... رب الشويهة والبعير

باهند هل من ناهل ... يا هند للعانى الأسير[4]

ومن الرابع مايحكى عن سليمان بن عبد الملك ،وكان شديد الغيرة أنه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان ،وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان، فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا ياسنان لم تكرمنا مالم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر.

---

(١) المنخل، هو: ابن مسعود بن عامر، من بنى يشكر ، شاعر جاهلى، كان ينادم النعمان بن المنذر، فشغفت به امرأة النعمان فعمدت إلى قيد فجعلت رجلها فى إحدى حلقتيه ورجله فى أخرى شغفًا به، فجاء النعمان فوجدهما على هذه الحالة فقتل المنخل سنة (٢٠ق هـ) انظر: الشعر والشعراء (١٥٠) ، الأغانى (١٥٨/٩) ، الأعلام (٢٩١/٧).

(٢) تحورى: من حار: إذا رجع. انظر: لسان العرب، مادة [حار].

(٣) الدمقس: الحرير. انظر: لسان العرب، مادة [دمق].

(٤) العانى: الذليل. انظر: لسان العرب، مادة [عنى].

Marfat.com

فأنشد :

محجوبة سمعت صوتى فأرقها ... فى آخر الليل لما بلها السحر

تثنى على فخذها مثنى معصفرة ... والحلى منها على لباتها حصر[1]

لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها الطروق الصوت منحدر

فى ليلة النصف مايدرى مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر

لو خليت لمشت نحوى على قدم ... يكاد من رقة المشى ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعًا يتفهمه، وكانت عنده جارية اسمها عوان، وكان يحبها حبًا شديدًا وهى مشهورة بالجمال. فجاء إليها فرآها على صفة الأبيات، وكانت يقظانة، فلما فطنت به قالت: يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال :

ألا رب صوتى جاءنى من مشوة ... قبيح المحيا واضع الأب والجد[2]

قصير نجاد السيف جعد بنانه ... إلى أمه يدعى معًا وإلى عبد

فسكن ما به وقال : قد راعك صوته ،قالت: صادف منى يا أمير المؤمنين فحلف ليقتلنه، فأرسلت عبدا يحذره، وقالت: إن لحقته قبل فلك ديته وأنت حر، فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر إليه ملياً ، ثم قال: أنت المجترئ ويلك ؟

فقال: أنا فارسك فاستبقنى، فقال: لا أقتلك ولكن أزيل تفحلك ،وأمر به فخصى وألقى فى دير الخصيان .

قالوا: وفى ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة، فكتب إلى عامله أن أحصهم يعنى اضبطهم لننظر فى أمرهم . فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم، فقال: **كل عند خصيه** كلمة سارت مثلاً .

فقال طويس: ما هذا إلا ختان أعيد علينا . وقال دلال: بل هو الختان الأكبر. وقال نسيم السحر: بالخصى صرت مخنثًا حقًا . وقال نومة الضحى : بل

---

(١) لباتها، جمع اللبة: موضع القلادة من العنق. حصر: من حصره: إذا حبسه. انظر: لسان العرب، مادة [لبب]، [حصر].

(٢) مشوة: قبيح. انظر: لسان العرب، مادة [شاه].

Marfat.com

صرنا نساء حقًا . وقال ابن الفؤاد: استرحنا من حمل ميزاب البـول معنـا . وقـال ظل الشجر: ما نصنع بسلاح لايستعمل .

ويروى: أن الذى سمعه سليمان لم يكن سنانًا الكلبى بـل كـان سميرا الأيلى وفى الرواية بدل: **محجوبة، وعادة سمعت** وبدل قوله: **فى ليلة النصف، فى ليلـة البدر** وهو أليق فى هذا المقام لأن القمر وإن لم ينقص ليلة النصف، فهو فى ليلـة البدر أبهج و لم يلهج الشعراء إلا به وإن سليمان قال حين روجع فى خصيه : إن الفرس يصهل فتستودق[1] الحجر[2] ، والفحـل يخطـر[3] فتضبـع[4] الناقـة والتيـس ينب[5] فتستحرم[6] العنز والرجل يغنى فتشبق[7] المرأة .

ومن الثانى ما حكى أنه كان فى بنى إسرائيل رجـل صـالح يعمـل بالمسـحاة لفقره وكان عنده امرأة مفرطة فى الجمال، وكان إذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديـم طعـام ونحـوه، وإن عجـوزا دخلـت عليهـا فتـأملت حسـنها، وذهبـت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على أن تخلصها له، فقالت لهـا كيف تذهبين هذا الجمال مـع رجـل يعمـل بالمسـحاة، ولـو طـاوعتنى لزوجتـك بالملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته .

فجاء فلم تقم إليه على العادة، و لم تقدم له شيئًا، فقال: ما هذا ياهناه ؟

قالت: هو ماتراه .

فقال: أطلقك .

قالت: نعم . ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر إليها كُفَّ ومد يده فشـلت، فرفع الأمر إلى نبى ذلك الزمان، فجاءه الوحى أن بعينى ما فعل بصاحب المسحاة

---

(١) تستودق: من ودق: إذا دنا منه وأمكنه منه. انظر: لسان العرب، مادة [ودق] .

(٢) الحجر: الفرس الأنثى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لايشركها فيه المذكر . لسان العرب، مادة [حجر] .

(٣) يخطر: من خطر: إذا اهتز فى مشيه وتبختر. انظر: لسان العرب، مادة [خطر].

(٤) تضبع: من ضبعت الدابة: إذا أرادت الفحل. انظر: لسان العرب، مادة [ضبع].

(٥) ينب: من نب التيس: إذا صاح. انظر: لسان العرب، مادة [نبب].

(٦) تستحرم : كل أنثى من ذوات الظلف خاصة إذا شتت الفحل انظر :لسان العرب، مادة [حرم] .

(٧) تشبق: من شبق الحيوان: إذا اشتدت شهوته. انظر: لسان العرب، مادة [شبق].

Marfat.com

وقد ساق هذه الحكاية فى النزهة فى باب من عشق بالسماع، وذكر أن المرأة أيضا فُلِجَت وأنها ماتت بعد سبعة أيام .

ومنه الزرقاء جارية ابن رامي كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء، وافتتن بها غالب أهل زمانها، وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرًا. فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها، فدخل عليها ومعه لؤلؤتان، فقال لها: قد بذل لى فيها أربعون ألف درهم .

فقالت: هبهما لى .

فقال: افعل إن شئت .

قالت: شئت، فحلف لايعطيهما لها إلا من فمه إلى فمها .

فغمزت الخادم فخرج، وكان يزيد واقفًا منكسرا بين يديها، يعنى كاتفًا يديه، فجلس مقعيًا؛ يعنى على رؤوس أصابعه وتقدم إليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت علية فأخذتهما وقالت: المغلوب فى استه[1] عود فقال: أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى أنفى وفمى ماحييت أبدا، وإنها أفضت إلى جعفر بن سليمان ، وأبوه عامل المنصور، فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه الأيام .وقد خرج عليهم خارجى فغمز جعفر الخادم فأخرجها إليه فقبلت رأسه واجتلبته فرضى ولم يعتب بعدها ، وأن جعفرًا قال للزرقاء يومًا: هل تمكن أحدٌ من محبيك يومًا منك بشئ؟ فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بمواقعة الصيرفى، فاحتال عليه حتى اعترف بما نسب إليه فضربه حتى مات .

ومن الثانى ماحكى أنه كان فى بنى إسرائيل، رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لايصبر عنها ساعة، فتزوج بها وأقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله، فمضى إلى المسيح عليه السلام وسأله أن يحييها له، فقال: لايتيسر إلا أن تهبها من عمرك شيئًا فقال: قد وهبتها نصف عمرى، فأحياها له ومضيا وقد لحق عبودًا تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام،

---

(١) استه: الاست : المقعدة . انظر: لسان العرب، مادة [أست].

Marfat.com

فمرملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو أيضًا فعرض عليها أن تكون معه، فأجابته فحملها فى قبة، وانتبه عبود فلم يجد أحدًا فقام مرعوبًا، فوجد قومًا من المارة ينعتون حسنها، فسألهم فأخبروه بأنها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهى ساكتة .

فقال لها: قد كنت مت وسألت المسيح فى إحيائك، ووهبتك نصف عمرى على أن تكونى معى، فحيث لم ترضى فردى على ماوهبتك .

فقالت: قد رددته، فما خرجت الكلمة حتى ماتت.

ومن الثالث ماحكى عن لقمان بن عاد[1]، الذى كان يضبط عمره بأن يمسك النسر من حين خروجه من البيضة إلى أن يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ماقيل مائة عام، أنه كان مغرمًا بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه، فتزوج جارية صغيرة وجعلها فى بيت نقره فى جبل لايصعد عليه إلا بالسلاسل، وأن عمليقاً[2] نظرها فوقعت من قلبه، فأمر قومه فشدوه فى حزمة سيوف واستودعوها لقمان مدة فوضعها فى بيته، فلما خرج تحرك العمليق فحلته الجارية فكان يكون معها إلى أن يأتى لقمان فتجعله فى السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها، ثم جلس فنظر إلى نخامة فى سقف بيته، فسألها عمن فعلها. قالت: أنا، فأمرها أن تفعل فقصرت لأن النساء لايقدرن على رفع النخامة إلى الأعلى لضعف مزاجهن، فقال: ياويلتاه والسيوف دهتنى، ثم رمى المرأة من أعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فضربها بحجر فكسر رأسها . فضربت العرب أمرها مثلا لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم،ما أذنبت إلا ذنب صخر يعنى ابنة لقمان .

ومن الثانى ماحكى أن رجلا عشق ابنة عمه حتى فنى فى حبها، فتزوج بها فكان لايصبر عنها ساعة، وكان يجالس الناس فلم يصبر إلى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع .

---

(١) لقمان بن عاد، هو: ابن ملطاط، من بنى وائل ، من حمير ، معمر جاهلى قديم، من ملوك حمير فى اليمن، يلقب بالرائش الأكبر، وهو غير لقمان الحكيم. انظر: الروض الآنف (٢٦٦/١) ، الأعلام (٢٤٣/٥).

(٢) العمليق ، تصغير عملاق .

Marfat.com

وأن ابن عم لها غيره اكترى[1] دارا إلى جانبها وراسلها، فوقع حب كلٍّ عند الآخر. فنزلت إليه، ودخل زوجها فلم يجدها وسأل أمها فقالت: تقضي حاجة ، فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها، وإذا هى قد أتت من الدار فعزم عليها أن تصدقه أين كانت.

فقالت: أما إذا عزمت على فإننى أصدقك ، وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق أمها وهرب، فكان كثيرًا مايتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتى.

الصنف الثانى: فى ذكر من اشتدت به الغيرة إلى أن خامرته الحيرة فجرته إلى تهمة محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه.

حكى أن عبد السلام بن رغبان الكلبى[2]، وقيل : عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصى، كان أديبًا حاذقًا ،شاعرًا لبيبًا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة، والغزل والظرافة إلا أنه كان من أعظم الفساق بين العشاق، وأجمعهم للقساوة والاشتياق .

وأنه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك فى حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما، وكان يجعل الجارية عن يمينه، والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام أخرى، ولم يزل كذلك إلى أن أحس نفسه من شدة الحب أنه سيموت ويصيران إلى غيره فذبحهما وحرقهما، وعمل من رمادهما برنيتين[3]، فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق ، وأشعاره فى ذلك متضافرة .

ومن أحسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله :

يا طلعة طلع الحمام عليها فجنى لها ثمر الردى بيديها[4]

---

(١) اكترى، من كرى: إذا استأجر الشيء . انظر: لسان العرب، مادة [كرى].

(٢) عبد الله بن رغبان الكلبى، هو:شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسى ، سمى بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، أصله من سلمية، ومولده ووفاته بحمص، توفي سنة (٢٣٥هـ) . انظر: وفيات الأعيان (٢٩٣/١) ، الأعلام (٥/٤) .

(٣) برنية: إناء من خزف. انظر: لسان العرب، مادة [برن].

(٤) الحمام: الموت. انظر: لسان العرب، مادة [حمم].

Marfat.com

حكمت سيفى فى مجال خناقها ... ومدامعى تجرى على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتى من شفتيها
فوحق نعليها لما وطئ الحصى ... شئ أعز على من نعليها
ما كان قتليها لأنى لم أكن ... أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها ... وأنفت من نظر العيون إليها

ومن لطيف شعره أيضًا :

جاءت تزور فراشى بعدما قبرت ... فظللت الثم نحرًا زانه الجيد
وقلت قرة عينى قد بعثت لنا ... فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظام فيه مودعة ... تعبث فيها بنات الأرض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة ... هذى زيارة من فى القبر ملحود

وعند تقبيل برنية الغلام :

أشفقت أن يرد الزمان بغدره ... او ابتلى بعد الوصال بهجره
فمرقد استخرته من دجنه ... لبليتى وأثرته من خدره[1]
فقتلته وله على كرامة ... فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتًا كأحسن نائم ... والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده ... بالحى منه بكى له فى قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه ... ويكاد يخرج قلبه من صدره[2]

ومن لطيف شعره فى الدعاء على المحبوب :

كيف الدعاء على من جار أو ظلما ... ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من أهوى بجفوه ... عنى ولا اقتص لى منه ولا ظلما

ومما أرخه الفرس عن أردشير[3] ملك الطوائف ، أنه لما حضر "ثرثار" ، وهى

---

(١) دجنه: من دجن: إذا أقام بالمكان. انظر: لسان العرب، مادة [دجن].
(٢) غصص، جمع غصة: ما غص به الإنسان، أو الحزن والهم. انظر: لسان العرب، مادة [غصص].
(٣) أردشير، هو:ابن بابك بن ساسان بن بابك، مؤسس سلالة الساسانيين فى فارس. انظر: تاريخ الطبرى (١/٣٨٩).

Marfat.com

قلعة فى برستجار من مـدن الشرق استعصم بهـا ملكهـا المعـروف بالسـاطرون وطال الأمر فصعدت ابنته يومًـا على القلعـة فـرأت أردشـير فعلقتـه فرمـت إليـه بكتاب فى نشابة[1] فيه إن أنت شرطت لى أن تـتزوجنى ، عرفتـك كيـف تـأخذ القلعة، فراجعها أنى شرطت لك ذلك ، فدلته .

فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شئ يؤالمها فـى الفراش فكشفوا فإذا هى باقة نرجس فتفكر فى رقة جلدها، فقـال لهـا: مـا كـان يطعمك أبوك؟ قالت: الشهد ومخ العظم والزبد .

فقال: إذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بى، واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها .

وحكى صاحب محاسن البلدان ونزهـة الأزمـان ، أن لكـل إقليـم اختصاصًـا بصفة وتمييزًا بحالة تغلب عليه من قبل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويـات وغيرها .

إن مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعـرف عندهـم بـالتوأمين ، والعـذراء والمؤنثة ، ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعـدم الانضبـاط علـى حالـة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة . وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم .

قال: ألا ترى إلى لطف العزيز وتغافله، وقد رأى زوجتـه متهيئـة للخلـوة مـن غلق الباب ونحوه، ولم يكن عالمًا بعصمة يوسف عليه السلام ليقال إنه اسـتند إلى ذلك، ومع هذا قال للرجل: أعرض عن هذا، وقال للمرأة استغفرى لذنبك .

وعكس ذلك الإقليم الخامس فقـد وضـع فـى طـالع المريـخ ومقتضـاه الغلظـة واليبس والقسوة وسفك الدم . ألا ترى أن ملكا من ملوك الأندلس كـان شـديد الكلف بجارية عنده حتى أنه كان لايستطيع عنها صبرًا . فجلس مع ندمائه يومًـا وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتًا، فلما انقضى المجلس جئ بطست فوضع بـين يـدى مسـتعيد الصـوت ، وقـال لـه الملـك : اكشـفه، فـإذا فيـه رأس مقطوع، فقال له: استعد الصوت منها، فقام مريضًا، وقد نقل الحكاية أبو حيـان فى تفسيره ملخصًا .

---

(١) النشابة: السهم. انظر: لسان العرب، مادة [نشب].

Marfat.com

الصنف الثالث :فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه فصنع من الحيل ما أفضى إلى قتله وقتل من شاركه فى فعله.

حكى لى رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، أن رجلا موصليًا علق امرأة فزاد بها وجده، فكان يصبر عنها ساعة، وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة . وجاء يومًا فوجدها تأكل فى طعام لم يكن جاء به هو، فسألها عنه، فقالت: من بعض أهلى. فداخله من ذلك شئ قوى عنده، وتجسس عن أمرها فلم يقع على شئ فمضى وركب دواء سميًا، ثم جاء به إليها فقال: احتفظى بهذا فإنه باهى[1] ، فقالت: كل منه، فأكل ورفعت الباقى، ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضًا فوجدها والرجل ميتين، فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقى السم فمات من ليلته.

ورأيت فى الشهنامة الفارسية ماترجمته أن أبرويز[2] أحد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيره بديعة فى الحسن وقد بلغ ثمانين سنة، فوجد بها وازداد عشقه لها وهى تظهر حبه وتخفى بغضه، وعلقت ولده واشتد ميلها إليه، وإن الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه أن تزهق، وعلم أنه إن أظهر أنه ر آهما، أمرت المرأة ولده بقتله، فرجع وأخذ فى تدبير الحيلة، فأخذ كتابًا، وسم ورقه، وجَلَّدَه بالذهب ، ورصعه بالجواهر، وأودعه صندوقًا وجاء به إلى المرأة، فقال لها: قد علمت ماحوت يدى من الذخائر والنفائس ، غير أنه لم يكن يعدل نفسى إلا هذا الصندوق فاحتفظى به ، وعلم أنها ستطلع عليه. فلما خلت به أخبرته القصة، فقال: على بالصندوق ، فأحضرته ففضه فلم يجد إلا الكتاب مطبوقا، فحاول فتحه فوجد ورقه معتلقًا بعضه ببعض، فجعل يبل أصبعه من ريقه ويتصفح الأوراق فلعب السم فيه ، وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين .

---

(١) باهى : نسبة إلى الباه وهو النكاح . انظر لسان العرب ، مادة [بوه] .

(٢) أبرويز ، هو : كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . كان من أشد ملوك الفرس بطشًا، وأنفذهم رأيا ، وأبعدهم غورًا. انظر: تاريخ الطبرى (٤٦٤/١).

Marfat.com

ووقفت فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق[1] على كتاب لم أعرف مؤلفه، سماه **درر الأفكار فى التحريض على تزويج الأبكار** ، ذكر فيه ما ملخصه .

أن قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب ؛ لأن حكماءهم يقولون إن المرأة لا تلقى مقاليد[2] طاعتها، ولاتصدق لطائف شهوتها، ولا تظهر حسن مودتها إلا لمن يفض ختام بكارتها؛ لأنه القاطف لزهر محاسنها والمجتلى[3] على أول مطالع بدر مواطنها، فإن وقع منها لغيره ود فنادر لا يعتد به ونزر لاينبغى التمسك بسببه . ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة.

وأن ملكًا تجاوز الستين ولم يرزق ولدًا، وكان ذا ملك عظيم، ومال ورزق جسيم، فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه . فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر فى ذلك، فرأوا أنه إن تزوج من الحبشة رزق ولدًا يكون له الملك .

فأرسل فجئ له ببنت، فاختاروا له طالعًا يبنى بها فيه وواقعها، فحملت وجاء بذكر صحيح سوى حسن الخلقة، فأولم الملك أربعين صباحًا ونشأ الولد فحفظ الأدب والحكمة، وأن أباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه، فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة للملك ، فأرادوا تحويله عنها فأبى، فزوجه بها على غضاضة[4] فى نفسه.

ودخل فوجدها ثيبًا ، فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها، وأن أمه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن فى حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حبًا لها، فكن يخبرن الملك ، فيقول: إن صدق الحدس فإنها ثيب ، ولا يستطيع أحد أن يكلمه فى أمرها.

---

(١) دمشق : عاصمة سوريا ، تقع على نهر بردى ، فى طرف بادية الشام ، عاصمة الخلافة الأموية.حاليًا مركز تجارى وسياحى . انظر : معجم البلدان (٥٢٧/٢) .

(٢) مقاليد: جمع المقلد: المفتاح. انظر: لسان العرب، مادة [قلد].

(٣) المجتلى: من جلى بنظره: أى نظر ورمى به. انظر: لسان العرب، مادة [جلى].

(٤) غضاضة: أى احتمال الشيء على كره ورخصه له. انظر: لسان العرب، مادة [غضض].

Marfat.com

فلما أفضى الملكُ إليه بعد والده ، دخل يوما فوجدها كالتى فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها، وكان إذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما ، وهذه والتى تغيب حال الفعل تسمى الربوخ، فسألها عن العلة، فأجابت أنها تشكو صداعا وكان عارف بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره أن يغضبها ،فأمسك وتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع فى الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها إلى بيتها فوضعها فى صندوق محرز[1] فى خزانة سره، وأخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها أن ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وأنه يقوى الأعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة.

وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب إلى أن علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فأوهمها الأخذ من الدهن ووضع ذلك فيه وأعلمها أنه خارج فى شغل يقيم فيه سبعة أيام، وخرج بعسكره من البلد، ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيًا ، فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسأل عن الرجل فإذا هو جارها نشأ معها صغيرًا، فعلم أنه الذى أزال بكارتها . ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه مايذهب عقله فيقوم إلى الخلوة ويذكر عشقها للسوقة عليه وإيثارها الأرذال ، فيسكن ما به، ويعود فلم يزل أيامًا على ذلك حتى غلب الحب على التأسى فمات .

الصنف الرابع :فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد للكل باب عقوبة الفساق، وأهل العشق الصحيح بريؤون من الإثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم .

فمن أهل هذا الصنف ماحكىعن عمر بن الخطاب ﷺ ، أنه آلى أن لايهدر دم مسلم . فأتى يوما بشاب أمرد[2] مقتول، فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاء به أمره ، وقال: أرجو أن لايفوتنى، فلما كان بعد حول رأى

---

(١) محرز: محفوظ: انظر: لسان العرب، مادة [حرز].

(٢) أمرد : الشاب الذى بلغ خروج لحيته وطرَّ شاربه ولم تبد لحيته . انظر لسان العرب ، مادة [مرد].

Marfat.com

طفلا ملقى موضع الشاب فقال: قد أدركت ما أطلبه وأخذه فسلمه إلى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج إليه، وقال لها إذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فأعلميني بها . فجاءت جارية يوما إلى المرأة، فقالت: إن سيدتى تطلب الغلام ساعة فمضت به إليها فرشفته وضمته ثم دفعته إلى المرأة. فجاءت إلى عمر فأعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى إلى الباب، فإذا أبوها شيخ من الأنصار قد كبر، فقال: أين ابنتك، فقال: بالبيت، فقال: كيف سيرتها، فقال: على أحسن حال من طاعة ا لله ورسوله والقيام بحقى، فقال: مكانك حتى أدخل عليها وأعظها، فقال: افعل، فاستأذن عليها، فحين صار عندها، قال: أصدقينى مافعلت وإلا رميت عنقك، فقالت: يا أمير المؤمنين إنى وا لله محدثتك بما كان لا أكذبك شيئاً ، اعلم أن عجوزا كانت تدخل على من الصغر وتخدمنى إلى أن صرت كما ترى وأنا أظنها صالحة، فقالت لى يومًا: قد عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن أن أتركها فى البيت، فأريد أن أجعلها عندك حتى أعود فقلت: كرامة، فمضت وأحضرت شخصا مؤزرا[1] مبرقعا[2]، فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدرى فنال منى فعمدت إلى شفرة بالقرب منى، ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت .

فبعد مدة رأيت أنى حامل ، فلما وضعت جعلته مكانه، فدعا لها وجزاها خيرًا وأوصى أباها بها .

ومنهم : أعرابى من أسد .

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة، فقدمت له مايحتاج إليه، فلما لم ير عندها أحداً سامها[3] نفسها ، فقالت: على رسلك لأصلح من شأنى وغابت، ثم جاءت وقد أخفت مدية فوثب ليعانقها، فضربته بها فى نحره فخر ميتًا، وسقطت حين رأت الدم .

وجاء بعض أهلها وهى على تلك الحالة، فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته

---

(١) مؤزرًا : لابس الإزار، أى الملحفة، أو كل ما يستر الإنسان. انظر: لسان العرب، مادة [أزر].

(٢) مبرقعًا: لابس البرقع، أى ما تستر به المرأة وجهها. انظر: لسان العرب، مادة [برق].

(٣) سامها: السَّوم أن تجشم إنسانًا مشقو أو سوء أو ظلمًا والسوم التكليف ، لسان العرب، مادة [سوم].

Marfat.com

القصة، فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل: جعفر بن أبى علية[1]، وقيل صيفى بن سعيد الباهلى ، وقيل غيرهما هذه الأبيات :

لعمرى لقد أخفت معاداة ضيفها ... وسوت عليه مهده ثم برت

فلما بغاها نفسها غضبت لها ... عروق نمت وسط الثرى فاستقرت[2]

وشدت على ذى مدية الكف معصما ... وضيئًا وعزت نفسها فاستمرت

فأمت بها فى نحره وهو يبتغى ... النكاح ومرت فى حشاه وجرت[3]

فنخ كأن الغيل فى جوف صدره ... وأدركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ماحكى أن رجلاً أضاف بنى هذيل، فحين خرج من البيت رأى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فتعاسفا[4] فأخذت حجرا فضربته به ففضت كبده، وبلغ عمرَ فقال: هو قتيل لايودى[5].

وغزا رجل فخرج جاره فرأى فى بيته مصباحًا وأنصت فسمع قائلا يقول :

وأشعث غرة الإسلام منى ... خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت على ترائبها ويضحى ... على جرداء لاحقة الحزام[6]

كأن مواضع الربلات منها ... فئام ينتمين إلى فئام[7]

فدخله فقتله، وكان فى عهد عمر أيضًا . فلما أصبح أعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل إلا خيرًا، فقال له: اقتله . فقال: قد فعلت فجزاه خيرًا واقتدى به فى عدم إيذاء الفاسق عبدُ الملك بن مروان وقد حمل إليه رجل راود

---

(١) جعفر بن أبى علية ، هو:ابن ربيعة الحارثى، أبو عارم. شاعر غزل مقل، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. توفى سنة (١٤٥هـ). انظر: الأغانى (٣/٣) الأعلام (١٢٥/٢).

(٢) بغاها: من بغى الشىء: طلبه. انظر: لسان العرب، مادة [بغى].

(٣) فأمت: من أمه: أى قصده واتجه إليه. انظر: لسان العرب، مادة [أم].

(٤) تعاسفا : من عسف الشىء : إذا أراد أخذه بقوة. انظر: لسان العرب، مادة [عسف].

(٥)لايودى : ليس له دية . القاموس المحيط ، مادة [ودى] .

(٦) ترائبها، جمع تريبة: عظمة الصدر، أو أعلى الصدر. انظر: لسان العرب، مادة [ترب].

(٧) الربلات، جمع ربلة: أصل الفخذ. الفئام: الجماعة من الناس. انظر: لسان العرب، مادة [ربل]، [فأم].

Marfat.com

امرأة عن نفسها فأغلقت بينها وبينه، فأدخل رأسه فشدخته[1] وقال: لايودى .

وأما مصعب بن الزبير فأخذ دية رجل وجده رجل مع زوجته فقتله .

ومنهم : ماحكى عن عبد ا لله بن سبرة .

أن امرأة مغيبة يعنى غاب عنها زوجها أرسلت إليه، فلما جاء أخبرته أن رجلا يسومها نفسها، فقال: ابعثى إليه ، واختفى ، فلما جاء قام فقتله، وأمر الجارية فحفرت حفرة وألقاه فيها، وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين دينارًا، وقال: اشتر بها خادمًا وقال: كل حديث جاوز اثنين شائع .

وكان عبد ا لله هذا من أعظم الناس مروءة حتى قيل: إن شاميًا اسمه فيروز خرج إلى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة، فقالت: ياعبد ا لله بن سبرة، وبلغه فخرج من أذربيجان[2] فى طلب العطار إلى الشام حتى قتله .

منهم : ماحكى عن جويرية بن أسماء عن عمه .

قال: خرجنا نريد الحج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة، فلما أصبحنا إذا حية قد التفت على عنقها، فخفنا من ذلك فلم تزل إلى أن دخلنا الحرم فانسابت .

فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض[3] يقول للمرأة: أى شقية أين حيتك ؟ فقالت: فى النار . فقال: ستعلمين من فى النار، فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لى وبينه وبين الغريض صداقة أن يمضى بنا إليه لنسمع من غنائه . فلما سرنا عنده أكرمنا وسأله صاحبى الغناء فغنى :

مرضت فلم تحفل على جنوب ... وأدنيت والمشى إلى قريب

فلا يبعد ا لله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب[4]

---

(١) فشدخته: من شدخ رأسه: كسره. انظر: لسان العرب، مادة [شدخ].

(٢) أذربيجان: إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى سابقًا. تقع على بحر قزوين، وحدود إيران، منطقة نفط. انظر: معجم البلدان (١/١٥٥).

(٣) الغريض ، هو: عبد الملك، مولى العبلاق، من مولدى البربر، من أشهر المغنيين فى صدر الإسلام، ومن أحذقهم فى صناعة الغناء، توفى سنة (٩٥هـ) انظر: الأغانى (٢/٣٥٩)، الأعلام (٤/١٥٦).

(٤) صبونا إليه: حننا له. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

Marfat.com

واستعدناه الصوت، فغنى قول المجنون (عفا الله عن ليلى) الأبيات السابقة،فتخيلنا أن الجبال ترقص طربا، ثم استزدناه عند الوداع، فغنى أبيات أبى الأسود الدؤلى[1] التى أوصى بها ابنته عند الزفاف:

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولاتنطقى فى ثورتى حين أغضب

فانى رأيت الحب فى الصدور والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلمارجعنا إذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها ،وإذا بالوادى كله حيات فأقبلن ينهشنها حتى ماتت .فسألت جاريتها فقالت: بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدًا فتحرقه .

---

(١) أبو الأسود الدؤلى ، هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكنانى. واضع علم النحو. كان معدودًا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء . توفى سنة (٦٩هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢٤٠/١) ، الأعلام (٢٣٦/٣).

Marfat.com

القسم السادس

فى ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الأحبة

وهو بالنسبة إلى من استدرك الغلط، واستقال ما فرط ، وإلى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد منحصر فى صنفين أردفهما بثالث من هذا الكتاب، إذا لم يكن مناسبًا للباب .

قد سبق لك فى الخطبة أن المؤلف رحمه الله قد أكثر فى كتابه من التخليط فى تبويبه، وذكر غير المناسب لمطلوبه ، ولكن لعمرى لم يقع له بهذه الأوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر، فإن الوقف على هذه الترجمة يفهم منها أنه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر، ولم يذكر من ذلك إلا قصة كثير التى ترجم لها فى الباب بمن تاب عن عقوقه ورجع إلى معشوقه فمات فى نادى الهوى وسوقه . وها أنا أذكر ما وقع لى من ذلك على الشرط المتقدم إن شاء الله تعالى .

الصنف الأول :فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع إلى حسن الائتلاف وكان محبوبه فى الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود

حكى المسعودى فى جزء لطيف سماه اقتداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد العشاق: أن المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى، فجاء ولبس أثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وأنه لم يبق له فيها أرب[1] لما كان قد عاهدها وعاهدته أنها تدوم معه على المحبة ولاتنقض لعهد الصحبة .

فبينما هو ليلة نائم إذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت: أى غادر لو ملكت من أمرى ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وأيم الله إنى لم أكن معه إلا كمفترش النار فى الهواجر أومتوسد السعدان عاريا، فانتبه مرعوبا باكيا، ثم نزع ما عليه وعاد إلى التوحش .

وفيه أيضًا أن قيس بن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحًا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها، وقال: عشق بعشق، وامرأة بامرأة وأقام معها، والصحيح أن ذلك لم يكن باختياره، وإنما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته .

---

(١) الأرب: الحاجة والغاية. انظر: لسان العرب، مادة [أرب].

Marfat.com

وفيه نقله المصنف هنا أن عزة أرادت أن تعلم ما لها عند كثير فتنكرت ومرت به متعرضة، فقام إليها وكلمها، فقالت أين حبك لعزة ؟

قال : جعلت فداءك لو أنها أمة لوهبتها لك .

قالت: لاتفعل فقد بلغنى أنها لك مخلصة وفى المحبة صادقة .

فقال: دعينى منها فهل لك فى المخالاة ؟

قالت: وكيف تصنع بما قلت فيها ؟

قال: أديره فيك ، ثم أنشد يقول:

مـــاوصل عـــزة الا وصـــــل غانيـــــة فـى وصـل غانيـة عـن وصلهـا خلـــف

فكشفت عن وجهها فبهت ، فقالت إلى هنا يافاسق فهلا كنت مثل جميل . **حيث يقول** :

لحـــا الله مـــن لاينفـــع الوعـــد عنـــده ومـــن حبلـــه إن مـــد غـــير متـــين

ومـن هـــو ذو وجهـــين ليـــس بدائـــم علـــى العهـــد خـــلاف بكـــل يمـــين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل إلى أن قبلته.

ولا مناقضة بين هذا وبين ماتقدم من أنه أثبت مـن جميـل لقولـه هنيئاً مريئاً... البيت. وقول جميل : **رمى الله فى عينى بثينة**... الأبيات. لأن تلك أدل على الأشفق وهذه على الأعشق .

وأما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيه محبوبته بـالعنز فـى الأبيـات التى **منها**:

أيـا ظبيـة الوعســـاء بـــين جلاجـــل وبـــين النقـــا أأنـــت أم أم ســـالم[1]

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلـة فأعادتهـا وصفحـت ، فليـس مـن هـذا القبيل إذ ليس بنقض عهد وإنما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوبَ قاد إليه التوغل فى التشبيب ونظيرها ما سبق فى قصة كثير من اعتراض العجوز عليه فـى قولـه : **فما روضة بالحزن**... البيتين . وأما من رجع نادمًا على الهفوات فوجد الحبيـب قـد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل.

---

(١) الوعساء: رابية من رمل لينة، انظر : لسان العرب، مادة [وعس].

Marfat.com

ومنهم : ما حكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولا.

أن كعب بن مسعدة الغفارى ، قال: خرجت أنا ومـالك بـن غفيلـة العـذرى نمشى فى القمر إذا بنسوة تقول إحداهن: إى وا لله هـو ، ثـم قربـن منـا فقـالت: إحداهن قل لصاحبك :

ليسـت لياليك فـى حـاج بعـائدة كمـا عهـدت ولا أيـام ذى سـلم

فقلت: قد سمعت فأجب ، قال: قد انقطعت فأجب أنت .

فقلت: و لم يحضرنى غيره:

فقلـت لهـا يـا عـز كـل مصيبـة إذا وطنـت يومًـا لهـا النفـس ذلـت

وانصرفنا فما استقريت[1] إلا وجارية تقول: أجب المرأة التـى كلمتـك، فلمـا صرت إليها، قالت: أنت المجيب ؟

قلت: نعم .

قالت: فما أقصى جوابك؟

قلت: لم يحضرنى غيره.

فقالت: لم يخلق ا لله أحب إلى من الذى كان معك .

فقلت: على أن أحضره إليك.

فقـالت: هيهـات . فضمنتـه فـى الليلـة القابلـة ، ورجعـت فرأيتـه فـى مـنزلى فأخبرنى بالقصة كالمكاشف، فقلت له: قد ضمنت لهـا حضـورك الليلـة القابلـة، فلما كان الوقت مضينا فإذا بالمجلس قد طيب، وفـرش فجلسـنا فتعاتبنـا فأنشـدته أبيات أميمة امرأة ابن الدمينة :

وأنـت الـذى أخلفتنـى مـاوعدتنى . وأشمـت بـى مـن كـان فيـك يلـوم

وأبرزتنـى للنـاس ثـم تركتنـى لهـا غرضًـا أرمـى وأنـت سـليم

فلو كـان قـولاً يكلـم الجسـم قـد بـدا بجسـمى من قـول الوشـاة كلـوم[2]

فأجابها :

غـدرت ولم أغـدر وخنـت ولم أخـن وفـى بعـض هـذا للمحـب عـزاء

جزيتـك ضعـف الـود ثـم صرمتنـى فحبـك فـى قلبـى إلى إذاء

---

(١) استقريت : وصلت توى إلى القرية . انظر : لسان العرب ، مادة [قرا] .

(٢) يكلم : يجرح . انظر: لسان العرب، مادة [كلم].

Marfat.com

فالتفتت إلى وقالت: ألا تسمع، فغمزتهُ فَكَفَّ.

ثم أنشدَت :

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى ... فهلا صرمت الحبل إذا أنا أبصر[1]

ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته ... نصيب ولى رأى وعقل موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة ... ولست على مثل الذى جئت أقدر

فأجابها :

لقد جعلت نفسى وأنت احترمتها ... وكنت أعز الناس عنك نطيب

وفى روضة القلوب بدل هذا البيت :

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها ... إذا وعدت بالنأى عنك تطيب

وفيها أنه قبلها وأنشد :

دمعى عليك من الجفون سكوب ... والقلب منك مروع مكروب

لاشئ فى الدنيا ألذ من الهوى ... إن لم يخن عهد الحبيب حبيب

فأجابته :

خلوتم بأنواع السرور هناكم ... وافردتمونى للصبابة والحزن

وعذبتمونى بالصدود و إننى ... لراض بما ترضونه لى من الغبن

والمشهور أنهما لم يأتلفا بعد بل حين أنشد: **لقد كنت أنهى النفس**... البيت.

قالت له: أوكنت تفعل؟ ما فيك خير بعدها،وافترقا.

فقالت لكعب: كما قلت لك: إنك لاتفى بضمانك ،ولكن إذا كان السحر فأتنى.

قال كعب: فجئت فإذا أنا بالصباح، فسألت جارية فقالت: حين خرجتما جعلت فى عنقها أنشوطة[2] وخنقت نفسها، فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفتكره فتقول: إنه لقاسى القلب، ثم شهقت فماتت . وبُلِّغَ الشاب فلزم قبرها فجاءته فى النوم ، فقالت: هلا كان هذا قبل، فمات من وقته .

---

(١) عمايتى، العماية: الغواية. انظر: لسان العرب، مادة [عمى].

(٢) الأنشوطة: العقدة فى الحبل. انظر: لسان العرب، مادة [نشط].

Marfat.com

قال فى النزهة: و أصل هذه الحكاية ، أن هذه المرأة كانت من عذرة ، واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه، وكان فى الحى رجل يحبها وهى لاتحبه فغار منهما فوشى به إلى أهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه، فأرسل زوجته عن لسانها إلى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل، ولم تدر الزوجة تفصيل الأمر، وكانت عند مالك أنفة .

فخرج إلى مكة ناقضًا للعهد، فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة، وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها إلى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته .

الصنف الثانى: فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على إخلاف الوعد

أخرج فى اقتداح زناد الأشواق عن الأصمعى قال: نزل على رجل من بنى هذيل فأكرمنى وأطرفنى بلطائف الأخبار، فكان يوم أقصر مايكون بالسرور .

فلما كان الليل فرش لى موضعًا لطيفًا موطأ ونمت وجلس، فقلت: هل بقى لك أرب فى السهر ؟ قال: لا وعافاك الله، ثم ودعنى لما بى فحدثت أن له شأنا فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعًا فأخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعامًا وشرابًا، فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود، ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلاً وهو مع الفعلتين يبكى بشهيق أخال فيه أن نفسه زهقت ثم أعاد عليها وأدخلها المخدع.

وجلس يبكى وينشد :

أحبابنا لو تعلمون بحالنا ... لما كانت اللذات تشغلكم عنا

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وابديتم الهجران ما هكذا كنا

وآليتم أن لاتخونوا عهودنا ... فقد وحياة الحب خنتم وماخنا

غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن ... وحلتم عن العهد القديم وما حلنا[1]

وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم ... ونحن على صدق الحديث الذى قلنا

---

(١)حلتم، من حل العهد: إذا انحل عنه ولم يوف به. انظر: لسان العرب، مادة [حلل].

Marfat.com

ودام كذلك حتى طلع الفجر، فجاء ليوقظنى فرآنى منتبهًا، فلما ودعته تفرس أن فى وجهى كلاماً ، فقال : أنشدك الله هل رأيت من حالتى شيئًا أنكرته؟

قلت: اللهم نعم .

قال: أو تحب أن أطرفك به ، قلت: أى وا لله ، فتنفس الصعداء وكفكف[1] دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فأرسلها.

وأنشد :

أكفكف جفن العين والدمع سافح كشبه غدير فوق خدى جاريا

فيا ليت شعرى ذا البكاء إلى متى وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيَّضَ[2] دمعه، وقال يا أخا العرب كانت لى ابنة عم لا أملك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت بى أبر من أمى ، وأقمنا مدة لم آل جهداً فى الإنفاق عليها ، فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال. فلما أملقت أنفت[3] منى فأخذت فى التحامل والتجنب فقلت: لها ماذا تريدين ؟

قالت: أو فاعل أنت ما تقول؟

قلت: نعم .

قالت: تطلقنى، فخامرنى حبها، فقلت: قد فعلت.

فاعتزلتنى وعاودنى القلق فألمت طويلا وجئت وشكوت إليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق، فطيبت نفسى وحلفت أنها لاتتزوج ولاتتزين لغيرى.

فقمت وجئتها يوماً فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب، فسألت، فقيل لى: تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التى عندى إلا كلبة وفعلت ، فأنا الآن أمثلها بتزيين هذه الكلبة وأذكر غدرها فاسلبها وأعاقبها كما رأيت .

قلت: فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط؟

قال: نعم قد كلفها الذى تزوج شططا[4] وسلمها نقصاً، فندمت فراسلتنى فلم أجب مع أنه لم يكن على البسيطة أعز على منها ولكنها الغيرة تمنعنى .

---

(١) كفكف دمعه: أى مسحه. انظر: لسان العرب، مادة [كفف].

(٢) غيض، من غيض دمعه: حبسه. انظر: لسان العرب، مادة [غيض].

(٣) أنفت، من أنف: أى ترفع وتنزه عنه. انظر: لسان العرب، مادة [أنف].

(٤) شططا ، من شط : أى بالغ فى ظلمه . انظر: لسان العرب، مادة [شط].

Marfat.com

قال الأصمعي: فلم أر أغرب منها .

وأخرج فى **النزهة** عن الرياشى، قال: اتجر صديق لنا فحمل الصندل إلى شهرزور وقد بلغه أنه نافقها[1]، فلما حل بها صادف كساداً، فمكث مغموماً فبينا هو كذلك إذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله، فشكى إليها مايجد من الغربة والوحدة وكساد متجره .

فقالت: أما الكساد فسيزول ، ولم تزل الناس على هذا، وأما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء إلا أن تتزوج بمن تحفظك إذا غبت، وتؤنسك إذا حضرت وتفرج عنك إذا حزنت .

قلت: ومن أين لى بما ذكرت؟

قالت: أنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه ا لله تعالى، فشكرت صنيعها وأمرتها أن تفعل. فما مضى إلا وقد جاء الدلالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح إلى أجل فتوسمت فيها الخير، وجاءت فقالت: قد هيأت لك ماتطلب فقم لتنظرها.

فمضينا إلى دار لطيفة وقد فرش لى قطيفة بز فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين إلا أن عليها آثار الحزن وشعار الفرقة، فسلمت بحشمة وجلست.

فقالت العجوز: ها هى، فتراضينا . ودخلت بها ودمت أسبوعًا فى أنعم حال غير أنى أجدها تقوم من الصباح فتجلس فى موضع يشرف على الأشجار وتبكى حتى ترتفع الشمس، فلم أسألها عن ذلك :

فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس، انتبهت مرعوبة ترتعد، ثم ذهبت إلى المشرف وعادت ومزقت أثوابها وجلست تبكى فلم تلهج يومها كله إلا بهذه الأبيات :

أيا عين نوحى بالدموع السواجم على طامس بالشرق خافى المعالم[2]

---

(١) نافق، من نفقت السوق: قامت وراجت تجارتها. انظر: لسان العرب، مادة [نفق].

(٢) السواجم، من سجم الدمع: أى سال وانصب. طامس، من طمس: درس وانمحى. انظر: لسان العرب، مادة [سجم]، [طمس].

Marfat.com

وسحى دمـا إن سح دمعك واسعفى حليف الهوى من قبل حمل التمـائم
إذا نـاحت الورقـا علـى فقدانهـا ولم تـك ذا عقـل فمـا حـال عـالم
حـرام علـى النـوم إذ فـاتنى بـه زمـان البكـا والنـوح قبـل الحمـائم

فضاق صدرى لحالها، وراجعت نفسى فى سؤالها، ثم غلب على عدم التصبر بعد أيام وهى تجالسنى كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى إذا نمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح إلى المكان الذى يشرف على الشجر كعادتها.

فقلت: ياسيدتى قد ضاق صدرى لحالك، وأنا أعزم عليك إلا ما أخبرتنى بما أنت فيه .

فقالت: أو لابد.

قلت: إى وا لله.

قالت: قد كان أبى ذا ثروة وعزة، وكان لى ابن عم قد كفله أبى صغيرا فنشأت وإياه ليس عند أحدنا أعز من الآخر فزوجنى منه، فأقمنا لانستطيع صبرا ،وكان فى هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح ويغرد بأنواع التغريد فإذا اختفت واحدة فى شجرة دارت الأخرى عليها حتى تكاد أن تموت، فإذا التقيا تعانقا وغردا .

فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت إحداهما إليه ومضت فلم ترجع فأقامت الأخرى تغرد كل صباح إلى ارتفاع الشمس، ثم تلقى نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها، فقلت له يوما: لئن فارقتى لأكونن كهذه.

فقال: أنا لا أفارقك أو أموت.

فقلت له: قد تجد أحسن منى.

قال: معاذ ا لله أن يكون فى الدنيا مثلك، فأردت أن أعرف صدقه، وكانت لى صديقة قد احتوت على أرفع رتبة من الجمال، فاستحضرتها وأريته إياها من خلال السجف[1]، فوقعت بقلبه، فراسلها فأجابته فتزوج بها فلم توافقه .

فرجع يطلب منى ما كنت عليه فأبت نفسى أن تطيع كما كانت، وتشفع فلم يفد.

---

(١) السجف: الستر الذى يرخى على البيت. انظر: لسان العرب، مادة [سجف].

Marfat.com

فقال: أطلقك مرة.

قلت: نعم، ففعل وخرج، فلم أعرف خبره ،وإنما أخذتك لأنك غريب تفارقنى، فإن رضيت هذا الحال وإلا فشأنك.

قلت: فلأى شئ هجرك النوم.

قالت: كفارة لنومى عن مناوحة الحمامة وسبقها لى .

الصنف الثالث: فى ذكر من أشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته فتعاهدا لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث أحدهما عهد الآخر بعد التلاق.

وهذا هو الذى عقد له المصنف الباب، ووعدنا بزيادته لأن الترجمة له خلاف الصواب. وقصة عاتكة مع عبد الله وإن كان لها بهذا الباب اعتلاق إلا أنها بما مضى الصق .

فمنهم : صخر بن عمرو[1] .

وكان من أشجع العرب و أكرمهم وأجملهم، وكانت تحبه سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث الرياحى، وصخر هذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر.

وكان عاهد سلمى على أن لا تتزوج بعدهُ وهو كذلك عاهدها ، وكان يقول إذا نظر إليها: لا أكره الموت إلا أنه يفرق بينى وبين هذه. فلما كان اليوم المشهور بيوم الكلاب وهو الذى تحارب فيه بنو عوف وبنو الحارِث ، التقى صخر مع ربيعة بن ثور العوفى الأسدى بعدما غلبت بنو الحارث على بنى أسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخراً. وكان رمح صخر قصيرا فأصابه ربيعة فى بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنةً بالطعنة، فكانت أمه تلاطفه وقصرت سلمى فى خدمته، فسمع يومًا امرأة تقول لأمها: كيف حال صخر؟

فقالت: نحن بخير مادمنا نرى وجهه، وسألت امرأته أخرى فقالت: لا حى فيرجى ولا ميت فينعى، فغم لذلك.

---

(١) صخر بن عمرو، هو: ابن الحارث بن الشريد الرياحى السلمى، من بنى سليم بن منصور، من قيس عيلان، أخو الخنساء، كان من فرسان بنى سليم. توفى سنة (١٠ق هـ). انظر: جمهرة الأنساب (٢٤٩) الأعلام (٢٠١/٣).

Marfat.com

وأنشد:

فـأى امـرئ سـاوى بـأم حليلـة فـلا عـاش إلا فـى عنـا وهـوان

وحكى فى النزهة: أنه جلس يوماً ليستريح وقد رفع سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلاً من بنى عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها: أيباع هذا الكفل؟

فقالت: عن قريب .

فقال صخر لأمه: على بسيفى لأنظر هل صدئ أم لا، فأتته به فجرده وهم بقتل سلمى، فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله.

فبكى وأنشد :

أهـم بـأمر الحـزم لـو اسـتطيعه وقـد حيـل بـين العـير والـنزوان[1]

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها :

أرى أم صخـر لاتمـل عيـادتى وملـت سـليمى مضجعـى ومكـانى

ومـاكنت أخشـى أن أكـون جنـازة عليـك ومـن يغـتر بالحدثـان

آهـم بـأمر الحـزم لـو أسـتطيعه وقـد حيـل بـين العـير والـنزوان

لعمرى لقد نبهت مـن كـان نائمـا واسمعـت مـن كـانت لـه أذنـان

فلـو مـت خـير مـن حيـاة كأنهـا محلـة يعسـوب بـرأس سـنان

فـأى امـرئ سـاوى بـأم حليلـة فـلا عـاش إلا فـى شـقى وهـوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة، فقيل له: اقطعهـا، فحمـوا له حديدة فأدخلوها فيها فقيل: كيف صبرك ؟

فأنشد :

فـإن تسـأليني هـل صـبرت فـاننى صبـور علـى ريـب الزمـان أريـب[2]

---

(١) النزوان، من نزى الذكر على الأنثى: جامعها. انظر: لسان العرب، مادة [نزو].

(٢) ريب ، ريب المنون : دواهى الدهر وصرفه . أريب: ماهر وبصير. انظر: لسان العرب، مـادة [راب]، [أرب].

Marfat.com

ثم مات فتزوجت سلمى بعده، وقيل سبب موته أنه سكرمع بلعاء بن ربيعة وكان الآخر جميلاً عند يهودى فحسدهما على الحِس فسقاهما فى الشراب سما والصحيح الأول .

ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر، قولها :

قذى بعينك أم بالعين أعور ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عينى لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكى صخر هى العبرا وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار

تبكى خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر أن الدهر ضرار

وما عجول على بوبحن له ... لها حنينان إعلان وأسرار

ترتع ماغفلت حتى إذا ذكرت ... فإنما هى إقبال وإدبار

يوماً بأوجع منى حين فارقنى ... صخر وللدهر أحلاه وأمرار

لابد من ميتة فى صرفها غير ... والدهر فى صرفه حول وأطوار

يا صخر وراد ماء قد تبادره ... أهل المهوارد ما فى ورده عار

يمشى السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحًا أنياب وأظفار[1]

وأن صخراً لمولانا وسيدنا ... وأن صخراً إذا يشتو لنحار

وإن صخر التأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

لم تره جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار

ولاتراه وما فى البيت يأكله ... لكنه بارز بالصخر مهمار[2]

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار[3]

وقالت أيضاً :

ألا ياصخر إن أبكيت عينى ... فقد ضحكتنى زمنا طويلا

---

(١) السبنتى: الجرىء المقدام. الهيجاء: الحرب. انظر: لسان العرب، مادة [سبن]، [هيج] .

(٢) المهمار: المكثار الذى يكثر للأضياف من القرى. انظر: لسان العرب، مادة [همر].

(٣) الدسيعة: العطية الجزيلة. انظر: لسان العرب، مادة [دسع].

Marfat.com

بكيتـــك فـــى نســـاء معـــولات وكنـــت أحـق منـا أبـــدى العويـــلا
رفعـت بـك الخطـوب وانـت حـى فمـــن ذا يرفـــع الخطـــب الجليـــلا
إذا قبـــح البكـــاء علـــى قتيـــل رأيـــت بكـــاءك الحســـن الجميـــلا

وأدركت الخنساء الإسلام، وحسن إسلامها، فقالت لها عائشة يومـاً: أتبكـين صخراًوهو فى النار؟

فقالت: هو أشد لجزعى عليه، وأدعى للبكاء . فعد من الأجوبة المسكتة .

ومنهم :هدبة بن الخشرم[1] .

وكان معروفاً بالشـجاعة والنجـدة والجـلادة والصـبر والمـروءة، ولـه أخ اسمـه حَوْط ، وأخت اسمها سلمى ، تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبيـانى ، وهـو رئيـس قومه فراهنه أخو هدبة يوماً على إطلاق جملين يوماً وليلة فى القيظ وحملوا الماء ، فأخذت أخت هدبة مـاء زوجهـا إلى أخيهـا فقصـرت لذلـك إبـل زيـادة فسـبها فغضب حوط فثار بينهما شر .

وعلم هدبة ، ببيت زيـادة فقتلـه ، ورفـع الأمـر إلى سـعيد بـن العـاص عـامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه ، فجاء وسلم نفسه ومضى أخـو زيادة فشكا إلى معاوية فأرسل إلى سعيد أن يقود[2] هدبة إن قامت البينة ، فكـره سعيد الحكم وأرسلهم إلى معاوية فسأل هدبة عـن الخـبر، فقـال: تريـده نـثراً أو نظماً فقال:

نظمًا فأنشد :

ألا يـــاقومى للنوائـــب والدهـــر وللمـرء يـردى نفسـه وهـــو لايـدرى
ولـــلأرض كـــم مـــن صـــالح قـــد تراكمـت عليـه فوارتـــه بلماعـــه قفـــز

إلى أن ذكر القصة التى ذكرناها، وأنه قتله.

---

(١) هدبة بن الخشرم، هو: ابن كرز، من بنى عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، من قضاعة. شاعر، فصيح، مرتجل، راوية، من أهل بادية الحجاز. كان هدبة راوية الحطيئة، وجميل راوية هدبة. توفى سنة (٥٠هـ) . انظر: الأغانى (٢٥٧/٢١)، الشعر والشعراء (٢٤٩)، الأعلام (٧٨/٨).

(٢) يقود : من القود: القصاص؛ أى قتل النفس بالنفس بالنفس . لسان العرب ، مادة [قود] .

Marfat.com

فقال معاوية: قد أقررت فهل للمقتول ولد، قالوا: نعم.

قال: ردوه حتى يبلغ ، فحبس ثلاث سنين. فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها أرسل إلى زوجته، وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرما، فحضرت إليه فى طيب وثياب فاخرة ، فحادثها ليلة، وراودها عن نفسها فأجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحىعنها.

وأنشد:

أأدنيتنىحتى إذا ما جعلتنى ... لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف

رأت ساعدى غول وتحت ثيابه ... جآجىء يدمى حزها والحراقف

وحين أخرج للقتل مرَّ على زوجة مالك بن عوف، فقالت: فى سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك.

فأنشد ارتجالاً:

تعجب حبى من أسير مكبل ... صلب العصى باقٍ على الرصفان

فلا تعجبنى منى حليلة مالك ... كذلك يأتى الدهربالحدثان

ونظر إلى زوجته فجزع وأنشد :

أقلى على اللوم يا أم بو زعا ... ولاتجزعى مما أصاب فاوجعا

ولاتنكحى إن فرق الدهر بينا ... اغم القفا والوجه أليس بانزعا[1]

كليلا سوى ما كان من حد ضرسه ... لدى الزاد مبطان العشيات أروعا[2]

ضروبا بلحييه علىعظم زوره ... إذا الناس هشوا للفعال مقنعا[3]

وتحلى بذى أكرومة وحمية ... وصبراً إذا ماالدهر عض فاسرعا[4]

وكونىحبيباً أو لا روع جعاهد ... إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

---

(١) اغم، من غمّ: إذا سال شعر ناصيته على وجهه وقفاه.بانزعا، الأنزع: هو من انحسر الشعر عن جانبى جبهة. انظر: لسان العرب، مادة [نزع].

(٢) مبطان: عظيم البطن. أروع، من روع: فزع وخاف. انظر: لسان العرب، مادة [بطن].

(٣) ضروبًا، من ضرب الشيء: إذا خلطه ببعض. بلحييه، من اللحية: شعر الذقن والخدين. زوره، الزور: الكذب، الباطل. هشوا، من هش: تبسم وخف للمعروف. انظر: لسان العرب، مادة [لحى]، [زار]، [هشش].

(٤) عض، من عضه الزمان: اشتد عليه. انظر: لسان العرب، مادة [عضض].

Marfat.com

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كُلاًّ عن سؤاله وينشد الأشعار وهم يتعجبون ، فقال له عبد الرحمن بن حسان: أتَزَوَّجُ هذه بعدك ؛ يريد زوجته.

فقال: إن كنت بالشروط التى ذكرتُها لها، وأنشد: أقلى على اللوم... الأبيات.

ثم نظر إلى زوجة مالك وقد قالت له: كيف تصبر عن هذه؟

فأنشد:

وجدت بها مالم تجد أم واحد ... ولا وجد حبى بابن أم كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا ... كما اشترطت من قوة وشباب[1]

فمالت إلى شفرة جزار فجدعت بها أنفها وشفتيها.

قال ابن عساكر: وأذنيها وأقبلت عليه، فقالت: أهذا حال من تتزوج؟

قال: لا الآن طاب الموت، ثم التفت إلى أبويه فرآهما فى أسوأ حال قد تهيئا للحزن.

فأنشدهما :

أبليانى اليوم صبرا منكما ... إن حزنا أن بدا بادئ شر

لا أرانى اليوم إلا ميتا ... إن بعد الموت دار المستقر

اصبر اليوم فإنى صابر ... كل حى لقضاء وقدر

وأراد سعيد أن يفديه بمائة ناقة حمراء سليمة، فقال أخو زيادة: لو ملأت لى قبتك هذه مالا ما فديته لقوله:

لنجدعن بأيدينا أنوفكم ... ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه إليه ، فلما أراد قتله أرسل إلى عائشة لتستغفر له، ثم صلى ركعتين وأقبل على الناس وقال: لولا أن يقال جزع لأطلتهما .

قال السيوطى فى شرح الشواهد: ثم قال للقاتل: أحد سيفك، وثبت جنانك، وباعد بين قدميك، وأجد الضربة، ثم قال: بلغنى أن القتيل يعقل فإن كان كذلك فإنى قابض رجلى وباسطهما ثلاثاً. فلما رمى عنقه فعل ذلك .

---

(١) شمردلا، من شمر: إذا مشى سريعًا متبخترًا . انظر: لسان العرب، مادة [شمر].

Marfat.com

وفى شرح الشواهد أنه أول قتيل فى الإسلام قودًا ، وخطبت بعد ذلك زوجته على مابها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا الترعرع.

ومنهم : حمزة بن عبد ا لله بن الزبير .

تزوج بفاطمة بنت القاسم[1] بن جعفر بن أبى طالب، وكانت ذات جمال ففتن بها، فلما حضرته الوفاة أظهر أنه لم يكن جازعًا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو، فحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها إن تزوجت، فلما مات خطبها طلحة[2] فأخبرته، فقال: إن حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك. فتزوجته فوفى لها، فولدت له إبراهيم؛ وكان أوجه الناس، ورملة ، فزوجها بمائة ألف دينار فقيل له: أنت أتجر الناس تزوجت فاطمة بأربعين ألف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت إبراهيم وأربعين ألفاً.

ومنهم : الحسن بن الحسن[3] .

خيره عمه الحسين بين إحدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لأنها كانت منقطعة القرين فى الجمال.

فقال الحسين ﷺ: قد اخترت لك فاطمة لأنها أشبه الناس بأمى، فزوجه بها.

فلما حضرته الوفاة جزع جزعًا شديداً .

فقيل: علام هذا، وإنما تقدم على جدك وآبائك؟

---

(١) فاطمة بنت القاسم، هى: ابنه الطيب بن محمد بن جعفر بن أبى طالب. من ربات الفصاحة والعبادة والصلاح، سميت بالعيناء لحسن عينيها، وكانت شبيهة بالحور العين. انظر: أعلام النساء (٤/٩١).

(٢) طلحة بن عمرو، هو:ابن مرة الجهنى. من أهل دمشق، روى عنه ابنه إبراهيم. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥/١٣٠).

(٣) الحسن بن الحسن، هو: ابن على بن أبى طالب، الهاشمى، العلوى، الإمام، أبو محمد. ابن سبط رسول ا لله ﷺ حدث عن أبيه، وعبد ا لله بن جعفر. كان قليل الفتيا والحديث مع فضله وجلالته، توفى سنة (٩٩هـ) انظر: الطبقات (٥/٣١٩) ، البداية والنهاية (٩/١٧٠)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٨٣).

Marfat.com

فقال: هو كذلك ولكنى أجد كربا غير الموت، ثم قال لبعض أصحابه: كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان[1]، وقد جاء فى كبكبة[2] يظهر جزعًا علىّ، وماهو إلا ليخطب فاطمة .

فلما سمعت حلفت ألا تتزوجه فإن فعلت لزمها عتق ما تملك، فما كان إلا أن مات، فأقبل عبد الله كما قال، فرأى فاطمة تضرب وجهها فأرسل إليها: أن ابقى عليك ،فإن لنا فيك رأيا .

فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها، وقيل: إن أمها التى أجبرتها أن تتزوجه، بأن وقفت فى الشمس وحلفت لاتدخل حتى تجيب .

ومنهم : غسان بن جهضم .

وكان مفتونا بابنة عمه أم عقبة لأنها كانت من أجمل النساء وأحياهن وأفضلهن خصالاً. حضرته الوفاة فجعل ينظر إليها ويبكى، ثم قال لها: إنى منشدك أبياتاً أسألك فيهن عمن تصنعين بعدى، وأعزم عليك أن تصدقينى.

فقالت: قل فوالله لا أكذبك.

فأنشد :

اخبرى بالذى تريدين بعدى ... ما الذى تضمرين يا أم عقبة

تحفظينى من بعد موتى لما قد ... كان منى من حسن خلق وصحبه

أم تريدين ذا جمال ومال ... وأنا فى التراب فى سجن غربة

فأجابته :

قد سمعنا الذى تقول وما قد ... خفته ياخليل من أم عقبة

أنا من أحفظ النساء وأرعا ... هن ماقد أوليت من حسن صحبه

سوف أبكيك ماحييت بشجو ... ومراث أقولها وبندبه

---

(١) عبد الله بن عمرو، هو: ابن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى، الأموى، حدث عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس، ورافع وأبيه عمرو بن عثمان، توفى بمصر سنة (٩٦هـ). انظر: الوفيات (٣٨٣/١٧)، سير أعلام النبلاء (٢٩١/٣١) .

(٢) كبكبة : جماعة من الناس .انظر: لسان العرب . مادة [كبب] .

Marfat.com

فقال :

أنـــا وا لله واثـــق بـــك لكـــن ربمـا خفـــت منـــك غـــدر النســـاء

بعـد مـوت الأزواج يـا خـير من عـــو شـــر فـــارعى حقـــى بحســـن وفـــاء

اننـى قـد رجـــوت أن تحفظـى العهـد فكونـــى أن مـــت عنـــد رجـــائى

فلما مات خطبت من كل جانب، فقالت :

ســـأحفظ غســـانا علـــى بعـــد داره وأرعـــاه حتـــى نلتقـــى يـــوم نحشـــر

وأنـى لفـى شـغل عـــن النـــاس كلهـــم فكفـــوا فمـــا مثلىمـــن النـــاس يغـــدر

ســـأبكى عليـــه مـــاحييت بعـــبره تجـــول علـــى الخديـــن منـــى فتكـــثر

فلما طالت الأيام قالت: من مات فقد فـات ،وأجـابت الخـاطب، فلما كـانت الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم.

فأنشد:

غـــدرت ولم ترعـــى لبعلـــك حرمـــة ولم تعرفـــى حقـــاً ولم تحفظـــى عهـــدا

ولم تصـبرى حـولا حفاظـــاً لصـــاحب حلفـت لـــه يومـــاً ولم تنجـــزى وعـــدا

غـــدرت بـــه لمـــا ثـــوى فـــى ضريحـــه كذلـك ينسـى كل مـن سـكن اللحـــدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها، فقالت النعماء لها: ما دهاك؟

فقالت: ما ترك غسان فى الحياة أربًا ولا فى السـرور رغبـة. أتـانى فـى المنـام فأنشدنى هذه الأبيات، ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلنها بالحديث ، فلما غفلن أخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها. وقد نقل هذا فـى مجلـس هشـام حـين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجبًا.

ومثل هذا ما حُكى عن موسى الهادى[1] :

أنه كان مفتونًا بجارية من جواريه اسمها غادر فرؤى يومًا يبكى.

فقيل: علام تبكى يا أمير المؤمنين.

---

(١) الهادى ، هو : موسى بن محمد بن أبى جعفر المنصور، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسـية، ولد بالرىّ سنة (١٤٤هـ) ، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه ، فأراد خلع أخيه هـارون مـن ولايـة العهد، وجعلها لابنه، فلم تر أمـه ذلـك ، فزجرهـا فـأمرت جواريهـا أن يخنقنـه، توفـى سـنة (١٧٠هـ) انظر: ابن الأثير (٢٩/٦) تاريخ بغداد (٢١/١٣) الأعلام (٣٢٧/٧).

Marfat.com

فقال: كـأنى بى وقد مت وأخذ أخى هارون الخلافة، فتزوج بغادر.

فقيل له: حاشاك من هذا الخاطر. فزاد فى البكاء وبلغ هارون فحضر وحلف له بالطلاق أنـه لا يـتزوج بهـا. وحلفـت هـى أيضًـا فلـم يمـض شـهرحتى مـات وأفضت الخلافة إلى الرشـيد فكفـر عنـه وعنهـا، وتزوجهـا فلمـا كـان ذات ليلـة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت أنه أتاها فعاتبها.

وأنشدها :

أخلفـــت عهـــدى بعدمـــا	جـــاورت ســـكان المقـــابر
ونكحـــت غـــادرة أخـــى	صـــدق الـــذى سمـــاك غـــادر
لايهنـــك الالـــف الجديـــد	ولاتـــدر عنـــك الدوائـــر
ولحقـــت بـــى قبـــل الصبـــاح	صـــرت حيـــث غـــدوت صـــائر

فقال لها الرشيد: لابأس عليك، إنما هو أضغاث أحلام، وجعل يغمزهـا وهـى تضطرب فى يده حتى ماتت .

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الجزء الأول

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة	٢٣
مقدمة فيما جاء فى العشق من الأحاديث والآثار وفى حده ومراتبه	٣٣
فصل: فى الترغيب فى العشق والحث عليه	٤٩
فصل: فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم	٥١
فصل: فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية	٥٦
فصل: فيما ذكر له من العلامات	٦٦
الباب الأول: فى من استشهد من المحبين شوقًا إلى حضرة رب العالمين	٧١
فصل: من الباب فى ذكر من فارقت روحه من الأحباب	٩١
الباب الثانى: أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما صدر لهم من العجائب، فيه ستة أقسام	
القسم الأول:	
فصل: فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته	١٠٥
فصل: جميل بثينة	١١١
فصل: أخبار كثير عزة	١٢٦
فصل: قيس ولبنى	١٣٨
فصل: أخبار المجنون وصاحبته ليلى	١٥٤
فصل: أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء	١٩١
فصل: أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند	٢٠٢
فصل: أخبار ذى الرمة وصاحبته مى	٢٠٧
فصل: أخبار مالك وصاحبته جنوب	٢١٢
فصل: أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيشة	٢١٥
فصل: أخبار نصيب وصاحبته زينب	٢١٨
فصل: أخبار المرقش وصاحبته أسماء	٢٢٢
فصل: أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا	٢٢٦
فصل: أخبار الصمة وصاحبته ريا	٢٢٩
فصل: أخبار كعب وصاحبته ميلاء	٢٣٢

Marfat.com

القسم الثانى:

فصل: فى من جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شىء من سيرته أو مآل حقيقته ٢٣٦
منهم: أسامة بن لؤى بن غالب القرشى ٢٣٦
ومنهم:عمرو بن عوف وبيا ٢٣٦
ومنهم:بشير الشهير بالأشتر وحيداء ٢٣٧
ومنهم:مسعدة بن واثلة الصارمى ٢٣٩
ومنهم:ذرعة بن خالد العذرى ٢٤١
ومنهم:شخص ٢٤٣
ومنهم: رجل من بنى كندة ٢٤٣
ومنهم: غلام ٢٤٤
ومنهم: قيس بن منقذ بن مالك الكنانى المشهور بابن الحدادية ٢٤٦
ومنهم: توبة بن حمير بن أسيد الخفاجى ٢٤٧
ومنهم: عامر بن سعيد بن راشد ٢٥٦
ومنهم: عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور ٢٦١
ومنهم: ما حكاه الأصمعى ٢٦٤
ومنهم: ما أخرج عن الحافظ ابن دريد عن عبيد النعالى غلام أبى الهذيل ٢٦٧
ومنهم: ما حكاه الكاتب ٢٦٩
ومنهم: ما حكاه فى "منازل الأحباب" ٢٧٠
ومنهم: ما حكاه ابن الجوزى ٢٧٠
ومنهم: الحارث المشهور بابن الفرند من خزاعة ٢٧١
ومنهم: عياش الكنانى ٢٧١
ومنهم: ما رواه أعرابى أو هو جبلة بن الأسود ٢٧٢
ومنهم: كامل بن الرضين ٢٧٣
ومنهم: مرة النهدى ٢٧٣
ومنهم: رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف ٢٧٤
فصل: فى من أناخ به الحب حتى أذهب عقله ٢٧٥
منهم: ما أخرجه مغلطاى عن الأديب ٢٧٥
ومنهم: ما ذكره ابن المرزبان فى "الذهول والنحول" عن سعيد بن ميسرة ٢٧٥

Marfat.com

ومنهم: ما حكاه الوراق عن الصوفى ٢٧٧
ومنهم: ما حكاه السامرى ٢٧٧
ومنهم: ما حكاه الأسدى عن أبيه ٢٨٠
ومنهم: ما حكاه ابن غنيم ٢٨٠
ومنهم: ما حكاه أبو الحسن المؤدب ٢٨٠
ومنهم: الفويرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين ٢٨١
ومنهم: خالد بن يزيد ٢٨٢
فصل فى ذكر من جرع كأس الضنى، وصبر على مكابدة العنا، واتصف بذلك كله من النساء، وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتداء ٢٨٥

القسم الثالث:

فيمن خالسته عيون الإماء، فأسلمته إلى الفناء وكادت أن تقضى عليه لولا المداركة بالوفـــاء ٢٩١
منهم: أبو عبد الله الحبشانى ٣٠٠
ومنهم: شاب بصرى ٣٠١
ومنهم: الشريف البياضى ٣٠٢
ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى فى "تنوير الغبش" عن التنوخى والثورى يرفعانه إلى إسماعيل بن جامع ٣٠٣
ومنهم ما أخرجه ابن إسحاق ٣٠٤
ومنهم شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر ٣٠٤

القسم الرابع:

فصل: فى ذكر من حظى بالتلاقى بعد تجرع كأس الفراق وهو صنفان: ٣٠٥
فمن الصنف الأول: عبد الله بن أبى بكر الصديق ٣٠٥
ومنه: ما حكاه معبد المغنى ٣٠٧
ومنه: رجل عذرى ٣٠٨
ومنه: ما حكاه فى "منازل الأحباب" عن بعض الحمدونية ٣١٠
ومنه: الشحمى ٣١٣
ومنه: محمد بن صالح العلوى ٣١٤
ومنه: جعد بن مهجع العذرى ٣١٥

Marfat.com

ومنه: ما حكاه أسدى وهو من العجائب المستلطفة ٣١٧
ومن الصنف الثانى: ما حكى عن على رضي الله عنه : ٣١٩
وما حكى عن عبد الله بن جعفر ٣١٩
وما حكاه الرياشى ٣١٩
وما حكى عن ابن دأب ٣٢٠
وما حكاه رجل ٣٢١
وما حكى فى الأغانى ٣٢٣
وما حكى عن رجل من ذوى النعم ٣٢٣
وما حكى عن جعفر بن يحيى ٣٢٧
وما حكى عن رجل أندلسى ٣٢٨
وما حكى عن إبراهيم بن المهدى ٣٢٩
وما حكى عن رجل مكى ٣٣٠
وما حكاه الحارث بن سليمان ٣٣٠
وما حكاه الربيع ٣٣٢
وما حكى عن إبراهيم بن ميمون ٣٣٢
وما حكاه التنوخى ٣٣٥

القسم الخامس:

فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق وهو أصناف:
الصنف الأول: فى ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه ٣٣٩
قصة مرثد ٣٣٩
قصة سوسن المشهورة ٣٤١
قصة عباد المخنث ٣٤٢
قصة حبوبة بن حباب الطابخى ٣٤٣
قصة وضاح اليمن ٣٤٤
قصة سحيم ٣٤٥
قصة المتجردة ٣٤٦
ما حكى عن سليمان بن عبد الملك ٣٤٧
قصة رجل صالح فى بنى إسرائيل ٣٤٩

Marfat.com

قصة الزرقاء جارية ابن رميم ٣٥٠
قصة عبود فى بنى إسرائيل ٣٥٠
ما حكى عن لقمان بن عاد ٣٥١
ما حكى أن رجل عشق ابنة عمه ٣٥١
الصنف الثانى: فى ذكر من اشتدت به الغيرة واتهم محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه ٣٥٢
الصنف الثالث: فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه ٣٥٥
الصنف الرابع: فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق ٣٥٧
منهم: أعرابى من أسد ٣٥٨
ومنهم: عبد الله بن سبرة ٣٦٠
ومنهم: جويرى بن أسماء ٣٦٠

القسم السادس:

فى ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الأحبة ٣٦٢
الصنف الأول: فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع إلى حسن الائتلاف ٣٦٢
منهم: ما حكى فى النزهة ٣٦٤
الصنف الثانى: فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على إخلاف الوعد ٣٦٦
الصنف الثالث: من أشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته ٣٧٠
منهم: صخر بن عمرو ٣٧٠
ومنهم: هدبة بن الخشرم ٣٧٣
ومنهم: حمزة بن عبد الله ٣٧٦
ومنهم: الحسن بن الحسن ٣٧٦
ومنهم: غسان بن جهضم ٣٧٧
ومنهم: ما حكى عن موسى الهادى ٣٧٨

Marfat.com

Marfat.com

تزيين الأسواق

بتفصيل أشواق العشاق

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

المتوفى سنة ١٠٠٨هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

دار البيان العربي

القاهرة

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

في ذكر عشاق الغلمان
وأحوال من عدل إلى الذكور
عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم
من تصاريف الزمان

Marfat.com

Marfat.com

فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل إلى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصاريف الزمان

اعلم أن أصل هذا وقد نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فـأخرجهم بـه إلى العدوان.

وحكى بعضهم أن أصل ذلك من يأجوج ومـأجوج ونقله بعض المفسرين فى قوله عز وجل ﴿**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**﴾[الكهف:٩٤] فيجـب على كل ذى نفس شريفه وهمة منيفة الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثة التى ضجت الملائكة إلى الله منها ، وحسم المادة الموصلـة إلى ذلـك كـالنظر، فلذلـك حرمه النووى[١] رحمه الله تعالى مطلقاً وقـد ورد أنـه قـدم علـى رسـول الله ﷺ وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى أن يحد الرجل النظر إلى وجه الأمرد.

وعن ابن المسيب[٢] إذا رأيتم الرجل يلح بالنظر إلى وجه الأمرد فاتهموه.

وأخرج الخطيب عن أنس موقوفاً اتجالسو أولاد الملـوك فـإن الأنفـس تشـتاق إليهم مالا تشتاق إلى الجوارى العواتق.وحرض النخعى والثورى على عدم مجالستهم .

وعن الخدرى[٣] **قال:** رأيت إبليس فى النوم، فقلت له: تعال.

---

(١) النووى ، هو: يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى، الشافعى، أبو زكريا، علامة الفقـه والحديث مولده ووفاته فى نوا من قرى حوران. تعلم فى دمشق. مـن تصانيفـه: المنهـاج فـى شرح صحيح مسـلم، التقريـب والتيسـير، ريـاض الصـالحين، توفـى سـنة (٦٧٦هـ). انظـر: الطبقات الكبرى (١٦٥/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧)، الأعلام (١٤٩/٨).

(٢) ابن المسيب ، هو :ابن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى، أبو محمد. سيد التـابعين، أحـد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. توفى بالمدينة سـنة (٩٤هـ) انظر: أعيان الوفيات (٢٠٦/١)، حلية الأولياء (١٦١/٢)، الأعلام (١٠٢/٣) .

(٣) الخدرى ، هو : سعد بن مالك بن سـنان ، الأنصـارى ، الخزرجـى ، أبـو سـعيد . صحـابى جليل، من ملازمى الرسول ﷺ روى عنه كثيرًا ، غزا مع الرسـول . وروى عـن أبـى بكـر، وعمر، وعثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت وروى عنه مـن الصحابـة: ابـن عبـاس و ابـن عمـر وجـابر مـن أفقـه وأفضـل الصحابـة. توفـى سـنة (٧٤هـ) انظـر: الإصابـة (٦٥/٣)، الصفوة(٢٩٩/١)، حلية الأولياء (٣٦٩/١) .

Marfat.com

فقال: لا حاجة لى بمن رمى الدنيا ، وإن لى فيكم لطيفة.

فقلت: وماهى ؟

قال: مجالسة الأحداث، فأخذت العصا لأضربه، قال: أنا لا تخوفنى العصا وإنما يخوفنى نور القلب.

وعن الموصلى قال: نهانى ثلاثون من الأبدال[1] عن صحبة الأحداث.

وعن بعضهم قال: نظرت إلى شاب جميل، فقلت: أيعذب الله هذه الصورة.

فقال لى أستاذى: أو رأيته ؛ سوف ترى غبتها ، فأنسيت القرآن بعد عشرين سنة. والآثار فى هذه المعانى كثيرة ، و لله در من قال: فى المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان:

فإن لم تكونوا قوم لوط حقيقة ... فما قوم لوط منكم ببعيد

وأنهم فى الخسف ينتظرونك ... على مورد من جهلكم وصديد

يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم ... ألم يتقدم ربكم بوعيد

فقالوا بلى لكنكم قد سننتم ... صراطًا لنا فى الفسق غير حميد

أتينا به الذكران من عشقنا بهم ... فأوردنا ذا العشق شر ورود

فأنتم بتضعيف العذاب أحق من ... يتبعكم فى ذاك غير رشيد

فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم ... بما قد لقيناه بصدق ووعيد

فما لكم فضل علينا فكلنا ... نذوق عذاب الهون غير مزيد

كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم ... ويجمعنا فى النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الأحكام منقسماً فى ثلاثة أقسام :

---

(١) الأبدال : الأولياء والعباد، وسموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر . انظر: لسان العرب ، مادة [بدل] .

Marfat.com

القسم الأول

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسَه[1]

وهو نوعان

النوع الأول: فيمن عرف اسمه، واشتهر فى العشاق رسمه.

أخبار محمد بن داود[2] وصاحبه محمد الصيدلانى:

هو: أبو بكر محمد بن داود بن على المعروف بالفقيه الأصفهانى ،كان لبيبًا حاذقًا وفقيهاً شاعرًا ،وله فى فقه الظاهرية والأحاديث والتواريخ اليد الطولى .

قال الخطيب: إنه كان ملازماً للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب ، و إنه شرع فى كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب [**الزهرة**] وساير به عمره. وصاحبه هذا هو: محمد بن جامع الصيدلانى كان يبيع العطر ببغداد ، وكان من أجمل أهل زمانه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفًا وعليه عطوفًا وبه رؤوفًا، واشتهر أمرهما فلم ينكراه، واتضح فلم يخفياه .

وقيل: إنه لم يعمل الكتاب المذكور إلا بسبب عشق هذا، وإن إليه الإشارة فى أول الكتاب المذكور بقوله: **وتنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدَّم فيه ، ومن عجيب ما يأتى الزمان ظالم يتظلم ، وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر.**

ومن أدلة عطفه عليه: أنه خرج من الحمام يومًا فنظر فى المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه ، وأتى ابن داود فلما رآه غشى عليه، فقال له: لابأس عليك إننى لم أبرقع وجهى لسوء أصابه ،ولكن رأيته غب حمام فأعجبنى فأحببت أن لا أمتع به أحدًا قبلك فغداه وسر بذلك.

قالوا: ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع، ومن لطف ابن داود ورقته أنه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أيامًا فسئل فى ذلك.

---

(١) الرمس : القبر . لسان العرب ، مادة [رمس] .

(٢) محمد بن داود، هو: ابن على بن خلف، الظاهرى، أبو بكر، أديب، مناظر، شاعر، من أذكياء العالم . أصله من أصبهان ، ولد وعاش ببغداد ، وتوفى بها مقتولاً سنة (٢٩٧هـ) من آثاره: الوصول إلى معرفة الأصول ، الزهرى . انظر: تاريخ ابن خلكان (٤٧٨/١) ، تاريخ بغداد (٢٥٦/٥)، الأعلام (١٢٠/٦).

Marfat.com

فقال: دخلت يومًا فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذ رأيـانى، فـآليت أن لا أدخل مكاناً فرقت فيه بين محبين .

وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعى فى مجلس الوزير ابـن عيسـى فسبقه ابـن داود يوماً فسأله حديث الشافعية عن العود الموجب للكفارة فى الظهار، فقـال: هو إعادة القول ثانيًا، فطالبه بالدليل ودخل ابن سريج ، فحين وقف على القصة قال لأبى بكر: قول من هذا من المسلمين غيركم؟

فقال له وقد استشاط غضبه: غاية أمرنـا أن نعـد قـول مـن خالفنـا خلافًـا، فغضب ابن شريح وقال له: أنـت أعـزك الله بكتـاب **(الزهـرة)** أمـس مـن غـيره فقال: أبكتاب (الزهرة) تعيرنى ؟ والله لاتصلح للنظر فيه . ألم أقل فيه :

أنـزه فـى روض المحاسـن مقلتـى ... وأمنـع نفسـى أن تنـال المحرمـا
واحمل من ثقل الهـوى مـا لـو أنـه ... علـى جـامد الصلـد الأصـم تهدمـا
ويظهـر سـرى عـن مـترجم خـاطرى ... فلـولا اختـلاس الطـرف عنـه تكلمـا
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... ومـا أن أرى حبـاً صحيحـاً مسـلما

فقال له ابن شريح: بم تفتخر على ولو شئت لقلت :

ومسـامر بالشـهد مـن نغماتـه ... قـد بـت أمنعـه لذيـذ سـناته
صبابـه وبحسـنه وحديثـه ... وأنـزه اللحظـات فـى وجناتـه
حتـى إذا مـا الصبـح لاح عمـوده ... ولى بخـاتم ربـه وبراتـه

فقال ابن داود: ليحفظ مولانا الوزير قولـه حتـى يقيـم بينـة بالـبراءة، فقـال: يلزمنى فى ذلك ما يلزمك فى قولك: **أنزه فى روض المحاسن...** فقـال الوزيـر: لقد حويتما ظرفاً وعلماً.

وقيل: كانت المناظرة فى مسألة فى الإيلاء وأن ابن شريح قال: أنت بقولك: ((من كثرت لحظاته دامت حسراته)) ، أحذق .

ومن لطف ابن داود أنه سئل يومًا:

يـا ابـن داود يافقيـه العـراق ... افتنـا فـى فواتـك الأحـداق
هـل عليهـا القصـاص فـى القتـل يومـاً ... أم مبـاح لهـا دم العشـاق

Marfat.com

فأجاب :

عنـدى جـواب مسـائل العشـاق فاسمعـه مـن قلـق الحشـى مشـتاق
لما سألت عـن الهـوى أهـل الهـوى أجريـت دمعـاً لم يكـن بـالراقى
أخطأت فى نفس السؤال وأن تصب بك فى الهوى شفقاً مـن الاشـفاق
لـو أن معشـوقاً يعـذب عاشـقاً كـان المعـذب أنعـم العشـاق

وقيل له وهو فى مرض موته: ماذا تشكو ؟

فقال: حب من تعلم صيرنى إلى ما ترى.

فقيل: ما منعك وقد كنت قادراً على ذلك.

فقال: التمتع إما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ ،وإما تلذذ بالمحرم فمنعنى منه قوله عليه الصلاة والسلام:((**من عشق...**)) الحديث السابق فى المقدمة.

وأنشد :

مـالهم أنكـروا سـوادا بخديـه ولاينكـرون ورد الغصـون
إن يكـن عيـب خـده بـذر الشـعر فعيـب العيـون شـعر الجفـون

فقيل: له أنكرت القياس فى الفقه وأثبته فى الشعر.

فقال: غلب الحب. وتوفى نهار الاثنين تاسع رمضان، أو لأيام بقين منه، أوسابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين.

ومن لطيف أشعاره فى محبوبه :

يـا يوسـف الحسـن تمثيـلاً وتشـبيهاً ياطلعـة ليـس إلا البـدر يحكيهـا
من شك فى الحور فلينظر إليك فما صيغـت معـانيك إلا مـن معانيهـا
مـا للبـدور للتحريـف يـا أملـى نـور البـدور عـن التحريـف يغنيهـا[1]
أن الزنانـير لا تجلـى وإن عتقـت ولاتـزاد على النقـش الـذى فيهـا[2]

ومنها:

أشـكو عليـل فـؤاد أنـت متلفـه شـكوى عليـل إلى إلـف يعللـه
سـقمى تزيـد مـع الأيـام كـثره وأنـت فى عظـم مـا ألقـى تقللـه
الله حـرم قتلى فى الهوى سـفها وأنـت يـا قـاتلى ظلمـاً تحللـه

---

(١) التحريف، من حرف إذا ذهب عنه ما كان له. انظر: لسان العرب، مادة [حرف].
(٢) الزنانير، جمع زنار: ما يشد على الوسط. انظر: لسان العرب، مادة [زنر].

Marfat.com

ومنها:

حملت جبال الحب فيك وأننى لأ عجز عن حمل القميص وأضعف

وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شيئًا به النفس تكلف

ومنها :

سقى ا لله أيامًا لنا وليالي لهن بأكناف الشباب ملاعب

إذا العيش عض والزمان بغزه وشاهد آفات المحبين عاثب[1]

ومنها:

انظر إلى السحر يجرى فى لواحظه وانظر إلى دعج فى طرفه الساجى[2]

وانظر إلى شعرات فوق عارضه كأنهن نميل دب فى عاج

---

(١)بغزه : ضربه بالعصا . عاثب ، من عثه : إذا ثبطه وصرفه عن الأمر. انظر: لسان العرب، مادة [بغز]، [عاث].

(٢)الدعج: سواد العين مع سعتها .الساجى: الساكن اللين . انظر: لسان العرب ، مادة [دعج]،[سجا]

Marfat.com

فصل
أخبار القاضى شمس الدين بن خلكان[1]
وصاحبه المظفرى

هو: قاضى القضاة أبو عبد ا لله شمس الدين محمد بن خلكان ، وصاحبه أحمد بن مسعود بن الملك المظفر وصاحب حماة، وله معه حكايات غريبة ، وهو ما اشتهر به، أن أباه دعاه ليلا فجلسا يتحادثان ، وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب، وفى يده شمعه ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة[2] كانت معه فسقط الدينار فأقام الشمعة لينظره، فانطفأت الشمعة فنظر إلى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الأرض فالتهبت نار عشقه فى قلبه، وخرج فكتم ذلك أياماً فمرض واشتد به الحال ، فبينما هو كذلك إذ أرسل المظفر ولده يعوده ، فحين رآه وثب قائماً كأن لم يكن به مرض ، وكان الغلام حاذقاً فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه ، فقال من رأى القاضى بعد ذلك : إنه كان يبيت الليالى إلى الصباح لايعرف النوم وهو يقول :

أنا وا لله هالك ... آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى ... قد أقامت قيامتى

وقيل: مات وهو ينشدهما.

وحكى أنه كان بعد حجبه لايركب إلا يوم الموكب، وإن القاضى كان يقصده مستخفياً فينظر إليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب إليه ابن خلكان :

ياسادتى إنى قنعت وحقكم ... فى حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفا ... ورأيتم هجرى وفرط تجنبى

---

(١) شمس الدين بن خلكان ، هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر ، البرمكى ، الإربلى، الشافعى، أبو العباس ، فقيه ، مؤرخ ، أديب ، شاعر . تولى قضاء دمشق ، وتوفى بها سنة(٦٨١هـ). من تصانيفه : وفيات الأعيان . انظر: البداية والنهاية (٣٠١/١٣)، طبقات الشافعية (١٤/٥)، معجم المؤلفين (٢٣٧/١) .

(٢) السكرجة: الصحفة التى يوضع فيها الطعام. انظر: لسان العرب، مادة [سكرٍ] .

Marfat.com

لاتمنعـوا عينـى القريحـة أن تـرى ... يـوم الخميـس جمـالكم فـى الموكـب

لوكنـت تعلـم يـا حبيبـى مـا الـذى ... ألقـاه مـن كمـد إذا لم تركـب

لرحمتنـى ورثيـت لى مـن حالـة ... لـولاك لم يـك حملهـا مـن مذهبـى

قسـما بوجهـك وهـو بـدر طـالع ... وبليـل طرتـك التـى كـالغيهب[1]

وبقامـة لـك كـالقضيب ركبـت مـن ... أخطارهـا فـى الحـب اصعـب مركـب

لـو لم أكـن فـى رتبـة أرعـى لهـا العهـد ... القديـم صيانـة للمنصـب

لهتكـت سـرى فـى هـواك ولـذّ لى ... خلـع العـذار و لـو ألح مؤنبـى

لكـن خشـيت بـأن يقـول عـواذلى ... قد جن هـذا الشـيخ فـى هـذا الصبـى

فـارحم فديتـك حرقـة قـد قـاربت ... كشـف القنـاع بحـق ديـاك النبـى

لاتفضحـن بحبـك الصـب الـذى ... جرعتـه فـى الحـب أكـدر مشـرب

---

(١) الطرة: الجبهة .الغيهب: الظلمة. انظر: لسان العرب، مادة [طر] ، [غهب]

Marfat.com

فصل
أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم

هو: أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسياً شاعراً نحوياً متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوى واجتمع بالمزنى وبأبى عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما.

وأسلم هذا هو: ابن سعيد بن خلف، كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر. ولى أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجباً، وله يد فى الأدب وديوان شعر معروف ترجمه فى [**الإحاطه بتاريخ غرناطة**]، معروف بالرياسة والفضل والعرافة، فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الأشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك.

فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على ألسنة شعره ،وقيل: إن أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغنى به **قوله** :

أيسلمنى فى هوا ... ء أسلم هذا الرشا[1]
غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد ... سيسئل عما وشا
ولو شاء أن يرتشى على ... الوصل روحى ارتشى[2]

فحين بلغ أسلم هذا الأمر انقطع فى داره عن جميع الأشياء فصار يجلس على بابه أحياناً، فجعل أحمد لا يمر إلا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلاً عند العشاء فمضىأحمد وأخذ دجاجًا وبيضاً وتزيا بزى بعض فلاحى أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على الضياع فاستلغاه[3] فحين عرفه، قال: أمايكفيك قطعىعن الطلب والخروج حتى تبعتنى إلىهنا ؟ ثم حلف لا يخرج من بيته .

ومضى أحمد حزيناً فكان يماجن، فيقال له: ذهب دجاجك وبيضك.

---

(١) الرشا : الظبى . انظر: لسان العرب، مادة [رشا] .

(٢) ارتشى: آخذ الرشوة. انظر: لسان العرب، مادة [رشا] .

(٣) استلغى فلان : استنطقه واستمع لغته. انظر: لسان العرب، مادة [لغو] .

Marfat.com

فيقول: أود لو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا. ولما طال عليه الأمر انقطع.

قال ابن خطاب: فعدته فوجدته مشرفاً على التلف، فقال: لو سعيت فى أن تجمع بينى وبينه لأثابك الله على ذلك ثواباً عظيماً.

فمضيت إليه ، فقلت له تعلم حرمتى عليك وحرمة ما ضمك مع ابن كليب من الطلب.

فقال: نعم، ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا.

قلت: ما عليك أن تزوره فتنقذه من التلف ،فامتنع، فلم أزل به حتى أجاب أن يمضى من الغد ، فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بإزاء بيته ، فتغير وقال : فى هذه الساعة أموت، ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه فى يدى قطعة، ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه، فلما لم يجده معى تغير واختلط عقله فقمت عنه فآبت نفسه إليه.

فقال لى: اسمع وأنشد .

أسلم ياراحة العليل ... رفقاً على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادى ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: استعذ من ذلك .

فقال: قد كان فلم أخرج عنه إلا وقد قام الصراخ عليه، ومن شعره فيه .

وقد أهدى له فصيح ثعلب[1] :

هذا كاتب الفصيح ... بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعاً ... كما وهبتك روحى

ومنه وقد كتب إلى ابن خطاب شعرا فى أسلم يعرضه عليه، فقال: إنه ملحون[2]، فراجعه ابن خطاب ، **فكتب :**

ألحق لى التنوين فى مطمع ... فإننى أنسيت إلحاقه

لاسيما إذا كان فى وصل من ... كدرنى فى الحب أخلاقه

---

(١) [فصيح ثعلب] : هو كتاب له .

(٢) ملحون: اللحن: ترك الصواب فى القراءة والتشيد ونحو ذلك . لسان العرب ، مادة [لحن] .

Marfat.com

فصل

أخبار مدرك[1] وصاحبه عمرو

هو: مدرك بن على الشيبانى نسبة إلى بنى شيبان عرب بيادية البصرة، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها، فتفقه وأحسن العربية والأدب والخط .

وعمرو هذا، هو: ابن يوحنا النصرانى البغدادى، كان بدير الروم من الجانب الشرقى، وكان لمدرك مجلس علم لا يحضر فيه إلا الأحداث وكان إذا دخله شيخ يخرجه ،وكان عمرو يحضره ، فعشقه وزاد فيه وجده فألقى إليه يومًا رقعة فيها :

بمجالس العلم التى ... بك تم حسن جموعها

ألا رثيت لمقلة ... غرقت بماء دموعها

بينى وبينك حرمة ... الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمراً، وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش، ودخل الناس عليه يعودونه، فقال: أما بينكم وبينى حرمة وعشرة؟ أما فيكم من يرحمنى بالنظر إلى عمرو؟

فمضوا إليه، فلما أعلموه بحاله وما صار إليه من أجله مضى معهم، فحين سلم عليه أغمى عليه، ثم أفاق وأخذ بيده **وأنشد** :

أنا فى عافية إلا من الشوق إليك

أيها العائد ما بى منك لايخفى عليك

لاتعد جسماً وعد قلباً رهينا فى يديك

كيف لايهلك مرشوق بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات، ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة، وللطفها بتخميس الحلى لها أوردناه معها غير أن المصنف أبدل أبياتًا يسيرة من

---

(١) مدرك ، هو : ابن محمد بن على، الشيبانى، أبو القاسم، شاعر، له أقوال فى الغزل والمديح والرثاء. انظر: تاريخ بغداد (٢٧٣/١٣)

Marfat.com

التخميس وزاد أخر زعم أن الحلى لم يقف عليها، وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير أنى أقول فى أبيات المصنف: له ، وهى هذه :

من عاشق ناء هواه دان ناطق دمع صامت اللسان

موثق قلب مطلق الجثمان معذب بالصد والهجران

طليق دمع قلبه فى أسر

من غير ذنب كسبت يداه غير هوى نمت به عيناه

شوقاً إلى رؤية من أشقاه كأنما عافاه من أضناه

إذا كان أصل نفعه والضر

يا ويح من عاشق ما يلقى من أدمع منهلة ما ترقا[1]

ناطقة وما أجادت نطقاً تخبر عن حب له استرقا

أخبار من يعلم أخفى السر

لم يبق منه غير طرف يبكى بأدمع مثل نظام السلك

تطفيه نيران الهوى وتذكى كأنما قطر السماء يحكى

هيهات هل قيس دم بقطر

إلى غزال من بنى النصارى عذارٌ خديه سبى العذارى[2]

وغادر الأسد به حيارى فى ربقة الحب به اسارى

تنشد قول مدرك فى عمرو

ريم بدار الروم رام قتلى بمقلة كحلاء لا عن كحل

وطرة بها استتار عقلى وحسن وجه وقبيح فعل

وعظم ردف ونحيل خصر

ريم به أى هزبر لم يصد يقتل باللحظ ولم يخشى القود

متى يقل ها قالت الألحاظ قد كأنه ناسوته حين انحد

أفديه من ريم ومن هزبر

---

(١) ترقا: من رقّ: حنّ عليه .انظر : القاموس المحيط ، مادة [رقّ].

(٢) العذار:جانب الحية ، أى الشعر الذى يحاذى الأذن. انظر: القاموس المحيط، مادة[عذر].

Marfat.com

مـــا أبصـــر النـــاس جميعـــا بـــدرا ولا رأوا شمســـاً وغصنـــا نضـــرا
أحسن مـــن عمـــرو فديـــت عمـــراً ظبـــى بعينيـــه ســـقانى خمـــراً
فما أفقت ساعه من سكرى
هـــا أنـــا ذا بقـــدة مقـــدود والدمع فى خـدى لـه أخـدود[1]
مـــا ضـــر مـــن فقربـــه موجـــود لـــو لم يقبـــح فعلـــه الصـــدود
فديته لقد أطال هجرى
إن كـــان ذنبـــى عنـــده الإســـلام فقـــد ســـعت فـــى نقصـــه الآثـــام
واختلـــت الصـــلاة والصيـــام وجـــاز فـــى الديـــن لـــه الحـــرام
ياخيبتى إن لم أفز بغفر
يـــاليتنى كنـــت لـــه صليبـــاً أكـــون معـــه أبـــداً قريبـــا
أبصـــر حســـنا وأشـــم طيبـــاً لا واشـــياً أخشـــى ولا رقيبـــاً
ولا أخاف أبدًا من غدر
يـــاليتنى كنـــت لـــه قربانـــا ألثـــم منـــه الثغـــر والبنانـــا
أو جاثليقـــا كنـــت أو مطرانـــا كيمـــا يـــرى الطاعـــة لى إيمانـــا
فلا يزال الدهر طوع أمرى
يـــاليتنى كنـــت لعمـــرو مصفحـــاً يقـــرأ منـــى كـــل يـــوم أحرفـــا
أو قلمـــا يكتـــب بىمـــا ألفـــا مـــن أدب مستحســـن قـــد صنفـــا
ويجعل الريق بديل الحبر
يـــاليتنى كنـــت لعمـــرو عـــوده أو حلـــة يلبســـها مقـــدودة
أوبركـــة باسمـــه محـــدودة أو بيعـــة فـــى داره مشـــهودة
يدلج فى أرجائها ويسرى
يـــاليتنى كنـــت لـــه زنـــاراً يديرنـــى فـــى الخصـــر كيـــف دارا

---

(١) المقدود: الهزيل الضعيف. انظر القاموس المحيط، مادة[قدّ].

Marfat.com

حتـــىإذا الليـــل طـــوى النهـــار صـــــرت لـــــه حينئـــــذ إزارا

أضمه إلى طلوع الفجر

قـــد والـــذى يبقيـــه لـــه أفنـــانى وابـــتز عقلـــى والضنـــى كســـانى[1]

ظبـــى علـــى البعـــاد والتدانـــى حـــل محـــل الـــروح مـــن جثمـــانى

فليس لى عن قربه من صبر

واكبـــدى مـــن خـــده المضـــرج واكبـــدى مـــن ثغـــره المفلـــج

لاشئ مثل الطـرف منـه الأدعـج اذهـــب للنســـك وللتحـــرج

إلا جمال ثغره بالدر

إليـــك أشـــكو يـــاغزال الأنـــس مـــابى مـــن الوحشـــة بعـــد الأنـــس

يـــا مـــن هـــلالى وجهـــه وشمســـه لاتقتـــل النفـــس بغـــير النفـــس

وجـــد بوصـــل لســـقام يـــبرى

جـد لى كمـا جـدت بحســن الـود وارع كمـا أرعـى قديـم العهـد

واصـدد كصـدى عـن طويـل العهـد فليـس وجـد بـك مثـل وجـدى

وليس ذكر لك مثلٌ ذكرى

هـا أنـا فـى بحـر الهـوى غريـق ســكران مـــن حبـــك لا أفيـــق

محـــترق مـــا مســـنى حريـــق يرثـــى لى العـــدو والصديـــق

من حر صدرى وعظيم ضرى

فليـت شـعرى فيـك هـل ترثـى لى مـــن ســـقم لى وضنـــى طويـــل

أم هـل إلى وصلـــك مـــن ســـبيل لعاشـــق ذى جســـد نحيـــل

انحله حبك طول الدهر

فـى كـل عضـو منـه ســقم و ألم ومقلـــة تبكـــى بدمـــع وبـــدم

شـــوقا إلى بـــدور شمـــس وصنـــم منـــه اليـــه المشـــتكى إذا ظلـــم

أفديه من شمس ضحى وبدر

---

(١) ابتزّ: سلب الشيء قهرًا. انظر: لسان العرب، مادة[بزّ].

Marfat.com

أقـــول إذ قـــام بقلبىوقعـــد يـاعمرو ياعـامر قلبـى بـالكمد
أقســم بـــا لله يمـــين المجتهـــد ان أمـــر أو أصلتـــه لقـــد ســـعد
وكان من أشفيته فى حر

يـــاعمرو ناشـــدتك بالمســـيح الا سمعـــت القـــول مـــن فصيـــح
يخـبر عـــن قلـــب لـــه جريـــح بـاح بمـا يلقـــى مـــن التـــبريح
كسير قلب ماله من جبر

يـاعمرو بـــالحق مـــن اللاهـــوت والـروح روح القـدس والناسـوت
ذاك الـذى فـى مهـده المنحـوت عـــوض بـــالنطق مـــن الســـكوت
وأنشر الميت ببطن القبر

بحـــق ناســـوت ببطـــن مريـــم حل محـل الريـق منهـا فـى الفـم
ثـم اسـتحال فـى قنـوم الأقـدم فكلـــم النـــاس ولمـــا يفطـــم
مصرحًا عن أمه بالعذر

بحـق مـــن بعـــد الممـــات قمصـــا ثوبـاً علـى مقـداره مـا قصصـا
وكـــان لله تقيـــا مخلصـــا يشـفى ويـبرى أكمهـا وأبرصـا
بما لديه من خفى السر

بحـــق محيـــى صـــورة الطيـــور وبـــاعث الموتـــى مـــن القبـــور
ومـــن اليـــه مرجـــع الأمـــور يعلـــم مـــافى الـــبر والبحـــور
وما به صرف القضاء يجرى

بحـق مـن فـى شـامخ الصوامـع مـــن ســـاجد لربـــه وراكـــع
يبكـــى إذا مانـــام كـــل هـــاجع خوفـــاً مـــن ا لله بدمـــع هـــامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحـــق قـــوم حلقـــوا الرؤوســـا وعـــالجوا طـــول الحيـــاة بؤسًـــا
وقرعـــوا فـــى البيعـــة الناقوســـا مشـــمعلين يعبـــدون عيســـى
قد أخلصوا فى سرهم والجهر

بحـــق مـــارى مريـــم وبولـــس بحـــق شمعـــون الصفـــا وبطـــرس
بحـــق دانيـــل بحـــق يونـــس بحـق حزقيـل وبيـــت المقـــدس
وكل أواب رحيب الصدر

Marfat.com

ونينـــوى إذ قـــام يدعـــو ربـــه مطهـــراً مـــن كـــل ســـوء قلبـــه
ومســـــتقيلاً فـــأقيل ذنبـــــه ونـــال عنـــد ا لله مـــا أحبـــه[1]

إذ رام من مولاه شد الازر

بحـــق مـــا فـــى قلـــة المـــيرون مـــن نـــافع الأدواء للمجنـــون
بحـــق مـــايؤثر عـــن شمعـــون مـــن بركـــات الخـــوص والزيتـــون

خصب البلاد فى السنين الغبر

بحـــق أعيـــاد الصليـــب الزهـــر وعيـــد أشمونىوعيـــد الفطـــر
وبالشـــعانين العظيـــم القـــدر وعيـــد مرمـــارى الرفيـــع الذكـــر

مواسم تمنع حمل الاصر

وعيـــد شـــعياء وباهيـــاكل والدخـــن اللاتىبكـــف الحـــامل
يشـفى بهـا مـن خبـل كـل خـابل ومـن دخيـل السـقم فىالمفـاصل

لكونها من كل داء تبرى

بحـــق ســـبعين مـــن العبـــاد قـــاموا بديـــن ا لله فـــى البـــلاد
وأرشـــدوا النـــاس إلى الرشـــاد حتـى اهتـدى مـن لم يكـن بهـادى

وحقق الحق بكشف الستر

بحـق إثنتـــى عشـــرة مـــن الأمـــم ســاروا إلى الأقطـــار يتلـــون الحكـــم
حتـى إذا صبـح الدجىجـلا الظلـم ســـاروا إلى ا لله ففـــازوا بـــالنعم

ثم استداموها بفطر الشكر

بحـق مـا فـى محكـم الانجيـل مـن محكـم التحريـم والتحليـل
وخـــير ذى نبـــأ جليـــل يرويـة جيـل قـد مضـى عـن جيـل

يســـند زيـــد علمـــه عـــن عمـــرو

بحـق مـر عيـد الشـفيق النـاصح بحـق لوقـا ذى الفعـال الصـالح
بحـــق تمليخـــا الحكيـــم الراجـــح والشـــهداء بـــالفلا الصحـــاصح

الراغبـــين فـــى عظيـــم الأجـــر

---

(١) مسقيلاً :من أقاله ، إذا صفح عنه. انظر: القاموس المحيط، مادة[قيل].

Marfat.com

بحـــق معموديـــــة الأرواح والمذبـح المشـهور فـى النواحـى
ومـن بـه مـن لابسـى الأمسـاح وعـابد بـاك ومـن نـواح
ينـثر عقـدًا مـن دمـوع حمـر
بحـق تقريـك فـى الأجسـاد وشـربك القهـوة كالفرصـاد[1]
بمـا بعينيـك مـن السـواد وطـول تقطيعـك للأكبـاد
وسلبك العشـاق حسـن الصـب
بحـق مـا قـدس شـعيا فيـه بـالحمد لله وبالتنزيـه
بحـق نسـطور ومـا يرويـه عـن كـل نـاموس لـه فقيـه
متبـع فـى نهيـه والأمـر لـه
شـيخان كانـا مـن شـيوخ العلـم وبعـض أركـان التقـى والحلـم
لم ينطقـا قـط بغـير فهـم موتهمـا كـان حيـاة الخصـم
وعنهـم أخـبر كـل حـبر
بحرمـة الأسـقف والمطـران والجثليـق العـالم الربـانى
والقـس والشـماس والديرانـى والبـترك الأكـبر والرهبـان
والمغربـانى ذى الخصـال الزهـر
بحرمـة المحبـوس فـى أعلـى الجبـل ومـار قـولا حـين صلـى وابتهـل
وبالكنيسـات القديمـات الأول وبالسـليح المرتضـى بمـا فعـل
ومـا أتـاه مـن فعـال البـر
بحرمـة الأسـقوفيا والبـيرم ومـا حـوى مغفـر رأس مريـم
بحرمـة الصـوم الكبـير الأعظـم وحـق كـل بركـة ومحـرم
مـن شـرف سـام عظيـم الفخـر
بحـق يـوم الذبـح ذى الاشـراق وليلـة الميـلاد والتلاقـى
والمذهـب المذهـب للنفـاق والفصـح يـا مهـذب الأخـلاق

---

(١) الفرصاد: عجم العنب. انظر القاموس المحيط، مادة[فرصد].

Marfat.com

وكـــل ميقـــات جليـــل القـــدر

بكـــل قـــداس علـــى قـــداس قدســـه القـــس مـــع الشـــماس

وقربـــوا يـــوم الخميـــس الناســـى وقدمـــوا الكـــاس لكـــل حاســـى

توقـــد فـــى راحتـــه كـــالجمر

ألا رغبـــت فـــى رضـــا أديـــب بـــاعده الحـــب عـــن الحبيـــب

فـــذاب مـــن شـــوق إلى المذيـــب أعلـــى منـــاه أيســـر التقريـــب

مـــن بســـط أخـــلاق وحســـن بشـــر

فـــانظر أمـــيرى فـــى صـــلاح أمـــرى محتســـبًا فـــى عظيـــم الأجـــر

مكتســـبًا فـــى جميـــل الشـــك فـــى نـــثر الفـــاظ ونظـــم شـــعر

ففيـــك نظمـــى أبـــدًا ونـــثرى

قلت: قد أودعـت هـذه القصيـدة غـالب مصطلحـات ديـن النصرانيـة، لكـن باعتبار مطلق الملة النصرانيـة لم يسـلك فيهـا مصطلـح الفرقـة التـى عمـرو منهـا، وظاهر أنه كان روميًا، ولكن مـدرك لم يكـن خبـيرًا بتفـاصيل فرقهـم وأقـل منـه معرفـة بذلـك مـــن خمـــس حيـــث تســـلقوا علـــى مناســـبة الشـــعر دون زيـــادة الأحكام،ولولا وجود هذا الباب فى الأصل والتزامى ذكر مـا فيـه لحذفتـه أصـلا لعدم الرغبة اليه لكن سأذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة.

قوله:(عن حب له استرقا)بتشديد القاف: أى جعل الناس رقًا والفاعل الحب.

قوله:(فى ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية، فى الأصل حبل يجعل فيه حلـق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن.فاستعاره تخييـلاً كـأن رتبـة العشـق جعلـت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه الربقة .

وقوله: (ريم) يعنى غزال ، **(والروم)**: الفرقة الأصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام.

وفى البيت من البديعِ التجنيسُ فى ريم ورام والـروم ويسـمى الاشـتقاق ، **(والهزبـر)**: الأسد، يقول: إن أشجع الوحوش الأسد، فلـو كـان العاشـق أسـدًا لصـاده هـذا الغزال مع أنه خلاف القياس.

Marfat.com

والناسوت واللاهوت: ألفاظ وقعت فـى الإنجيـل فتأولهـا لوقـا وهـو البطـرك الأكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليـه السـلام وهـو أول من قسم الفرق وتأول الرسـائل والإنجيـل وذكـر الأب و الابـن والـروح القـدس وقسم المثلثات .

فقال: إن عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشـرية وأخـذ اللاهـوت يعنـى الحصة الإلهيـة فـى ناسـوته كالمصبـاح فـى الزجاجـة وهـذا جيـد لـولا أنـه قـال فيستحيل تارة إلى اللاهوت لأن حصة العذراء يعنى مريم تفنـى وفـى هـذا كـلام طويل ذكرناه فى الفرق .

والصليب: شئ ذو خطوط أربعة تخـرج علـى اسـتقامة يجمـع أصلهـا المحـور، وأصل تبرك النصارى به أنهم لعنهم ا لله اعتقدوا أن الذى أخذته اليهـود بصقليـة وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وأنهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير، فلما قام بعد ثلاث حلل الخمر ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليـب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصًا، ومدلول هذا أن الخمر حرام فى الإنجيل وقـد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه (تقسيم الصفائح) ، وهو مرجع المتفقهة فى الملـة النصرانية وقد طالعته، أن الخمر حلال فى الأصل .

والقربان: رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يـوم أحـد من الصوم الكبير ويحمل إلى الكنيسة فـإذا فرغـت الصـلاة أخـذ القسـيس بعضـه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم إلى الجمعة،وهكذا.

والجاثليق: الرئيس بالنسبة إلى السلطنة الظاهرة .

وأما المطران: فهو الفقيه الورع المستصحب للبـس الصـوف الأسـود، وأصـل هذا الترتيب عندهم أن القارئ للإنجيل من أول وهلة **شماس** ، فـأن تأولـه و أتقـن حفظه صار **قسيسًا** ويدوم كذلك مادام عنده زوجـة، وأن بلـغ فـى العلـم مـابلغ فإن ماتت زوجته وتزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سـالخ **القسوسـية** و إلا صار**مطرانًا** فإن تنزه عن الذفر وما يخرج مـن الأرواح صـار بطركًـا فـى مذهـب الأرمن .

Marfat.com

وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون أنه لايجوز أن يكون بطركًا الا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح ومايخرج منها من أول عمره إلا العسل والسمك ، لأنه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى .

وأما الأسقف والميرون والراهب: فأسماء للمتعبدين خاصة، فالماكث فى القلة: ميرون، وكثير السياحة: أسقف وتارك النساء فقط: راهب، وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وأن لايصلى خارج الكنيسة ولو خمس قوله "كيما يرى الطاعة لى إيمانًا" بقوله "يكشف الرأس إذا ويجرى" لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين .

والمصحف: المراد به المعنى اللغوى .

والبيعة: معبد صغير غير مرتفع.

والدير: المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب.

والكنيسة: ما اشتملت على عواميد الأناجيل و لم يرتفع بناؤها طبقات.

والصومعة: مكان رفيع رقيق الأسفل.

والقلة: مثلها إلا أنها لاتسع أكثر من واحد.

والزنار: منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب إذا شدت كانت على السرة، ومن هنا إلى آخر ماشرح مؤخر.

والمغربانى: الخادم الملازم للبطرك ، وباقى البيت تقدم استطرادًا.

والمحبوس فى رأس الجبل: هو الراهب نقولا وكان بأنطاكية فى بيعه البرتز فأرسله لوقا نذيرا لأهل السد فحبسه شعياء اليهودى فى جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية، فأبى ومات جوعًا عند الأرمن .

واليعاقبة تقول: إن المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم، **ومرقولا:** أول بطرك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الأرمن والروم.

والسليح بالمهملة: رجل أقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية. ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر) لأنها وظيفته.

والأسقوفيا: هو الأسقف وقد تجوّز فيها مدرك، كما زاد الألف فى مرقولا.

Marfat.com

والبيرم: الفراش فى الدير، وأشار **بمغفرة رأس مريم:** إلى بولس الذى نحر عن مريم يوم صورت فى القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشرًا يومًا صومًا مبدؤها خامس عشر أيلول وهو تاسع عشر توت، والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من أول آذار يعنى برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يومًا، وأصله فى الإنجيل ثلاثون يومًا ثم زاده لوقا عشرة أيام لأجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بإفرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته، وكانت زمنة فأصبحت صحيحة وزعمت أن المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فأمر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين إلى الآن.

والبركة: محل ماء الغطاس ،والمحرم : تكميل ، ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لأن بركة الغطاس لابد أن يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان[1] وأنواع الطيب لأنهم يقولون إن مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى .

ويوم الذبح: يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن .

وليلة الميلاد: هى ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الأصم أعنى ثالث عشر طوبة.

والفصح، بالمهملة وبعدها معجمة: العيد الأكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالخماسين.

والقداس: هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا إلى عند (وقدموا) تقدم .

والأقنوم: لفظة رومية ويراد بها المعنى ، وعندهم الأقانيم: ثلاثة ا لله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة، وهو اصطلاح كازدشت عند المجوس، وخاخان عند اليهود، وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة إلى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى قمص بعد موت المسيح كما سبق.

---

(١) البلسان: شجر له زهر أبيض، بهيئة العناقيد، يستخرج منه دهن عطر الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة[بلس].

Marfat.com

والذين حلقـوا الـرؤوس وتشـمعنوا يعنـى اتبعـوا شمعـون وهـم: لوقـا ويوحنـا وإمليخا وجرجس وروبيل وبتيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها فـى الفـرق وحاصلها أنهم تعاهدوا على مدارسة الإنجيل والانفراد فى رؤوس الجبال بالعبادة، ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبـل البحـرى بـالقرب مـن أنطاكيـة وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لايساعها هذا المحل، ومابعد ذلـك أسمـاء أنبيـاء مـن بنى إسرائيل .

والدواء: الذى فى قلة الميرون: هو دهن البلسان وغسالة أرجل البطاركة فـى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البطرك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل القلل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب الماليخوليا، فإن صح ذلك، فلما فيهـا مـن دهـن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهـر، ولقـد قلـت للبطـرك يومًـا: أنـا أغسـل رجلى بالماء و أرفعه فلا يتغير أبدًا فتبطل مزيتكم، ثم ذكرت له العلة فاعـترف ، والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون، هو أن شمعون دخل الكنيسة يـوم أحـد خامس من يوم الصوم الأكبر ومعه غصن من شجرة الزيتـون وشـئ مـن خـوص النخل. فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكـرون فـى البـاطن رفـع إليهـم مـن ذلك شيئًا وأمرهم بادخاره فبقى رطبًـا إلى القـابل فدانـوا للملـة العيسـوية فـاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور، ويطرح فى الكنائس، فإذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهـم إلى القـابل ولـو عَـرَفَ الْمُخَمِّـسْ لقـال (وخـالص الكندر والمقر) يعنى الميعة[1] بلسانهم فإنهم يأخذون من الكنـدر[2] والميعـة وورق الزيتون ويعجنون الكـل بخـوراً للكنـائس وغيرهـا ، ويـداوون بـه أمراضًـا كثـيرة كالحميات، نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيـد الصليـب فيدفنونـه فـى الأرض أسبوعًا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا أن السنة مخصبة وإن كان غـير هـذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها فى كتاب الفلاحة .

---

(١) الميعة: صمغ عطر، يسيل من شجرة، و يتطيب به. انظر القاموس المحيط، مادة[ميع].

(٢) الكندر: صمغ شجرة كالآس. انظر: لسان العرب، مادة[كند].

Marfat.com

وعيد الصليب: معروف، **وعيد أشمونا:** عاشر نيسان . **وعيد الشعانين** هو الذى يأتى فى الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر السعيد . **وعيد مار مارى** هو الذى يأتى بعد صوم بولس وقد سبق. **وعيد شعياء** يكون فى صوم الميلادة بشباط يعنى أمشير ، والأرمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء .

واليعاقبة: تسمى يوم الزيتون أيضًا كذلك، والعمدة على كلام الروم.

والهياكل: الأماكن التى فيها قبور مثل البطاركة والمطارنة.

والدخن: المراد بها حصى اللبان الذكر.

والسبعين من العباد: هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الأمم المراد بهم السبعة السابقة، وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون وأتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها فى الفرق .

ومر عيد: عابد كان بدير سمعان.

وشعياء ونسطورون: شيخا التفسير أول من حل الإنجيل، ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الأنبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها وأحكام الإنجيل والزبور والتوراة، ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته إلى هنا انتهى الغرض منه .

Marfat.com

النوع الثانى: فى ذكر من جهل حاله وكان إلى الموت فى الحب مآله وقد رأينا أن نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعًا للقصة المشهورة.

فمنهم: سعيد الوراق وكان بالرها[1] يبيع الورق، يجلس إليه الشعراء وأهل الأدب فيتحدثون عنده فى الشعر كالصنوبرى[2] والمعرى[3] وغيرهما، فلازمهم غلام نصرانى اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الأدب، فعلقه سعيد وزاد به وجده فأنشد يومًا :

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى ... وهاك فابرى عظامى موضع القلم

وصير اللوح وجهى وامحه بيدى ... فان ذلك لى برء من السقم

ترى المعلم لايدرى بمن كلفى ... وأنت أشهر فى الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما، فلما شب الغلام طلب الترهب فأجابه أهله بعد جهد إلى دير زنكى وأقام به، وكان سعيد يأتيه ويجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه، أى صارت الرهبان تغلق باب الدير فى وجه سعيد إذا أتى .

فلما أيس مضى فأحرق داره وثيابه وخرج عاريًا ينشد الأشعار ويطوف بالدير ويبيت فى ظله، وأن الصنوبرى أتاه يومًا وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه.

فقال يا أبا بكر : ألا ترى إلى هذا الطائر الذى على شرفة الدير.

---

(١) الرها: مدينة تركية فى ما بين النهرين، قرب الحدود السورية،هى الرها القديمة عاصمة الأداب السريانية. انظر : معجم البلدان(٣:١٢٠).

(٢) الصنوبرى، هو:أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الضبى،الحلبى،الأنطاكى،أبو بكر.شاعر،سكن حلب و دمشق، من آثاره:ديوان شعر. توفى سنة(٣٣٤هـ).انظر: تاريخ دمشق(٢/٥٧)، الكامل فى التاريخ(٢/٦١)، معجم المؤلفين(١/٢٥٨).

(٣) المعرى، هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان ابن الحارث بن ربيعة ،التنوخى، أبو العلاء. شاعر، أديب، حكيم، لغوى، نحوى، ولد بمعرة النعمان بالشام. من آثاره: رسالة الغفران، رسالة الملائكة، ديوان شعر. توفى سنة(٤٤٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(١١/١٥٤)، تاريخ بغداد(٤/٢٤٠)، معجم المؤلفين(١/١٨١).

Marfat.com

قلت: نعم.

قال لى: اسأله حمل رسالتى إلى عيسى فأبى ثم قال: هل عندك لوح؟

قلت: نعم، فدفعته إليه فكتب :

بدينـــك ياحمامـــة ديـــر زنكـــى ... وبـــالانجيل عنـــدك والصليـــب

قفـــى وتحملـــى منـــى ســـلامًا ... إلى قمـــر علـــى غصـــن رطيـــب

حمـــاه جماعـــة الرهبـــان عنـــى ... فقلبـى مـا يقـر مـن الوجيـب[1]

وقـــالوا رابنـــا إلمـــام ســـعد ... ولا والله مـــا أنـــا بـــالمريب[2]

وقـــولى ســـعدك المســـكين يشـــكو ... لهيـب جـــوى أحـــر مـــن اللهيـــب

فصلـــه بنظـــرة لـــك مـــن بعيـــد ... إذا مـــاكنت تمنـــع مـــن قريـــب

وإن أك مـت فـاكتب حـول قـبرى ... محـب مـات مـن هجـر الحبيـب

رقيـــب واحـــد تنغيـــص عيـــش ... فكيـف بمـــن لـــه ألفـــا رقيـــب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتًا فأراد العامل يومئذ وهو العباس بـن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوه بمائة ألـف درهـم وصـار الغـلام إذا دخل المدينة لزيارة أهله تضربه الصبيان بالأحجـار، ويقولـون لـه: ياقـاتل سـعيد، فانتقل إلى دير سمعان.

ومنهم: شرف العـلاء علـق غلامًـا نصرانيًـا فلبـس المسـوح لأجلـه وتبعـه إلى الكنائس والبيع، وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن أيوب فاستحضره، فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه.

وأنشد:

جمعـــت بالكـــأس شملـــى ... ا لله يجمـــــع شملـــــك

بحـــق رأســـك دعنـــى ... حتـــى أقبـــل نعلـــك

وصار على ذلك هائمًا حتى مات .

ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى عن سعيد قال: كنت بخان التجار بـالبصرة إذا بغلام يصيح وفى يده مدية فاجتمع الناس إليه.

---

(١) الوجيب: خفقان القلب و رجفته. انظر: القاموس المحيط, مادة [وجب].

(٢) إلمام: زيارة. انظر: لسان العرب، مادة [لمّ].

Marfat.com

فأنشد :

يـوم الفـراق مـــن القيامـــة أطـــول والمـــوت مـــــن ألم التفـــرق أجمـــل

قـالوا الرحيـل فقلـت لســت براحـل لكـــن مهجتـــى التـــى تـــترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه، فقيل عشق غلاما لبعض الملـوك فحجـب عنـه يومًا واحدًا ففعل هذا .

ومنهم: ماحكاه الثورى[1] فى [روضة القلوب].

قال: كان بحمص[2] مؤدب، يقال له ابن الـدورى عشـق غلامًـا وكلـف بـه، فلما علم أبوه بذلك نقله إلى مؤدب آخر عدو له فضعف واشتد غمه، فكتب إلى أبى الغلام يستعطفه فأجابه بأنه إن لم يرجع رفع أمره إلى الحاكم فتغير مـن وقتـه ووتقايأ الدم،وحمل إلى بيته وجاءه الطبيب فأخبر أن كبده تفطرت فمات فى الرابع .

ومنهم: ماحكاه فى [ديوان الصبابة] وهو نظير العشق المسلسل السابق فى الباب الثانى.

قال: عشق شاب بدمشق غلامًا، فلما اشتد به وجده قتله فحمـل إلى الحـاكم فأنكر فهدد بالضرب، فجاء شاب كان يعشقه، فقال إن هذا لم يقتل الغلام وإنمـا أنا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بيـاطن القصـة وكـان متأدبًا فأمسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحـاكم الجديد أن شنق الشاب المذكور، وقال شهاب الدين الحاجبى: كـان شـابًا لطيفًـا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على أن له اليد الطـولى فـى الأدب، وكان من أولاد الجند عشق شابًا من أولاد الحسينية وأفرط فـى حبـه حتـى كـان لايصبر عنه ساعة، فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبى لمرضه فدخل أصحابـه عليه ليعودوه، فقال: أريد من يوصل هذه الدراهم إلى فلان يعنى صاحبه.

---

(١) الثورى، هو: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن منقذ بـن ثـور، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، وسيد العلماء. آخذ العلم عن ما يقرب من ستمائة شيخ، كـان لا يقدم عليه أحد فى زمانه فى الفقه والحديث والزهد. توفى سـنة (١٢٦هـ) انظر: الحلية (٣٥٦/٦) ، سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧) .

(٢) حمص: مدينة سورية على نهر العاصى، بين دمشق وحماة، مدينـة سياحية وصناعيـة. انظـر: معجم البلدان (٣٤٧/٢) .

Marfat.com

فقيل له: قد مات، فتغير من وقته واختلط عقله، وجعل يقول: قد مات.

ثم قال: احملونى من هنا، وألح عليهم، فأخذوه من حارة بهاء الدين إلى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معًا.

ومن شعره :

ملأت فؤادى من محبة شادن ... أميل اليه وهو كالظبى رائع
وقلت لقلبى قم لنعشق شادنًا ... سواه فقال القلب ما أنا صانع

ومنها :

إن السيوف كلها ... قاطعة إذا انجلت
الا سيوف لحظه ... إذا تصدّت قتلت

ومنها :

وصفت خصره الذى ... أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه ... فقلت ذاك واضح

ومنها :

له عين لها غزل وغزو ... مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى ... فيالك مقله غزلت وحاكت

ومنها :

عودا لصب بكى عليكم ... ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرًا ... وقلبه ما له قرار

ومنها :

لاتبعثوا غير الصبا بتحية ... ما طاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت ... نشرًا فيا الله ما أذكاها[1]

ومنها :

لم أنس ليلة بتنا ... والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ ... حتى حسبناه معنا

---

(١) تضوع : إذا انتشرت الرائحة وفاحت. انظر: لسان العرب، مادة [ضوع]

Marfat.com

وقال :

لم أنـــس أيـــام الصبـــا والهـــوى لله أيـــام النجـــا و النجـــاح[1]

ذاك زمـــان مـــرّ حلـــو الجنـــى ظفـــرت منـــه بحبيـــب وراح

ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة فى شرح بديعته أنه مدح بها صاحب حماة:

ثـانى المعـاطف كنـت أول عاشـق فـــى حبـــه ولكـــل ثـــان أول

يدنـــو فيحلـــو للمتيـــم لحظـــه إذ ذاك لحـــظ بالنعـــاس معســـل

وتميـــس منـــه شمـــائل لم أدر مـــن مشـــمولة أو حركتهـــا شمـــأل[2]

متلـــون الأوصـــاف ســـيف لحاظـــه مـــاض ولكـــن هجـــره مســـتقبل

---

(١) النجا : العصا. انظر: لسان العرب، مادة [نجو].

(٢) تميس ، من يميس: إذا مشى وهو يتمايل ويتبختر. انظر: لسان العرب، مادة [ميس].

Marfat.com

القسم الثانى

فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر مآله

فمنهم ما حكاه من لـه اعتنـاء بظرائـف الأخبـار، قـال: نزلـت دارًا فوجـدت مكتوبًا على حائط :

دعـوا مقلتـى تبكـى لفقـد حبيبهـا ... ليطفـئ بـرد الدمـع حـر كروبهـا

ففى حبـل خيـط الدمـع للقلـب راحـة ... فطوبـى لنفـس متعـت بحبيبهـا

بمـن لـو رأتـه القاطعـات أكفهـا ... لمـا رضيـت إلا بقطـع قلوبهـا

فسألت، فقيل: كان بها تاجر يهوى غلامًا وإنه أنفق عليه ثلاثـين ألـف دينـار حتى نفذ ما معه فلم يدر ماتم من أمرهما .

ومنهم ماحكاه بعضهم، قال: دخلت درب الزعفرانى ببغـداد، فرأيـت غلامًـا قد طرح شيخًا على التراب وهو يعضه ويضربه، فقلت: لا تفعل ذلك بأبيك وأنـا أظن أنه أبوه، فقال: حتى أفرغ أكلمك. فلما فرغ أقبل علىّ، وقال: هـذا الشـيخ يزعم أنه يهوانى وله ثلاث ما رآنى.

ومنهم ماحكاه الأصمعى[1] عن أبى نواس[2]، قـال: رأى غلامًـا بمكـة فعلقـه، وقال لأقبلنه عند الحجر.

قلت: اتق ا لله فى ذلك.

قال: لابد منه. فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا أنظره، فلما عنفته.

قال: إن ا لله رحيم، وأنشد :

وعاشـقان التـف خداهمـا ... عنـد اسـتلام الحجـر الأسـود

فاشـتفيا مـن غـير أن يأثمـا ... كأنمـا كانـا علـى موعـد

ومنهم رجل بإفريقية كان يهوى غلامًا وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وإنه انفرد ليلة يشرب، فذكر تجنى الغلام عليه وهجره له، فأخذ قبسًا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه إلى القاضى وكان لطيفا، فقال: لأى شئ فعلت هذا؟

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

فأنشد :

لمـــا تمـــادى علـــى بعـــادى ... واضـــرم النـــار فـــى فـــؤادى

ولم أجـــد مـــن هـــواه بـــدًا ... ولا معينًـــا علـــى الســـهاد

حملـــت نفســـى علـــى وقوفـــى ... ببابـــه حملـــة الجـــواد

فطـــار مـــن بعـــض نـــار قلبـــى ... أكـــبر فـــى الوصـــف مـــن زنـــاد

فـــأحرق البـــاب دون علمـــى ... ولم يكـــن ذاك مـــن مـــرادى

فاستظرفه القاضى وحمل عنه ما أفسده .

Marfat.com

القسم الثالث

فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما أراد

فمنهم ما حكى أنه كان ببغداد رجل صوفى معروف بالزهد والعبادة فهوى غلامًا جنديًا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر أمره عند غالب غلمان الغلام لأن الصوفى كان يتقصده فى الطرق والمواكب لينظره، فبينما الصوفى ليلة يصلى على سطحه إذ سمع صوت الغلام مارًا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا.

فقال مولاهم: ما لكم؟

فقالوا: لاشىء، فأقسم عليهم فتقدم إليه بعضهم وأسر الخبر إليه وأعلمه أنه يهواه.

فقال: منذ كم؟

قالوا: من زمان طويل.

فقال: بئس المرء الذى لا يعرف من أحبه، ثم نزل فأقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه.

فأنشد :

يامحرقًا بالنار وجه محبه رفقًا فإن مدامعى تطفيه
حرق بها جسدى وكل جوارحى واشفق على قلبى فإنك فيه

فحمله إلى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازى فى روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقى .

منهم البحترى[1] المشهور كان يهوى غلامًا اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه. فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يومًا وقال: هل تبيعه؟

قال: لا .

قال: خذ فيه ألف دينار، فأبى، وكان لايساوى أكثر من مائة .

فقال: خذ ألفين.

فقال: أحضرهما، فأحضرهما واشتراه ومضى به، فلم يلبث البحترى أكثر من يوم حتى ذهب عقله وأكثر التردد إلى أبى الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد.

فكتب إليه :

أبا الفضل فى تسع وتسعين نعجة غنى لك عن ظبى بساحتنا فرد

---

(١) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

أتـأخذه منـــى وقـــد أخـــذ الهـــوى فـؤادى لـه فيمـا أسـر ومـا أبـدى

وتغـــدو عليـــه صبوتـــى وصبـــابتى ولم يعـده وجـدى ولم يألـه جهـدى[1]

وقلـــت اســـل عنـــه فالمنيـــة دونـــه وكيـف بسـلوان الظمـآن عـن الـورد

فقال: أبيعك إياه بجميع ما تملك فى سائر البلاد.

فقال: أفعل،فباعه بذلك فلما أصبح أقاله وقال: إياك وهجر الأحرار فإن لهم مكائد.

ومنهم ماحكى: عن الصاحب بدر الدين[2] وزير اليمن أنه كان لـه أخ جميـل فاختار له معلمًا ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه فى بيتـه فـامتحن الشـيخ بحـب الغلام وزاد به الحال فشكا يومًا إلى الغلام أمره، فقال: ما أصنع وأخى لايفـارقنى ليلاً ولا نهارًا.

فقال الشيخ: إن دارى ملاصقة لحائطكم فـإذا كـان الليـل أتنـاولك فتجلـس معى لحظة لطيفة ثم تعود، فأجاب، فلما كان الليل أظهـر الشـاب أنـه نـائم فنـام أخوه، ففتح الباب النافذ إلى الحائط فوجد الشيخ واقفًا فأخذه ومضى، فـرآه قـد هيأ مجلسا لطيفًا ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكـأس وكانت ليلة البدر، وأفاق الوزير فلم ير أخاه، ورأى الباب مفتوحًا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكأس فى يد الشيخ وهو.

ينشد :

سـقانى شـربة مـن خمـر فيـه وحيـا بـالعذار ومـا يليـه

وبـات معـانقى خـد الخـد مليـح فـى الأنـام بـلا شـبية

وبـات البـدر مطلعًـا علينـا سـلوه لاينـم علـى أخيـه

---

(١) يعده : من عدا عن الأمر : صرفه وشغل عنه. يأله، من يـأل: إذا قصـر وأبطـأ. انظـر: لسـان العرب، مادة [عدا]، [أله].

(٢) الصاحب بدر الدين، هو: الحسن بن على بن رسول، الرسـول، بـدر الديـن، مـن أمـراء بنـى رسول، أصحـاب اليمـن، كـان فارسًـا شـجاعًا لا نظـير لـه فـى عصـره. مـات سـجينًا سـنة (٢٦٢هـ). انظر: الأعلام (٢/٢٠٣) .

Marfat.com

فكان من لطفه أن قال: وا لله لا أنم عليكما وانصرف. وذكر الحجازى بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك أن شخصًا كان يهوى غلامًا فمات فجلس يبكيه، فطلع البدر فنظر إليه فلم يقدر أن يملأ عينه منه.

فأنشد :

شقيقك غيب فى لحده وتطلع يا بدر من بعده

فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته .

ومنهم الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى وكان أديبا ظريفًا عارفًا بالشعر والأدب وكان شيعيًا وكان السيد المرتضى الموسوى نقيب الأشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة.

قال ابن سعد فى [الطبقات]: لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس[1] فبعث إلى الشريف بتحف مع عبد أسود، فأرسل الشريف يعاتبه فى ذلك وكان معروفًا بالشهامة، فمما قال له: أما رأيت شرًا من السواد حتى ترسله إلينا.

وحكى قاضى القضاة ابن البراج أن مهذب الدين لم يرسل إلى الشريف إلا العبيد فقط فكتب إليه أما بعد فلو علمت عددًا أقل من الواحد أو لونًا شراً من السواد لبعثت به إلينا والسلام، وكان مهذب الدين يهوى مملوكًا له اسمه تتر وكان لايفارقه فى نوم ولا يقظة وكان إذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر إليه فزال ما به، فحلف لايرسل إلى الشريف الهدايا إلا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه وأخذ يقاسى مشاق فرقته.

فلما جاء المملوك إلى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضًا من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر، فلم ير ما ينكى[2] به الشريف ويبعثه على إرسال المملوك

---

(١) طرابلس: مرفأ فى شمال لبنان، مدينة صناعية، وزراعية، وقاعدة صيد، وبها آثار عديدة. انظر: معجم البلدان.

(٢) نكأ : نكأته حق أى قضيته . لسان العرب ، مادة [نكأ] .

Marfat.com

إلا إظهار التورع عن التشيع والدخول فى مذهب أهل السنة . وإن دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل إليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر **وهى:**

عذبت طرفى بالسهر ... وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو مودتى ... من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى ... وكحلت جفنى بالسهر
وجفوت صبًا ماله عن ... حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويحك كم ... تخادع بالغرور وكم تغر[1]
والام تكلف بالأغن ... من الظباء وبالأغر
ريم يفوق أن رما ... ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها ... من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن ... قسىٍ لايناط بها وتر[2]
جرحتك جرحًا لا ... يخيط بالخيوط ولا الإبر
تلهو وتلعب بالعقو ... ل عيون أبناء الخفر
وكأنهن صوالج ... وكأنهن لها أكر
تخفى الهوى وتسره ... وخفىٍ سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى ... يفضى إليه فينتظر
نفسى الفداء لشادن ... أنا من هواه على خطر
عذل المعذول وما رآ ... ه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء الصبـ ... ـح جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خده ... فيرى لها فيه اثر
هو كالهلال ملثمًا ... والبدر حسنا إن سفر
ويلاه ما أحلاه فى ... قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده ... وربيع لذاتى صفر

---

(١) الغرور: ما يسبب الإنخداع. انظر: لسان العرب، مادة [غر].
(٢) يناط، من ناطه: يعلق عليه. الوتر: الانتقام. انظر: لسان العرب، مادة [نوط]، [وتر].

Marfat.com

بالمشـــــعرين وبالصفـــــا والبيـــت اقســـم والحجـــر
وبمـــن ســـعى فيـــه وطـــا ف بـــه ولبـــى واعتمـــر
لئـــن الشـــريف الموســـوى ابـــن الشـــريف أبـــى مضـــر
أبـــــدى الجحـــــود ولم يـــرد إلىّ مملوكـــى تـــز
وآليـــــت آل أميـــــة الطهـــر الميـــامين الغـــرر[1]
وجحـــدت بيعـــة حيـــدر وعدلـــت عنـــه إلى عمـــر
إذا جـــرى ذكـــر الصحـــا بـــة بـــين قـــوم واشـــتهر
قلـــت المقـــدم شـــيخ تيـــم ثـــم صاحبـــه عمـــر
مـــا ســـل قـــط ظبـــى علـــى آل النبـــى ولا شـــهر
كـــلا ولا صـــد البتـــو ل عـــن الـــتراث ولا زجـــر
وأثابهـــا الحســـنى ولا شـــق الكتـــاب ولا بقـــر[2]
وبكيـــت عثمـــان الشـــهيد بكـــاء نســـوان الحضـــر
وشـــرحت حســـن صلاتـــه جنـــح الظـــلام المعتكـــر
وقـــرات مـــن أوراق مصحفـــه بـــــراءة والزمـــــر
ورثيـــت طلحـــة والزبـــير بكـــل شـــعر مبتكـــر
وأزور قبرهمـــــــــا وأز جـــر مـــن لحـــانى أو عـــذر
وأقـــول أم المؤمنـــين عقوقهـــا إحـــــدى الكـــــبر
ركبـــت علـــى جمـــل لتصبـــح مـــن بنيهـــا فـــى زمـــر[3]
وأتـــت لتصلـــح بـــين جيـــش المســـلمين علـــى غـــرر[4]
فـــأتى أبـــو حســـن وســـل حســـامه وســـطا وكـــر
وأذاق إخوتـــــه الـــــردى وبعـــــير أمهـــــم عقـــــر

---

(١) آليت: آلى، حلف. انظر: لسان العرب، مادة [اله].

(٢) بقر:شق الشئ. انظر: لسان العرب، مادة [بقر].

(٣) زُمُر، جمع زمرة: الجماعة. انظر: لسان العرب، مادة [زمر].

(٤) الغرر: التعرض للهلاك. انظر: لسان العرب، مادة [فرر].

Marfat.com

ما ضره لو كان كف ... وعف عنهم إذ قدر
وأقول أن إمامكم ... ولى بصفين وفر
وأقول إن أخطأ معا ... وية فما أخطأ القدر
هذا ولم يغدر معا ... وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته يقا ... تل لا بصارمة الذكر
وجنيت من رطب النوا ... صب ماتتمر واختمر
وأقول ذنب الخارجين ... على علىّ مغتفر
لا ثائر بقتالهم ... فى النهروان ولا أثر
والأشعرى بما يؤو ... ل إليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرًا ... فأنا البرئ من الخطر
فعلا وقال خلعت صا ... حبكم وأوجز واختصر
وأقول إن يزيد ما ... شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ... أبناء فاطمة أمر
والشمر ما قتل الحسين ... ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحرّم ... مه استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره ... وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو ... ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو ... ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلاً أصبا ... فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطر ... يق أقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقو ... ل بلحم جونى الجفر[1]
وجعلتها خير المآ ... كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كله ... ومسحت خفى فى السفر

---

(١) الجونى: الأدهم شديد السواد من الإبل. الجفر: ولد الشاة. انظر: لسان العرب، مادة [جون]، [جفر].

Marfat.com

وأمين أجهر في الصلا ... ة كمن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبو ... ر لكل قبر محتفر[1]
وإذا جرى ذكر الغدير ... أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ... ما اضمحل واندثر
وسكنت جلق واقتديت ... بهم وإن كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم ... بالفاشريا قد فشر
مصطيحتي مكسورة ... وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم ... طيش الظليم إذا نفر[2]
وخفيفهم مستثقل ... وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم ... خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ ... ـيد البلابل في السحر
و أقول في يوم تحا ... ر له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها ... والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني ... بعد الهداية والنظر
ما لي مضل في الورى ... الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشر ... يف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما ... تبقي عليه ولا تذر[3]
و الله يغفر للمسيـ ... ـئ إذا تنصل واعتذر
فاخش الإله بسوء فعلك ... واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية ... رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها ... قس الفصاحة لافتخر
ودري وأيقن أنني ... بحر وألفاظي درر

---

(١) تسنيم: من سنم القبر، ضد سطحه. انظر: لسان العرب، مادة [سنم].

(٢) الظليم: الذكر من النعام، انظر: لسان العرب، مادة [ظلم].

(٣) تسطو: تثب عليه وتقهره. انظر: لسان العرب، مادة [سطا].

Marfat.com

حبرتهـــا فغـــدت كزهـــر الـــروض بـــاكره المطـــر
وبديعـــــة كبديعـــــة عـــذراء ترفـــل فـــى الحـــبر
وإلى الشـــــريف بعثتهـــــا لمـــــا قراهـــــا وانبهـــــر
رد الغـــلام ومـــــا اســـتمر علـــى الجحـــود ولا أصـــر
وأثـــــابنى وجزيتـــــه شـــكرًا وقـــال لقـــد صـــبر

فلما وصلت القصيدة إلى الشريف ضحك، وقال: قد أبطأنا عليه فهو معـذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه مهذب الدين ، **فقال :**

إلى المرتضـــى حـــثّ المطـــىّ فإنـــه إمـــامٌ علـــى كـــل البريـــة قـــد سمـــا
ترى الناس أرضًـا فـى الفضـائل عنـده ونجـل الزكـى الهـاشمى هـو السـما

وذكر ابن حجة أن مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد.

قولـه: (وأقـول مثـل مقـالهم)، يفسـره مـا بعـده مـن الكلمـات المهملـة التـى تستعملها أهل دمشق فى الخلاعة والمصطيحة خشبة فى الأصـل تجعـل تحـت دود القز، وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطيحة ويكون معهم فى المواسم وقد تظرف فى المبالغة فى المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسـب القصـر إلى الفطيرة والكسر إلى المصطيحة والمستعملَ العكسَ فإنهم يضعـون الصـوالج قائمـة فى لعبة، فمن جاء صولجانه قصيراً أخـرج مـن اللعبـة فيقـول مصطيحتـى قصـيرة وكذا فى لعب الفطير يُرَدُّ من فطيرته مكسورة.

وقوله: (وإلى الشريف بعثتها) إلى آخر القصيدة: قد يتوهم أنه ملحق بعـد رد المملوك وليس كذلك وإنمـا قالـه تفـاؤلاً وحسـن ظـن بالشـريف واعتمـادًا علـى شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف .

Marfat.com

القسم الرابع
فى ذكـرمـن منعـه الزهــد والعبــادة
أن يقضى من محبوبه مراده

قد رأينا أن نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب، والكفارة لمـن عـزم أن يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع فى الخطأ وأسـبل عليهـم الغطا، وهو نوعان :

النوع الأول: فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى.

فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكـم يمشون إذا أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم.

فقال بعضهم لبعض: إنـه والله يـا هـؤلاء لاينجيكـم إلا الصـدق فليـدع كـل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فـرق[1] من أرز فذهب وتركه، وإنى عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمــره أنـى اشتريت منه بقرًا وراعيها وأنه أتانى يطلب أجره، فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها .

فقال لى: إنما لى عندك فرق من أرز .

فقلت له: أعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلـم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان كبيران وكنت آتيهما كل ليلـة بلبن غنـم لى فأبطـأت عنهمـا ليلة فجئت وقـد رقـدا وأهلـى وعيـالى يتضاغون[2] مـن الجـوع وكنـت لا أسـقيهم حتـى يشـرب أبـواى ، فكرهـت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجـر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

---

(١) الفرق: النبات الصغير، الذى لم يغط الأرض. انظر: لسان العرب، مادة [فرق].

(٢) يتضاغون، من تضاغى: إذا تضور من الجوع. انظر: لسان العرب، مادة [ضغا].

Marfat.com

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لى ابنة عم من أحب الناس إلى وإنى راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتنى من نفسها .فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق ا لله ولاتفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج ا لله عنهم، فخرجوا .

وحكى أن رجلاً افتتن براهبة فتسور إليها وراودها فلم تمكنه إلا بعد جهد ، فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت. فقال: لأى شئ فعلت هذا ؟

قالت: خفت أن أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية، فحلف لا يعصى ا لله بعدها وتاب .

وحكى أن رجلاً عشق جارية فزاد حبه لها و لم يتمكن منها، وإن أهلها أرسلوها لحاجة فتبعها وراودها. فقالت: إنى أحب لك منك لى، ولكنى أخاف ا لله.

فقال: أتخافينه ولا أخافه؟ ورجع فناله عطش كاد أن يأتى عليه، فلقيه رسول لبعض الأنبياء فشكا ذلك إليه فقال له: هلم ندعو ا لله أن تظلنا سحابة حتى نصل القرية.

قال: ليس لى عمل.

فقال الرسول: أنا أدعو وأنت أمن ، وفعلاً ، فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فدعاه الرسول إلى بيته فتبعتهما السحابة .

فقال له: تقول: ما لى عمل وقد تبعتك، أخبرنى ما فعلت، فأخبره، فقال: إن التائب عند ا لله أحسن من العابد .

وحكى أن عمر بن عبد العزيز[1] عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك[2] وزاد فيها غرامه فطلبها منها، فأبت عليه، فلما أفضت إليه الخلافة زينتها

---

(١) عمر بن عبد العزيز، هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى، القرشى، أبو حفص. الخليفة الصالح، الملك العادل، خامس الخلفاء الراشدين. من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام ولى الخلافة بعهد من سليمان سنة (٩٩هـ) و لم تطل مدة خلافته. توفى سنة (١٠١هـ). انظر: الطبرى (١٣٧/٨) ، سير أعلام النبلاء (٢٤) حلية الأولياء (٢٢٥٣/٥) الأعلام (٥٠/٥) .

(٢) فاطمة بنت عبد الملك، هى: فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. من فواضل نساء عصرها، كانت تحت عمر بن عبد العزيز، فحكت عنه، وروى عنها عطاء بن أبى رباح، ومزاحم ، وغيرهم. انظر: أعلام النساء (٧٥/٤).

Marfat.com

بأنواع الزينة، ثم قالت: يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك، فسر بها سرورًا بالغًا.

ثم قال لها: اخلعى ثيابك فحين همت أجلسها، ثم قال لها: من أين جئ بك فى الأصل؟

قالت: اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفانى منه و أرسلنى لعبد الملك فوهبنى لابنته.

فقال: أحى هو ؟

قالت: لا.

قال: هل له ورثة ؟

قالت: ولد. فأحضره وأمره أن يذكر ما أَغْرَمَ الحجاجُ أباه وأعطاه عمر ذلك مع الجارية ، وقال له: احذر أن يكون أبوك نالها.

فقال: هى لك ياأمير المؤمنين، فأبى ، فقال: أتبيعها ؟ فأبى.

فقالت الجارية: أين وجدك بى .

قال: قد زاد ولكنى أنهى النفس عن الهوى .

وحكى أن امرأة كانت فى بنى إسرائيل قد حازت ثلث الحسن، وكانت لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، فأعجبت شخصًا فمضى فجمع مائة دينار وجاء إليها.

فقالت: ادفعها إلى الجهبذ؛ يعنى الناقد، ففعل ، فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقالت: خل عنك ولك المائة، فقال: أجبتك.

فجمعت المال وجاءت به، وقالت: لئن صدقت فليس لى زوج غيرك، فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات. فقالت: أما هذا فقد مات فهل له أحدا.

قالوا: له أخ فتزوجت به إكراما له. قال ابن عباس: فجاء منها سبعة أنبياء .

وأما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة إلى أن أفردت بالتأليف وحاصلها أن بشرًا؛رجل من أسد، ذكره الحافظ ابن حجر فى القسم الأول من [**الإصابة**]،

Marfat.com

وهند جهنية. قيل: ذكرت فى حديث ساقط وكانت بالمدينة فى ممر بشر إلى رسول ا لله ﷺ فعلقته وتعرضت إليه بمراسلات بأشعار أظنها موضوعة لأهمالها فلذلك حذفتها .

فلما رأى بشر إلحاحها هجر الممر وصار يأتى من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها أن يدعو لها الأطباء فنهته وقالت: أنا أعرف علتى ، فلما علمت الطريق التى يمر منها بشر أخبرت زوجها أنها رأت فى نومها أنها متى سكنت فى موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر إليه فبرئت، وأطلعت عجوزًا على أمرها فوعدتها أن تجمعها به، ثم وقفت له فسألته أن يقرأ لها كتابًا أو يكتبه ففعل وهند تسمع ، ثم قالت له العجوز: أراك مسحورًا وما قلت لك إلا عن يقين ثم وعدته أن يأتيها يومًا لتنظر له فيما يصلح له، وقالت لهند: قد سمعت فتهيئ .

فلما خرج زوجها إلى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرًا فجاء فحين جلس أدخلت هندًا عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه، طلقها ثم مضى به إلى رسول ا لله ﷺ فقال: يارسول ا لله سل هذا لم دخل بيتى.

فقال بشر: والذى بعثك بالحق ما كفرت منذ أسلمت، ولازنيت منذ عرفتك، ولكن القصة كذا وكذا، فأدب العجوز وقال: أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلى بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات، فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معًا، فجاءت العجوز إلى النبى ﷺ معتذرة فأخلصت توبتها .

وفى **(امتزاج النفوس)** عن رجل من أصحاب الحديث، قال: دخلت ديرًا كنت أعرف فيه راهبًا معروفًا بالأخبار فوجدته مسلمًا وجميع من فى الدير، فسألته عن السبب، فقال: عشقت جارية منا غلامًا عابدًا وافتتنت به ودعته إليها فأبى، فلما زاد بها الوجد أعطت مصورًا مالاً فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكى كل يوم إلى الغروب وتنصرف، فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصورة ، فلما أصبحنا وجدناها ميتة إلى جانبها وعلى يدها مكتوب:

Marfat.com

يـاموت دونـك روحـى بعـد سـيدها خذهـا اليـك فقـد أودت بمـا فيهـا[1]
أسـلمت وجهـى لـلرحمن مسـلمة ومـت مـوت حبيـب كـان يعصيهـا
لعلهـا فـى جنـان الخلـد يجمعهـا يـوم الحسـاب ويـوم البعـث باريهـا
مـات الحبيـب ومـاتت بعـده كمـدا محبـة لم تـزل تشـفى محبيهـا

قال: فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين،فأخذوها ودفنوها إلى جانبه، فرأيتها فى النوم.

فقلت: ما فعل الله بك؟

فأنشدت :

أصبحت فـى راحـة ممـا جنتـه يـد وبـت جـارة فـرد واحـد صمـد
محـا الإلـه ذنوبـى كلهـا وغـدا قلبـى خليًـا مـن الأحـزان والكمـد
لمـا قدمـت علـى الرحمـن مسـلمة وقلـت إنـك لم تولـد ولم تلـد
أثـابنى رحمـة منـه وأسـكنى مـع مـن هويـت جنانًـا آخـر الأبـد

فعلمت أن الإسلام حق، فأسلمت وأسلم أهل الدير بسببها .

وحكى الشيزرى[2] فى روضة العشاق: عن راهب أسلم ، وكان اسمه عبد المسيح، قال: سئل عن سبب إسلامه ؛ فحكى أنه كـان عندهـم جاريـة نصرانيـة تبيع الخـبز أحبهـا شـاب مسـلم واشـتد حالـه فـى حبهـا فسـلطت عليـه الصغـار فضربوه، فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها فى الحرام فأبى ، فعرضت عليـه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول : اللهم اجمـع بيننـا فـى الجنة فرأته فى النوم وقد انطلق بها إلى الجنـة فمنعـت لأجـل الإسـلام فأسـلمت، ودخل بها فأراها قصراً من اللؤلؤ، وقال: هذا لى ولك وستأتيى بعد خمس ليـال، فاستيقظت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فأسلمت لذلك .

وحكى ابن عاصم قال : قال لى بعض أصحابى بالكوفـة: هـل لـك أن تنظـر

---

(١) أودت: هلكت. انظر: لسان العرب، مادة [ودأ].
(٢) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

إلى عاشق؟ فقلت: نعم. فإنى أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بى إلى دار فرأيت شابًا مطرقًا ساكتًا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء، فقال صاحبى: كأن فلانة أرسلتها إليك . فحين سمع ذكرها رفع رأسه.

وأنشد :

جعلت من وردتها تميمة فى عضدى
أشمها من حبها إذا علانى كمدى
فمن رأى مثلى فتى بالحزن أضحى مرتدى
أسقمه الحب وقد صار حليف الأود
وصار سهوًا دهره مقارنًا للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات، فرجعنا لنشهده فحين دفناه أقبلت جارية مسفرة مارأيت أحسن منها، فما تركت ترابًا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها، فقلت: ارفقوا بها. فقالت: دعهم يبلغوا همتهم، فو الله لاينتفعون بى، فما انقضى اليوم حتى ماتت. فسألت عن القصة، فقالوا: إنه كان يعشقها فبذل فى شرائها ملكه فأبوا عليه حسدًا أن يكون عنده مثلها، فأرسلت إليه تقول: مرنى بما شئت، فأرسل إليها: أن الزمى طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لايفتر عن ذكرها حتى بلغ إلى ما رأيت .

النوع الثانى: فى ذكر من بلغه زهده الأمان فعصمه عن الغلمان

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند إرادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الأحوال عن قبيح عواقب الأفعال فرجعوا إلى أنفسهم فذكروها خشية الله فزجر كُلٌّ نفسه حتى غلب على هواه .

قال بعضهم: مررت بمدائن قوم لوط، فأخذت منها حجرا الحاجة ، فحين نزلت فى دار جعلته فى طبقة، فجاء رجل ومعه غلام و لم يشعر بى فقضى منه وطرًا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك .

Marfat.com

فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسيًا ثم حسن إسلامه. قال من شهده: رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام إلى جانبه، ثم يقوم فزعًا فيصلى ماشاء وينام وكان يفعل ذلك مرارًا كل ليلة فإذا طلع الفجر، قال: اللهم أنت تعلم أن الليل قد مضى على سليمًا لم أقترف فيه فاحشة، ولا كتبت الحفظة على فيه معصية، وأن الذى أضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت[1]، ثم يا ليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول: سيدى أنت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الأحباب، فقلت له: قد سمعتك تقول كذا وكذا، فما الذى يدعوك إلى عشرة من تخاف على نفسك منه؟ فبكى وذكر أن مقصوده بذلك امتحان نفسه .

وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الأحداث بالهجر، قال أبو حمزة[2]: رأيت صوفيًا يصحب غلامًا دهرًا طويلاً ثم هجره، فسألته عن ذلك، فقال: وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليثيبنى الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا فى دار الكرامة .

قال: ورأيت أيضًا رجلاً ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونًا.

فقلت له: ما أراك تسلو عن صاحبك، فقال: كيف أسلو عن شخص أحسن تأديبى وعصمنى من الفسق.

وحكى أبو حمزة الصوفى، قال: نظر رجل صوفى إلى غلام جميل فافتتن به، فأقعد، فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به، وبلغ الغلام حاله فعاده، فهش له وضحك فأكثر من زيارته، فقام وذهب مرضه، فعزمه الفتى يومًا، فأبى أن يذهب معه، فقلت له: لأى شئ امتنعت .

فقال: لست معصومًا، وأخاف أن تحدثنى نفسى عند الخلوة بما يحجبنى عن الله.

---

(١) لتدكدكت: تهدمت. انظر: لسان العرب، مادة [دك].

(٢) أبو حمزة، هو: محمد بن إبراهيم البغدادى، الصوفى، شيخ الشيوخ جالس بشرًا الحافى، والإمام أحمد، وصحب السرى بن المغلس، توفى سنة (٢٦٩هـ) انظر:طبقات الصوفية (٢٩٥)، الحلية (١٠/٣٢٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/١٦٥).

Marfat.com

وحكى أيضًا، قال: صحب محمد بن قطن الصوفى غلامًا زمنًا طويلاً، فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه، فرأيته يومًا وقد وقف على قبره يبكى والسماء تمطر فما برح حتى جئت فى الغد فوجدته ميتًا فدفنته إلى جانبه .

وصحب أبو الحسن غلامًا كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر إليه، فكان يأتى به إلى بيته فتحدث الناس فيهما، فمنع الغلام أهله من صحبة أبى الحسن فنحل حتى شارف الموت.

فأنشد :

يا من بدائع حسن صورته ... تثنى إليه أعنة الحدق

لى منك ما للناس كلهم ... نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعدوا بأمنهم ... وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات.

وغالب هذا الباب من رواية أبى حمزة عنهم والكل متقارب مكرر.

انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم .

Marfat.com

خاتمة
فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى

وهو الباب الرابع من الكتاب، قد سبق فى صدر الكتاب أنه لا علاج للعشق على الأصح إلا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع فى الجبال، فمن العلاج ماذكر عن عمر رضي الله عنه أنه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة، وذلك أنه مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أو من سبيل إلى نصر بن حجاج
أو إلى فتى ما جد الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج[1]
نمته أعراق صدق حين تنسبه ... أخى حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأة معها: من نصر؟

قالت: رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد، فدعا بها عمر فخفقها بالدرة، ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان، فقال له: لاتساكنى فى بلدة يتمناك النساء بها، وأخرجه إلى البصرة، وخافت المرأة فكتبت إلى عمر تستعطفه :

قل للإمام الذى تخشى بوادره ... ما لى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى غنيت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف غيره ساجى
إن الهوى ذمة التقوى فقيده ... حتى أقر بإلجام وإسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة ... والناس من هالك فيها ومن ناجى
لاتجعل الظن حقًا أو تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف، فأرسل إليها: قد بلغنى عنك خير فَقَرِّى، ومضى على نصر[2] مدة بالبصرة، فأراد عاملها إرسال بريد إلى المدينة، فدس نصر بن حجاج كتابًا يستعطف فيه عمر ويسأله العود.

---

(١) الملجاج: الشديد اللجاجة: وهى العناد فى الخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [لج].

(٢) نصر بن حجاج، هو: نصر بن حجاج بن علاط السلمى، البهزى، شاعر، من أهل المدينة، كان جميلاً، ففتنت به النساء، فنفاه عمر خارج المدينة. انظر: الأعلام (٢٢/٨).

Marfat.com

وفيه يقول:

لعمـرى لئـن سـيرتنى أو حرمتنـى ... وما نلت من شتمى عليك حرام

أئـن غنـت الذلفـاء يومًـا بمنيـة ... وبعـض أمـانى النسـاء غـرام[1]

ظننت بى الظن الـذى ليس بعـده ... بقـاء فمـا لى فـى النـدى كـلام[2]

فـاصبحت منفيًـا علـى غـير ريبـة ... وقـد كـان لى فـى المكتـين مقـام

ويمنعنـى ممـا تظـن تكرمـى ... وآبـاء صـدق سـالفون كـرام

ويمنعهـا ممـا تظـن صلاتهـا ... وحـال لهـا فـى قومهـا وصيـام

فهـذان حالانـا فهـل أنـت راجعـى ... فقـد جـب منـى كـاهل وسـنام[3]

فقال عمر: أما ولى سلطان فلا، وبعث إليه، فأقطعـه بـالبصرة مـا يعيـش بـه، وقيل: نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمى[4] من بنى عمـه، فأكرمـه ورفـع محله وسمى نصر بها المُتمنَّى، وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبى حياء بن أبى بهـر، وكانت من أجمل النساء، فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهمـا فأخفيـاه، وكـان مجاشع أمياً ، فكتب لها نصر يومًا فى الأرض أحبك حبًا لو كان فوقـك لأظلـك أو تحتك لأقلك .

فكتبت هى: وأنا، وقيل: قالت ذلك بلفظ خفى.

فقال مجاشع: ما قال؟

قالت: يقول ما أحسن داركم.

فقلت: وأنا.

قال: ما هذا لهذا، وجعل على الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلامًا فقرأهـا، فقال: هى طالق ألفا يا ابن أخى .

---

(١) الذلفاء ، المرأة ذات الأنف الصغيرة المستوية. انظر: لسان العرب، مادة [ذلف].

(٢) الندى: المجلى. انظر: لسان العرب، مادة [ندا].

(٣) جُبّ: قُطِع. انظر: لسان العرب، مادة [جبب].

(٤) مجاشع بن مسعود، هو: ابن ثعلبة السلمى، صحابى، من القادة الشجعان، استخلفه المغيرة بـن شعبة على البصرة، فى خلافة عمر، كان مع عائشة يوم الجمل، أميرًا على بنى سليم، فقتـل فيـه، قبـل الوقعة، سنة (٣٦هـ). انظر:الإصابة (٥/٥٧٩)، تهذيب التهذيب (١٠/٣٨)، الأعلام (٥/٢٧٧).

Marfat.com

فقال نصر: وهى طالق إن تزوجت بها.

وقيل: ضعف نصر من حبها، فأرسلها بمحاشع إليه بطعام فمضت به، فضمت نصرًا إلى صدرها وأطعمته بيدها، فشفى من وقته، فقال بعض الحاضرين: قاتل الله الأعشى حيث يقول :

لو أسندت ميتًا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقيل: لما عادت عنه مات . وعاشت شميلة طويلاً وقتل بمحاشع يوم الجمل.

وقيل: اسمها خضراء، وأنها من بجيلة، وأنها أول من لبست الشفوف.

وقيل: إن بمحاشعًا حين طلقها أخبر أبو موسى بالقصة وكان عاملاً على البصرة.

فقال لنصر: ما أخرجك أمير المؤمنين من خير، اخرج عنا، فأتى فارس فعلقته دِهقانة[1]، فبلغ عثمان بن أبى العاص، فقال : أخرجه إلى الشام .

وقيل: إنه حين عزم على إخراجه قال: إن أخرجتمونى لحقت بالشرك، فكاتبوا عمر، فأمر بجز شعره وتشمير ثيابه وإلزامه المسجد.

والمتمنية هى: فريعة بنت همام كانت إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفى فأولدها الحجاج، وبها كان يضرب المثل، فتقول العرب: أصبأ من المتمنية وأدنف منها .

---

(١) الدهقانة : كلمة فارسية تعنى تاجرة .انظر القاموسى المحيط ، مادة [دهقن] .

Marfat.com

فصل

ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض فى المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات[1] وكتابات

قيل: وجد على قبر أحد ملوك حمير صحفة ذهب مكتوب عليها :

ما أحسنت سلمى إليك صنيعها تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل: استخبرت كاهنة عن البيت، قالت: كانوا يكتبونه مقلوبًا، ويسقونه العاشق فيسلو.

ومن الشائع بين العرب: أن تراب قبر العاشق إذا شرب منه فى خشب الظرفاء[2] يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس أحدث السلو .

وأخبرنى من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجامع الأموى، قال: عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أنفد ما معه، وهى تكثر التجنى عليه، ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على أن يشرب السم ليموت، فشكا ذلك إلى صاحب له، فكتب فى كفه يوم الثلاثاء، عشر صادات، وأربع عينات، وثلاث باءات ، وخمس هاءات ، وعشرين كافًا، وأمره أن يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثًا، فكأن الله لم يخلق حبها عنده .

ورأيت فى كتاب للبونى[3] سماه (خزائن الأسرار فى علم الحروف والأصفار)

---

(١) رقوات : جمع رقية. لسان العرب ، مادة [رقا] .

(٢) الظرفاء : فرع من الشجر .

(٣) البونى، هو : أحمد بن على بن يوسف القرشى، أبو العباس أحد علماء الحروف، توفى سنة (٦٢٢هـ) . انظر: كشف الظنون (١/٨٢، ١١٨)، والأعلام (١/١٦٩).

Marfat.com

أنه من كتب سورة يس فى نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا.

وقيل: إن عين البوم اليسار، وأظفار الخفاش إذا جعلت فى جلد حمار وحش وحملت على العضد الأيسر أحدثت السلو.

ويقال: إن حجر الجِزْع[1] إذا علق فعل ذلكَ ولكن قد جرب أن حمله يورث الهم .

---

(١) الجزع : ضرب من الخرز، وقيل هو الخرز اليمانى وهو الى فيه بياض وسواد تشبه به الأيمن . لسان العرب ، مادة [جزع] .

Marfat.com

Marfat.com

الباب الرابع

في ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر

Marfat.com

Marfat.com

فى ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر

النوع الأول فى الجنة:

أسند المصنف، عن الحافظ ابن حجر العسقلانى يرفعه إلى البيهقى، أنه قال: تزوج سعد بن أبى وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانًا فهم بقتله.

فقالت: هذا كان يتبعنى وأنا فى بنى عذرة عند أهلى.

فقال له سعد: هذه امرأتى تزوجتها على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها، فانسأب حتى دخل مسجد النبى ﷺ وصعد فى السقف فلم ير بعدها .

ويحكى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء[1] من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها أن جنيا أتاها فى هيئة ثعبان أسود، فعالجها فأتى بكتاب أو قال: رق، أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكير[2] إلى الكير ، أو قال: من رب كعب إلى كعب ليس لك على بنات الصالحين، أو قال على أمتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت إلى الموت، أو قالت: جعل يده فى حلقى فاسود ،وأخبرت بذلك عائشة.

وحكى عن رجل أنه سافر فجاء جنى إلى زوجته فى زيه، فلما جاء، قال له: لك ليلة ولى ليلة وإلا قتلتك فإنى أحبها ، فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة، فقال: إنا نسترق السمع بالتوية وهذه ليلتى فهل لك أن تكون معى؟

قال: نعم ، قال: فحملنى حتى لصق بالسماء، فسمع قائلا يقول: ماشاء الله لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، فوقع وراء قاف[3] ، فصرت أقولها إذا جاء، فيذهب إلى أن مضى و لم أره، وعندى فى هذه بعد لأنه كان راكبه فكيف جاء إلى أهله حين سقط الجنى فى الخراب .

---

(١) الربيع بنت معوذ بن عفراء، هى: صحابية أنصارية جليلة ، صحبت الرسول ﷺ وغزت معه، فكانت تداوى الجرحى، وترد القتلى إلى المدينة. روت عن الرسول ﷺ أحد وعشرين حديثًا. توفيت سنة (٤٥هـ)، انظر : الإصابة(١٣٢/٨) .

(٢) الكير : السيد باليونانية. انظر : لسان العرب ، مادة[كير] .

(٣) قاف : يريد جبل قاف يزعمون أنه فى آخر الدنيا ولعله جبال أرارات .

Marfat.com

وأما حكاية الديك، فقد أورد المصنف بعضها، وأصل ذلك: أن رجلاً خرج لحاجة له، فرأى شخصًا يمشى، فتحادثا إلى أن قربا من القرية، فقال الشخص للرجل:أنا جنى وقد صار بيننا صحبة،ولى إليك حاجة، فهل تقضيها لى؟قال: نعم.

فقال: امض إلى بيت فلان فإن عندهم ديكًا أبيضً معشرًا، فاشتره بما عساه أن يكون واذبحه.

فقال له: كرامة، ولكن أيضًا لى إليك حاجة.

فقال: وماهى ؟

قال: تخبرنى إذا لبستم الأنس مالذى يخرجكم؟

فقال الجنى: إنى مقيدك ذلك بشرط أن تكتمه، فلما وافقه، قال: خذ عنى : من أخذ من بين عينيٍ حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال ولبس من حافره خاتمًا لم يقربه جنى، فمضى الإنسى فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها، فحين ذبح الديك صرعت فجاؤوا إليه وتعلقوا به، فقال على برؤها، فمضى وصنع لها الخاتم والسير، فحين دنا بهما منها صاح الجنى وقال له: أو على نفسى علمتك، وا لله إن فارقتها مت فلم يلتفت إليه و ألبسها ذلك فذهب عنها .

النوع الثانى :فى ذكر من كلف وهو غير مكلفْ وأوهن العشق قواه حتى تلف أو كاد أن يتلف.

قد أسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكاليف وتداخل اللطيف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل ، وقد رؤى استعداد كُلٍ لصاعد أو نازل، وأن العشق سر يودعه ا لله فى الأرواح عند صفائها وسهولة انقيادها، ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يَخص نوعًا دون نوع من أحد الأجناس كما ترشد إليه أدلة التجربة والقياس، غير أنه مختلف الرتب كما لايخفى على ذوى الأدب، وقد صح كما سبق أن الإنسان أفضل الموجودات لعلمه بأحكام المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشان ثم مايليه الأقرب فالأقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول إلى الاجرام العنصرية ومابينهما وبين الطبقات السماوية، وحيث أنهينا الكلام فى هذا المقام على ما يتعلق بالإنسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الأعيان فننظم هذا النوع فى خمسة أصناف.

Marfat.com

الصنف الأول: فى الطيور.

هى ألطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها فى نحو الريش، فلذلك داخلها التألم بالنوى.

حكى الحافظ عن بعض الثقات أنه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه حمامتين قبليتين[1] فإذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان إلى الليل، قال: وكنت أشهد إحداهما تتخلف فتأتيها الأخرى بقوتها وداما على ذلك مدة . فلما كان يوم من الأيام خرجتا فإذا بباشق[2] انقض فأخذ الواحدة، فرأيت الأخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت إلى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تتميز[3] ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الأرض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها، حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمتُ لها أكلاً وماء، فلم تلتفت لشئ. فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش فى فمها.

ورأيت فى كتاب لا أعلم مؤلفه سماه [**لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار**]، طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لى إذ ذاك اعتناء بهذه الأشياء ، أن غرابًا كان يأوى إلى حائط فيقيم به فجاء يومًا فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت ، فقال من رآه إن رمى به وأخذ الحجر فتبعته، فمضى حتى ألقاه فى عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والأكل فيمضى بهما إلى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يومًا إلا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أيامًا فبينا أنا يومًا إذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات، فقمت إلى العش فرأيت الخطاف ميتًا والآخر إلى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره.

---

(١) قبليتان، من القبلة؛ أى تأوى إلى المساجد ودور العبادة. انظر : لسان العرب ، مادة[قبل].

(٢) باشق: أصغر طائر من الجوارح. انظر: لسان العرب، مادة [بشق].

(٣) تتميز: من ميزه، إذا فرز الشىء عن غيره. انظر: لسان العرب، مادة [ميز].

Marfat.com

قلت: ولم أزل أفكر فى هذا الحجر حتى وقفت على خواص الأحجار فرأيت أن داخل الصين أغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرًا إذا ترك مد وغزل خيوطًا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابًا إذا اتسخت ألقيت فى النار فيذهب ما فيها، وأنه قبل أن ينغزل إذا أخذ نفع من اليرقان[1] والحصية وسائر السموم ، وأنه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد إلى أعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها أن اليرقان اعتراها فتمضى إلى أماكن هذه الأحجار فتأتى بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شئ رشده .

وفى الكتاب المذكور أن رجلاً اشترى زوج بط، فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة[2] حتى رفعت عنه فجاء إلى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات.

وقالوا: إن أوفى الطيور فى المحبة القمرى والشقنى، أعنى الفاخت، وأنه إذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت، وكثيرًا ما سمعنا عن البلبل والشحرور الحنين إلى الغناء والملاهى والأصوات الحسنة وإن بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات .

وحكى عن سفيان: أن بلبلاً كان لولده وأنه أقام يرعى ويأتى البيت حتى قيل إنه مضى مع الناس يوم موته إلى القبر ورجع فاضطرب حتى مات .

وأما قصة الزاغ[3] فمشهورة جدًا، وهى أن السعدى[4] قال: وجه إلىّ يحيى بن أكثم[5] -بالمثلثة- فدخلت وإذا عن يمينه قمطر جلد، يعنى قفصًا، فقال: اكشفه،

---

(١) اليرقان: آفة الزرع. انظر: لسان العرب، مادة [يرق].

(٢) المكبة: القفص .انظر : لسان العرب ، مادة[كبب] .

(٣) الزاغ: طائر يشبه الغراب، أصغر منه. انظر: لسان العرب ، مادة [زاغ].

(٤) السعدى، هو: محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الله،البغدادى، الإمام البارع، القاضى، الفقيه الشافعى. سمع: أبا الفضل الزهرى، وحامد بن إدريس ، وغيرهم. وحدث عنه: سهل بن بشر الإسفراينى. توفى سنة (٤٤١هـ). انظر: الوفيات (٢/٦٥)، شذرات الذهب (٣/٢٩٧)، سير الأعلام النبلاء (٥/١٨).

(٥) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

فكشفته، فخرج شخص نصفه الأعلى إنسان والأسفل زاغ، فقال لى: كلمه، فاستسميته.

فأنشد:

انا الزاغ أبو عجوه ... أنا ابن الليث واللبوة
أحب الراح والريحا ... ن والنشوة والقهوة
فلا عدوان لى يخشى ... ولا يحذر لى سطوة
ولى أشياء تستظر ... ف يوم العرس والدعوة
فمنها سلعة فى الظهر ... لا تستزها الفروة
وأما السلعة الأخرى ... فلو كانت لها عروة
لما شكت جميع النا ... س فيها أنها ركوة

ثم قال: يا كهيل ، أنشدنى غزلاً، فقال يحيى: قد استنشدك، فأنشده.

فأنشدته :

أغرك أن اذنبت ثم تتابعت ... ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
وأكثرت حتى قلت ليس بصارمى ... وقد يصرم الإنسان وهو حبيب

فجعل يقول: زاغ زاغ، ونزل القمطر، فقلت ليحيى، أصلحك ا لله أو عاشق أيضًا، ثم سألته عنه، فقال: لا أعرف منه إلا مارأيت ، وقد وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين و لم يره بعد، ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره، ورويت هذه القصة عن سوى السعدى وأنه كان عند أحمد بن أبى داود[1] وأن الأبيات التى أنشدها للزاغ هى:

وليل فى جوانبه فضول ... من الإظلام أطلس غيهبان[2]
كأن نجومه دمع حبيس ... ترقرق بين أجفان الغوانى

---

(١) أحمد بن أبى داود، هو: ابن حريز الإيادى، البصرى، البغدادى، أبو عبد ا لله، القاضى الكبير، ذو كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم. عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن. توفى سنة (٢٤٠هـ) انظر: تاريخ الطبرى (١٩٧/٩)، تاريخ بغداد (١٤١/٤)، سير أعلام النبلاء (١٦٩/١١).

(٢) الأطلس: ما كان أسود إلى غبرة. الغيهان: الظلمة. انظر: لسان العرب، مادة [طلس]، [غهب].

Marfat.com

الصنف الثانى: فى ذكر بعض ما وقع للحيوان.

حكى الشيخ، قدس ا لله سره: أن أعظم الحيوان إدراكًا من ذوات الأربع الخيل ، وأنها أقرب من غيرها إلى مزاج الإنسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات ومابينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد فى كتب الزردقة[1] .

والخيل أحسن الحيوانات مزاجًا وإدراكًا حتى إنها لاتنزو على محرم أبدًا.

قال الشيخ: جئ لحصان بأخته مبرقعة، فلما نزل عنها انكشف الثوب فعرفها، فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع .

وفى[**لطائف الأسرار**] أن رجلاً من أصفهان ولدت عنده فرس حصانًا وأخرى أنثى فأتلفا فكان إذا فرق بين واحدة وأخرى لاتمشى كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا، قال: وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل الأخرى فلم تذقه حتى يطرح للأخرى، قال: وشاهدت إحداهما تدفع بيدها حشيشًا إلى الأخرى، وإن إحداهما مغلت[2] ففصدها البيطار ، فلما رأت الأخرى الدم قطعت الرباط فجاءت فمرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة، فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فإذا هى ميتة .

وحكى فيه أيضًا: أن ملك الهند بعث إلى صاحب بخارى[3] بفيل فأحسن خدمته، فلما كان يوم حرب بينه وبين "قندهار" وهم يركبون الأفيال يقاتلون على ظهورها ، خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل إلى فيل آخر فى ذلك العسكر فغلم[4] حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاء ه فانطرحا إلى الأرض وجعل كل منهما فنطيسته[5] على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فإذا هما ميتان .

---

(١) الزردقة : علم سياسة الخيل .

(٢) مغلت : إذا أكلت التراب مع البقل، فأصابها وجمع فى بطنها. انظر: لسان العرب، مادة [مغل].

(٣) بخارى: مدينة فى أوزبكستان من دول الكومنولث. مركز ثقافى سياحى اشتهر منذ القرون الأولى. انظر: معجم البلدان (١/٤١٩).

(٤) غلم: إذا انقاد للشهوة. انظر: لسان العرب، مادة [غلم].

(٥) الفنطيسة : الخطم أى خرطوم الفيل .انظر:لسان العرب، مادة [فنطس] .

Marfat.com

وفى اللطائف أيضًا أن غزالاً كان يأوى إلى محل فى جبل، وأن شخصًا رآه يتردد إلى ذلك المحل فتبعه، فرأى وعلاً فى غار وبيده ألم لا يمكنه المشى ورأى مع الغزال قطفًا من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما .

وحكى فيه: أيضًا عن شخص بغدادى خرج فى بعض أسفاره، فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل، وإذا بكلب أقبل فأخذ رغيفًا، فقام وتبعه حتى انتهى إلى غار فإذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف .

وحكى الجاحظ: أن ملكًا من أقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان، فألفه الكلب حتى كان إذا غاب عنه لايستقر فاعتراه يومًا ضعف فخرج الملك إلى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له أرز بلبن، فجعل الطباخ اللبن فى القدر وخرج ليأتى بالأرز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الأرز ولم يشعر حتى تهرّت[1] وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الأرز، ونزل وطلب أن يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب .

فقال الملك: ما له ؟

فقالوا: لا نعلم، فقدم له طعام فامتنع وجئ بالأرز إلى الملك، فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة، وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه فى الطعام وأكل فتفرز[2] جلده لوقته ومات، فضرب الملك الطباخين واستنهرهم، فأقروا فعلم أن الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة .

قال الجاحظ: وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب .

وحكى عن أبى العيرانة: كان عنده حمار فمات فرآه فى النوم ينشده شعرًا يقول فيه: إنه مات عاشقًا، فسأله المتوكل: ما الذى كان من شأنه؟

---

(١) تهرت:تقطعت ونضجت . انظر: لسان العرب ، مادة[هرا] .

(٢) تفرز:تشقق وتفسخ. انظر: لسان العرب، مادة [فرز].

Marfat.com

قال: يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة، فمات فرأيته فى النوم فقلت له: ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك.

فقال: أتذكر إذ وقفت بى على الصيدلانى يعنى العطار.

قلت: نعم .

قال: مرت إذ ذاك أتان فافتتنت بها ومت .

فقلت: وهل قلت فى ذلك شيئا؟

قال: نعم وأنشد :

هـــام قلبـــى بأتـــان ... عنـــد بـــاب الصيدلانـــى

تيمتنـــى يـــوم رحنـــا ... بثنـاياهـــا الحســـان

وبخـــد ذى دلال ... مثـــل خـــد الشـــيقران

فيهـــا مـــت ولـــو عشـــت ... إذا طـــال هوانـــى

فقلت له: يا أبا معاذ وما الشيفران؟

فقال: أنا مشغول بما أنا فيه، وهذا كلام تعرفه الحمير، فإذا رأيتم حمارًا أومن كان أولاً حمار فسألوه ، فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم. وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة إلى بشار، فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات.

الصنف الثالث: فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الأنفس النباتية

نقل فى [**لطائف الأسرار**] وبه جزمت الحكماء أن أصح النبات وأعدله وأكمله خلقًا جمع أمور تسعة: الورق، والعود، والثمر، والنوى، والصمغ، والدهن، والليف، والقشر، والأصول، وقد كمل فى النخل ذلك، فهذا أعدل النبات وفى الأخبار أنه من طينة آدم وورد «**أكرموا عماتكم النخل**»، وفى الصحيحين «**أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم**» الحديث ، وفى الفلاحة النبطية أن النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى، فقد صح أن النخلة إذا لم تحمل ضرب فى أصلها بفاس، ويقول شخص آخر: لأى شئ هذا.

فيقول الضارب: دعنى أقطعها فإنها لم تحمل.

Marfat.com

فيقول: دعها فى ضمانى العام فإن لم تحمل فاقطعها، فإنها تحمل . وقد جرب ذلك.

وحكى فى النفائس قال: زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى فى مقابلتها .

وحكى أيضًا أن شخصًا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر وتسقط قبل البلوغ ، فشكا ذلك إلى حاذق ، فجاء حتى نظرها، فقال: إنها عاشقة، ثم دعا برصاص فصنع شريطًا وربطه منها إلى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها تلك السنة، ودامت كذلك، وإن صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر، فأعاده فصلحت .

وحكى بعض ذلك فى الخريدة[1]، و أما مابين الفلفل، والكافور، والتين، والنفط، والزنجبيل ، والازدارخت ، فأشهر من أن يحكى، وغاية الأمر أن يُدَّعَى الخواصُّ، فيقال: إن شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق، من قبيل الخواص .

الصنف الرابع : فيما بث من أسرار بين أصناف الأحجار

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لايشك فى وجوده، وهذا لكثرة وجود المغناطيس وإلا فسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل .

وأغرب منه ما حكى فى [**اختصار الكائنات**] للمعلم أن بالبحر دابة كالأرنب يتولد فى رأسها حجر إذا أخذ وأشير به إلى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر. وفيه أيضًا أن شخصًا نزل بأرض اللؤلؤ[2] مما يلى جزيرة رامهرام فوجد الشمس إذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة، ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فإذا غربت الشمس افترقت الأحجار .

---

(١) الخريدة: اللؤلؤة التى لم تثقب. انظر: لسان العرب، مادة [خرد].

(٢) أرض اللؤلؤ: محلة كبيرة كانت بدمشق خارج باب الجابية، وبها قطعة من الجبل تشرف على البحر، بها قصور. انظر: معجم البلدان (٥/٣١).

Marfat.com

الصنف الخامس : فيما بث من الأسرار الملكية بين الأجسام والأجرام الفلكيـة وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيـث بـدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد.

اعلـم أن الأيـام والأجـرام والـبروج والكواكـب والأجسـام والدوائـر متطابقـة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحًـا وأقطابًـا وطبعًـا، وتشـعبت قـوى وجوانب ونقصًا وزيادة إلى غـير ذلـك، فمثالهـا فـى الإنسـان اثنـا عشـر مخرجًـا: عينان، وأذنان، وفم، ومنخران، وسرة، وثديان، وسبيلان، قـد قيسـت بالـبروج، ونفس بالشمس إذ لاتزيد ولاتنقص، وعقل بالقمر فـى قبـول الحـالتين، والخمـس الحواس بالخمس البواقى وهكـذا إلى درج فـى العـروق ومفـاصل بـالجو زاهـرات والكل خدمة بلسان الشـرع ملائكـة ، وبلسـان الحكمـة نفـوس وعقـول مجـردة، وفـرع أهـل الرياضـة والروحانيـات والأرصـاد علـى ذلـك الاسـتخدام واسـتنزال الكواكب وتكليمها والطيران إليها وتحريك الجمادات إلى غير ذلك مما بسطناه فى كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لايليق بهذا المحل وهل ذلك إلا قوة عاشقية فليعتبر أولو الأبصار وليتذكر أولو الألباب فسبحان من أوجد ذلـك واسـتغنى عنـه وأثـر فيـه ومنـه لا تغـيره الأزمـان ولا تفنيـه الأوقـات ولايعجزه اختلاف الأكوان .

Marfat.com

يفتقر إليها الناظر في هذا الكتاب
ويحسن موقعها عند أولي الألباب

Marfat.com

تتمات

يفتقر إليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الألباب

فذلك هو المشروع الجامع لما ذكر فى المصارع وينحصر فى فصول مختلفة وإن كانت فى الجنس مؤتلفة .

فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف فى ذلك من الأقوال:

الأصل فى المحاسن والمطلوب عند العقلاء فى كل المواطن إنما هو إصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر، وإنما ضم إصلاح الظاهر إلى ما ذكر طلبًا لتحصيل الكمال ودلالة فى الأغلب على الاعتدال ، ويتم الأول بتحسين المقاصد وإصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق فى تلك المواقف مستمدًا بالمراصد مستعدًا للأوامر الإلهية وتلقى ما فى تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والأصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة، وقطب دائرة الكائنات فى الدنيا والآخرة .

(**إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**) وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر إلا بعد الأخذ بالحظ الأوفر من أمهات الأخلاق، وهى الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة، فإنها لهذا المورد كالأخلاط للمزاج إفراطًا واعتدالاً، وخير الأمور سلوك الاعتدال للسلامة من الإفراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن . ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم إلى غير ذلك ، وعد قوم العفة أصلاً بدل المروءة لأنها تندرج فى العدالة ، وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلاً أيضًا، وبالجملة فهذه الخصال الداعية إلى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال ، فإن المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدنية وموضع بسطها الحكمة ، بل ملازمة الشريعة المطهرة ، فقد أغنت عنها ، فهذه الأخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال.

Marfat.com

وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل -وإليها إشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم- فالعبارات عنها كثيرة، والألفاظ فيها غزيرة.

قال بعضهم: الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح، أو هو تناسب الخلقة، واعتدال البشرة، وصفاء المادة، أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة .

وقيل: لحسن بياض اللون، وسواد الشعر وكل منهما شطره، والصباحة كالملاحة، والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقًا من اسم الشحم .

والصحيح أنه معنى لايدرك ويختلف باختلاف الأشخاص ودقة الأنظار وصحة التأدى إلى الأفكار، وهذا معنى قوله: الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها.

وإلى ذلك كله أشرت بقولى :

جميلة الأوصاف لطيفة منظر ... مليحة عطف طاب منها المغارس[1]

يدق عن الألباب إدراك حسنها ... وجلت فزلت عن علاها المقايس

منعمة لم تلبس الوشى زينة ... ولكن أحبت أن تزان الملابس

غرست بلحظى الورد فى وجناتها ... ومن دمى المسفوك تسقى الغرائس

وجئت لأجنى ما غرست فصدنى ... من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الأمر كذلك، ولكل ذى نظر دقيق مالك ، مااختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات، ولا بالغَ كُلٌّ فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده ،والخلاف إنما هو بالألفاظ ، والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى أهل التحقيق من سائر الموارد.

ومن ثم قال بعضهم :

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل إلى ذاك الجمال يشير

و لله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده، واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله :

فكم بين حذاق الجدال تنازع ... وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة.

---

(١) المغارس ، جمع المغرس : موضع الفرس. انظر: لسان العرب، مادة [غرس].

Marfat.com

فقالوا: الحلاوة فى العين، والملاحة فى الفم، والجمال فى الأنف، والظرف فى اللسان.

وقالوا: إذا حسنت العين فتمامها الدَّعَجُ[1] ،والفم فتمامه الفَلَجُ[2] ، يعنى فى الثَّغْر،وطلاوةُ الجبين البَلَجُ[3]، وبريقُ الوجنة الضَّرَجُ[4] .

وأحسن ما تكون المرأة إذا طال منها: الأطراف، والعنق، والشعر، والقامة، وقصر منها العين، واللسان، واليد، والرجل، والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين، وأخذ شئ فوق الحاجة، والخروج من بيتها.

وابيض منها: اللون، والفرق، والثغر، وبياض العين، والمراد بالثغر الأسنان، أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها.

وإلى ذلك أشار طرفة[5] بقوله :

سقته أيات الشمس إلا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمد[6]

واسود منها: الهدب، والعين، والحاجب، والشعر.

واحمر منها: اللسان، والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد، والخد وتشريب البياض بيسيره .

ودق منها: الحاجب، والأنف، والسنان، والخصر.

وغلظ منها: المعصم، والعجيزة، والفرج، والساق.

واتسع منها الجبين، والجبهة، والعين، والصدر، وضاق منها: المنخر، والأذن، والفم، والفرج.

---

(١) الدعج : شدة سواد العين . انظر:لسان العرب ، مادة [دعج] .

(٢) الفلج : مُفَلَّجُ الثنايا أى منفرجها . انظر:لسان العرب ، مادة [فلج] .

(٣) البلج : التباعد ما بين الحاجبين . انظر:لسان العرب، مادة [بلج] .

(٤) الضرج : التشبع بالحمرة . انظر:لسان العرب، مادة [ضرج] .

(٥) طرفة بن العبد، هو: ابن سفيان بن سعد البكرى، الوائلى، أبو عمرو. شاعر جاهلى، من الطبقة الأولى. ولد فى بادية البحرين، وتنقل فى أرض نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند، الذى أمر عامله على البحرين بقتله، عندما بلغه أنه هجاه، توفى سنة (٦٠ق هـ). انظر: الشعر والشعراء (٤٩)، أشعار العرب (٣٢)، الأعلام (٣/٢٢٥).

(٦) تكدم، من كدم: عض عليه بمقدم فمه. انظر: لسان العرب، مادة [كدم].

Marfat.com

فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر وإستدارة الوجه ونعومة البدن راجع إليها، وإنما العبارات الكثيرة تفنن فى الأوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلاً على اعتدال المزاج .

وقال بعض الحكماء: من نعم ا لله على العبد تحسين خلقه، وخلقه، واسمه، قيل: وصوته.

حكى بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[فاطر:٣٥] يعنى حسن الصوت.

وقال سقراط(١): إذا حسن ا لله وجهك فلا تضف إليه قبيح المعاصى، أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين .

وقال عليه الصلاة والسلام **«إن ا لله جميل يحب الجمال»** وكان يختار لحاجته صبيح الوجه، حسن الاسم، طلبًا لاجتلاب القلوب، ومن ثم كانت الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس لأن غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقاء موجبهما فيهم. وأوتى يوسف شطر الحسن، وأما نبينا فكل جمال بالنسبة إلى حسنه بُلالة(٢) وإلى نوره ذبالة(٣) فقد اتفق له صلى ا لله عليه وسلم محاسن الأخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذى تكل(٤) عنه البصائر، ويقصر عنه كل ذى حد جائر ، وإذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالأولى الأول فإنه من مطالب الحكمة التى غايتها السعادة ، وهى من الأعراض اللازمة، والثانى من مطالب الشهوة وقد توقع فى المحنة ولا بد وأن تفارق .

تنبيه : قد وقع لهم تشبيه بعض الأعضاء بالحروف: كالحاجب بالنون، والعين بالعين والصدغ بالواو، والفم بالصاد والميم ، والثنايا بالسين، والطرة(٥) بالشين، والقامة بالألف، وربما شبهوا العين بالصاد أيضًا.

---

(١) سقراط: فيلسوف يونانى، ولد بأثينا، وعلم فيها، فأحدث ثورة فى الفلسفة بأسلوبه وفهمه.

(٢) البُلالة : قدر مايبل به الشئ، والمقصود هنا القدر القليل . انظر: القاموس المحيط ،مادة[بلل] .

(٣) ذُبَالة : الفتيلة التى تسرج والمراد قدر فتيلة . انظر:لسان العرب، مادة [ذبل] .

(٤) تكل، من كل البصر: لم يحقق المنظور. انظر: لسان العرب، مادة [كلّ].

(٥) الطرة: الجبهة. انظر: لسان العرب، مادة [طرر].

Marfat.com

وبالفواكه: كالخدود بالتفاح، والشفة بالعُنَّاب، والثدى بالرمان.

وبالمشمومات: كالوجنة بالورد، والعين بالنرجس، والعذار[1] بالآس.

وبالمعادن: كالشفة بالعقيق، والأسنان باللؤلؤ، وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا.

وبأشياء مختلفة: كالوجه بالبدر، والفرق بالصبح، والشعر بالليل، ومرسله بالحية، والصدغ بالعقرب، والوجنة بالماء والنار، والريق بالخمر، والثدى والسرة بحُقٍّ العاج إلى غير ذلك .

وللشعراء فى ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت فى التشبيه بالحروف وبعض الأشياء كلام الأديب الحاذق علاء الدين الشاهينى[2] من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها :

فم العذار بعارضيه وسللا وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله :

صبحا مع الجوزاء لاح لناظرى متبلجًا فأزاح ليلا البلا
من لى بغصن نقا تبدى فوقه قمر تغشى جنح ليل فانجلى[3]

ومنها :

كتب الجمال على صحيفة خده بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنونى حاجبيه معرفًا من فوق صادى مقلتيه واقفلا
ثم استمد فمد أسفل صدعه ألفًا آلفت به العذاب الأطولا
فاعجب له إذ هم ينقط نقطة من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت فى حاء حمرة خده خالا فعم هواه قلبى المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه لأخالفن على هواه العذلا

---

(١) العذار: الخد. انظر: لسان العرب، مادة [عذر].

(٢) علاء الدين الشاهينى، هو: خليل بن شاهين الشيخى، الصفدى، مؤرخ، أديب، شاعر. من آثاره: ديوان شعر. انظر: كشف الظنون (٩٧) ، معجم المؤلفين (١/٦٨٤).

(٣) نقا، النقاوة: نوع نبات من الحمص . انظر: لسان العرب، مادة [نقو].

Marfat.com

وللشواء من الأسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله :

أرسل فرعا ولوى هاجرى ... صدغًا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية ... تسعى وهذا عقربًا واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى ... واو ولكن ليست العاطفة

وقال آخر :

لاتقولى لا فمكتوب على ... وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة ... ما جرى قط عليها من قلم
نوتها الحاجب والعين بها ... طرفك الفتان ثم الميم فم

نكتة:

اعلم أن الأساليب فى هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبهًا ، ومقابله فى المحبوب مشبهًا به ، وفى كل ذلك إما أن تبقى الأداة أو تحذف ، وفى كُلٍ إما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنًا أو لا ، وأرفع الكل جعل الممدوح مشبهًا به محذوف الأداة مرشحًا بلطائف الأوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم.

ولى من الفن الثانى :

بروحى أقى من خلتها حين أقبلت ... على أثر حزن تنثر الدمع فى الخد
قضينا من الكافور يمطر لؤلؤا ... من النرجس الوضاح فى فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الأسلوب الأول .

شمس الضحى كجبينك الوضاح ... أف لمن جعلوه كالمصباح
يا قدها ما الغصن لولا الميل مع ... داعى الهوى كالغصن بالأرياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب ... أبدا وإن أظهرت فعل الصاحى
فدع الملام وعذل من لم يستمع ... قول النصيح وخلنى يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه ، بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة إلى المشبه ما قلت :

يهناك يا قلب من زارتك فى السحر ... ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لو لم تعاين نور طلعتها ... شمس الضحى ما بدت يومًا على بشر
ووجهها لو رآه البدر واحتجبت ... عنه ذكا لم تخف نقصًا على القمر

Marfat.com

فصل

فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين

اعلم أن مدار تلون البدن إما على الخلط ، أو شدة الحرارة ، أو ما تركب منهما.

والأول: يلزم حالة واحدة إما البياض فى البلغم، أو حمرة فى الدم، أو صفرة فى الصفراء، أو لسواد فى السوادء ، وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان، وعند العامة بالسحنة ، وموضع تحقيق الطب.

والثانى: يلزم السمرة وإن غلب البلغم.

وأما الثالث: فهو الذى تناط به أمثال هذه الأحكام ، وحاصل القول فيه: أن الجلد شفاف يحكى ما تحته وأن الباعث إليه الأخلاط وهو الحرارة ، فهى كالنار إن اشتدت صعَّدت ما لاقته، وموضعها القلب ، ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها إما إلى داخلِ دفعة أو تدريجيًا ، أو إلى خارج كذلك أو إليهما كذلك .

وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا أن نقول إن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم لإستيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى، حتى قال بعض الحكماء: لكل مرتبة من مراتب المحبة حد إلا محبة العشق فلا حد لها .

وقال بعضهم: إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة إلا أنه لايطفئها كل هواء.

إذا تقرر هذا وجمع إلى ماقررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق، وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه، لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون بعارضه لشدة الشفقة والخوف من نحو واش وسرعة تفريق ، واليأس الموجب لإخماد الحرارة أوجذبها إلى داخل هو المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة، ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل .

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا فان اجتماعى بالأمان أمانى

Marfat.com

وأما حمرة المعشوق فهى: إما حياء، وإما خجل، وكل منهما باعث للحرارة إلى خارج، ونتيجته احمرار الألوان وصفاؤها، فأفضل الألوان: الأحمر الصافى المشرق مطلقًا، حتى فى الثياب: كالحلل ، والمشروب والمشموم: كالورد و شقائق النعمان ، والحيوان: كالخيل ، والمعادن: كالذهب والياقوت،إلى غير ذلك.

ومنه: أهلك الرجال الأحمران ، يعنى الخمر واللحم، والنساء الأحامرة يعنى الذهب والزعفران والخمر واللحم.

ولبعض الشعراء :

أن الأحامرة الثلاثة ضيعت ... مالى وكنت بهن قدمًا مولعًا

الخمر واللحم السمين كذا الطلا ... بالزعفران فلا أزل مروعا

وقال المتنبى[1]:

من للجآذر فى زى الاعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب[2]

وأحب ما يكون إليهم منه ماكان فى الوجنات والشفاه.

قال أبو نواس :

يا قمر أبصرت فى مأتم ... تندب شجوا بين أتراب

تبكى فتذرى الدر من نرجس ... وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمرار، والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة، فليس طعنًا فيهما بل مدح، لأنهم أرادوا أنهما من المطالب التى لاتنال إلا بالمشاق والصعوبة.

ومن ألطف ما وصف به الدمع، قول عماد الدين:

أرى العقد فى ثغره محكما ... يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن أيضاحها ... رويناه عن وجهك الأزهر

ومنثور دمعى غدا أحمرًا ... على آس عارضك الأخضر

وبعت رشادى بغى الهوى ... لأجلك يا طلعة المشترى

---

(١) المتنبى، هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى، الكوفى، أبو الطيب، شاعر، حكيم، ولد بالكوفة ونشأ بالبصرة، وطلب الأدب ، وفاق أهل عصره فى الشعر، توفى سنة (٣٥٤هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/١٩٥)، معجم المؤلفين (١/١٢٦).

(٢) الجآذر، جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. انظر: لسان العرب، مادة [جذر].

Marfat.com

ومن ألطف ما يعجبنى فى وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار، قول بن أبى الحديد[1] من قصيدته التى أولها :

الصَّبر إلا عن فراقك يجمل ... والصعب إلا من ملالك يسهل

يصفر وجهى حين أنظر حسنه ... خوفًا ويدركه الحياء فيخجل

فكأن ما بخدوده من حمرة ... ظلت إليها من دمى تتنقل

وقال بعض المتأدبين: لم يقع فى هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين إلى إبليس وهما :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... بدت بين ثوبى نرجس وشقائق

حكمت وجنة المعشوق صرفًا فسلطو ... ا عليها مزاجًا فاكتست لون عاشق

وقيل: أنشدهما لابن دريد فى النوم، فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش، فقال له: وما هذه المشاحنة فى هذا الوقت يابغيض.

تنبيه: قد توسع الناس فى هذا المبحث فخرجوا منه إلى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك فى كلام عريض، فمن قائل: بتفضيل السمر مطلقا، وقوم: البيض، وآخرون فصلوا.

فقالوا: إن كلا يميل إلى عكس لونه، وهذا تحكم وحكم على الطبائع والأمزجه بلا دليل ، والصحيح أن الميل إما بداعية الشهوة أو النفع ، ولا ضبط للأول لاختلافه باختلاف الأشخاص.

وأما الثانى: فالقول فيه إما بحسب معتدل المزاج، فالروميات حينئذ فى نحو الحجاز أنفع، كما أن الحبشيات فى نحو الروم أجود؛ لأن حرارة الأبدان تختبئ فى الأغوار زمن البرد وبالعكس ، وأما بحسب المرضى ، فالسود للمبرودين أجود، والبيض للمحرورين كذلك.

---

(١) ابن أبى الحديد، هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد. أديب، كاتب، شاعر. ولد بالمدائن، ورحل إلى بغداد، فكان أحد الكتاب فى ديوان الخليفة. توفى ببغداد سنة (٦٥٥هـ).من آثاره: القصائد السبع، ديوان شعر. انظر: الوافى (١٦)، البداية والنهاية (١٣/١٩٩)، معجم المؤلفين (٢/٦٦) .

Marfat.com

وعندى أن عكس هذا أجود لما سمعت من التعليل ، والصحيح أن الحبشة ألطف مما عداهم مزاجًا، وأرق بشرة، وأعدل حرارة، فلذلك هن أوفق مطلقًا ولكنهن فى معرض التغيير ، وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات .

وأما الحكم على المصريين بأنهم إلى السمر أميل، فمن قبيل ماقررناه من التحكم.

ومن ألطف الأشعار المقولة فى التفضيل، قول على بن الجهم[1] :

وعائب للسمر من جهله ... مفضل للبيض ذى محك[2]

قولوا له عنى أما تستحى ... من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر[3] الشطرنجى :

أشبهك المسك واشبهته ... قائمة فى لونه قاعده

لاشك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحده

وقلت فى ذلك :

أرى السمر أشهى منظرًا عند عارف ... وأشرف مطلوبًا سما فى المطالب

فقل للذى قد فضل البيض جاهلا ... رويدك لا ترغب لغير مناسب

فكم بين قيراط من المسك قيمة ... وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت فى عكس ذلك :

بيضاء تجلو الهم عن ناظرى ... بعين حق لا بعين انتقاص

فقل لمن يرغب فى أسمر ... ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

وإذا أحكمت ما قررناه من علة اصفرار الألوان علمت أن خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشأن، وقد لهج الشعراء بالاعتذر عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) محك: تمادى فى اللجاجة والخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [محك].

(٣) أبو جعفر الشطرنجى، هو: عمر بن عبد العزيز، أبو حفص. شاعر علية بنت المهدى، كان منقطعًا إليها. كان غزلاً، أديبًا، ظريفًا. شغف بالشطرنج، فنسب إليه. توفى سنة (٢١٠هـ) انظر: الأغانى (٦٩/١٩)، الأعلام (٥٠/٥).

Marfat.com

فمن ألطف ما قيل فيه قول الوراق[1] :

يقـــول لى حـــين وافـــى قـــد نلـــت مـــا ترتجيـــه
فمـــا لقلبـــك قـــد جـــا بخفقـــــــة تعتريـــــــه
فقلـــت وصلـــك عـــرس فـــالقلب يرقـــص فيـــه

وألطف منه قول البهاء زهير[2]:

لاتنكـــرووا خفقـــان قلبـــى والحبيـــب لـــدى حـــاضر
مـــــا القلـــــب إلا داره دقـــــت لـــــه البشـــــائر

وتظرف ابن عنين[3] بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال :

إن كـــان لابـــد مـــن رقـــادى فـــاضلعى هـــاك كالوســـاد
فنـــم علـــى خفقهـــا هـــدوا كنومـــة الطفـــل فـــى المهـــاد

وكثيرًا ماتتبعت كلامهم فلم أر من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان .

فقلت فى ذلك :

قـــالت أراك إذا عـــاينتنى وجـــلا عديـــم لـــون بهيـــج كنـــت تملكـــه
والقلـــب منـــك خفـــوق لا يســـكنه شـــعث فيـــاليت شـــعرى مايحركـــه
فقلت مـا تـدر أن الشـمس إن جمعت بـــالبدر بعـــد تمـــام النـــور تنهكـــه
والطير إن ألف الغصـن الرطيـب وقـد مـادت بـه الريـح هـل يخفـى تحركـه

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) بهاء الدين زهير، هو: زهير بن محمد بن على بن عاصم الأزدى، المهلبى، العتكى، أبو العلاء، أبو الفضل، أديب، ناظم، ناظر، برع فى مجال الأدب وتفوق فيه، توفى سنة (٦٥٦هـ)، من آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٣١٠)، معجم المؤلفين (١/٧٣٧).

(٣) ابن عنين، هو: محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن، الأنصارى، الكوفى، الحورائى، شرف الدين، أبو المحاسن. شاعر، أديب، مؤرخ، لغوى، أصله من الكوفة، وولد فى دمشق، وترحل فى البلاد، ثم عاد إلى دمشق، وتولى الكتابة لدى المالك العادل . توفى سنة (٦٣٠هـ) من آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢١٠) ،معجم المؤلفين (٣/٧٥١) .

Marfat.com

وفى الأبيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هى المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها أغصانًا يميل مع الهواء ، والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب ، وأما وصف خفقان القلب من غير نظر إلى الاعتذار عنه فكثير.

قال ابن سنا الملك[1].

أما وا لله لولا خوف سخطك ... لهان علىّ ما ألقى برهطك

ملكت الخافقين فتهت عجبًا ... وليس هما سوى قلبى وقرطك

وقال معين الدين :

لم أنسه إذ قال ابن تحلنى ... حذرًا علىّ من الخيال الطارق

فأجبت فى قلبى فقال تعجبًا ... أرأيت عمرك ساكنًا فى خافق

وقد نسب ابن تقى إلى الجفوة فى قوله :

ومهفهف مال به سنة الكرى ... زحزحته شيئًا وكان معانقى

أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كى لاينام على وساد خافق

فقيل: أنه لو قال باعدت عنه أضلعًا لكان أولى بالمقام .

---

(١) ابن سنا الملك، هو: هبة ا لله بن جعفر بن المعتمد، السعدى، المصرى، أبو القاسم، أديب، شاعر، ناثر، ولد بمصر، ورحل إلى الشام، توفى سنة (٦٠٨هـ) ، من آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١١٠/١٣) ، معجم المؤلفين (٥٤١٤) .

Marfat.com

فصل

فى مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة

وهى باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعى والأشخاص، والمحمود منها ماكان واقعًا عند مشاهدة نقص فى ناموس إلهى وحكم دينى ونمط شرعى، فتبعث المتانة فى الدين والمروءة على إصلاح مانقص باليد ما أمكن ثم اللسان ثم القلب، وهذا هو الذى ترجمه الشارع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم توسع الناس فيها فأضافوا إليها سوء الظن، فوقعوا بذلك فى مفاسد كثيرة، كنهى بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه، والحج والصلاة وغير ذلك مدعيًا أنه ليس بأهل لها، وقَتْلِ بعض العشاق من يُتَوَهَّمُ منه ميلٌ إلى محبوبه بل نفسه بل معشوقه، ولهم فيها كلام كثير فى قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك، غير أنى لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف فى هذا المبنى ألطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التى فى اسم محبوبه، فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الأذهان إلى بحور الألفاظ الرسمية. وذلك قوله :

وأنزه اسمك أن تمر حروفه ... من غيرتى بمسامع الجلاس

فأقول بعض الناس عنك كناية ... خوف الوشاة وأنت كل الناس

إلا أن فيه بحسب مايظهر مناقشة فإن ظاهر كلامه أنه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد، وأدق منه وأسلم -وإن كان هذا أسجم- قول يزيد بن معاوية[1] :

ألا فامل لى كاسات خمر وغن لى ... بذكر سليمى والرباب وتنعم

وإياك ذكر العامرية أننى ... أغار عليها من فم المتكلمى

أغار على أعطافها من ثيابها ... إذا لبستها فوق جسم منعم

وأحسد كاسات تقبل ثغرها ... إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

---

(١) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

ومن لطيف كلام ابن أبى الحديد[1] فى هذا المعنى :

فيا رب بغضها إلى كل صاحب ... سواى وقبحها إلى كل ناظر

وبغض إليها الناس غيرى كما أرى ... قبيحا سواها كل باد وحاضر

فيا جنة فيها العذاب ولم أخف ... حلول عذاب فى الجنان النواضر

ومما ينسب إلى قيس[2]:

أرى الإزار على الليلى فاحسده ... إن الإزار على ما ضم محسود

وقال أبو تمام[3] :

بنفسى من اغار عليها منى ... وتحسد مقلتى نظرى إليه

ولو أنى قدرت طمست عنه ... عيون الناس من حذرى عليه

حبيب بث فى قلبى هواء ... وأمسك مهجتى رهنا لديه

فروحى عنده الجسم خال ... بلا روح وقلبى فى يديه

ومما سنح لى فى ذلك قولى :

نظرت إليها والسواك قد ارتوى ... بريق عليه الطرف منى باكى

ترددده من فوق در منضده ... سناه لأنوار البروق يحاكى

فقلت وقلبى قد تفطر غيره ... أيا ليتنى قد كنت عود أراك

فقالت أما ترضى السواك اجبتها ... وحقك مالى حاجة بسواك

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو تمام، هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى ، شاعر ، أديب ، ولد بجاسم من قرى حوران بسوريا، ونشأ بمصر، وجالس الأدباء، وأخذ منهم، توفى بالموصل سنة (٢٣١هـ) من آثاره: فحول الشعراء، ديوان الحماسة، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٨)، تاريخ بغداد (١٢٤٨/٨)، معجم المؤلفين (٥٢٤/١).

Marfat.com

فصل

فى أحكام أسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الأحبة

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق، فمن ذاهب إلى أن الأفضل خزن الأسرار وأن ذلك من فعل الأحرار ، ومن قائل إن إفشاءها يسر القلب ويسرى الكرب، ومن قائل بالتفصيل وإن الإذاعة إلى المحبوب مطلوبة إذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب، وأما الإباحة لغيره فغير جائزة فى مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين، وهذا الطريق قد ادعى فى ديوان الصبابة أنه الكاشف عن وجهه نقابه ولا وا لله ماله فيه ذرة، و لم يكن ارتضع من هذه اللقّح[1] درة.

وأنا أنبه على من استنتج هذه الآراء المحررة ودوّن هذه المذاهب المحبرة فأقول: اعلم أن الطرق الثلاث موجودة فى كلام صاحب النفحات القدسية والألطاف الربانية المعطر بنفثات فيه[2] الأقطار القائم بأعباء المحبة والأسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدى عمر بن الفارض، أفاض ا لله علينا من إمداداته، وشملنا بألطاف عناياته.

فمن كلامه فى المذهب الأول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول :

وللحب أقوام كرام نفوسهم ... منزهة عما سوى الحب يا خلى
إذا أودعوا سرا رأيت صدورهم ... قبورالأسرار تنزه عن نقل

ومن قوله فى المذهب الثانى، وهو صريح فى استيفاء الشروط المذكورة :

وابثثتها ما بى ولم يك حاضرى ... رقيب بغى سرى بخلوة جلوتى[3]

ومن قوله فى المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب:

ويحسن إظهارالتجلد للعبدا ... ويقبح غير العجز عند الأحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم فى المذهب الأول :

باح مجنون عار بهواه ... وكتمت الهوى فمت بوجدى
فإذا كان فى القيامة نودى ... من قتيل الهوى تقدمت وحدى

---

(١) اللقّح : مفرد اللقحة وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . انظر:لسان العرب، مادة [لقح] .

(٢) فيه : يقصد فمن .

(٣) جلوتى: من جلا العروس على زوجها: عرضت عليه. انظر: لسان العرب، مادة [بغى]، [جلا].

Marfat.com

وأما كلام السهروردى[1] فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو :

وارحمة للعاشقين تحملوا ... سر المحبة والهوى فضاح
بالمر إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء العاشقين تباح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق فى المذهب الثانى :

ظهر الهوى وتهتكت أستاره ... والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هواك مجاهرًا ... فألذ عيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه :

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى ... فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث :

إليك اشكو الذى بى من هواك فقد ... طلبت غيرك للشكوى فلم أجد
يا موقد النار إهابًا على كبدى ... إليك أشكو الذى بى لا إلى أحد

ومن ظريف قول بعضهم:

وقائلة ما بال جسمك لا يرى ... سقيمًا وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح ... لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللمعرى فى نصرة الأول:

فظن بسائر الأخوان شرا ... ولا تأمن على سر فؤادا

وألطف منه قول أبى جعفر الشطرنجى:

فلا تخبر بسرك بل أمته ... وصير من حشاك له حجابا
فما أودعت مثل النفس سرا ... ولا أغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق وألطف حيث قال :

ومستودعى سرًا تقصيت سره ... فأودعته من مستقر الحشا قبرا
وما السر فى قلبى كميت بحفرة ... لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى كنت أخفيه حتى كأنه ... من الدهر يومًا ما احطت به خبرا

ولبعضهم :

يا ذا الذى أودعتنى سره ... لاترج أن تسمعه منى
لم أجره بعدك فى خاطرى ... كأنه ما مر فى ذهنى

---

(١) السهروردى، هو: يحيى بن حبش بن أميرك، الشافعي، أبو الفتوح. أديب ، شاعر، ناثر، حكيم، متكلم، ولد فى سهرورد من قرى العراق، ونشأ بالمراغة. توفى سنة (٥٨٧هـ) من آثاره: التلويحات فى الحكمة ، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/١٣)، وفيات الأعيان (٣٤٥/٢)، معجم المؤلفين (٩٠/٤).

Marfat.com

فهذا وأمثالـه من أكبر الدوالِّ علـى أن المذهـب الأول هـو الصحيـح المعتـبر. ومـا اتهم به بعضُ الشراح عارفَ الزمان ولسان الحضرة الإلهية وموضـع الأسـرار الربانية سيدى عمر ابن الفارض من أنه نصر المذهب الثانى بقوله :

وليسـوا بقومـى مـا اسـتعابوا تهتكـى فأبدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتـى[1]

وأهلـى فـى ديـن الهـوى أهلـه وقـد رضوا فيك عارى واسـتباحوا فضيحتـى

فممنوع لأن التهتك الذى أراده هو الاشتهار بالعشق لا إذاعة الأسرار، بدليـل قولـه: **رضـوا فيـك عـارى** ، يعنـى أن أهـل الهـوى عندهـم هـم الراضـون بعشـقه العادّون، عاره فى ذلك خصلة حميدة ، فأين هذا ممـا نحـن فيـه وقـد أسـلفت فـى المقدمة أن دقائق هذا الأستاذ ليس فى طوق البشر -من حيث هو بشر- الإحاطـة بها فإذا استدلينا بشـئ منـه فهـو اسـتئناس لأهـل الترسـم فـى مشـربهم ، وفيمـا ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل ، وبالجملة فإفشاء السر بلاء عظيـم ومذلـة لايرتضيها عاقل، وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم:**وكـل حديـث جـاوز اثنـين شائع** بأن المراد بالاثنين الشفتان.

وقلت من الأول:

لقـد أودعتنـى سـرها فكتمتـه ولا والهوى مـا غـير البعـد خـاطرى
ولكـن جـوى الكتمـان سـعد مهجتـى وقطرهـا دمْعًـا جـرى مـن محـاجرى
فشف لطول السقم جسمى من الذى كتمـتُ فأبدتـه هنـاك سـرائرى
فنـم بـه الواشـون بينـى وبينهـا فصـدت وقـالت لا وفـاء لغـادرى
فقلـت وقـد ضـاقت هنـاك مذاهبـى ومـن كـان قدمـا عـاذلى صـار عـاذرى
فمـن شـافعى يومًـا إليهـا ومـالكى هواهـا وعـن سـرى يحـدث ظـاهرى

ومن الثالث:

يامعشـر العشـاق أوصيكـم بكتـم أسـرار الهـوى والغـرام
الآ مـع المحبـوب فـى خلـوة فثـم كتـم السـر عنـدى حـرام

ومنه أيضا:

بوصلـك والـود الـذى كـان بيننـا حلفـت ولا وا لله مـا أنـا غـادر
لانـت أعـز النـاس عنـدى وسـرك بقلبـى بـاق يـوم تبلـى السـرائر
فـإن لم يجـد لى الدهـر منـك بخلـوة ففى الحشر تشكوه إلينـك الضمـائر

---

(١) القلى: البغض. انظر: لسان العرب، مادة [قلى].

Marfat.com

فصل
فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ مـن الحكمـة غايـة المطلـوب، وموضوعه عود الألفة بعد النفـور، ومادتـه أقيسـة شـعرية غالبهـا الـزور، وغايتـه الوصول إلى المطلوب واستمالة قلب المحبوب.

وألطف ما قيل فيه لابن الأحنف:

كـأن لم يكـن بينـى وبينكـم هـوى ... ولم يـك موصـولاً بحبلكـم حبلـى
وأنـى لاسـتحى لكـم مـن محدثـى ... يحـدث عنكـم بالملالـة والمطـل

وقال آخر:

أتنسـب لى ذنبًـا ولم أك مذنبًـا ... وحملتنـى فـى الحـب مـالى أطيقـه
وما طلبى للوصل حرص على البقاء ... ولكنـه أجـر إليـك أسـوقه

وقال ابن أبى حجلة:

لم أطلب الوصل من أجلى فديتك يا ... مـن زاد قلبـى سـوادًا منـه شـامات
لكـن خشـيت بـأن تبلـى بحـب رشـا ... يقتـص لى منـك والدنيـا مكافـأة

وقال جميل:

ومـاذا عسـى الواشـون أن يتحدثـوا ... سـوى أن يقولـوا أننـى لـك عاشـق
نعـم صـدق الواشـون أنـت حبيبـة ... إلىّ وإن لم تصـف منـك الخلائـق

وقال ابن سنا الملك:

وغانيـة لم تعـد عشـرين حجـة ... أقـول لهـا قـولا لديـه صـواب
عليـك زكـاة فاجعليهـا وصالنـا ... لأنـك فـى العشـرين وهـى نصـاب

وقال بعضهم:

قـم بنـا يـا نـور عينـى ... نجعـل الشـك يقينـا
فـإلى كـم يـاحبيبى ... يـأثم القـائل فينـا

Marfat.com

وقلت:

تملكت أوصاف المحاسن واليها ... وزينت أرباب اللطافة والعقل

فمذ أعجز الحساد شئ تقوله ... رموك بأوصاف القطيعة والبخل

فلا تثبتي بالهجر زور كلامهم ... ولكن صلينى وابطلى الزور بالنقل

ولا تمطلي بالوعد قلبًا معذبًا ... وإن صح أن الشئ يعذب بالمطل

Marfat.com

فصل
فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الأحباب بالوسائل

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق، وموضوعه الاستعطاف بالإنصاف ، ومادته زخرفة القول، وغايته طلب الائتلاف.

ومن ألطف ما وقع فيه كلام الوأواء الدمشقى[1] :

بـا لله ربكمـا عوجـا علـى سـكنى ... وعاتبـاه لعـل العتـب يعطفـه

وحدثـاه وقـولا فـى حديثكمـا ... مـا بـال عبـدك بـالهجران تتلفـه

فـان تبسـم قـولا فـى ملاطفـة ... ما ضـر لـو بوصـال منـك تسـعفه

وإن بـدا لكمـا فـى وجهـه غضـب ... فغالطـاه وقـولا ليـس نعرفـه

وقال آخر:

الا يـا نسـيم الريـح بلـغ رسـالتى ... سـليمى وعـرض بـى كـأنك مـازح

فـإن أعرضـت عنـى فمـوّه مغالطـا ... بغـيرى وقـل نـاحت بـذاك النوائـح

وقال القاضى مجد الدين:

شـكرًا لنسـمة أرضكـم ... كـم بلغـت عنـى تحيـة

كـم قـد أطـالت بـل أطـابت ... فـى رسـائلها الذكيـة

لاغـرو أن حفظـت أحـاديث ... الهـوى فهـى الذكيـة

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى[2]:

يـاطيب نشـر هـب لى مـن أرضكـم ... فأثـار كـامن لوعتـى وتهتكـى

أهـدى تحيتكـم وأشـبه لطفكـم ... وروى شـذاكم إن ذا ريـح ذكـى

---

(١) الوأواء الدمشقى، هو: محمد بن أحمد الغسانى، أبو الفرج، شاعر . توفى سنة (٣٨٥هـ).من آثاره: ديوان شعر. انظر: كشف الظنون (٧٧٣)، الأعلام (٢٠٤/٩)، معجم المؤلفين (٩٠/٣).

(٢) الصلاح الصفدى، هو: خليل بن أيبك بن عبد الله، الشافعى، أبـو الصفـاء. مـؤرخ، أديـب، شاعر، لغوى، آخذ الأدب عن ابن نباتة، وعن شـهاب الديـن محمـود. توفـى (٧٦٤هـ) مـن آثاره: الوافى بالوفيات، غيث الأدب. انظر: شذرات الذهب (٢٠٠/٦)، معجم المؤلفين (٦٨٠/١) .

Marfat.com

ويجب اختيار الرسول وأن يكون ذا عفة وصيانة ومروءة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقًا ويخلص من سلطان المحبة ، والمطلوب أن يكون بالحجة ناطقًا، وللعشاق فى هذا المساق كلام لا تحصره الأوراق.

قال ابن سنا الملك:

راح رسولاً فجاءنى عاشقًا ... وعاقه عن رسالتى عائق

وعادلاً بالجواب بل بجوى ... أخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضًا:

راح الرسول إليه وهو مفند ... رجع الرسول إلى وهو متيم

وما ألطف قول الأرجانى[1] فى هذا المعنى :

قسمًا لقد رجع النسيم عليلا ... لما سرى منى إليك رسولا

ودرى بحبك أنه قد خاننى ... فغدًا يجر من الحياء ذيولاً

ومن ألطف ما وقع فى الرسائل من النكت العجيبة، والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذى يغلب نوره على ابن ذكاء:

أن ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه، فعلم أبوه أمره، فمنعه عنها، فازداد غمه، فأرسلت إليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زرًا[2] من ذهب فلم يدر ما أرادت بذلك فأطلع على سره القاضى الفاضل.

فقال:

أهدت لك العنبر فى وسطه ... زر من التبر قليل اللحام

فالزر والعنبر معناهما ... زر هكذا مختفيًا فى الظلام

ومثله أن رجلاً دعا محبوبته إلى النزهة فأرسل إليها بمروحة، وباقة نرجس، وسكر نبات، وشَرَّابة ، وعود ، فأرسلت إليه بخيط أحمر، وصبارة، وثلاث كمونات سود، وغاسول، وزر.

---

(١) الأرجانى، هو: أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين، أبو بكر، شاعر، فقيه. تولى القضاء بتستر، وتوفى بها سنة (٥٤٤هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: وفيات الأعيان (١/٥٩)، كشف الظنون (٧٧٥)، معجم المؤلفين (١/٢٦٠) .

(٢) الزر : واحدا الأزرار . اللسان ، مادة [زرر] .

Marfat.com

وفى ذلك من لطيف الإشارة ما يدق عن الأفهام ، فإنه أراد بالمروحة نـروح، وبالنرجس إلى الزهر، وبالسكر النبات نبيـت ليلـة، وبالشـراب نشـرب، وبـالعود الغنـاء، وأرادت بـالخيط الأحمـر أنهـا حـائض، وبالصبـارة أن تصـبر، وبـــالثلاث كمونات ثلاث ليال، وبالغاسول الاغتسال، وبالزر الزيارة بعد ذلك.

وقلت ولم أسبق إلى هذا المعنى فيما أظن:

رسـولى تلطـف وأجـر ذكـرى لهـا فـإن رأيت الرضا فى وجهها فأبسط الشكوى
وإن أعرضـت فـاطو الـذى قـد نشـرته ودعنـى بنـيران الهـوى فـى الهـوى أكـوى
فقـد صـرت أرضـى كـل مـا ترضـى بـه واستعذب التعذيب فـى السـر والنجـوى
فعـاد رسـولى بعـــد عقـــل وحكمـــة بأضعاف ما عنـدى مـن العشـق والبلـوى
ولم أرض ارســـال النســـيم لأنـــه يـرى البـث فـى التدبـير مـن سـائر الادوا
فخفـــت عليـــه عشـــقها أن يعلـــه فـأحمل وزر ألسـت فـى حملـه أقـوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت فى هذا المنوال وسبكه فى قالب هذا المثال. **حيث يقول:**

وتلطـف واجـر ذكـــرى عندهـــم علهـــم أن ينظـــروا عطفًـــا إلى

فإن فى قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلوب، وما أحسن قوله: **واجر ذكرى** ، فإنـه ألطـف مـن: **واذكرنـى لهـم** ؛لأنـه طلـب مطلق إجراء الذكر وهو يحتمل معانى كثـيرة وكـذا قولـه:**عندهـم** أى ولـو علـى سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فإنى لست أهـلاً لمقـابلتهم بذكـر، ولهـذا لم يقـل: **واجر ذكرى لهم** إلى غير ذلك مما لو أخذنا فـى بيـان دقائقـه لم تسـعه دفـاتر و لم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن أو ظاهر إلا ويوجد فى مطـاوى كلامه بلسان أهله .

Marfat.com

فصل

فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام وإنما تدعو الحاجة إليه عند طول الهجرة وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام أستاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدى عمر بن الفارض، نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق إلى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال :

نصبت على عينى لتحصيل غمضها ... لزورة زور الطيف حيلة محتال

فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت ... على بدمع دائم الصب هطال

ففى البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعى مالا يخفى .

وقال ابن النقيب[1] فى المعنى:

نصبت فى جفونى للخيال حبائلا ... لعل خيالا فى الكرى منه يسنح

وكيف إذا أغمضتهن أصيده ... ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وتلطف ابن نباته[2] فى أخذه فقال:

وأقسم لو جاد الخيال بزورة ... لصافحت باب الجفن بالفتح مقفلا

وتلطف ابن السروجى بقوله:

أنعم بوصلك فهذا وقته ... يكفى من الهجران ما قد ذقته

أنفقت عمرى فى هواك وليتنى ... أعطى وصالاً بالذى أنفقته

يا من شغلت بحبه عن غيره ... وسلوت كل الناس حين عشقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه ... لكن كنز تصبرى فرقته

---

(١) ابن النقيب، هو: أحمد بن محمد، البغدادى، الشهرستانى. شاعر له نظم ومصنفات. ولد بتكريت، وقدم بغداد، توفى سنة (٥٣٧هـ). انظر: معجم المؤلفين (١/٣٠١).

(٢) ابن نباتة، هو: عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقى، أبو يحيى، أديب، كان خطيبًا بحلب لسيف الدولة، توفى سنة (٣٧٤هـ) من آثاره: ديوان خطب. انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/٢٢٧)، معجم المؤلفين (٢/١٣٥).

Marfat.com

قال العواذل يدعى بك نسبة ... فسررت لما قلت قد صدقته
با لله إن سألوك عنى قل لهم ... عبدى ومملوكى وما اعتقته
أو قيل مشتاق إليك فقل لهم ... أدرى بذا وأنا الذى شوقته
بأحسن طيف من خيالك زارنى ... من فرحتى بلقاك ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة ... لو كان يمكننى الرقاد لحقته

وابن السروجى هذا ذكره فى [**منازل الأحباب فى عشاق الغلمان**] وفى [**ثمرات الأوراق**] سماه تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا البيتان الأخيران وإنما ذكرناه كله لحسنه ، ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الأمثال البحترى.

ومن قوله فيه :

ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها ... وزورتها بعد الهدو ولم تدرى
إذا الليل اعطانا من الوصل بلغة ... ثنتنا تباشير الصباح من الفجر

ومن قوله:

وليلة هو منا على العيش أقبلت ... بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى ... بعطفى غزال بت وهنا أعازله
فكم من يد لليل عندى حميدة ... وللصبح من خطب تذم هوائله

وقال عبد الصمد[1]:

واصل النوم بيننا بعد هجر ... فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير أن الأرواح خافت رقيبًا ... فطوت سرها عن الأبدان
منظر كان لذة القلب إلا ... أنه منظر بغير عيان

وقال ابن القطان[2]:

زار الخيال نحيلاً مثل مرسله ... فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط إلا كى يواقفنى ... على الرقاد فينفيه ويرتحل

---

(١) عبد الصمد، هو: ابن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم، شاعر مجيد مكثر، من أهل بغداد، توفى ببغداد سنة (٤١٠هـ) انظر: الوفيات (٢٧٧/١)، الأعلام (١١/٤).

(٢) ابن القطان، هو: هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن على البغدادى، أبو القاسم. شاعر، عروضى، طبيب. ولد ببغداد، ونشأ بها، وتوفى بها سنة (٤٩٨هـ) من آثاره : ديوان شعر. انظر: الوافى (١٢٧/٢٧)، وفيات الأعيان (٢٤٥/٢)، معجم المؤلفين (٥٩/٤) .

Marfat.com

وقد أنشدهما يومًا عند الوزير الزينى، وادعى أنه لا يمكن تثليثهما فأنشد الحيص بيص[1] بديهة .

وما درى أن نومى حيلة نصبت ... لطرفه حين أعيا اليقظة الحيل

وقال ابن العفيف[2]:

ياحبذا طيفك من قادم ... ياأحسن العالم فى العالم

طيف تجلى نوره ساطعًا ... حتى رأته مقلة النائم

ياغائبا يحكم فى مهجتى ... على طابت غيبة الحاكم

عار على حسنك أن يشتكى ... خطى منه أنه ظالمى

وأحسن كشاجم[3] حيث قال:

لقد بخلت حتى بطيف خيالها ... على وقالت رحمة لنحيبى

أخاف على طيفى إذا جاء طارقا ... وسادك أن يلقاه طيف رقيب

وقال آخر:

وزارنى طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولى به فرحًا ... وكأد يهتك ستر الحب بى شغفا

ثم انتبهت وآمالى تجنبنى ... نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

---

(١) الحيص بيص : وقع القوم فى حيص بيص أى فى ضيق وشدة . االسان ، مادة [حيص].

(٢) ابن العفيف، هو: محمد بن سليمان بن على بن عبد ا لله، المعروف بالشاب الظريف، شمس الدين، أبو عبد ا لله، شاعر، ولد بالقاهرة، وولى عمالة الخزانة بدمشق، توفى سنة (٦٨٨هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: معجم المؤلفين (٣/٣٣٤).

(٣) كشاجم، هو: محمود بن الحسين بن السندى بن شاهيك، أبو الفتح، أبو النصر. أديب، شاعر، منجم، من كتاب الإنشاء. فارسى الأصل، من أهل الرملة بفلسطين، وتنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد، توفى سنة (٣٦٠هـ).من آثاره: ديوان شعر، أدب النديم، خصائص الطرب. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢١٨) كشف الظنون (٤٩)، معجم المؤلفين (٣/٨٠٣).

Marfat.com

وقال بن المعتز[1]:

أبصرتـــه فـــى المنـــام معتـــذرًا ... إلى ممـــــا جنـــــاه يقظانـــــا

ولان حتـــــى إذا هممـــــت بـــــه ... أنبهـــت عنـــد الصبـــاح لا كانـــا

وقلت:

مليكـة الحسـن مـا شـئ يقـال لـه ... نـوم فـان جفونـى ليـس تعرفـه

هـل تسـمحين بشـئ منـه يطرقنـى ... فيـه خيـالك أن القلـب يألفـه

يحيا بـه ميـت عشـق لا حـراك بـه ... لطـول هجـرك كـاد الشـوق يتلفـه

ثم تشعبت آراءهم فى التفنن فى الخيال فمنهم من رده مللا وضجرًا أو يشبه هذا مـا سبق من حمله الضجر على ترك من هجر فمنهم طرفة ويقال: إنه أول من ذكر الخيال.

وفى ديوان الصبابة: أن أول من ذكره عمر بن قمئة، وأن طرفة أول من طرده.

فقال:

فقـــل لخيـــال الحنظليـــة ينقلـــب ... إليهـا فإنى واصـل حبـل مـن وصـل

وتلاه جرير فقال:

طرقتـك صـائدة القلـوب وليـس ذا ... وقـت الزيـارة فـارجعى بسـلام

وسيأتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة بذكر هناك من رد عليه ومنهم من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله :

سـامحت كتبـك فـى القطيعـة عالمًـا ... أن الصحيفـة أعـوذت مـن حـامل

وعـذرت طيفـك فـى الجفـاء لأنـه ... يسـرى فيصبـح دوننـا بمراحـل

ومنهم من ذم النـوم فـى قـالب الاعتـذار عـن طيـف الخيـال كأنـه يقـول: إن المنغصات فى الدنيا لاتنفك عن الإنسان حتى فى النـوم ، ألا تـرى أن مـن يحلـم بمحبوبه أو شئ من مطلوبه ينتبه فلا يرى إلا الأسف والقلـق وزيـادة الحـرق وإن حلم أنه أحدث أو ضرب رأى ذلك فى الصباح .

---

(١) ابن المعتز، هو: عبد الله بن محمد بـن المتوكـل، جعفـر بـن المعتصـم، البغـدادى، أبـو عبـاس، أديب، شاعر، أخذ الأدب عن فصحاء العرب، وسموه بالأمير، توفـى سـنة (٢٩٦هـ) انظـر: سير النبلاء (١٤٨/٩) معجم المؤلفين (٣٠٠/٢).

Marfat.com

ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريًا على عوائد الزمان فى الإتيان بغير الملائم للإنسان.

وما أحسن قول المتنبى فى هذا المعنى:

وأحسب أنى إذ هويت فراقكم أفارقكم والدهر اخبث صاحب
فياليت بينى وبين أحبتى من البعد ما بينى وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم:

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى ورؤياى بعد الصبح أدهى وأقبح
فإن كان خيراص فهو أضغاث حال وإن كان شرًا جاءنى قبل ان أصبح

وقال المعرى:

إلى ا لله أشكو أننى كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شرًا فهو لا شك واقع وإن كان خيرًا فهو أضغاث أحلام

وقال الأحنف العكبرى:

وأحلم فى المنام بكل خير فأصبح لا أراه ولا يرانى
ولو أبصرت شرًا فى منامى لوافانى الشر من قبل الأذان

وقلت:

لك الحمد إنى لم أبت ليلة من الدهر خلوًا من أليم الغوائب
وفى النوم أن أحلم بشئ يسوءنى من الصبح يأتينى بسوء العواقب
وإن كان خيرًا لا أرى منه ذرة لسوء مزاج أو قران كوكب

ومنهم من تظرف فوصف النوم وإبليس بالقيادة.

قال ابن المعتز:

ألم الخيال بلا جمده وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة أتت بالحبيب على بعده

Marfat.com

وقال آخر:

تركـت هجـا إبليـس ثـم مدحتـه وذاك لأمـر عـز عنـدى سـلوكه

يقـرب مـن أهـواه حينًـا فـإن أبـى حكـاه خيـالا فـى الكـرى فأنيكـه

ومما يصلح إيراده هنا للمناسبة أن بعض المغفلين أحب امرأة وأجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له: لم تفعل ذلك؟

قال: من شوقى إليك لعلى أراك فى النوم.

فقالت: أنا عندك بنفسى فقم فانظرنى .

Marfat.com

فصل

فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمنى طول زمن الوصل والرضا

وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب فى ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الأذواق .

فمما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الأحبة :

يـــاليل طـــل أو لاتطـــل لا بـــد لى أن أســـهرك

لـــو بـــات عنـــدى قمـــرى مـــا بـــت أرعـــى قمـــرك

وما ألطف قول بعضهم فى طول الليل وهجر المحب:

رقـــدت ولم تـــرث للســـاهر وليـــل المحـــب بـــلا آخـــر

وقال آخر:

مـــات الظـــلام بليـــل أحييتـــه حـــين عســـعس[1]

لـــو كـــان الليـــل صبـــح يعيـــش كـــان تنفـــس

وقال ابن منقذ[2]:

لمـــا رأيـــت النجـــم ســـاه طرفـــه والقطـــب قـــد ألقـــى عليـــه ثباتـــا

وبنـــات نعـــش فـــى الحـــداد ســـوافره أيقنـــت أن صبـــاحهم قـــد ماتـــا

وقال بعضهم:

وصـل الحبيـب جنـان الخلـد أسـكنها وهجـره النـار يصلينـا بهـا النـارا

فالشمس بالقوس أمسـت وهـى نازلـة إن لم يزرنـــى وبـــالجوزاء إن زارا

---

(١) عسعس الليل: إذا أظلم. انظر: لسان العرب، مادة [عس].

(٢) ابن منقذ، هو: على بن مقلد بن نصر الكنانى، أبو الحسن، سديد الملك، أمير، مـن الشـعراء، أول من ملك قلعة سيزر بين المعرة وحماة من بنـى منقـذ، توفـى سـنة (٤٧٩هـ) مـن آثـاره: ديوان شعر. انظر: الأعلام (١٧٦/٥)، معجم المؤلفين (٥٣٤/٢).

Marfat.com

حكى أن محدثًا سئل عن معنى هذين البيتين، فقال: هـذا راجـع إلى النجـوم ، وقام مستحيًا وآلى على نفسه أن لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى النجوم .

وقال بعضهم فى قصر ليل الوصال:

ياليلـــة كـــاد مـــن تقأصرهـــا يعـــثر فيهـــا العشـــاء بالســـحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين:

عهـدى بنـا ورداء الليـــل مشـــتمل والليـــل اطولـــه كـــاللمح بـــالبصر

والآن ليلـــى مـــذ بـــانوا فديتهـــم ليـــل الضريـــر فصبحـــى غـــير منتظـــر

وقال الشريف ابن الهبارية[1]:

لقـــد ســـاهرتنى عيـــون الدجـــى وقـــد نـــام عنـــى عيـــون المـــلاح

إذا اشـتكى الليـــل هجـــر الصبـــاح شـــكوت إلى ا لله هجـــر الصبـــاح

وقال الفاضل[2] فى زمن الوصل:

بتنـــا علـــى حـــال يســـر الهـــوى وريمـــا لايمكـــن الشـــرح

بوابنـــا الليـــل وقلنـــا لـــه إن غبـــت عنـــا هجـــم الصبـــح

وقال الأرجانى معتذرًا على طول ليل الهجر :

لا أدعـــى جـــور الزمـــان ولا أرى ليلـــى يزيـــد علـــى الليـــالى طـــولا

لكـــن مـــرآة الصبـــاح تنفســـى للهـــم اصـــدأ وجههـــا المصقـــولا

وقال امرؤ القيس:

وليـــل كـــوج البحـــر أرخـــى ســـدوله علـــى بـــأنواع الهمـــوم ليبتلـــى

---

(١) الشريف ابن الهبارية، هو: محمد بن صالح بن حمزة العباس، أبـو يعلـى، شـاعر توفـى بكرمـان سنة (٥٠٤هـ) من آثاره: نظم كليلـة ودمنـة. انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٩٢/١٢)، معجـم المؤلفين (٣٥٣/٣).

(٢) الفاضل، هو: فضل ا لله بن عبد الحميد، الزوزنى الأصل، الصينى المولد، أديب ، نحوى. مـن آثاره: كفاية الكافية فى شرح كافية ابن الحاجب. انظر: هديـة العـارفين (٨٢١/١)، معجـم المؤلفين (٦٢٦/٢).

Marfat.com

وقال المتنبى:

كم زورة لك فى الاعراب خافية ... أزهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فى هذا البيت من الأنواع: حسن المقابلة، وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه فى مقابلة الصبح بالليل لأن الجزء لا يقابل بالكل فلو قال: النهار كان أولى.

وللمتنبى دقائق لطيفة ألا ترى إلى قوله :

وكم لظلام الليل عندى من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

فإن المانوية فرقة تقول: إن الآلهة اثنان ؛ إله الظلمة وإله النور، والأول لا يفعل إلا الشر والثانى لا يفعل إلا الخير فيقول: إن زيارة المحب أعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا فى قولهم .

وقال ابن رشيق[1]:

أيها الليل طل بغير جناح ... ليس للعين راحة فى الطباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه ... بان عنى نور الوجوه الملاح

وإنما أكثروا من ذكر الليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس، وهدو الأنفاس، وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الأفكار الخفيات فيما مضى وما هو آت ، وأما النهار فالأفكار فيه منتشرة، والشواغل مستكثرة، فهو محل الاستغراق، وقلة الاعتلاق ، ومحل التسلية عن الأشواق اللهم إلا شخصًا قد ملك الحب قيادة فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده.

وقلت جامعًا لغالب هذه المعاني:

يذكرك يا من هواها ضنى حالى ... شغلت فما منه أرى أبدًا خالى

فنيت عن االغيار فيك صبابة ... فغيرك لم يخطر مدى الدهر فى بالى

ولو زارنى طيف الخيال لقال لى ... لا انعم صباحًا أيها الطلل البالى

---

(١) ابن رشيق، هو: الحسن القيروانى ، أبو على، شاعر، أديب، نحوى، لغوى، مؤرخ، ناقد، ولد بالمهدية ورحل إلى القيروان وتوفى بها سنة (٤٥٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١١)، معجم الأدباء (١٠/٨).

Marfat.com

سوى قصر أعوام الوصال وصداها دقيقة هجران تقطع أوصالى

فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا ووالده بالحزن فى الدهر أوصى لى

متى تنعمى والشمس بالقوس ليلة وفى ضدة يومًا على رغم عذالى

وقلت أيضًا مخترعًا فيما أظن:

ألوم جميع العاشقين لذمهم ضيا الصبح فى تفريق شمل الحبائب

وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها يفيض الضيا فى شرقها والمغارب

وهلا سألتم شعرها ستر وجهها إذا شئتم طول احتباك الغياهب

Marfat.com

فصل

فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى أوقعه فى الفضول، وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه أهل الآداب، فوجهوا اليه سنان اللسان والأقلام، فامتحن طعناً بكل نثر ونظام.

فقد قيل: ليس من العدل كثرة العذل.

ومن تكلم بما لايعنيه سمع مالايرضيه.

ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام.

وليس فى هذا الباب ألطف من كلام سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال :

دع عنك تعنيفى وذوق طعم الهوى ... فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

وقال بعضهم :

ياعاذلى فى هواه ... إذا بعدا كيف أسلو

يمر بى كل وقت ... وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

يا من إذا باعت الأبصار أسودها ... بجنة فوق خديه فقد ربحت

يزيد فى العذل تبريحًا أسر به ... فليت عذال حبى فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمسانى:

أسرفت فى اللوم ولم تقتصر ... وزدت فى عذلك يا ذا العذول

قد رضيت نفس بمحبوبها ... وإنما المولى كثير الفضول

وقال والده:

ولى على عاذلى حقوق هوى ... شكرى عليها من بعض ما يجب

لام فلما رآه هام به ... فكنت فى عشقه أنا السبب

Marfat.com

وقال بعضهم :

قد اقتصر الملاحى وجاء يلومنى وزخرف لى زور الكلام يمينه
وقال أسل عن هذا وعد عن غرامه فقلت له هذا الفضول بعينه

وأنشد ابن وكيع وقد عشق غلامًا نصرانيًا ولامه عليه صاحبه، فمر بهما المعشوق و لم يدر العاذل أنه هو فقال له: لو عشقت هذا ما لمتك عليه.

فأنشد :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قلبها رآه
فقال لى لو عشقت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة :

زعموا أننى هويت سواكم كذبوا ما عرفت إلا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى فسلوه إن كان قلبى سلاكم
قال لى عد لى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال بعضهم:

إن قومًا يلحون فى حب سعدى لا يكادون يفقهون حديثًا
سمعوا وصفها فلاموا عليها أخذوا طيبًا وأعطوا خبيثًا

وقال آخر:

من منصفى من عاذل جاهل يخون باللوم لمن لا يخون
إن قلت ما نصحك إلا أذى قال وما عشقك إلا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى :

يقول لى العاذل فى لومه وقوله زور و بهتان
ما وجه من أحببته قبلة قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

أيها العاذل الغبى تأمل من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين إن فى الليل والنهار عجائب

Marfat.com

وقال ابن عبد الظاهر[1]:

كم على عاذلى وكم لحبيبى ... ذاك تكبيرة وذا تهليلة

ياثقاتى وأين منى ثقاتى ... أين من يبتغى إلى الوسيلة

أنا إن مت قبلونى إليه ... فحياتى وحقه تقبيله

وقال قابوس:

من عاذرى فى عاذل ... يلوم فى حب رشا

إذا طلبت وصله ... قال كفى بالدمع شاهدا

وقال الوداعى:

يا لأثمى فى هواه ... أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوق إلا ... ولا الصبابة إلا

وقال البهاء زهير:

وظبى حكى ريم الفلا فى نفاره ... فما باله لم يحكه فى التلفت

يدافعنى عن وصله بتهجم ... فياليته لو كان يدفع بالتى

وقال شيخ الشيوخ بحماة:

أبغض العشاق منه أننى ... لم أبع فى حبه رشدى بغى

قلت قد أضنيت جسمى قال قد ... قلت كى تذهب روحى قال كى

وقال أيضًا:

إليكم هجرتى وقصدى ... وفيكم الموت والحياة

أمنت أن توحشوا فؤادى ... فآنسوا مقلتى ولاتو (حشوا)

وقال ابن مطروح[2]:

وا لله ما خطر السلو بخاطرى ... ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا

---

(١) ابن عبد الظاهر، هو: على بن محمد بن عبد الله، ابن نشوان الجذامى، المصرى، السعدى، علاء الدين، أديب، ناظم، ناثر، كتب فى الدولة المنصورية، توفى سنة (٧١٧هـ) من آثاره: المفاخر بين السيف والرمح. انظر: الوافى (١٢/١٧١) معجم المؤلفين (٢/٥١٣).

(٢) ابن مطروح، هو: يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الخحسين المصرى، الصعيدى، جمال الدين، أديب، شاعر، كاتب. ولد بأسيوط، وتوفى بالقاهرة سنة (٦٤٩هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٨٩)، معجم المؤلفين (٤/١٠٩).

Marfat.com

وقال آخر:

لـــو رأى وجـــه جبينـــى عـــاذلى لتفارقنـــا علـــى وجـــه جميـــل

وقال آخر:

قل للعذول أطلت اللوم فى قمر يزيد فى كل يوم حسنه نورا
إن كنت تزعم ما فى حسنه عجب قم فانظر الورد فى خديه منشورا

وقال محيى الدين البغدادى :

إن لامنـــى مـــن لا رآه فقـــد جـــار علـــى الغـــائب بـــالحكم
وإن نهـــانى مـــن رآه فقـــد أضلـــة ا لله علـــى علـــم

وقال البهاء زهير:

أنـــت الحبيـــب الأول ولـــك الهنـــا المســـتقبل
عنـــدى لـــك الـــود الـــذى هـــو مـــا عهـــدت وأكمـــل
القلـــب فيـــك مقيـــد والدمـــع فيـــك مسلســـل
يـــا مـــن يهـــدد بـــالصدود نعـــم تقـــول وتفعـــل
قـــد صـــح عـــذرك فـــى الهـــوى لكننـــى أتعلـــل
قـــل للعـــذول لقـــد أطلـــت لمـــن تقـــول وتعـــذل
عـــاتبت مـــن لايرعـــوى وعذلـــت مـــن لايقبـــل
غضـــب العـــذول أخـــف مـــن غضـــب الحبيـــب وأســـهل

وقال ابن أبى حجلة:

وعـــاذل بـــالغ فـــى عذلـــه وقـــال لمـــا هـــاج بلبـــالى
بعـــارض المحبـــوب مـــا تنتهـــى قلـــت ولا بالشـــبب والـــوالى

وقال آخر:

وشـــادن مبتســـم عـــن شـــنب مـــورد الخـــد مليـــح الشـــنب
يلومنـــى العـــاذل فـــى حبـــى لـــه ومـــادرى شـــعبان أنـــى رجـــب

Marfat.com

المراد بشعبان : العاذل ، ورجب : الأصم ، وهى أسماء كانت مشهورة فى الجاهلية.

وقال السراج الوراق:

قلت إذ جرد لحظا حده يدنى الأجل
ياعذولى كف عنى سبق السيف العذل

هذا مثل سائر، أصله: أن سعدًا وسعيدًا ابنى ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه، فكانت العرب إذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له: سعد أم سعيد؟ فيقول:سعد إن رجع بغرض ، وإن عاد بدون غرض يقول: سعيد.

وأن أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعًا فقال له الرجل: قد قتلت هنا رجلاً وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعذل، فقال ضبة: سبق السيف العذل .

وقال شيخ الشيوخ بحماة:

أعاذلى ليس مثلى من تفنده وليس منك مأمونا على عذل
مادمت خلوا فما تنفك متهمًا اعشق فقولك مقبول على ولى

وقلت:

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى للومهم العذال وهو عجيب
اما عذر المجنون مع ذى جهالة لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وما عاقل ذاق الهوى فيذمه ويعذل صبا إن جفاء حبيب

Marfat.com

فصل

فى أحكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وإيثار أنفاسه على نفائس الطيب

قيل: كان الشافعى ﷺ يكثر من زيارة أحمد، وكان أحمد يُقِلُّ من زيارته هيبة له.

فقيل للشافعى: إنك لتزوره أكثر وهو المحتاج إليك.

فأنشد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أوزرته فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول :

ولما توافينا عشاء وضمنا سواء سبيلى دارها وخيامى

فرشت لها خدى وطاء على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلاً منها، ثم أشار إلى أخذه فى أسباب السعى إليها بل شروعه فى ذلك رفعًا لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول: إنه ليس أهلا لها ، ثم فرش خده فى مقابلة السعى و لم يَقُلْ لها فقط بل أطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضًا بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرةً كما صرح به هضمًا لجانبه عن هذا المقام كما أشار إليه . ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات إلى محل الكرامات، والحظوة بنيل المرادات، أشار إلى ذلك بقوله: بعد البيت الذى تضمن ما ذكرناه .

عتبت ولم تعتب كأن لم يكن قلى وما كان إلا أن أشرت وأومت

فانظر إلى هذا الانتقال وصريح هذا المقام بعد ما قال :

ومنت وماضننت على بوقفة تعادل عندى بالمعرف وقفتى

Marfat.com

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتى هضم جانبها ،ثم نفى عنها البخل، ثم عتب بعد ذلك ، فأين هذا مما سبق، فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته.

ومن ألطف ما قيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك :

بأبى من زارنى مكتتما ... خائفًا من كل شئ فزعا

زائر نم عليه عرفه ... كيف يخفى الليل بدرًا طلعا

رصد الغفلة حتى أمكنت ... ورعى الساهر حتى هجعا

ركب الأخطاء فى زورته ... ثم ما سلم حتى ودعا

وقال ابن المعتز:

زارنى والدجى أحم الحواشى ... والثريا فى الغرب كالعنقود

وكان الهلال طوق عروس ... بات يجلى عن غلائل سود

ليلة الوصل ساعدينا بطول ... طول الله فيك غيظ الحسود

وقال آخر:

زارت على غفلة الرقيب ... كظبية روعت بطيب

وكان وقت الوصال منها ... أقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز[1] ويقال: إنه أصدق ما قالت الأواخر:

يقولون لى بالله ما انت فاعل ... إذا زارك المحبوب قلت أنيكه

وقال ابن النبيه[2]:

قلت لليل إذ حبانى حبيبى ... بعتاب يسبى النهى وعقارا

أنت ياليل حاجبى فامنع الصبح ... وكن أنت يادجى برد دارا

---

(١) عبد العزيز، هو:ابن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض السنبسى، الحلى، صفى الدين، أديب، شاعر. ولد فى الحلة، وتعاطى الأدب، فمهر فى فنون الشعر: توفى فى بغداد سنة (٧٥٢هـ) من آثاره: ديوان شعر، الكافية البديعية. انظر: كشف الظنون (٢٣٣)، الدرر الكامنة (٢/٥٥)، معجم المؤلفين (٢/١٦٠).

(٢) ابن النبيه، هو: على بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى المصرى، كمال الدين، أديب، شاعر، كاتب، مدح آل أيوب، وانقطع إلى الملك الأشرف، توفى سنة (٦١٩هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: الوافى (١٢/١٤٨)، معجم المؤلفين (٢/٥٠٠) .

Marfat.com

وقال ابن العفيف:

وملـــيـــح كـــالبدر زار بليـــل ... فجلـى حســنه الدجـى إذ تجلـى
مـــا درى مـــنزلى ولكـــن قلبـــى ... بلهيـــب الجـــوى هـــواء ودلا
وعجيـــب منـــه فقيـــه ذكـــى ... بمحـــل الـــنزاع كيـــف اســـتدلا

وقال بشار[1]:

يـاأطيب النـاس ريقًـا غـير مختـبر ... الا شـــهادة أطـــراف المســـاويك
قـد زرتنـا زورة فـى الدهـر واحـدة ... عـودى ولاتجعليهـا بيضـة الديـك

إنما قال ذلـك لأنـه قـد اشـتهر أن الديـك يبيـض فـى عمـره مـرة ،و لم يذكـر الطبيعيون ذلك. وأقول إن القياس لايأباه لما تقرر فى الطبيعة من أن البيض الريحى فضلات غليظة هيأتها الحرارة ، و الذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المنى الفـاضل و لولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم ،والممنوع بيض يولـد النـوع لعـدم الـزرع النامى، ومن له يد فى الفلسفة سهل عليه علم هذا .

وقال ابن أبى حجلة:

زار الحبيـب ووجـه الـورد خجـلان ... فـاصفر حـين تثنـى قـده البـان
قـد كـان مـا كـان مـن هجرانـه زمنًـا ... وقـد وفـى الآن فـالعذال لا كـانوا
مـا ضرنى ضيـق عيشـى حـين واصلنـى ... سـم الخيـاط مـع الأحبـاب ميـدان

وقال ابن سكرة[2]:

أهـلا وسـهلاً بمـن زارت بـلا عـدة ... تحـت الظـلام ولم تحـذر مـن الحـرس
تسـترت بـالدجى عمـدا فمـا اسـترت ... ونـاب إشـراقها ليـلاً عـن القبـس
ولـو طواهـا الدجـى عنـا لأظهرهـا ... برق الثنايـا وضـوء الـبرق فـى الغلـس

ومما تدرجوا إليه من ذكر زيارة الحبيب وصف ممره بالطيب.

---

(١) بشار بن برد، هو: العقيلى بالولاء، الضرير، أبو معاذ، شاعر مشهور، كان سمح القريحة، قليل التكليف، نظم فى كثير من ضروب الشعر، كان شاعرًا راجزًا وشجاعًا وخطيبًا، وله رسـائل معروفة، توفى سنة (١٦٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٦)، معجم المؤلفين (٤٢٦/١) .

(٢) ابن سكرة، هو: محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى، البغدادى، أبـو الحسـن، أديـب، شـاعر. توفى سنة (٣٨٥هـ) من آثاره : ديوان شعر. انظر: كشف الظنـون (٧٦٦)، هديـة العـارفين (٥٥/٢)، معجم المؤلفين (٤٥٩/٣).

Marfat.com

قال ابن النبيه:

إن جـاء مـن يبغـى لهـم مـنزلاً فقـل لـه يمشـى ويستنشـق

وقال الطغرائى[1]:

فسر بنا فـى ظـلام الليـل معتسـفًا فنفحـة الطيـب تهدينـا إلى الحلـل

وقال آخر:

لـو كـان يوجـد ريـح مسـك فائحًـا لوجدتـه منهـم علـى أميـال

وقال المتنبى:

ويفـوح مـن طيـب الثنـاء روائـح لهـم بكـل مكانـة تستنشـق

ومما ينخرط فى سلك الزيارة وينتظم فى عقد الإشارة ذكر العيادة ومـا ينجـز إلى المحب فيها من الإفادة وهى فى الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة.

قال الطغرائى:

خبروهـا أنـى مرضـت فقـالت أضنـى طارقًـا شـكا أم تليـدا

واشـاروا بـأن تعـود وسـادى فـابت وهـى تشـتهى أن تعـودا

وأتتنـى فـى خفيـة وهـى تشـكو ألم الشـوق والمـزار البعيـدا

وراتنـى كـذا فلـم تتمـالك أن أمًـالت علـى عطفًـا وجيـدا

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

وملولـة فـى الحـب لمـا ان رأت أثـر السـقام بعظمـى المنهـاض

قـالت تعيرنـا فقلـن لهـا نعـم أنـا بالسـقام وأنـت بـالأعراض

وقال آخر:

لاتهجـروا مـن لا تعـود هجركـم وهـو الـذى بلبـان وصلكـم غـذى

ورفعتمـوا مقـداره بـالابتداء حاشـاكم أن تقطعـوا صلـة الـذى

---

(١) الطغرائى، هو: الحسـين بـن علـى بـن عبـد الصمـد، الأصبهـانى، الليثـى، مؤيـد الديـن، أبـو إسماعيل، أديب، ناثر، شاعر، خبير بصناعة الكيمياء، توفى سنة (٥١٣هـ)، من آثاره: ديـوان شـعر، مفـاتيح الرحمـة ومصـابيح الحكمـة. انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (١٠٦/١٢)، معجـم المؤلفـين (٦٢٨/١).

Marfat.com

وعلى ذكر الذى والصلة قيل: كتب ابن عنين وقد مرض إلى الملك المعظم :

انظـــر إلى بعـــين مـــولى لم يـــزل ... يـولى النـدى وتـــلاف قبـــل تلافـى[1]

أنـــا كـــالذى أحتـــاج مـــا يحتاجـــه ... فـــاغنم ثوابـــى والثنـــاء الوافـــى

فحضر إليه وصحبته ثلاثمائة دينار، فقال:أنت الذى ،وهذه الصلة وأنا العائد.

وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى:

يقولـون لى أنـت الـذى شـــاع ذكـره ... فمـــن صـــادر يثنـــى عليـــه ووارد

فقلـــت لـــه هبنـــى الـــذى ذكرتـــه ... فـــأين صلاتـــى منكـــم وعوائـــدى

وقال ابن عباد[2]:

مرضـــت فأشـــفقت الزيـــارة عـــامدًا ... ومـا عـن قلـى أمسـكتها لا ولا هجـــر

ولكننـــى أشـــفقت مـــن أن أزوركـــم ... فـأبصر آثـار الكســـوف علـــى البـــدر

الشهاب محمود:

رأتنـــى وقـــد نـــال منـــى النحـــول ... وفـاضت دموعـى علـــى الخـــد فيضـــا

فقـــالت بعينـــى هـــذا الســـقام ... فقلـــت صدقـــت وبـــالخصر أيضـــا

وقال الأرجانى:

غـــالطتنى إذا كســـا جســـمى الضنـــى ... كسـوة أعـــرت مـــن اللحـــم العظامـــا

ثـم قـالت أنـــت عنـــدى فـــى الهـــوى ... مثـــل عينـــى صدقـــت لكـــن ســـقاما

وقال ابن أبى حجلة:

شـــكوت إلى الحبيبـــة ســـوء حظـــى ... ومـــا قاســـيت مـــن ألم البعـــاد

فقـــالت أنـــت حظـــك مثـــل عينـــى ... فقلـــت نعـــم ولكـــن فـــى الســـواد

---

(١) الندى: الجود والفضل. التلاف: الشديد الإتلاف. انظر: لسان العرب، مادة [ندو]، [تلف].

(٢) ابن عباد، هـو: إسماعيل ابـن العبـاس بـن عبـاد بـن أحمـد بـن إدريـس الطالقـانى، المعـروف بالصاحب، أبو القاسم، كاتب، شاعر، أديب، فصيح، بليغ. من مشاهير الوزراء، آخذ الأدب عن أحمد بن فارس. توفى سنة (٣٨٥هـ) مـن آثـاره: ديـوان رسـائل، ديـوان شـعر، جوهـرة الجمهرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٠) وفيات الأعيان (٩٣/١)، معجم المؤلفين (٣٦٧/١) .

Marfat.com

وقال ابن النقيب:

وما بى سوى عين نظرت لحسنها ... وذاك لجهلى بالعيون وغرتى

وقالوا به فى الحب عين ونظرة ... فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

والكل مأخوذ من قوله:

وجاؤا إليه بالتعاويذ والرقى ... وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة ... ولو عقلوا قالوا به نظرة الأنس

وقال شمس الدين بن العفيف:

اسم حبيبى وما يعانى ... قد حير خاطرى ولبى

قالوا على فقلت قدرًا ... قالوا كوافى فقلت قلبى

وقال ابن الوكيل[1]:

وبى من قسا قلبًا ولان معاطفا ... إذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

أقر برق إذ أقول أنا له ... وكم قالها أيضًا ولكن لتهديدى

ومما أورده صاحب الدمية له:

عذيرى من شاطر اغضبوه ... فجرد لى مرهفًا فاتكا[2]

وقال أنا لك يا ابن الوكيل ... وهل لى رجاء سوى ذالكا

وتشبيهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ماسمعت إذ لا يمكن استيعاب ذلك.

وقلت فى أصل الزيارة:

زارت وقد أخفى نهار جبينها ... ليل الشعور مخافة الرقباء

فوثبت إجلالاً أقبل نعلها ... بل تربه للبرء من أدوائى

---

(١) ابن الوكيل، هو: محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد بن عطية، المصرى الأصل، الشافعى، العثمانى، المعروف بابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد الله، شاعر، أديب، فقيه، محدث، أصولى، ولد بمصر، ونشأ بدمشق، وتفقه ودرس العلم، وناظر ابن تيمية. وتوفى بمصر سنة (٧١٦هـ) من آثاره : الأشباه والنظائر، ديوان شعر. انظر: تراجم الرجال (٤٨/٢)، الدرر الكامنة (١١٥/٤) معجم المؤلفين (٥٦٧/٣) .

(٢) عذيرى: النصير. الشاطر: المتصف بالدهاء والمكر. انظر: لسان العرب، مادة [عذر]، [شطر].

Marfat.com

قالت لك البشرى فطب نفسًا بما أوليت من نعم وحسن وفاء
بتنا وكل جوارحى تشكو لها شوقى وما صنع الهوى بحشائى
فسكرت من ألفاظها ورضابها مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيما أنفاس لقلبى ارسلت سحرًا فأحيا ميت الأحياء
لله من وطر قضيت مؤازرا معها بثوبى عفة وحياء
ياليلة غلط الزمان بها ولو عوضتها بالعمر كان منائى

وقلت أيضًا:

أفدى التى زارت بلا موعد فى غفلة الواشين والجانى
والوجه منها روضة اينعت ما لمستها راحة الجانى
قمت لأجنى الورد من خدها وهى بسيف اللحظ ترعانى
فقلت ما هذا وقد راعنى قالت حديد يمنع الجانى

وأما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصف طيب الحبيب فغاية لايدركها اللبيب.

وذلك قوله :

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لايهتدى إليها إلا من خص بالعناية، ألا ترى إلى وصفه الشامَّ بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى الغرب الذى يكثر الهواء منه لا إليه كما فى القرينة الثانية ،وجعل المحبوبة فى القطر الحار الذى تفنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعيد البخار ومع ذلك .

يشم ومنه أخذت فقلت:

لو اشتاقها فى الغرب فاقد شمه وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

وقلت فى العيادة:

أقول لها هل تسعفى بعيادة مريضًا كواه البين بالهجر والسقم
فقالت إذا مافارق الروح زرته لأن محال جمع روحين فى جسم

Marfat.com

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الأصول ويهتدى إلى إلحاقه بها أهل العقول ماجرى على ألسنه الأحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه إلى مادح له لتأكيد المحبة ،وذام له بين الأحبة والصحيح أنما كذب عنه الناقل ،وميز الحق من الباطل، وأكد الصحبة بعد النفور، وبين للحبيب الزور، فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر.

قال فى إحياء علوم الدين: مامعناه أن العتاب شأن أولى الألباب وقاطع لقطيعة الأخلاء والأصحاب وكان الرجل إذا وقع فى نفسه من أخيه شئ لم يهجره حتى يوضح له ذلك فإن انتهى وإلا هجره، وأما عتاب يفضى إلى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة، فتقريع يجب اجتنابه عقلاً ونقلاً وتركه فصلاً ووصلاً وفيه.

قيل: من سوء الآداب كثرة العتاب .

ومن أمثالهم فى الأول: العتاب مفتاح الوصال، قاطع للهجر والملال وإلى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقلته وهو سعيد الكاتب[1] بقوله :

أقلل عتابك فالبقاء قليل ... والدهر يعدل تارة ويميل

ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام تكثر عتبنا وتطيل

وقال آخر:

وبعض العتاب إذا مارفقت ... يباعد هجر أو يدنى وصالا

فعاتب أخاك ولا تجفه ... فإن لكل مقام مقالا

وإلى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال:

لاتقر عن سماع من ... تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقش الأحباب إلا ... من يعيش بلا حبيب

---

(١) سعيد الكاتب، هو:ابن سعيد، أبو عثمان، من الشعراء، من الكتاب. أصله من النهروان الأوسط، ومولده ببغداد. قلده المستعين العباس ديوان الرسائل. توفى سنة (٢٥٠هـ) من آثاره: ديوان شعر وديوان رسائل. انظر: الأغانى(٢/١٧)، المورد(٢/٣).

Marfat.com

وإلى تأييد الأول أشار من قال:

فــلا عيــش كوصــل بعــد هجــر ... ولاشـــئ ألـــذ مـــن العتـــاب

فــلا هـــذا يمـــل حديـــث هـــذا ... ولا هـــذا يمـــل مـــن الجـــواب

وقال آخر:

ولم أحسن أيام الهوى يومك الذى ... تـــروع بـــالهجران فيـــه وبـــالعتب

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا ... فـأين حـلاوات الرسـائل والكتـب

وقال ابن سنا الملك:

وأملـى عتابـا يسـتطاب فليتنـى ... أطلـت ذنوبـى كـى يطـول عتابـه

ومـن غرتى ذكـر العذيـب وبـارق ... ومـــاهو إلا ثغـــره ورضابـــه

وقال أبو نواس:

أســاء فزادتـــه الإســاءة خطـــوة ... حبيـب علـى مـا كـان منـه حبيـب

تعـــد علـــى الواشـــيات ذنوبـــه ... ومـن أيـن للوجـه المليـح ذنـوب

وقال الحكم بن قنبر[1]:

كأنمـا الشـمس فـى أعطافـه طبعـت ... حسـنًا أو البـدر مـن أزاره طلعـا

مستقبل بـالذى يهـوى وإن عظمـت ... منـه الإسـاءة معـذور بمـا صنعـا

فـى وجهـه شـافع يمحـو إسـاءته ... مـن القلـوب وجيـه حيثمـا شـفعا

وقال أبو فراس[2]:

قـــل لإحبابنـــا الجنـــاة علينـــا ... درجونـا علـــى احتمـــال المـــلال

أحســنوا فــى عتــابكم أو اســيئوا ... لاعدمنـــاكم علـــى كـــل حـــال

---

(١) الحكم بن قنبر، هو: ابن معمر الخضرى. شاعر، من خضر محارب، كان معاصرًا لابن ميـادة، وعده الأصمعى من طبقته. توفى سنة (١٥٠هـ) انظـر: سمـط الآلى (١٦) الأصمعيـات (٢٢) الأعلام (٢٦٧/٢) .

(٢) أبو فراس، هو: الحارث بن سعيد بن حمدان بـن حمـدون بـن الحـارث بـن لقمـان الحمدانـى، العدوى، التغلبى، أبو فراس. أديب، شاعر، فارس، جواد. توفى سنة (٣٥٧هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٥/١٠)، وفيات الأعيان (١٥٨/١)، معجم المؤلفين (٥١٨/١).

Marfat.com

وقال آخر:

إذا مرضنـــا أتينـــاكم نعودكـــم وتذنبـــون فنـــأتيكم فنعتـــذر

وقال آخر:

حججـى عليـك إذا خلـوت كثـيرة و إذا حضـــرت فـــإننى مخصـــوم

لا أســتطيع أقــول أنــت ظلمتنـــى ا لله يعلـــم أننـــى مظلـــوم

وقال آخر:

ولو كان هذا موضع العتب لا شتفى فـــؤادى ولكـــن للعتـــاب مواضـــع

وقال ابن المعتز:

اقبـل معـاذير مـن يـأتيك معتـذرًا إن بـر عنـدك فيمـا قـال أو فجـرا

فقـد أطـاعك مـن يرضيـك ظـاهره وقـد أجلـك مـن يعصيـك مسـتترا

وقد قيل: إن أفضل العتاب ما غرس العفو، وأثمر المحبة، وعتب يوجب العفـو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفـاء. وجـاء فـى تفسـير قولـه تعـالى:﴿**فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[الحجر:٨٥]عن على: يعنى اعف واصفح بلا عتاب .

وورد عنه من لم يقبل من متنصل عذرًا صادقًا أو كاذبًا لم يرد على الحوض .

وما أحسن قول القائل :

ذنبـــى إليـــك عظيـــم وأنـــت أعظـــم منـــه

فجـــد بحقـــك أولاً واصفـــح بفضلـــك عنـــه

إن لم أكـــن فـــى فعـــالى مـــن الكـــرام فكنـــه

وقال آخر:

مـا أحسـن العفـو مـن قـادر لا سـيما عـن غـير ذى نـاصر

ياغايـة القصـد وأقصـى المنـى وخـير مرعـى مقلـة النـاظر

إن كـان لى ذنـب ولا ذنـب لى فمـا لـه غـيرك مـن غـافر

أعـوذ بـالود الـذى بيننـا إن يفسـد الأول بـالآخر

وقال آخر:

وزعمـت أنـى ظـالم فهجرتنـى ورميـت فـى قلبـى بسـهم نـافذ

ونعـم ظلمتـك فـاغفر لى زلتـى هـذا مقـام المسـتجير العـائذ

Marfat.com

وقال ابن زيدون[1]:

يـــاقمر مطلعـــه المغـــرب ... قـد ضـاق فـى حبـك المذهـب
الزمتنـــى الذنـــب الـــذى جئتـــه ... صدقـــت فـاصفح أيهـــا المذنـــب
فـإن مـن أغـرب مـا مـر بـى ... إن عذابـــى فيـــك مســـتعذب

وقلت:

رأيـت أسـاليب للعتـاب كثـيرة ... وألطفها ما أكد الحب فـى القلـب
إذا مـا خلونـا لم أجـد مـا أقولـه ... يلذ سوى الشكوى إليها مع العتب
ومـن ذكـر المحبـوب شـيأ منفـرا ... عقوبتـه الهجران فى مذهـب الحـب
ومـن يـر ذنبًـا مـن حبيـب فمـدع ... ومـا الحـب إلا أن تنعـم بـالذنب

وهذا مستمد من قطب هذا الوجود وإنسان عـين أهـل هـذا الشـهود سـيدى عمر بن الفارض حيث قال: **وكل الذى ترضاه** ، البيت السابق.

وقد قال بعضهم: عتاب المحبين الذلة فى الأعتاب وخدمة الأبواب،

وقال بعضهم: كن إذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيهـا ذنبـك ، فـتراه منـك وتطلب صفحه عنك، ولم يوضـح هـذا الطريـق أحـد أجـلّ مـن لسـان العـارفين وترجمان المحبين سيدى عمر بن الفارض، حيث يقول :

ولـو عـز فيهـا الـذل مـا لـذ لى الهـوى ... ولم تك لولاك الـذل فـى الحـب عزتـى

---

(١) ابن زيدون، هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب المخزومـى، الأندلسـى، القرطبـى، أبـو الوليد، وزير، شاعر. توفى سنة (٤٦٣هـ)من آثاره: ديوان شعر، رسـالة ابـن زيـدون. انظـر: سير أعلام النبلاء (٢٠١/١١)، وفيات الأعيان (٥٣/١)، معجم المؤلفين (١٧٧/١) .

Marfat.com

فصل

ومما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه فى باب

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الضب المشوق ،والصفح عن التجنى حين يذوق جناه، ونسخ سخطه، وظلمه بظلمه ورضاه ، وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين إليه.

كما قيل :

شرط المحبة عند أرباب الهوى أن المليح على التجنى يعشق

لايصدهم صد ولايقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولايعدون جور مايرد من الظلم من المظالم .

ابن النبيه:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوًا فقد جهل المحبة وأدعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدى فى هذا المعنى حيث تقول:

جبل الحب على الجور فلو أنصف المحبوب فيه أسمج

ليس يستحسن فى شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

وقال بعض الأعراب:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت تعنتا صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها وتنفر من بعدى وتجزع من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها تستوجبوا الأجر من ربى

ولما كان التجنى من المحبوب وتعنته الذى يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد أن أشرنا إلى حقيقة الأول أن نشير إلى الثانى ونذكر ما له من الأقسام والمبانى سالكين فى ذلك مسلك ديوان الصبابة إذ لا مزيد فى هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول: وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء إلى أربعة أقسام :

Marfat.com

القسم الأول: هجر الدلال

وهو الممدوح الصفات، المقصود بالذات، وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وأنه يتلذذ بالإساءة كما يتلذذ بالحسنة، ولا تغيره الحوادث على اختلاف الأزمنة، ولهذا إذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا فى كل رتبة، فيقع لأحدهم بعد المبالغة فى هذا الصفاء أن يعتقد ارتفاع الخلاف، واتصاف كل أحد بما عنده من الأوصاف.

فانظر إلى قول بهاء الدين زهير فى قوله:

عتب الحبيب فلم أجد ... سببًا لذاك العتب حادث

ما كنت أعلم أنه ... ممن تغيره الحوادث

فهو وإن لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الأول ، لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه؛ لأنه هو كذلك.

وفى هذا الأصل كلام للعارفين، وكل يأخذ ما يناسبه من الإشارات ، والبهاء زهير لايكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت، الشيخ شمس الدين البكرى[1] أدام ا لله مدده يقول إنه كان إمامًا عارفًا، أو ذا لسان عارف، وعلامة هذا القسم الإسعاف بالمطلوب وإن لم يكن كل آن، والتلطف بالعاشق ورفع محله فى غصون الهوان، وهم يرون اليسير خطيرًا، والقليل كثيرًا.

قال أستاذ الوجود فى هذا المعنى :

ففى نظرة منها ولو عمر ساعة ... ترى الدهر عبدًا طائعًا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضى ا لله عنه :

وإن لم أفز يوما إليها بنظرة ... لعزتها حسبى افتخارًا بتهمتى

ودون اتهامى أن قضيت أسى فما ... اسأت بنفس بالشهادة سرت

---

(١) شمس الدين البكرى، هو: ابن أبى السرور بن محمد بن على بن عبد الرحمن، الصديقى، الشافعى، مؤرخ، توفى سنة (١٠٦٠هـ)، من آثاره: عيون الأخبار ونزهة الأبصار. انظر: فهرس التيمورية (٣٦/٣)، معجم المؤلفين (٨٢٠/١) .

Marfat.com

فانظر كيف ارتضى بأن يموت محبًا وإن لم يعلم به أحد، ويكون شهيدًا مع ذلك، فائزًا بالسعادة، فى غاية الرضا بذلك بعد إذ سأل الوصل أولاً، ثم نظرة ما فى يوم ما، ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم، ثم هذه الرتبة.

وما أحسن التكميل بعزة النظرة فى هذا المقام ، وعلاج هذا القسم ينحصر فى الصبر المقرون بالرضا، ثم التسليم الخالى عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضى الله عنه: ولو عز فيها الذل، يحقق ذلك.

وأما قوله:

ونفس ترى فى الحب أن لاترى عنا . متى تصدت للصبابة صدت

فزجر ينفى ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية.

رجع إلى كلام المترسمين قال بعضهم: هجر الدلال أعذب من الوصال .

ويدل هجركم على أنى خطرت ببالكم

وقال آخر:

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سرنى أنى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التدلل، قليل التبذل؛ فإن ذلك أدعى للسلامة، وأبعد عن الملامة.

وقال ابن وكيع[1]:

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعًا فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه[2]

لو جاد هان وقلت الجود عادته وإنما عز لما عز مطلبه

وقال العباس بن الاحنف:

ياقوم لم أهجركم لملالة منى ولا لمقال واش حاسد

لكنى جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

وقلت:

عدى واضمرى خلفًا يلذ بخاطرى كوصلك وعد منك غايته الخلف

فعندى موتى فى هواك وعلمك بذلك وصف لا يعادله وصف

---

(١) ابن وكيع، هو: الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبى، أبو محمد، شاعر، توفى سنة (٣٩٣هـ) من آثاره: ديوان شعر، المصنف فى الدلالات على سرقات المتنبى. انظر: وفيات الأعيان (١/١٧١) معجم المؤلفين (١/٥٦٥) .

(٢) التيه: الصلف والكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [تيه].

Marfat.com

القسم الثانى: هجر الملال

هو: هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال، وتكون المحبة فيه عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة، وسببه ماذكر من الاختلاف وتحرى النفس طلب الاعتساف[1] .

وعلامته: تأثير مباعدة المكان وطول الأزمان.

وعلاجه: التحبب والتخلق بخلق المراد، وسلوك كل ما أراد، وربما مَحَتْه الهدية، والملاطفة بالأخلاق المرضية، والصفح مع حسن الصبر، والمجاوزة عن الزلة وإن عظم الأمر.

وبعض العشاق من المترسمين صرح فى علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة إلى مدة من الزمان.

وفيه أنشد:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على إطلاقه إلا بعد تحقيق وثاقه، وهو أن يكون للمحبة أصل ، وإنما ضعف بالملازمة ، و إلا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبة، وصفة محبوبة .

---

(١) الاعتساف: السير بغير هداية. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسف].

Marfat.com

القسم الثالث: الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة

هو: هجر سببه، وقوع فى ذنب ولو خطأ.

وعلامته: قبول الأوبة[1] عند صدق التوبة.

وعلاجه: تصديق الحبيب فى دعواه، والنزول على حكمه و الرضا بما يهواه، والاعتراف بالذنب وإن لم يكن صدر، وطلب العفو ممن قدر.

وإلى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب[2] أشار سيدى عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله :

عبد رق مارق يومًا لعتق ... لو تخليت عنه ما خلاكا

فقد حقق فى هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب، وأنه يطلبه بكل حال، ولا ينحيه عنه فى سائر الأحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع، ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته فى مرامه[3].

فقال :

وبما شئت فى هواك اختبرنى ... فاختيارى ما كان فيه رضاك

ثم ارتفع عن هذه المرتبة إيضاحًا لمراتب السالكين، ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال :

وقد صرت مستدع قضاك وما به ... رضيت ولا أختار تأخير مدتى

فإنه أبلغ من قوله :

وإن هددوا بالهجر مانوا مخافة ... وإن أوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

خلافًا لبعض الشراح لعموم ما فى الأول بالنسبة إلى هذا وبيانه يستدعى طولاً.

أما قوله:

وما غدرت فى الحب إذ هدرت دمى ... بشرع الهوى لكن وفت إذ توفت

فأصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه، بل ربما تمشى على القسم الأول، أو هو له حقيقة .

---

(١) الأوبة: الرجوع. انظر: لسان العرب، مادة [آب].

(٢) المأرب: الحاجة. انظر: لسان العرب، مادة [أرب].

(٣) مرامه: مطلبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رام].

Marfat.com

القسم الرابع: الهجر الخلقى

وسماه بعض الصوفية: الأزلى.

يقال: إن الجنيد[1] ﷺ فسر قوله صلى الله عليه وسلم «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» بأن الله حيث أخرج عالم الذر[2] جعله فى كفه، ثم أخذ العهد عليه ثم بذره ، فوقع بعضه متقابلاً وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجبت الصحبة، وحققت المحبة.

وتدابر الآخر، فحقت بين أفراده المقاطعة، وجبلوا على الممانعة. وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته، ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة: أعظمها عند المتمسكين بالشرائع، اختلاف الأديان، وعند مطلق العالم يستند إلى الإرادة الإلهية، حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته، وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز وجل من قائل ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[الآنفال:٦٣].

وهذا القسم والذى قبله لاتعلق للعشاق بهما على ما اخترناه ، وبعضهم يرى أن الثلاثة الأول من متعلقات العشق، ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب؛ فإن من بلغ إلى قول الأستاذ ﷺ **وكل الذى ترضاه**... البيت. لم يكن القسم الثانى فضلاً عن الثالث من متعلقاته وإذا عرفت ماقررناه ثبت عندك أن هذا القسم لا علاج له أصلاً إلا بالإرادة الإلهية، ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الأمر فيه بالعاشق إلى أن يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه، ويكون فى الحقيقة ثناء لديه، وقد يُسْتَخْير عند تمادى الهجر ، وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه.

وألطف ما سطر فى الأول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف[3] :

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الذر: من الذرية أو من ذررت الحب أى فرقته . اللسان ، مادة [ذرر] .

(٣) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

أعـــز ا لله أنصـــار العيـــون وخلـــد ملـــك هـــاتيك الجفـــون
وضـــاعف بـــالفتور لهـــا اقتـــدارا وإن تـــك أضعفـــن عقلـــى ودينـــى
وخلـــد دولـــة الأعطـــاف فينـــا وإن ثنـــت الفـــؤاد إلى الشـــجون
وأســـبغ ظـــل ذاك الســـعد يومًـــا علـــى قـــد بـــه هيـــف الغصـــون
وصـــان حجـــاب هـــاتيك الثنايـــا وإن جـــارت علـــى الفـــذ الطعـــين[1]

وقال أيضًا :

أدام ا لله أيـــــام الوصـــــال وخلـــد عمـــر هـــاتيك الليـــالى
واســـبغ ظـــل أغصـــان التدانـــى وزاد قدودهـــا حســـن اعتـــدال
ولا زالـــت ثمـــار الأنـــس تجنـــى تزيـــد لطافـــة فـــى كـــل حـــال
ولا برحـــت لنـــا فيهـــا عيـــون تغـــازل مقلتـــى خشـــف الغـــزال[2]

وقال آخر :

يـــا رب إن قدرتـــه لمقبـــل غـــيرى فللمســـواك أو للكـــؤوس
وإذا قضيـــت لنـــا بصحبـــة ثـــالث يـــا رب فليـــك شمعـــة فـــى المجلـــس
وإذا حكمـــت لنـــا بعـــين مراقـــب يـــا رب فلتـــك مـــن عيـــون الـــنرجس

وقال شهاب الدين بن العائم:

وا لله مـــا أدعـــو علـــى هـــاجرى إلا بـــأن يمحـــن بالعشـــق[3]
حتـــى يـــرى مقـــدار مـــا قـــد جـــرى منـــه ومـــا قـــ فـــى حقـــى

وقال آخر :

أيهـــا المعـــرض صفحـــا عـــن خطـــابى وجوابـــى[4]
لا اراك ا لله عمـــــــرى أو يرينـــى بـــك مـــا بـــى
رب فاجعلـــــه دعـــــاء خائبًـــا غـــير مجـــاب
رق قلبـــــى إن يـــــرى قلبـــك فـــى مثـــل عذابـــى

---

(١) الفذ: المتفرد فى مكانته. الطعين: الرمح .انظر: القاموس المحيط، مادة [فذّ]، [طعن].
(٢) خشف: ولد الظبى أول ما يولد. انظر: لسان العرب، مادة [خشف].
(٣) يمحن : يجرب . انظر: القاموس المحيط، مادة [محن].
(٤) صفحًا: معرضًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفح].

Marfat.com

وقال آخر :

كم جفانى فرمت أدعو عليه ... فتوقفت ثم ناديت ذاهل

لا شفى الله طرفه من سقام ... وأرانى عذاره وهو سائل

وقال ابن وكيع[1] :

إن كنت تعلم ما بى ... وأنت بى لاتبالى

فصار قلبك قلبى ... وصرت فى مثل حالى

بل عشت فى طيب عيش ... تفديك نفسى ومالى

دعوت إذ ضاق صدرى ... عليك ثم بدا لى

وقال آخر :

ولما بدا لى أنه غير رائدى ... وأن هواه ليس عنى بمنجلى

تمنيت أن يهوى ويحيا لعله ... يذوق مرارات الهوى فيرق لى

وقلت :

لى طلعة الحسن واللطف ناضرة ... أرى كل أرباب المحاسن ناظرة

لقد بطنت فى كل معنى وصورة ... من الكون لما أصبحت فيه ظاهرة

تضن على العشاق بالقتل فى الهوى ... فما طلبى للوصل إلا مكابرة

ولكننى أرجو تبدل ما بنا ... من الميل واستكشاف حجب المساترة

فتطلبنى من بعد ما أنا طالب ... لها وتحيينى بحسن المحاضرة

فيا رب خذ منها بحقى وانتصر ... لنفس غدت فى أبحر الشوق حائرة

ولاتستجب منى وسلطان عزها ... أدمه وإن كانت على الناس جائرة

ثم قد يتمادى الهجر، ولا يسمع الدعاء، ويعز الوصل، ويصعب الرضا، فيأخذ العاشق فى مسح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع إلى حضيض الخضوع، ولقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق، وقصب السبق التى لايدرك والجواد الذى لايسبق قوله :

---

(١) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

ومن درجات العز أمسيت مخلداً إلى دركات الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد أشار فى هذين البيتين إلى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول بإشارة يدق إدراك كنهها عن العقول، فقد أثبت له رتبة رفيعة بَيَّنَ أَنَّ تركها بعد علاج عظيم ، ومن ثم كان تدريجًا لعدم إمكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والإضافة إلى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لإنه فى غاية المقابلة، وأكد ذلك بالإشارة إلى غاية المحو الذى به حقق إثباته، كما أشار بعده بقوله: والفقد مثبتى.

وأما إشارته إلى الدموع وانسكابها فالغاية التى لايدرك منها الناس إلا القشور.

فمنها قوله:

فسهدى حى فى جفونى مخلد ونومى بها ميت ودمعى له غسل[1]

فانظر إلى غرابة هذه الاستعارات، ولطف هذا التركيب، وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود.

ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام، وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله :

وأدمع هملت لولا التنفس من نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج[2]

وأبلغ منه قوله :

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى وإيقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا، ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة إلى اللجج فى الأول لأنه انقلاب العناصر كلها إلى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وإن لم يكن مما نحن فيه .

وتحفت أخفافها فهى تمشى من جواها فى مثل جمر الرماد[3]

---

(١) السهد:الأرق والسهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [سهد].
(٢) هملت العين: فاضت وسالت بالدمع. اللجج، جمع لجة: معظم البحر وتردد أمواجه انظر: القاموس المحيط، مادة [همل]، [لجج].
(٣) أخفاف، جمع خف: ما يلبس فى الرجل من جلد رقيق. انظر: القاموس المحيط، مادة [خفف].

Marfat.com

حيث نسب تحفية الأخفاف إلى حرارة الجوى التى شأنها الصعود ، عكس الأخفاف، فكأنه يقول: لشدة هذه الحرارة استوعبت الأجياز كلها، وأما قوله :

لو بكى فى قفار خلتها لججا وإن تنفس عادت كلها يبسا[1]

وغيره فكثير لا يمكننا إدراك أقله، وأنى للبشر من حيث إنه بشر إدراك دقائق الفيوضات الإلهية، والكرامات التى خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضى الله عنه حيث قال :

فعالمنا منهم نبى ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية

وأصرح منه قوله :

فما كان منه معجز اصار بعده كرامة صديق له أو خليفة

رجع إلى كلام المترسمين قال القاضى الفاضل :

قد استخدمت بالأفكار سرى وما أطلقت لى بالوصل أجره
ولم أرها على الأيام إلا عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بأدمعى فى الشمس عصره

وقال ابن عبد الظاهر[2]:

لا تسلنى عن أول العشق إنى أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك أرخت غرامى بمستهل وغره

وقال المتنبى[3]:

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى الأماقى

وله أيضًا :

وهبت السلو لمن لامنى وبت من الشوق فى شاغل
كأن الجفون على مقلتى ثياب شققن على ثاكل[4]

---

(١) قفار، جمع قفر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفر].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ثاكل: الولد أو الحبيب المفقود. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثكل].

Marfat.com

وقال آخر :

ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى يضاف إلى خدها قياما إلى الصبح لم نرقد

وقال إبراهيم بن المعمار :

وبى غضبان لا يرضيه إلا دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفة بوصل وفى عينى بعد الهجر قطره

وقال آخر :

وقال مابال عينيك مذ رأت محاسن هذا الظبى أدمعها هطل
فقلت زنت عينى بنظرة طلعة فحق لها من فيض أدمعها غسل

وقال السرى الرفاء[1]:

بروحى من رد التحية ضاحكا فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى وبينها كأن دموع العين تعشقه معى

وقال آخر :

وقائلة ما بال دمعك أسودا ولونك مصفرًا وأنت نحيل
فقلت لها إن الدموع تجففت وهذا سواد المقلتين يسيل

وقال ابن وكيع :

وسحاب إذا همى الماء فيه ألهب الرعد فى حشاء البروقا[2]
مثل ماء العيون لم يجر إلا ظل يذكى على القلوب الحريقا

المسعودى شارح المقامات :

قالت عهدتك تبكى دمًا حذار التنائى
فلم تعوضت عنها بعد الدماء بمائى
فقلت ما ذاك منى ولم يكن بمنائى
لكن ضلوعى شابت من طول عمر التنائى

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) همى: سال وفاض. انظر: القاموس المحيط، مادة [هما].

Marfat.com

وقال آخر :

كـانت دموعـى جمـرًا يـوم بينهـم فمـذ نـأوا قصرتهـا بعدهـم حرقـى

قطفـت بـاللحظ وردًا مـن خدودهـم فاستقطر البـين مـاء الـورد مـن حدقـى

وقال ابن الناشئ الأكبر:

بكيـت الفـراق وقـد راعنـى بكـاء الحبيـب لفقـد الديـار

كـأن الدمـوع علـى خدهـا بقيـة طـل علـى جلنـار[1]

وقلت :

ومحجوبـة مـذ كلمتنـى كلمـت فـؤادى وألقـت بـين سمعـى ونـاظرى

إلى أن رأتهـا مقلتـى فـاض دمعهـا على الأرض أمثال البحور الزواخـر[2]

فقالت عقيقًـا مـا أرى قلـت بـل دمـى جـرى عندمـا مـن هجـرك المتواتـر[3]

---

(١) الجلنار: زهر الرمان. انظر: القاموس المحيط، مادة [جلن].

(٢) الزواخر: الفياضة. انظر: القاموس المحيط، مادة [زخر].

(٣) عقيقًا: حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقق].

Marfat.com

فصل

فى نفى كدر الهم والصدود باستجواب الأمانى والوعود والتعلل بالأمانى، والطمع فى التهانى

وهو أصل انقسمت فيه العشاق إلى قسمين:

قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه، وهو العزيز النادر وغير الوافى الوافر.

وقسم مات بغصته[1]، وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته، وأعجب ما فيه أن الراضيين به مع العلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودى عليه فى هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة، واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقة الأستاذ رضى الله عنه.

فقال :

عدينى بوصل وأمطلى بنجازه ... فعندى إذ أصح الوفا حسن المطل[2]

وما الصد إلا الود ما لم يكن قلى ... و أصعب شئ دون إعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة، وانغمس فى بحار الحقيقة، فانطوت نفسه الأبية فى مطاوى الحقائق القدسية فقال :

إن لم يكن وصل لديك فعد به ... أملى وماطل إن وعدت ولا تفى

وأما المترسمة فقد أكثروا فى هذا الباب الأقوال واختلفوا باختلاف الأحوال.

قال بعضهم :

أعلل بالمنى قلبى لعلى ... أروح بالأمانى الهم عنى

واعلم أن وصلك لا يرجى ... ولكن لا أقل من التمنى

وقال آخر :

وما بلوغ الأمانى فى مواعدها ... إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب

---

(١) الغُصّة: ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غصص].

(٢) أمطلى : أجلى الوفاء بالوعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [مطل].

Marfat.com

ومن كلام أفلاطون: الأمانى حلم المستيقظ، وسلوة المحروم؟

وقال غيره: التمنى مؤنس إن لم ينفعك فقد ألهاك.

قيل لأعرابى: ما أمتع لذات الدنيا؟ قال: ممازحة الحبيب ، ومحادثة الصديق، وأمانى تقطع بها أيامك .

قال ياقوت الرومى[1] :

لله أيـــام تقضـــت بكـــم ... مـــا كـــان أحلاهـــا وأهناهـــا

مـــرت فلـــم يبقـــى لنـــا بعدهـــا ... شـــئ ســـوى أن نتمناهـــا

وقال ابن الوردى[2]:

وشـــادن قلـــت لـــه ... هـــل لـــك فـــى المنادمـــة

فقـــال كـــم مـــن عاشـــق ... ســـفكت فـــى المنـــى دمـــه

وقال الحسين بن الضحاك[3]:

وصف البدر حسـن وجهـك حتـى ... خلـــت أنـــى ومـــا أراك أراك

و إذا مـا تنفـس الـنرجس الغـض ... توهمتـــه نســـيم شـــذاك[4]

خدعـــات المنـــى تعللنـــى فيـــك ... بإشـــراق ذوا بهجـــة ذاك

وقال ابن أبى حجلة[5]:

رقـــى لصـــب غـــدا ممـــا يكـــابده ... مـن دمعه الصب يجرى فـى مجاريـه

لم يبـق فيـه سـوى روح يرددهـا ... لـولا المنـى مـات يـا أقصـى أمانيـه

---

(١) ياقوت الرومى ، هو : ابن عبد الله، مولى التاجر أبى منصور الجبلى، مهذب الدين، أبو الدر، أديب، شاعر، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، انتشر نظمه بالعراق والشام، توفى سنة (٦٢٢هـ)، من آثاره: ديوان شعر صغير. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/١٩٦)، معجم الأدباء (٩/٣١١).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الحسين بن الضحاك، هو: أبو على الباهلى، مولاهم البصرى، الشاعر المفلق، مدح الخلفاء وسار شعره، وعمّر دهرًا، وكان ذا ظرف ومجون، وتفنن فى بديع النظم، شهر بالخليع لمجونه، توفى سنة (٢٥٠هـ). انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/١٩١)

(٤) الغض: اللين. الشذا: الرائحةالعطرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [غض]، [شذا].

(٥) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وقلت :

عـدى فتـى شـفت الأسـقام مهجتـه بـزورة منـك يـا أقصـى تمنيـه[1]

فـالهجر منـك لكـاس المـوت يسـلمه والوعـد منـك ولـو بـالزور يحييـه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والأمانى، وعدوا ذلك جنونًـا، ومشـى علـى ذلـك جمع كثير:

وقال الخالدى[2]:

ولاتكـن عبـد المنـى فـالمنى رؤوس أمـوال المفـاليس

وقال ابن المعتز[3]:

لاتأسـف مـن الدنيـا علـى أمـل فليـس باقيـه إلا مثـل ماضيـه

قال على كرم ا لله وجهه: اجتنبوا المنـى فإنهـا تذهـب مـا خُوِّلْتُـم[4]، وتصغـر المواهب التى رُزقتم.

وقال رجل لابن سيرين[5]: إنى رأيت كأنى أسبح فى غير ماء، وأطير بغير جناح.

فقال: أنت رجل تكثر الأمانى.

وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول: أبيع اللبن بكذا، وأشترى بضاعة فأكسب فيهـا كذا، فيكثر مالى، فأتزوج ابنة الحجاج، وتلد لى ولدًا وآمرها يومًا بشئ فلم تطـع فأرفسها هكذا، ورفع رجله فكب اللبن.

---

(١) شفت: أضمرته وجعلته نحيلاً . انظر: القاموس المحيط، مادة [شفف].

(٢) الخالدى، هو: سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبـد ا لله، أبـو عثمـان ، شـاعر ، أديب، أخبارى، من آثاره: ديوان شعر، اختيار شعر ابن الرومـى. انظـر: الوافـى (٨٨/١٣)، معجم المؤلفين (٧٧٠/١).

(٣) ابن المعتز، هو: عبد ا لله بن محمد بـن المتوكـل، جعفـر بـن المعتصـم، البغـدادى، أبـو عبـاس، أديب، شاعر، أخذ الأدب عن فصحاء العرب، وسموه بالأمير، توفـى سـنة (٢٩٦هـ) انظـر: سير أعلام النبلاء (١٤٨/٩)، معجم المؤلفين (٣٠٠/٢).

(٤) خولتم، من الخَوْل : ما أعطى ا لله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم . انظر: القاموس المحيط ، مادة[خلل] .

(٥) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

فدخل الحجاج، فضربه خمسين سوطًا، وقال ألست تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا .

وقال آخر :

لما بدا العارض فى خده بشرت قلبى بالنعيم المقيم[1]

وقلت هذا عارض ممطر فجاءنى فيه العذاب الأليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب، والقناعة باليسير من المطلوب وإن طال الوعد وكثر الخضوع، وامتد البعد وانسكبت الدموع؛ فصفة العاشق القانع، الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف، المشفق عليه من نحو التعنيف.

وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير، وليس فى هذا النمط ألطف من جميل فى قوله: **وإنى لأرضى من بثينه**... الأبيات السابقة فى قصته.

وقوله :

ألست أرى النجم الذى هو طالع عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الأفق طرفى وطرفها فيجمعنا إذ ليس فى الأرض جامع

وقال بعض الأعراب :

أليس الليل يجمع أم عمرو وأبانا فذاك لنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علانى

وقال بعضهم :

إلى الطائر النسر انظرى كل ليلة فإنى إليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر

وقال بعض الأعراب :

وما نلت منها وصلها غير أننى إذا هى بالت بلت حيث تبول

وقال بعضهم :

وكن قنوعًا فقد جرى مثل إن فاتك اللحم فاشرب المرقة

---

(١) العارض : صفحة الخد . انظر : القاموس المحيط ، مادة [عرض].

Marfat.com

هذه إشارة إلى مثل يضرب للقناعة باليسير، وأصله: أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أنت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا، فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها فى البحر، وقال: يانبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق، فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك إذا ذكره.

وعكس هؤلاء من مد إلى المحبوب باعه، وأوسع آماله وأطماعه، فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلاً عن الأرواح، والتأليف الذى لايمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدًا فى العين الأحول الذى يرى الشئ اثنين .

قال بعضهم :

وكدت وهو ضجيعى أن أقول له ... من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

وقال ابن الرومى[1]:

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل يعد العناق تدانى

وألثم فاه كى تزول حرارتى ... فيشتد ما ألقى من الهيمانى[2]

كان فؤادى ليس يشفى غليله ... تشفيه مما ترشف الشفتان

ولم يشف مقدار الذى بى من الجوى ... سوى أن ترى الروحان يمتزجان

وقال خالد الكاتب :

كأننى عانقت ريحانة ... تنفست فى ليلها البارد

فلو ترانا فى قميص الدجى ... حسبتنا فى جسد واحد

وقال نفطويه النحوى[3]:

ولما التقينا بعد بعد بمجلس ... نغازل فيه أعين النرجس الغض

جعلت اعتمادى ضمه وعناقه ... فلم نفترق حتى توهمته بعضى

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الهَيمان: شدة الوجد. انظر: القاموس المحيط، مادة [هام].

(٣) نفطويه النحوى ، هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدى، الواسطى، أبو عبد الله، عالم بالعربية، واللغة، والحديث، ولد بواسط، وسكن بغداد، توفى سنة (٣٢٣هـ) من آثاره: غريب القرآن، المقنع فى النحو. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٧)، معجم المؤلفين (١/٦٧).

Marfat.com

وقال أبو بكر الإربلى[1]:

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا ... ليلاً وقد بات من أهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى ... فلما أتانا ما رأى غير واحد

وقال أبو الفضل[2]:

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا ... ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت إذا علقت كفى حبائلكم ... بسهم هجرك تنوى ثم تنوينى

وقال ابن سناء الملك[3]:

وليلة بتنا بعد سكرى وسكره ... نبذت وسادى ثم وسدته يدى
وبتنا كجسم واحد فى عناقنا ... وكالحرف فى لفظ الكلام المشدد

قيل: اعترض على هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد حرفين، فلو قال: فى الخط، لحسن مطلوبه .

واجتمع ابن الجهم وابن عروس فى سفينة، فتذاكرا الشعر.

فقال ابن الجهم: أنا أشعر منك حيث أقول:

الأرب ليل ضمنا بعد هجعة ... وأدنى فؤادًا من فؤاد معذب[4]
وبتنا جميعًا لو تراق زجاجة ... من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال: أحسنت، ولكنى أشعر منك حيث أقول :

لا والمنازل من نجد وليلتنا ... بعيد اذ جسدانًا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه ... نوما فما انفك لاخد ولا عضد[5]

---

(١) أبو بكر الإربلى، هو: ابن محمد بن إبراهيم، شاعر، توفى سنة (٦٧٩هـ)، من آثاره: المنظومة الألفية فى الألغاز الخفية. انظر: كشف الظنون (١٥٧)، معجم المؤلفين (١/٤٤٣).

(٢) أبو الفضل، هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى، النيسابورى، أديب، نحوى، لغوى، توفى سنة (٥١٨هـ) من آثاره: شرح المفضليات، بجمع الأمثال. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١١٣)، معجم الأدباء (٥/٤٥).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الأرب: البغية والأمنية. هجعة: النومة الخفيفة من أول الليل انظر: القاموس المحيط، مادة [أرب]، [هجع].

(٥) الكرى: النعاس. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرا].

Marfat.com

وقال بشار بن برد :

ومرتجة الأعطاف مهضومة الحشا تمور بسحرى عينها وتدور[1]

إذا نظرت صبت عليك صبابة وكادت قلوب العاشقين تطير

خلوت بها لايخلص الماء بيننا إلى الصبح دونى حاجب وستور

وكلام بشار وإن كان فى الحقيقة أصلاً للبيتين، إلا أن ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر؛ لأنه أشد نفوذا .

وأما ابن عروس فلا ألطف منه إذ لا شئ أشد سريانًا من النوم ؛ وحاصله أنه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب، ومن لا يقف على غاية فى المطلوب باختلاف الأمكنة، وصفاء الأيام، والخلو من نحو واش ونمام ومجالس الوردِ والنَمامِّ فإن من الحزم انتهاز الفرص، ومن الحمق الوقوع فى ضيق القفص، ومن صفا له الزمان فجبن عن مطلوبه، فهو زاهد فى محبوبه، ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه.

قلت من الأول :

لقد صار يشفينى الهواء لمزجه بأنفاسها مع أن دائى من الهوى

ويفرحنى ما جد فى الصبح والمسا لأنى وإياها بمدركة سوا

ومن الثانى :

رب ليل ضممتها فيه حتى لو فرقنا كنا هيولى وصورة[2]

مع أنى سألتها القرب منى بخضوع وإن تمن بزورة

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى؛ إذا لايتصور افتراق الهيولى والصورة بوجه، وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه .

---

(١) تمور: تتحرك وتضطرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [مور].

(٢) هيولى: مادة الشىء التى يصنع منها. انظر: القاموس المحيط، مادة [هال].

Marfat.com

فصل

فى ذكر مكابدة الأمور الصعاب عند طلب رضا الأحباب وخوض الأهوال واستهلال قضاء الآجال فضلاً عن بذل الأموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضى إلى التلف

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامُه، وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها، نظامه سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا إلى إدراك دقائق نفحاته.

فقال :

ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك ياحبذا البذل

ومن لم يجد فى حب نعم بنفسه ... وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فانظر كيف أضرب عن ذكر ما سوى النفس، وإن عز وأمر ببذلها من بادئ الرأى، فكم طوى فى ذلك من المراتب، وهذا فى الحقيقة إجمال بالنسبة إلى قوله:

بكل قبيل كم قتيل بها قضى ... أسى لم يفز يومًا إليها بنظرة

فإنه أشار إلى قطع كل رتبة بحيث ينتهى السالك إلى ذهاب النفس، وليس ذلك بشئ إذ قال:إنه لم يفز ولابنظرة مع ذهاب نفسه،وشرح ذلك واضحًا قوله:

بحيث ترى إن لاترى ما عددته ... وإن الذى أعددته غير عدة

فإنه يقول: إن هذا المرام لايعظم عنده شئ، ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيئًا بالنسبة إلى المحبوب، وهو خلاف المطلوب، ودقائقه فى هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولو الألباب فلنرجع إلى كلام المترسمة .

قال الطغرائى[1] :

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت ... برشقة من نبال الأعين النجل[2]

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى ... باللمح من خلل الأستار والكلل

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) النُجْل:المتسعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجل].

Marfat.com

وقال ابن خفاجه[1]:

وليـــل طرقـــت المالكيـــة تحتـــه ... أجـد علـى حكـم الشـباب مـــزارا

فخـــالطت أطـــراف الأســـنة أنجمـــا ... ودســـت بهـــالات البـــدور ديـــارا

ابن بسام[2]:

لقـد صـبرت علـى المكـروه أسمعـه ... من معشـر فيـك لـولا أنـت مـا نطقـوا

وفيـك داريـت قومًـا لا خـلاق لهـم ... لـولاك مـا كنـت أدرى أنهـم خلقـوا

وقال آخر:

يغـوص البحـر مـن طلـب الـلآلى ... ومـن طلـب العـلا سـهر الليـالى

تـــروم المجـــد ثـــم تنـــام عنـــه ... لقـــد أطمعـــت نفســـك بالمحـــال

وأعظم من ذلك؛ الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء، وتلف النفس، وشدة الابتلاء ، وإمامٍ هذا الشأن والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى.

قيل: إنه علق مملوكًا لمؤيد الدين كان يهواه، فحين بلغه نقـم علـى الطغرائـى، فأراد قتله وأشهر شفقة على المملوك من الألسنة أن الطغرائـى ملحـد، فشـده إلى شجرة، وأمرٍ أن تفوق إليه السهام، وأن لايرموا حتى يأمرهم المملوك أمام الكل، ثم أمر رجلاً يسمع ما يقول الطغرائى وهو لايشعر.

فإذا هو يقول :

ولقـد أقـــول لمـــن يســـدد ســـهمه ... نحـــوى وأطـــراف المنيـــة شـــرع

والمـوت فـى لحظـات أحـور طرفـه ... دونـــى وقلبـــى دونـــه يتقطـــع

بـا لله فتـــش فـى فـؤادى هـل تـرى ... فيـه لغـــير هـــوى الأحبـــة موضـــع

أهـون بـه لـــو لم يكـــن فـــى طيـــه ... عهـــد الحبيـــب وســـره المســـتودع

فأطلقه ورفع شأنه.

---

(١) ابن خفاجة، هو: إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله، الأندلسـى، أبـو اسـحاق ، شـاعر، ولـد وتوفى بجزيرة شقر، له ديوان شعر ومصنفات لغويـة، توفـى سـنة (٥٣٣هـ). انظـر: وفيـات الأعيان (١/١٧)، معجم المؤلفين (١/٥١).

(٢) ابن بسام ، هو : على بن محمد بـن نصـر بـن منصـور ، البغـدادى ، أبـو الحسـن ، أديـب ، كاتب، شاعر، أخبارى ، توفى سنة (٣٠٢هـ) من آثاره: أخبار عمر بن أبـى ربيعـة، كتـاب المعاقرين. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/١٦٨)، معجم المؤلفين (٢/٥٢٨).

Marfat.com

أبو عطاء السندى :

ذكرتـــك والخطـــى يخطـــر بيننـــا ... وقـــد نهلـــت منـــى المثقفـــة الســـمر

فـــو الله مـــا أدرى وإنـــى لصـــادق ... بنـا فتكـت تلـك اللواحـــظ أم ســـحر

وقال عنترة العبسى :

ولقـــد ذكرتـــك والرمـــاح نواهـــل ... منـى وبيـض الهنـــد تقطـــر مـــن دمـــى

فـــوددت تقبيـــل الســـيوف لأنهـــا ... لمعـــت كبـــارق ثغـــرك المبتســـم

وقال الطغرائى:

إنـــى لأذكركـــم وقـــد بلـــغ الظمـــا ... منـــى فأشـــرق بـــالزلال البـــارد

وأقـــول ليـــت أحبتـــى عـــاينتهم ... قبـــل الممـــات ولـــو بيـــوم واحـــد

وقال بعضهم :

ذكـــرت ســـليمى وحـــر الوغـــى ... بقلبـــى ســـاعة فارقتهـــا[1]

فشـــبهت سمـــر القنـــا قدهـــا ... وقـــد ملـــن نحـــوى فعانقتهـــا[2]

وقال ابن رشيق:

ولقـــد ذكرتـــك والطبيـــب معبـــس ... والجـــرح منغمـــس بـــه المســـبار[3]

وأديـــم وجهـــى قـــد فـــراه حديـــده ... ويمينـــه حـــذرًا علـــى يســـار[4]

فشـــغلتنى عمـــا يليـــق وأنـــه ... ليضيـــق عـــن برحائهـــا الأقطـــار[5]

وقال الشريف البياضى[6] :

ولـد ذكرتـك فـى السـفينة والـردى ... متوفـــع بتلاطـــم الأمـــواج[7]

---

(١) الوغى: الحرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [وغى].

(٢) القنا، جمع القناة: الرمح. انظر: القاموس المحيط، مادة [قنا].

(٣) المسبار: ما يعرف به غور الجرح. انظر: القاموس المحيط، مادة [سبر].

(٤) فراه: شقه وقطعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرى].

(٥) برحائها: شرّها وأذاها. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٦) الشريف البياضى، هو: مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن ، أبو جعفر، شاعر هاشمى، من أهل بغداد، له ديوان شعر صغير، شعره فى غاية الرقة والحسن، توفى سنة (٤٦٨هـ) انظر: الأعلام (٢١٨/٧)، الوفيات (٩٢/٢) .

(٧) الردى: الهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [ردى].

Marfat.com

والجـو يهطـل والريـاح عواطـف ... والليـل مسـود الذوائـب داجـى
وعلـى السـواحل الأعـادى عسـكر ... يتوقعـون لغـارة وهيـاج
وعلـت لأصحـاب السـفينة ضجـة ... وأنـا وذكـرك فـى ألـذ نتـاج

وقال أبو الثناء محمود[1] :

ولقـد ذكرتـك والسـيوف لوامـع ... والمـوت يرقـب تحـت حصـن المرقـب
والحصـن فـى شـفق الـدروع تخالـه ... حسـناء ترفـل فـى رداء مذهـب[2]
سـامى السـماء فمـن تطـاول نحـوه ... للسـمع مسـترقًا رمـاه بكوكـب
والمـوت يلمـع بـالنفوس خـاطرى ... يلهـو بطيـب ذكـرك المسـتعذب

وقال الصفى الحلى[3] :

ولقـد ذكرتـك والعجـاج كأنـه ... مطـل الغنـى وسوء عيـش المعسـر[4]
والشـوس بـين مجـدل فـى جنـدل ... منـاوبين معفـر فـى معفـر[5]
فظننـت أنـى فـى صبـاح مسـفر ... بضيـاء وجهـك أو مسـاء مقمـر
وتعطـرت أرض الكفـاح كأنمـا ... فتقـت لنـا أرض الجـلاد بعنـبر

وقلت :

لقـد رد روحـى عندمـا رام نزعهـا ... ملائكـة ذكـراك حـين تلوتـه
فلـو لم يكـن مـوت البريـة لازمًـا ... إذا فرغـت آجـالهم مـا نسـيته

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ترفل: تتبختر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رفل].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) العجاج: الغبار. انظر: القاموس المحيط، مادة [عجّ].

(٥) الشوس ، جمع أشوس : من كان جريئًا فى القتال. معفر: من عفر الشىء: مرغه فى الـتراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [شاس]، [عفر].

Marfat.com

تتمة:

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها إلى جميع الأصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل، والنسيب؛ لأعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب، وتهييجها الأشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة[1]، وتفصيلها لتلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة، وإثارة ما قر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الأحباب عند ذكر الثغر والرضاب، وإتيانها بأعذب الموارد بعد ما حال الصدر إذا ذكر النهد والصدر، ونشر مطاوى الأشواق إذا سمع مدح الخلخال والساق إلى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة، وتخيرته فى هذا الباب أذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) أن أغزل بيت للمتأخرين.

قول بشار:

أنا وا لله أشتهى سحر عينيك ... واخشى مصارع العشاق

وقال شمس الدين بن العفيف:

يحكى الغزال مقلة ولفتة ... من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن

أحسن خلق ا لله وجهًا وفما ... إن لم يكن أحق بالحسن فمن

فى ثغره وشكله وخده ... الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الأبيات إلى القاهرة والشاعر المشهور(الحلى) يومئذ بها اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها.

فقال :

كم قد سفكنا من دموع ودما ... على ربوع للديار ودمن

وكم قضينا للبكاء منسكًا ... لما تذكرنا بهن من سكن

وكم اقمنا بالبكاء مأتمًا ... إذ بعتهم روحى بغير ما ثمن

فاستحسن الجل أبيات (الحلى) ، ودامت الناس مدة طويلة مفترقين فى ذلك. والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الأدب.

---

(١) الطرة: الجبهة. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرّ].

Marfat.com

فمن الأول قول ابن نباتة:

أيهـــا العـــاذل الغبـــى تـــأمل ... من غـدا فـى صفاتـه القلـب ذائـب

وتعجـــب لطـــرة وجبـــين ... إن فـــى الليـــل والنهـــار عجـــائب

وله أيضًا:

قلـت وقـد أبـدى جبينًـا واضحًـا ... وفوقـه ليـل دلال قـد سـجا[1]

أفـدى الـذى جبينـه وشـعره ... طـرة صبـح تحـت أذيـال الدجـى[2]

وقال ابن مطران :

ظبـاء أعارتهـا المهـا حسـن مشـيها ... كمـا قـد أعارتهـا العيـون الجـآذر[3]

فمن حسن ذاك الشئ جـاءت وقبلـت ... مواطـئ مـن أقدامهـن الغدائـر

وقال اسماعيل السكندرى :

لم أر قبـل شـعره وجهـه ... ليـلاً علـى صبـح نهـار عسعسـا

والسـكر فـى وجنتـه وطرفـه ... يفتـح وردًا ويغـض نرجسًـا

وقال حسام الدين الجابرى :

ومهفهـف مـن شـعره وجبينـه ... تغـذوا الـورى فـى ظلمـة وضيـاء

لاتنكـروا الخـال الـذى فـى خـده ... كـل الشـقيق بنقطـة سـوداء

وقال ابن الصائغ:

مشـى غصنًـا ومـد عليـه فرعـا ... كحظـى حـين أطلـب منـه وصـلا

وبلبلـه علـى الأرداف منـه ... فلـم أر مثـل ذاك الفـرع أصـلا

وقال السراج الوراق:

ذو طـرة يعيـذ هـارب الدجـى ... وطلعـة يعيـذ هـارب القلـق

المـاء والنـار معًـا فـى خـده ... أمـا تـرى المـاء طغـى ثـم احـترق

---

(١) سجا الليل: سكن. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجا].

(٢) طرة الصبح: طلعته. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرّ].

(٣) الجآذر، جمع جؤذر: ولد البقرة الوحشية. انظر: القاموس المحيط، مادة [جذر].

Marfat.com

وقال شمس الدين بن العفيف:

بـدا وجهـه مـن فـوق اسمـر قـده ... وقد لاح من سود الذوائب فى جنح

فقلت عجيبًا كيف لم يظهر الدجى ... وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقال المتنبى:

كشفت ثلاث ذوائب مـن شعرها ... فـى ليلـة فـأرت ليـالى أربعًـا

واستقبلت قمـر السـماء بوجههـا ... فـأرتنى القمريـن فـى وقـت معًـا

وقال آخر :

بـرزت فقـابل نـاظرى مـن وجههـا ... مـرآة حسـن بالجمـال صقيـل

وقال ابن المعتز:

سـقتنى فـى ليـل شـبيه بشـعرها ... شـبيهة خديهـا بغـير رقيـب

فأمسيت فى ليلين للشعر والدجى ... وشمسين مـن خمـر وخـد حبيـب

وقال البجلى :

رقـت محاسـنها ورق أديمهـا ... فتكـاد تبصـر باطنًـا مـن ظـاهر

تنـدى بمـاء الـورد مسـبل شـعرها ... كـالطل يسـقط مـن جنـاح الطـائر[1]

وقال الخيرزانى:

رأيـت الهـلال ووجهـه الحبيـب ... فكانـا هلالـين عنـد النظـر

فلـم أدر مـن حـيرتى منهمـا ... هـلال الدجـى مـن هـلال البشـر

فلـولا التـورد فـى الوجنتـين ... ومـا راعنـى مـن سـود الشـعر

لكنـت أظـن الهـلال الحبيـب ... وكنـت أظـن الحبيـب القمـر

وقال التهامى[2]:

وفى كتـابك فـاعذر مـن يهيـم بـه ... من المحاسـن مـا فـى أجمـل الصـور

الطـرس كـالخد والنونـات دائـرة ... مثـل الحواجـب والسـينات كـالطرر

---

(١) الطلّ: الندى: انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

(٢) التهامى ، هو : على بن محمد بن فهد، أبو الحسن، شاعر وقته، ورع عن الهجاء، ولـد باليمن،و قـدم الشام و العراق ، وامتدح ابن عباد ومات مقتولاً فى سجن القاهرة سرًا سنة (٤١٦هـ). مـن آثـاره : ديوان شعر . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٨/١٧)، معجم المؤلفين (٥١٧/٢).

Marfat.com

وقال آخر :

أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف ... وكيف نجاتى بين سهم وعقرب

وألحظ ما طلته باللحظ من دمى ... على وجنتيها والبنان المخضب

وقلت :

لله بالناس لطف فى معايشهم ... لولاه لم تر موجودًا من البشر

إذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم ... للشمس فى نحو نضج الحب والثمر

وعند حاجة ليل يسكنون به ... من المتاعب أبدى مسبل الشعر

ومن الثانى قول ابن نباتة:

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه ... وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى[1]

أجل نظرًا فى حاجبيه وطرفه ... ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقال الوأواء الدمشقى:

يا من هو الماء فى تكوين خلقته ... ومن هوا الخمر فى أفعال مقلته

ومن بذ رقة سيف اللحظ طل دمى ... والسيف ما فخره إلا بذرقته[2]

علمت إنسان عينى أن يعوم فقد ... جارت سباحته فى بحر دمعته

وقال علاء الدين الوداعى:

رمتنى سود عينيه فاصمتنى ولم تبطى

وما فى ذاك من بدع ... سهام الليل لا تحظى

وقال الصلاح الصفدى:

بسهم أجفانه رمانى ... فذبت من هجره وبينه

إن مت مالى سواه خصم ... لأنه قاتلى بعينه

وقال ابن نباتة :

نسبوه حسنً للهلال وحسنه ... للبدر ينسب لا بليت ببينه

فإذا بدا فإلى هلال أصله ... وإذا رنا فهو الغزال بعينه

---

(١) أغيد، من غيد: مال و لانت أعطافه. الوسن: النوم الثقيل. انظر: القاموس المحيط، مادة[غيد]، [وسن].

(٢) طلّ الدم: أهدره. انظر: القاموس المحيط، مادة[طلل].

Marfat.com

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى[1]:

بأبى سلطان حسن حسنه ... لقتال القلب فى الحب النوى

صال فى العشاق منه ناظر ... هو والسيف على حد سوا

وقال ابن نباتة :

ويح قلبى من كاسر الطرف أضحى ... فيه قلبى كما ترى مكسورا

قد حمى ثغره بعينيه عنى ... وكذاك السيوف تحمى الثغورا

وقال الصلاح الصفدى:

سيوف ألحاظه المرضى سفكن دمى ... ولم يطق دفعها حولى ولا حيلى[2]

لولا السقام الذى فيها لما فتكت ... وربما صحت الأجسام بالعلل

وقال الفرزدق[3] :

ومقلة شادان أودت بنفسى ... كأن السقم لى ولها لباس

يسل اللحظ منها مشرفيًا ... لقتلى ثم يغمده النعاس

وقال بدر الدين بن حبيب[4] :

عيناه قد شهدت بانى مخطئ ... وأتت بخط عذاره تذكارا

ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى ... فالخط زورو الشهود سكارى[5]

---

(١) برهان الدين القيراطى، هو: إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، شاعر،وله ديوان شعر سماه (مطلع النيرين)، توفى سنة(٧٨١هـ). انظر: حسن المحاضرة (٢٧٤/١٠)، معجم المؤلفين(٣١/١).

(٢) الحول: القدرة على التصرف. انظر: القاموس المحيط، مادة[حال].

(٣) الفرزدق، هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد ابن دارم التميمى، أبو فراس، شاعر مشهور، من أهل البصرة، له مكانة عالية فى اللغة والأخبار،و كانت منزلته كبيرة عند الخلفاء والأمراء، فكان لا ينشد إلا قاعدًا. من آثاره: ديوان شعر. توفى سنة(١١٠هـ). انظر: الأغانى(٣٢٤/٩)، معجم المؤلفين(٦٥/٤).

(٤) بدر الدين بن الحبيب، هو: الحسن بن عمر بن الحسن، الدمشقى، أبو محمد،عالم مشارك فى أنواع العلوم، من آثاره:مقامة الوحوش، أخبار الدول، توفى سنة(٧٧٩هـ). انظر: الدرر الكامنة(٩٢/٢)،شذرات الذهب(٢٦٢/٦).

(٥) اتئد: تمهل وتأنى. انظر: القاموس المحيط، مادة[وأد].

Marfat.com

وقال جلال الدين بن خطيب داريًا[1] :

شـــهدت جفـــون معذبـــى بملالـــه منـــــــى وإن ودادة تكليـــــــف

لكننـــــى لم أنـــــأ عنـــــه لأنـــــه خـــبر رواه الجفـــن وهـــو ضعيـــف

وقال أمين الدين كاتم سر الشام :

إن كـــان قيـــد هـــواك أطلـــق أدمعـــى فوكيـــل شـــوقى عـــاجز عـــن حبســـه

أو كـــان منـــك الطـــرف أســـهر نـــاظرى فلكـــل شـــئ آفـــة مـــن جنســـه

وقال الصلاح الصفدى :

غـــزال مـــن الأتـــراك مـــا ضـــاق لحظـــه لحظـــى إلا كـــى تضيـــق مذاهبـــى

كـــان الحشـــا طـــير وكاســـر لحظـــه تصيدهـــا مـــن جفنـــه بالمخـــالب

وقال ابن أسد الدين[2] :

إلى ا لله أشـــكو حـــب أهيـــف فـــاتن وقعـــت فمـــا لى مـــن يديـــه خـــلاص

جرحـــت بلحظـــى خـــده وهـــو جـــارح بلحظيـــه قلبـــى والجـــروح قصـــاص

وقلت :

يقولـــون إن الشـــمس تحـــرق كـــل مـــا تجاسدده مـــن كانســـات الكواكـــب[3]

فهاخذهـــا المريـــخ مـــع شمـــس وجههـــا قد اقترنا فى سمـــت قـــوس الحواجـــب[4]

نعـــم قضيـــا لى بالشـــقاوة منهمـــا بســـهم لحـــاظ عـــاقنى عـــن مطـــالبى

---

(١) جلال الدين بن خطيب داريًا، هو: محمد بن أحمد بن سليمان ابن على بن سلامة بن عساكر الأنصارى، الدمشقى، الشافعى، أبو عبد ا لله، أديب، مشـارك فـى النحـو و اللغـة و التـاريخ وغير ذلك. من آثاره: شرح ألفية ابن مالك، محبوب القلوب، توفـى سـنة(٨١١هـ). انظـر: بغية الوعاة(١٠/١١)، معجم المؤلفين(٣/٦٧).

(٢) ابن أسد الدين، هو: أحمد ابن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطى الأصل، السكندرى، القاهرى، شهاب الدين، أبو العباس، شاعر، مشارك فى بعض العلوم. من آثاره: أرجوزة الذيـل المـترف، شـرح حرز الأمانى. توفى سنة (٨٨٢هـ) . انظر: الضوء اللامع (٢٢٧١)، المعجم المؤلفين (١/١٠٢).

(٣) تجاسد: لامس أو لاصق. كانسات الكواكب: النجوم. انظر: القاموس المحيط، مادة [جسد]، [كنس].

(٤) السمت: الهيئة. انظر: القاموس المحيط، مادة [سمت].

Marfat.com

ومن الثالث قول ابن قلاقس[1] :

فـــوق خديـــك دليـــل ... إن نهديـــك ثمـــار

مـــا اختفـــى الرمـــان إلاّ ... وتبـــدى الجلنـــار

وقال الصنوبرى:

ذات خـد يكـاد يدميـه وهـم ... مـن مشـير بـالجد أو بـالمزاح

فـى بيـاض وحمـرة فكـان قـد ... صيـغ حسنًا مـن مـاء مـزن وراح

وقال محمد بن ياقوت :

مـا لى بجـور الحبيـب مـن قبـل ... هـل حـاكم عـادل فيحكـم لى

حمـرة خديـه مـن دمـى صبغـت ... ويدعـى أنهـا مـن الخجـل

وقال علاء الدين المدنى :

يا حسن ورد طفا فـى مـاء وجنتـه ... فـزاد أهـل الهـوى فـى حبـه شـغفا

وراح يجنـى ثمـار الوصـل عاشـقه ... لمـا تمكـن مـن خديـه واقتطفـا

وقال آخر :

و أغيـد تدمـى وجنتـاه مـن اللمـح ... تخلـق إلا مـن صـدودى بالشـح

غـدا قـاتلى إن ظلـت أجـرح خـده ... متى صار بالقتل القصاص من الجرح

وقال كمال الدين بن النبيه:

صنعـة الكيميـاء صحـت لعينـى ... حـين يـزداد أديـر أنـى احمـرار

فـإذا مـا ألقيـت إكسـير لحظـى ... فـى لجـين الخـدود عـاد نضـارا

وقال مظفر الأعمى[2] :

قبلتـه فتلظـى جمـر وجنتـه ... وفـاح مـن عارضيـه العنـبر العبـق[3]

وحـال بينهمـا مـاء ومـن عجـب ... لاينطفـى ذا ولا ذا منـه يحـترق

---

(١) ابن قلاقس، هو: نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى اللخمى، الأزهرى، الأسكندرى، القاضى، أبو الفتوح، أديب، شاعر، كاتب، توفى سنة (٥٦٧هـ) من آثاره: روضة الأزهار، الزهر الباسم فى أوصاف القاسم. انظر: الأعلام (٣٤٤/٨)، معجم المؤلفين (٢٧/٤).

(٢) مظفر الأعمى، هو: ابن إبراهيم بن جماعة بن على العيلانى، أبـو العز، موفـق الديـن، شـاعر مصر، أديب، ولد وتوفى بالقاهرة سـنة (٦٢٣هـ) مـن آثـاره: لـه ديـوان شـعر، مختصـر فـى العروض. انظر: الأعلام (٢٥٥/٧)، شذرات الذهب (١١٠/٥) .

(٣) تلظى: تلهب. انظر: القاموس المحيط، مادة [لظى].

Marfat.com

وقال بعضهم :

فتنت بتركى حمانى عناقه ... عقارب صدغيه على خده صرعى

ألم ترانى كلما رمت لثمه ... تخيل لى من سحرها أنها تسعى

وقال عز الدين الموصلى[1]:

كالزرد المنظوم أصداغه ... وخده كالورد لما ورد[2]

بالغت فى اللثم وقبلته ... فى الخد تقبيلاً يفك الزرد

وقال ابن الوردى:

قال من أهواه صف صدغى بما ... فيه توجيه وحبه إلى

قلت إن الصدغ لام قد كوى ... نصبها قلبى فهذى لام كى

وقال برهان الدين القيراطى:

عنقود صدغ الذى أهواه يتمنى ... وقال لى ريقه لما رأى وصبى

إن كان فى الصدغ عنقود فتنت به ... فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقال آخر:

وبين الخد والشفتين خال ... كزنجىٍ أتى روضا صباحا

يحير فى الرياض فليس يدرى ... أيجنىٍ الورد أم يجنى الأقاحا[3]

وقال الصلاح الصفدى[4] :

بروضة خده المحمر أضحت ... عليه شامة شرط المحبه[5]

كأن الحسن يعشقه قديمًا ... فنقطه بدينار وحبه

---

(١) عز الدين الموصلى، هو: على بن الحسين بن على، من الشعراء الأدباء، أقام فى حلب، وسكن دمشق، وتوفى بها سنة (٧٨٩هـ) من آثاره: التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع، وله ديوان شعر. انظر: الدرر الكامنة (٣/٤٣)، الأعلام (٤/٢٨٠).

(٢) الزرد: حلق المغفر والدرع. انظر: القاموس المحيط، مادة [زرد].

(٣) الأقاح، جمع أقحوان: نبت زهره أصفر أو أبيض. انظر لسان العرب ، مادة [أقح].

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الشامة: الخال. انظر: القاموس المحيط، مادة [شوم].

Marfat.com

وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة[1] من قول ابن نباته :

بروحـــى فـــاتر الألحـــاظ ألمـــى ... ملـــىّ الحســـن حـــالى الوجنتـــين

لـــه خـــال علـــى دينـــار خـــد ... تبـــاع لـــه القلـــوب بحبتـــين

وقال العفيف التلمسانى[2] :

أدنتـــه لى ســـنة الكـــرى فلثمتـــه ... حتـــى تبـــدل بالشـــقيق السوســـن

مـــا راعنـــى إلا بـــلال الخـــال مـــن ... خديـــه فـــى صبـــح الجبـــين يـــؤذن

وقال شهاب الدين الخيمى[3] :

وعـــذولى لج فـــى عـــذلى إذ ... لم يـــر الخـــال علـــى الخـــد الأســـيل

لـــو رأى وجـــه حبيبـــى عـــاذلى ... لتفارقنـــا علـــى وجـــه جميـــل

وقال شمس الدين الصائغ:

بروحـــى افـــدى خالـــه فـــوق خـــده ... ومـــا أنـــا ذو مـــال فأفديـــه بالمـــال

تبـــارك مـــن أخلـــى مـــن الشـــعر خـــده ... وأســـكن كـــل الحســـن فـــى ذلـــك

وقال جمال الدين بن نباتة:

لله خـــال علـــى خـــد الحبيـــب لـــه ... بالعاشـــقين كمـــا شـــاء االهـــوى عبـــث

اورثتـــه حبـــة القلـــب القتيـــل بـــه ... وكـــان عهـــدى بـــأن الخـــال لا يـــرث

وقال الصلاح الصفدى[4] :

أفـــدى حبيبًـــا لـــه فـــى كـــل جارحـــة ... منـــى جـــراح بســـيف اللحـــظ والمقـــل

تقـــول وجنتـــه مـــن تحـــت شـــامته ... لى أسوه بانحطـــاط الشـــمس عـــن زحـــل

---

(١) ابن حجة، هو: أبو بكر بن على بن عبد ا لله التقى الحموى الحنفى، ولد ونشأ بحماة، أديـب، شاعر، توفى سـنة (٨٣٧هـ) مـن آثـاره: ثمـرات الأوراق، كشـف اللثـام عـن وجـه التوريـة والاستخدام. انظر: كشف الظنون (١٦٦)، معجم المؤلفين (٢/٤٦٥).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) شهاب الدين الخيمى، هو: محمد بن عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصارى، أبو عبـد ا لله، من أحد شعراء وأدباء عصره، يمانى الأصل، ولـد وتوفـى بمصـر سـنة (٦٨٥هـ) مـن آثـاره: ديوان شعر. انظر: ابن الفرات (٨/٤٢)، الأعلام (٦/٢٥٠) .

(٤) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وقال ابن الوردى[1] :

لحبيبى شامة فى خده ... لا علا شان حسود شأنها

رب عين دهشت منه فقد ... نسيت فى خده إنسانها

وقال آخر :

ياسالبا قمر السماء جماله ... البستنى فى الحزن ثوب سمائه

أشعلت قلبى فارتمى بشرارة ... علقت بخدك فانطفت فى مائه

وقال ابن تميم[2] :

رأيت حبة قلبى حين لاح لها ... محبوبها نفرت من حر أفكارى

ثم استجارت بخد منه فهى به ... كالمستجير من الرمضاء بالنار[3]

وقال بعضهم :

له على حاجبه شامة ... تنزهت فى الحسن عن عائب

مثل طواشى زاد فى حمقه ... يعلو على الناظر والحاجب[4]

وقال تقى الدين بن حجة[5] :

قلت للخال إذ بدا ... فى قنا جيده السعيد

فزت يا عبد قال لى ... أنا محبد لكل جيد

وقال آخر :

غدا خاله رب الجمال لأنه ... على عرش كرسى الخدود قد استوى

وأرسل فى الأصداغ رسلاً أعزة ... على فترة تدعو القلوب إلى الهوى

وقال آخر :

يريك بوجنتيه الورد غضًا ... ونور الأقحوان من الثنايا

تأمل منه تحت الصدغ خالا ... لتعلم كم خبايا فى الزوايا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ابن تميم ، هو: محمد بن يعقوب بن على، مجير الدين، الحموى شاعر من الأمراء، دمشقى، استوطن حماة وخدم صاحبها الملك المنصور. من آثاره : ديوان شعر. انظر: البداية والنهاية (٣٠٧/١٣)، الأعلام (١٤٥/٧) .

(٣) الرمضاء : شدة الحر . انظر: القاموس المحيط، مادة [رمض].

(٤) الطواشى: الخصى. انظر: القاموس المحيط، مادة [طوشى].

(٥) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وقال آخر :

أبــو طــالب فــى كفــه وبخــده أبو لهــب والقلــب منــه أبــو جهــل
وبنتــا شــعيب مقلتــاه وخالــه إلى الصدغ موسى قد تولى إلى الظل

وقال آخر :

لهيــب الخــد حــين رآه طرفــى هــوى قلبــى عليــه كــالفراش
فأحرقــه فصــار عليــه خــالا وهــا أثــر الدخــان علــى الحواشــى

وقال القيراطى[1] :

انظــر إلى ســطر عــذار بــدت مــن فوقــه الشــامات مثــل النقــط
صحــت بــه نســخة حســن وكــم قــد راحــت الأرواح فيهــا غلــط

وقال آخر :

ومهفهــف يحمــى ورود رضابــه بصــور أم ســلت مــن الأجفــان
كتــب العــذار بليقــة مســكية فــى خــده ســطراً مــن الريحــان[2]

وقال أبو غالب :

ســأصنع فــى ذم العــذار بدائعــا فمن شاء فليقض الدليل كما أقضى
إلا أنــه كــاللام والــلام شــأنها إذا الصقت بالاسم صار إلى الخفض

وقال البدر الدمامينى[3] :

تحــدث ليــل عارضــه بــأنى سأســلوه وينصــرم المــزار[4]
فقــال جبينــه لمــا تبــدى حديــث الليــل يمحــوه النهــار

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) العذار : الحياء. بليقة: صوفية الدواة إذا بلت. انظر: لسان العرب، مادة [عذر]، [بلق].

(٣) البدر الدمامينى، هو: محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد بن سليمان بن جعفر، القرشى، المخزومى، الإسكندرى ، المالكى ، برع فى مجال الأدب نثرًا ونظمًا ، نحوى ، فقيه ، عروضى ، مشارك فى بعض العلوم، توفى سنة (٨٢٧هـ) من آثاره: جواهر البحور، الفواكه البدرية. انظر: الأعلام (٢٨٢/٦) ، معجم المؤلفين (١٧٠/٣) .

(٤) ينصرم: ينقطع. انظر: لسان العرب، مادة [صرم].

Marfat.com

وقال سيدى أبو الفضل بن وفاء :

على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذارة ... فيا حسن ريحان العذار حمى حما

وقال ابن النبيه[1] :

جنت بمنظره البديع عيوننا ... فتسللت بمدامع الأجفان

واخضر فوق الخد آس عذاره ... فعجبت للجنات فى النيران

وقال تاج الدين اليمانى[2] :

بخلت لواحظ من رآنى مقبلاً ... برموزها ورموزهن سلام

فعذرت نرجس مقلتيه لأنه ... يخشى العذار لأنه نمام[3]

وقال الصلاح الصفدى:

عذارك والطرف يا قاتلى ... يحاكيهما الآس والنرجس

وقد صار بينهما نسبة ... فهذا يدب وذا ينعس

وقال الطنبغا الجاولى:

عذارك والطرف قد أظهرا ... جميع الذى فيهما يرمز

وأنى يصان الهوى عنهما ... وهذا ينم وذا يغمز

وله أيضاً :

من قال عما قد بدا فى خد من ... أحببته شعراً به ما أنصفا

فذاك نمل رام شهده ريقه ... فرأى تلهب خده فتوقفا

وقال محمد بن الرعاد :

أعد نظراً فما فى الخد نبت ... حماه الله من ريب المنون

ولكن رق ماء الخد حتى ... أراك خيال أهداب الجفون

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تاج الدين اليمانى، هو: زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث الكندى، البغدادى، الحنفى، مقرىء ، نحوى، أديب، شاعر، لغوى، حافظ، محدث، توفى بدمشق سنة (٦١٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٤/١٣)، معجم المؤلفين (٧٣٩/١) .

(٣) نمام: يكشف مالا يريد إظهاره. انظر: لسان العرب، مادة [نمّ].

Marfat.com

وقال عز الدين الموصلى:

لقد كنت لى وحدى ووجهك جنتى ... وكنا وكانت للزمان مواهب

فعارضنى فى ورد خدك عارض ... وزاحمنى فى ورد ريقك شارب

وقال ابن نباتة:

وأحر يا من هوى رشيق ... معتدل كالقضيب مائل

عذاره لا يجيب دمعى ... وسائل لايجيب سائل

وقال الشهاب الحجازى[1]

سال العذار بخده فإذا ... المبيض فى خديه سود

ولسان حال الخد ينشدها ... هل بالطلول لسائل رد[2]

وقال الزين المصرى :

إن ماس فالغصن بالأوراق مستتر ... أو لاح فالبدر بالأنواء محتجب

عذراه بسواد القلب منتقش ... وخده بدم العشاق مختضب

وقلت :

ياوجنة من تحت أصداغها ... لأنفس العشاق كم تجذبى

وهاجة كاد سنا برقها ... يذهب الأبصار لم يحجب

أهل المجسطى لو رأوها قضوا ... بشرف المريخ فى العقرب

وقلت :

ياعجباً للخال فى خدها ... كيوان بالمريخ يستمسك

نحسان دلا فى اقترانا على ... أن دم الصب هنا يسفك

يا مطلب طلسمه مانع ... هل مطلب الإله مهلك

---

(١) الشهاب الحجازى، هو: أحمد بن محمد بن على بن حن بن إبراهيم الأنصارى، الخزرجى، السعدى، العبادى، الشافعى، أبو العباس، أبو الطيب، زكى الدين، أديب وشاعر، ولد بالقاهرة وتوفى سنة (٨٧٥هـ). من آثاره: التذكرة، قلائد النجوم. انظر: شذرات الذهب (٣١٩/٧)، معجم المؤلفين (٢٧٩/١).

(٢) الطلول، جمع الطلل: الموضع المرتفع . انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

Marfat.com

وقلت :

سألتها عن بياض ... في وجنتيها وحمره

إذا طريق اجتماع ... قالت ورايـة نصره

وقلت في العذار :

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب ... إلى أنه مسك على الورد منثور

ومن قائل آس فقلت كلاهما ... غدا مصلحاً للورد إذ فيه كافور

ولبعضهم :

ولاتحسبن الخال في الشفة التي ... يتيه بها المحبوب نقصاً ولا خلل

ولكنه ختم على ما بثغره ... من الدر والياقوت والخمر والعسل

ومن الرابع قول بعضهم :

سألته في ثغره قبلة ... فقال ثغري لم يجز لثمه

فهاكها في الخد واقنع بها ... ما قارب الشيء له حكمه

وقال آخر :

وموعدي بقبلة ... أرشفها من مبسمه

سوف بلى ولم يزل ... يوعد لكن بفمه

وقال آخر :

ذكرت ريق حبيبي ... بشرب راح معطر

وليس ذا بعجيب ... فالشيء بالشيء بذكر

جمال الدين بن نباتة :

و أغيد في فيه المدام ولحظه ... وفي وفي أعطافه نشوة السكر[1]

تداويت من ألحاظه برضابه ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال آخر :

نقل ألا رآك بأن ريقه ثغره ... من قهوة مزجت بماء الكوثر

قد صح ما نقل ألا رآك لأنه ... يرويه حقاً عن صحاح الجوهري

---

(١) المدام: المطر الدائم. انظر: القاموس المحيط، مادة [دام].

Marfat.com

وقال الصلاح الصفدى[1]:

يـــاثغره ليـــس الثنايـــا التـــى ... تضـــى غـــير الأنجـــم الغـــر[2]

فليقـــل المســـواك مـــا عنـــده ... فهـــو عـــن الضحـــاك والزهـــرى

وقال ابن قلاقس[3]:

جمعـــت نكهتـــه فـــى ثغـــره ... عبقـا فـى نسـق يسـبى الحـدق[4]

وبـــدت خجلتـــه فـــى خـــده ... شـفقاً فـى فلـق تحـت غسـق

وقال آخر:

خـــد وثغـــر فجـــل رب ... بمبـــدع الحســـن قـــد تفـــرد

فـــذا عـــن الواقـــدى يـــروى ... وذاك يـــروى عـــن المـــبرد

وقال شمس الدين بن الصائغ[5]:

بروحـــى مـــن ولى فـــولى بمهجتـــى ... وولى منـامى فهـو كـالوصل شـارد

حمـى ثغـره عنـى بسـيف لحاظـه ... وحتـام يحمـى ريقـه وهـو بـارد

وقال الصلاح الصفدى:

رشـــفت ريقـــك حلـــوا ... فلـــم يكـــن لى صـــبر

وســـوف أحظـــى بوصـــل ... وأول الغيـــث قطـــر

وقال إبراهيم بن المعمار[6]:

عزمـت علـى رقيـا محاسـن وجهـه ... بـأنوار آيـات الضحـى حـين أقبـلا

فلمـا بـدا يفـتر عـن نظـم ثغـره ... بـدأت ببسـم الله فـى النظـم أولا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الغرّ، جمع الأغر: الحسن والبياض من كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة [غرر].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) العبق: الذى تفوح منه الرائحة الطيبة. يسبى: يؤسر. انظـر: القـاموس المحيـط، مـادة [عبـق]، [سبا].

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته .

Marfat.com

وقال الصلاح الصفدى[1] :

أحببتـــه كـــالغصن كـــم شـــاعر ... لـــه عليـــه نـــوح ورقـــاء

وثغـــره الصـــادى مـــن حســـنه ... يحـــار فـــى تشـــبيهه الطـــائى

وقال يوسف بن مسعود[2] :

رأى ثغر مـن أهـوى عـذولى فـلا منـى ... ولم يـدر أن اللـوم فـى حبـه يغـرى

شـغلت بهـذا وارتبطـت بحسـنه ... وأحسـن مـا كـان الربـاط علـى الثغـر

وقال النواجى[3]:

لله ثغـــر للحبيـــب تجمعـــت ... فـــى ضمنـــه للعاشـــقين نفـــائس

فيـه الرحيـق وخالـه المسـك الختـام ... وفيـــه فليتنـــافس المتنـــافس

وقال الصلاح الصفدى :

قـد شـبه الخـال علـى ثغـره ... تشـبيه مـن لاعنـده شـك

بسـبحة مـن جوهـر أودعـت ... حـق عقيـق ختمـه مسـك[4]

وقال ابن ريان :

لاحـت علـى مبسـمه المشـتهى ... ثـلاث شهـامات غـدت فـى التئـام

لاتعجبـوا إن كـثرت حولـه ... فـالمهل العـذب كثـير الزحـام

وقال ابن الوليد :

أريقـاً مـن رضـابك أم رحيقـاً ... رشفت فلست مـن سـكرى مفيقـاً

وللصهبـاء أسمـاء ولكـن ... جهلـت بـأن فـى الأسمـاء ريقـا[5]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) يوسف بن مسعود، هو: ابـن محمـد بـن علـى بـن إبراهيـم العبـادى، ثـم الدمشـقى العقيلـى، السرمدى، جمال الدين، أبو المظفر، محدّث، حافظ، فقيه، نحـوى، نـاظم، مشـارك فـى بعـض العلوم، توفى سنة (٧٧٦هـ) من مصنفاته : شرح اللؤلـؤة، صحـاح الأحكـام. انظـر: الـدرر الكامنة (٤٧٣)، معجم المؤلفين (١٨١/٤) .

(٣) النواجى ، هو: محمد بـن حسـن بـن علـى بـن عثمـان، شمـس الديـن، أديـب، وشـاعر، ولـد بالقاهرة، ورحل إلى الحجاز حاجًا، وطاف البلدان، توفى سنة (٨٥٩هـ). من آثـاره: روضـة المجالسة، مراتع الغزلان. انظر: البدر الطالع (١٥٦/٢)، معجم المؤلفين (٢٢٦/٣).

(٤) الحقّ: الشيء المنحوت من الخشب والعاج. انظر: لسان العرب، مادة [حقق].

(٥) الصهباء: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [صهب].

Marfat.com

وقال شيخ الشيوخ بحماة :

سألته من ريقه شربة أشفى بها من كبدى حره
فقال أخشى يا شديد الظما أن تتبع الشربة بالجرة

وقال الحريرى :

نفسى الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وقال ابن عنين[1]:

ياغزالاً أرى الغواية رشداً فى هواه وأحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفتر عن نجوم الثريا

وقال ابن سنا الملك :

له فم يمنعه ضيقه أن يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه فهو لهذا غير مفهوم
ما فمه ميم ولكنه علامة الجزم على الميم

وقال آخر :

كأن على أنيابها الخرمجه بماء الندى فى آخر الليل عابق
وماذقته إلا بعينى تفرساً كما شيم من أعلى السحابة بارق[2]

وقال ابن الرئيس :

لئن كان من لؤلؤ ثغرها فإن له صدفا من عقيق
وإن كان من أقحوان النبات فإن مشاربه من رحيق

وقال أبو العشائر :

ثغر كلمع البرق حسن بريقه يشفى فؤاد المستهام بريقه[3]
قد بت ألثمه وأرتشف المنى من دره ورحيقه وعقيقه

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) شيم: نظر إلى السحاب أين يقصد وأين يمطر. انظر: لسان العرب، مادة [شام].

(٣) المستهام، من الهيام: شدة الحب. انظر: لسان العرب، مادة [هام].

Marfat.com

وقال آخر :

بـأبى فـم شـهد الضمـير لـه قبـل المـذاق بأنـه عـذب
كشـهادتى الله خالصـة قبـل العيـان بأنـه رب
والعـين لا تعبـأ بنظرتهـا حتـى يكـون دليلهـا القلـب

وقال أبو عبادة[1] ويعزى إلى يزيد بن معاوية وهو الصحيح

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وسأذكرها فى الغزل المطلق، وأما بيت أبى عبادة الذى بنى عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو :

كأنمـا تبسـم عـن لؤلـؤ منضـداً وبـرد أو أقـاح[2]

وقال الحريرى[3]:

سألتها حين زارت نضو برقعها القانى وإيـداع سمعـى أطيـب الخـبر
فزحزحت شفقاً غشـى سـنا القمـر وسـاقطت لؤلـؤاً مـن خـ عطـر
وأقبلت يـوم جـد البـين فـى حلـل سـود تعـض بنـان النـادم الحصـر

وقلت :

أقـول لمـن بـالطب أصبـح جـاهلاً مقـالاً صحيحاً قيمـا غـير ذى عـوج
يـرى ثغرهـا خصـراً على ذى حـرارة لأن بـه شـهدًا مـع الخمـرة امـتزج
أعـرق أن الخمـر إن مذجتهـا بشـهد أتـت بـالحرفى رابـع الـدرج
أمـا اعتدلـت إذ جـاورت بـردا بـه تنضـد والجريـال فى ذلـك الفلـج[4]
وهبك جهلـت الطبـع مـاذا تقـول فـى عقيـق وبلـور فيـه قـد نتـج
وبينهمـا خلـف طويـل مفصـل بكتـب أرسـطو والـذى قبلـه درج

---

(١) أبو عبادة، هو: الوليد بن عبيد بن يحيى ابن جشم الطائى، البحترى، من كبار الأدبـاء، ومـن أفضل الشعراء، ذو بلاغة وفصاحة عالية، مدح كبار الرؤساء، من آثاره: ديوان شـعر، توفـى سنة (٢٨٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١٥/٩)، معجم المؤلفين (٧٧/٤) .

(٢) منضدًا: متراكم بجوار بعضه. انظر: لسان العرب، مادة [نضد].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الفلج: تباعد بين الأسنان. انظر: لسان العرب، مادة [فلج].

Marfat.com

وقلت :

أرى ريقها عند الشفاء لكل ما تعذر من داء عن البراء أو فسد
عليك به فهو النجاة لشارب وإن جاوز القانون فيه أو اقتصد
فهذى إشارات كفت كل عاقل وإن قيل شئ غيرها ليس يعقد

وقلت :

عجبت من المسواك يرشف ريقها مدى الدهر لايحميه من ذاك مانع
ويبقى جماداً كيف لم يحى بالحيا وتفنى الليالى وهو أخضر يانع
رضاب يقوم الميت إن شم عرفه ولو قطعت أوصاله وإلا ضالع[1]
فقال خشيت الهجر منها فعاقنى فحسبك عذر فى جوابى قاطع
بنفسى ثغر قلت إذ لاح نوره أبرق بدا من جانب الغور لامع[2]
وبرد رضاب قلت عند وداعه زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع[3]

وقد أكثروا من هذا النمط؛ أعنى التشبيب بالوجه ، وأعضائه البسيطة والمركبة؛ لكونه أشرف، وأبهج، وأعلى، وألطف، وأما ما عداه فنادر إن تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر فى عضو بعينه أما فى ضمن غيره فكثير سنورد منه ماتيسر حسبما شرطنا.

وأما مطلق القامة بما فيها، فأكثر من أن يحصى ما فيه، وما قيل من أن أول من وصف الثدى عمرو بن كلثوم[4].

وثدى مثل حق العاج رخص مصان عن أكف اللامسينا

---

(١) العرف: الرائحة. ضالع: معوج لا خلقة. انظر: لسان العرب، مادة [عرف]، [ضلع].
(٢) الغور: الكهف. انظر: لسان العرب، مادة [غار].
(٣) الخيف: كل هبوط وارتقاء فى سطح الجبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [خيف].
(٤) عمرو بن كلثوم، هو: ابن مالك بن عتاب بن ربيعة ابن غنم بن تغلب، أبو عباد، أحد شعراء العصر الجاهلى كان من أعز الناس نفسًا، وأكثرهم شجاعة، ساد قومه وهو فتى، من آثاره: معلقة ، توفى سنة (٤٠ق.هـ). انظر: معجم الشعراء (١٥٥)، معجم المؤلفين (٢/٥٨٥).

Marfat.com

فأمر يحتاج إلى مزيد استقصاء و إحاطة؛ لأن العرب تغزلت [به] كثيراً، غاية الأمر أن المتأخرين ألطف، فمن وصفهم الجيد فى ضمن غيره قول بعضهم :

لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت ... ووجه كقرص الشمس ريان مشرق[1]

وعين كعين الظبى فيها ملاحة ... هى السحر أو أدهى التباساً وأعلق

وقال دعبل[2]:

أتاح لك الهوى بيض حسان ... سلبنك بالعيون وبالنحور

نظرت إلى النحور فكدت تقضى فأولى ... فأولى لو نظرت إلى الخصور

وقال ابن الرومى[3]:

صدور فوقهن حقاق عاج ... وحلى ذات حسن اتساق

يقول الناظرون إذا رأوها ... أهذا الحلى من هذا الحقاق

وما تلك الحقاق سوى ثدى ... قدرن من الحقق على وفاق

نواهد ليس يعدوهن عيب ... سوى منع المحب عن العناق

وقال المهلبى[4]:

أقاتلتى بفتور الجفون ... ورمانتين على معصر

كحقين من لب كافورة ... برأسيهما نقطتا عنبر

وقال الرفاء[5]:

ومن وراء سجوف الحى شمس ضحى ... تجول فى جنح ليل مظلم داجى[6]

مقدودة حفظت أيدى الشباب لها ... حقين دون مجال العقد من عاج

---

(١) الخشف: ولد الظبى أول ما يولد. انظر: لسان العرب، مادة [خشف].

(٢) دعبل، هو: ابن على بن رزين الخزاعى، أبو على، شاعر هجاء مشهور، أصله من الكوفة وأقام ببغداد، يتصف شعره بالجودة وحسن النظم، من آثاره: ديوان شعر. توفى سنة (٢٤٦هـ) انظر: تاريخ بغداد (٣٨٢/٨)، الأعلام (٣٣٩/٢) .

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) المهلبى، هو: أحمد بن على بن الحسن بن الحسين، الأزدى، أبو العباس، أحد أدباء وشعراء عصره، ولد بحمص وقرأ بها العربية، ورحل إلى بغداد وقرأ بها النحو، من آثاره: ديوان شعر. انظر: معجم المؤلفين (٢٠١/١).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) سجوف، جمع سجف: الستر المرخى على الدار. انظر: لسان العرب، مادة [سجف].

Marfat.com

وقال الثعالبى[1]:

قد حجبت وجهها عن النظر بمعصم حل عقد مصطبرى
كأنه والعيون ترمقه عمود صبح فى داره القمر

وقال بعضهم :

كأن الثدايا إذا ما بدت وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة يسعن من المسك شيئًا يسيرا

وقال أبو الحسن بن هانئ[2]:

بأبى غادة تميس بقد تثنى فتخجل الأغصانا[3]
لمست صدرها فباهت وقالت غصن قدى قد أثمر الرمانا

وقلت :

أذاب لهيب الخد منها بناره لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذاك برأى العين أما بملمس فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم فى الأرداف والخصور بالضميمة كما سبق .

قول عبد الوهاب السندوبى:

قام فكادت لي أعطافه تقصها الأرداف من نهضه
فكيف يرجو الغير إنصافه وبعضه جار على بعضه

---

(١) الثعالبى، هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، النيسابورى، أبو منظور، من كبار الأدباء ؛ ناظم، لغوى، إخبارى. من آثاره: تحفة الوزراء، طبقات الملوك، توفى سنة (٤٢٩). انظر: وفيات الأعيان (٣٦٥/١)، معجم المؤلفين (٣٢١/٢) .

(٢) أبو الحسن بن هانىء ، هو: محمد بن سعدون المهدى، الأزدى، الأندلسى، أبو القاسم، أديب وشاعر، ولروعة شعره قال المعز لدين الله الفاطمى عند سماعه بمقتله: (لقد كنا نريد أن نفاخر به شعراء الشرق ولم يقدر لنا). توفى سنة (٣٦٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٧/١٠)، معجم المؤلفين (٧٥٧/١).

(٣) تميس: تتبختر فى مشيتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميس].

Marfat.com

وقال ابن قزل[1]:

وأهيف القد بت أشكو ... له تلافي وما تلافى[2]

فمال عطفاً ورق خصراً ... وإنما ردفه تجافى

وقال آخر :

يا خصره كم جفاه ... تبدى و أنت نحيل

يا ردفه ملت عني ... ما أنت إلا ثقيل

وقال ابن مكانس[3]:

كسلت أرداف حبي ... فدموعي تتوالى

أيها المحبوب فارحم ... رب دمع فيك سالا

وقال الصلاح الصفدى:

أقول له قد رق عيشي والصبا ... وعقلي وكاساتي وصوت الذى غنى

وقال الذى أهواه خصري نسيته ... فقلت له وا الله قد جئت في المعنى

وقال سيف الدين المشد:

مهفهف القد نحيل الحشا ... يسبي الورى عمدا بطرف مريض

تلاعب الشعر على ردفه ... أوقع قلبي في الطويل العريض

وقال ابن سنا الملك:

تلاعب الشعر على ردفه ... أوقع قلبي في العريض الطويل

ياردفه جرت على خصره ... رفقاً به ما أنت إلا ثقيل

---

(١) ابن قزل، هو: على بن عمر بن جلدك التركماني، المشدّ، سيف الدين، أبو الحسن، من الأمراء والشعراء، ولد بمصر، وتوفى بدمشق سنة (٦٥٦هـ). انظر: البداية والنهاية (١٩٧/٣)، معجم المؤلفين (٤٨١/٢).

(٢) تلافى: هلاكى. انظر: لسان العرب، مادة [تلف].

(٣) ابن مكانس، هو: عبد الرحمن بن عبد الرازق القبطى، فخر الدين، أبو الفرج، أديب، شاعر، تولى مناصب عالية، من بينها وزير دمشق، وناظر الدولة بمصر، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٧٩٤هـ). انظر: الأعلام (٨٢/٤)، معجم المؤلفين (٩٢/٢) .

Marfat.com

وقال ابن الوردى:

إذا قيل ما ردفى وشعرى أجبته ... كثيف مهيل فوقه حية تسعى

وإن قيل هل ترعى عذارى موريا ... أقول له أى والذى أخرج المرعى

وقال الصلاح الصفدى :

لولا شفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل فى الشفاعة عنده ... وغدا على أقدامه يترامى

وقال البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره فى ديوانه :

حبذا نفحة ريح ... فرجت عنى غمه

ضربت ثوب فتاة ... أظهرت تيهاً وحشمة

فرأيت البطن والسرة ... والخصر وثمه

وقال الباخرزى[1] فيما يكتب على التكه :

لم لا أتيه ومضجعى ... بين الروادف والخصور

وإذا نسجت فإننى ... بين الترائب والنحور[2]

ولقد نشأت صغيرة ... بأ كف ربات الخدور[3]

وقال بشار[4]:

نظرت فى القصر عينى ... نظراً وافق حينى

سترت لما أن رأتنى ... دونه بالراحتين

---

(١) الباخرزى، هو: على بن الحسن بن على بن أبى الطيب، السختى، الشافعى، أبو الحسن، أديب، ناثر، ناظم، محدث، اشتغل فى شبابه بالفقه، ثم غلب عليه الأدب، من آثاره: دمية القصر وعصرة أهل العصر، توفى سنة (٤٦٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/١١)، معجم الأدباء (٣٣/١٣) .

(٢) الترائب، جمع ترب: أعلى الصدر. انظر: لسان العرب، مادة [ترب].

(٣) الخدور، جمع الخد: ما يلإرد للجارية من السكن. انظر: لسان العرب، مادة [خدر].

(٤) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

فضلـــت منـــه فضـــول تحـــت طـــى العكنتـــين[1]

ليتنـــى كنـــت عليـــه ســـاعة أو ســـاعتين

ولها حكاية حاصلها أن المهدى[2] دخل على بعض جواريه وهـى مجـردة فلمـا استترت منه بيديها فاض عنهما فأنشد : **نظرت فى القصر عينى**... وارتج عليـه فاستدعى بشارًا، فقال له: أجز . وأنشد الأبيات .

وقال العباس بن الأحنف[3] :

ومثلـــك لم أر فـــى العـــالمين نصفـــاً قضيبـــا ونصفـــاً كثيبـــا

وأنـــت إذا مـــا وطئـــت الـــترا ب كـــأن ترابـــك للنـــاس طيبـــا

وقال أبو الحسين الجزار[4] :

وكـــم ليلـــة أســـتغفر ا لله بتهـــا بخـــد وثغـــر بـــين ورد وجريـــال[5]

ســـرت راحتـــى غـــورا ونجـــدا إلى ومـا ذاك إلا فـى خصـــور وأكفـــال

وقال الصفى الحلى :

إذا تثنـــت بأعطـــاف يجاذبهـــا مدار غصْـــن مـن الكشـان ممطور[6]

رأيـت أمـواج أرداف إذا التطمـت فى لُجٍ بحـر بمـاء الحسـن مسـجور[7]

---

(١) العكنتين: مثنى العكنة. ما تثنى وانطوى من لحم البطن. انظر: القاموس المحيط، مادة [عكن].

(٢) المهدى، هو: العباس بن محمد بن على بن عبد ا لله بن عباس أبو الفضل، الهاشمى، من الأمراء، وأخو المنصور والسفاح، ولاّه المنصور دمشق ، بلاد الشـام ، توفـى سـنة (١٨٦هـ). انظـر: تاريخ بغداد (٩٥/١)، الأعلام (٢٦٤/٣) .

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أبو الحسين الجزار، هو: ابن عبد العظيم بن محمد، جمال الدين، شاعر مصرى، أوصلـه شـعره إلى السلاطين والملوك، وكانت بينه وبين السراج وغـيره مداعبـات. انظـر: شـذرات الذهـب (٣٦٤/٥)، الأعلام (١٥٣/٨) .

(٥) الجريال: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [جرل].

(٦) الكشان: نوع من أنواع النبات. ممطور: تعرض للمطر. انظر: لسان العرب، مادة [كشّ]، [مطر] .

(٧) مسجور: ملىء بالماء. انظر: لسان العرب، مادة [سجر].

Marfat.com

وقال آخر:

و إذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود
وتموجت كتب الرواد فتحت أغصان القدود
شاهدت فى أيدى الظبا ء قياد أعناق الأسود

وقال ابن نباتة :

سألت التقا وألبان أن يحكيا لنا روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

وقال الصلاح الصفدى :

أقول وقد نامت على حر وجهها وما لى عليها فى الظلام دبيب
وإن الكثيب الفرد من جانب الحمى إلى وإن لم آته لحبيب

وقال ابن أبى حجلة:

مالت كغصن مع الأرواح مياس مصرية الحلى تبدو لى بمقياس
ما جن ليلة وأمسى حليها قلقا إلا وثار بها جنى ووسواسى
ولابد أردفها الراسى إذا قعدت إلا وباتت يدى منه على رأسى

شمس الدين بن جابر النحوى[1]، وهو الشهير بالأعمى والبصير فى شرح (الألفية)،يعنى: باعتبار البصر فى الأول ، والبصيرة فى الثانى ، وبالعميان فى (البديعية) يعنى أنه مفرد ناب عن جمع ، فلا يغتر بقول ابن حجة : والعميان لم ينظموا و لم يقولوا، وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا، وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفى العلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى :

مقدمة الأرداف ركب فوقها مقدمة الخصر الذى هو ذابل

---

(١) شمس الدين بن جابر، هو: محمد بن على، الأندلسى، الهوارى، المالكى، أبو عبد الله، عالم وأديب، ومشارك فى أكثر من علوم القرآن، برع فى دراسة النحو والفقه والحديث، من آثاره: ديوان شعر، منحة الإعراب وسنحة الآداب. انظر: شذرات الذهب (٦/٢٦٨)، معجم المؤلفين (٣/٨٣).

Marfat.com

فتم قياس الحسن لما تركبا وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسناً لم يلم فيه عاشق بوجه ولم يوجد من الناس عادل

وله أيضاً :

سبب خفيف خصرها ووراءه من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها إلا لأن الحسن فيها وافر

وله أيضا :

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له ثلث الجمال وقد وقته أجعان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الأشعار خط على ذاك الجبين فلايسلوه إنسان
أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه ما مر بالبال يوماً عنك سلوان[1]
ولا غبار على حبى فعندك لى حساب شوق له فى القلب ديوان

وله أيضاً :

وقفت يوم الوداع ملتفتاً أطمع فى نظرة أرددها
فأعرضت والظباء تغبطها فى حسن أعراضها وتحسدها[2]
وكلفت لدن خصرها كفلا يكاد عند القيام يقعدها[3]

وقال وله أيضاً :

رقم الخال خدها فى إناءً قمر الأفق فيه نقطة ليلً
قلت ابن الكثيب والغصن قالتً كلما قد ذكرته تحت ذيلىً

وقال وله أيضاً :

إن شئت ظبياً أو هلالاً أو دجى أو زهر بان فى الكثيب الأميد
فللحظها ولوجها ولشعرها ولخدها والقد والردف أقصد

---

(١) السلوان : النسيان والزهد فى الشىء . انظر :القاموس المحيط ، مادة [سلا].
(٢) غبط: عظم الشىء فى عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زواله. انظر: لسان العرب، مادة [غبط].
(٣) الكفل: الردف. انظر: القاموس المحيط، مادة [كفل].

Marfat.com

وله أيضاً :

أقبلـــت فـــى لازوردى علـــى ... نـــاعم أبيـــض لـــدن معجـــب
والحلـــى والوجـــه والثغـــر ومـــا ... لبســـت والعطـــف والـــردف حبـــى
أنجمـــا حفـــت ببـــدر فـــى دجـــى ... فـــى سمـــاء فـــوق بـــان الكثـــب

وقال ابن نباتة :

أفدى التى تشكى فى مشـيها ولهـا ... بـالردف والخصـر تثقيـل وتخفيـف
تدعـو على الكتـب والأغصـان لاعنـة ... فـالكتب مهتوكـة والغصـن مقصـوف

وقال الشهاب الحجازى:

قصـدت رؤيـة خصـر مـذ سمعـت بـه ... فقـال لى بلسـان الحـال ينشـدنى
انظـر إلى الـردف تسـتغنى بـه وأنـا ... مثـل المعيـدى فـاسمع بـى ولا ترنـى

وقلت :

مـــا أخطـــأ الفيلســـوف فيمـــا ... قـــرر مـــن رفعـــة اللطافـــة
هـــا خصرهـــا قـــد عـــلا لمـــا قـــد ... حـــواه فـــى الظـــروف والترافـــة
ودونـــه الـــردف حـــط وصفـــا ... مـــذ كـــان فـــى غايـــة الكثافـــة

وقلت :

قـــد غـــرت عشـــاقها ... وتركهـــم للغـــزل
فـــى خصرهـــا وشـــببوا ... بردفهـــا والكفـــل
قلـــت إلى كـــم تلهجـــوا ... بســـافل لا بعلـــى

وأما الأغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص فكثيرة لاتحصى وغزيرة لاتستقصى، فلنورد منها ما حسـن وقعـه فـى الأسمـاع وجلـب القلـوب السـليمة الأذواق عند السماع قال شمس الدين بن العفيف :

قـف واسـتمع سـيرة الصـب الـذى ... فـراح فـى حبهـم لم يبلـغ الغرضـا
رأى فحـب فـرام الوصـل فـامتنعوا ... فسـام صـبرا فاعيـا نيلـه فقضـى

وقال آخر :

لـو كـان مـالك عالمـاً بـذوى الهـوى ... ومحلـه مـن أضلـع العشـاق
مـا عـذب العشـاق إلا بـالهوى ... وإن اسـتغاثوا غـاثهم بفـراق

Marfat.com

وقال المظفر الآمدى :

قل للذين جفونى إذا لهجت بهم ... دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم ... كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال ابن الوردى[1] :

دهرنا أضحى ضنينا ... باللقاء حتى ضنينا
ياليالى الوصل عودى ... واجمعينا أجمعينا

وقال ابن نباتة :

أهلاً لسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الدهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكا من قولها

وقال الصفى الحلى[2] :

لا غرو أن يصلى الفؤاد بحبكم ... نار تؤججها يد التذكار
قلبى إذا غبتم يصور شخصكم ... فيه وكل مصور فى النار

وقال آخر :

صلوا مدنفاً قد واصل السقم جسمه ... ومن يعدكم طيب الرقاد فقد فقد[3]
بأحشائه نار يهب ضرامها ... ومن لى بإطفاء الغرام وقد وقد[4]

وقال الأرجانى[5] :

تمتعتما يامقلتى بنظرة ... وأوردتما قلبى أمر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فإنه ... من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مدنفًا: مريضًا أثقله المرض. انظر: لسان العرب، مادة [دنف].

(٤) الضرام: اشتعال النار. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم].

(٥) الأرجانى، هو: أحمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، شاعر، يتسم شعره بالرقة والحكمة، ولى القضاء بتستر وعسكر مكرم، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٥٤٤هـ). انظر: الوفيات (٤٧/١) الأعلام (٢١٥/١).

Marfat.com

وقال الملك الصالح داود[1] :

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك الجفون سكون
إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرماً فيكون

وقال ابن إسرائيل :

وقلت شهودى فى هواك كثيرة ... وأصدقها قلبى ودمعى مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها ... فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

وقال القيراطى :

لما حدا بالركب حاديهم ... وأسمع الدانى والقاصى
أطاعنى دمع جرى نهره ... فدمعى الطالع كالعاصى

وقال ابن لؤلؤ[2] :

وارقنى خيال من حبيب ... تناءت داره لما أتانى
فمن سهرى يلم فلا أراه ... ومن سقمى يطوف فلا يرانى

وقال آخر :

قد كان لى فيما مضى خ ... فرق جسمى فتمنطقت به[3]
وزاد بى السقم فلو زج بى ... فى مقلة النائم لم ينتبه[4]

---

(١) الملك الصالح داود، هو: ابن عيسى الأيوبى، الملك الناصر، صاحب الكرك، أحد الأدباء الشعراء، ولد ونشأ بدمشق، وملكها بعد أبيه، من آثاره ديوان شعر، والفوائد الجليلة فى الفرائد الناصرية، توفى سنة (٦٥٦هـ). انظر: الأعلام (٣/١٠)، معجم المؤلفين (١/٧٠٢) .

(٢) ابن لؤلؤ الذهبى، هو: يوسف بن عبد الله، الدمشقى، بدر الدين، أحد شعراء الدولة الناصرية بدمشق، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٦٨٠هـ). انظر: كشف الظنون (٧٦٨)، معجم المؤلفين (٤/١٧٨).

(٣) تمنطق: شد وسطه بنطاق. انظر: القاموس المحيط، مادة [نطق].

(٤) زجّ : قذف ورمى. انظر: لسان العرب، مادة [زجّ].

Marfat.com

وقال شمس الدين بن العفيف[1] :

فكم يتجافى خصره وهو ناحل ... وكم يتحالى ريقه وهو بارد

وكم يدعى صوناً وهذى جفونه ... تفسر للعشاق منها مواعد

وله أيضاً :

إذا ما رمت حل البند قالت ... معاطفه حمانا لا يحل[2]

وإن جليت بوجنتيه مدام ... يرى لعذاره دور ونزل[3]

وقال آخر :

قال لى أهيف المعاطف صف لى ... هيفى قلت يا رشيق القوام

لك قد لولا جوارح لحظيك ... لغنت عليه ورق الحمام

وقال ابن خفاجة[4] :

مهفهف طاوى الحشا ... كالغصن يخطر إن خطر

فإذا رنا و إذا شدا ... وإذا سقى و إذا سفر

فضح الغزالة والحمامة ... والغمامة والقمر

وقال ابن أبى الحديد[5] :

با لله ضع قدميك فوق محاجرى ... فلقد قنعت من الوصال بذاكا[6]

وأطل محادثتى فإن مسامعى ... تهوى حديثك مثل ما تهواكا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) البند: القيد. انظر: لسان العرب، مادة [بند].

(٣) المدام: المطر الدائم. انظر: لسان العرب، مادة [دام].

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ابن أبى الحديد، هو: عبد الحميد بن هبة ا لله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد، عز الدين، أحد شعراء عصره، وأديب وكاتب ، شارك فى بعض العلوم، من آثاره: ديوان شعر، نظم الفصيح، توفى سنة (٦٥٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/١٩٩) ، معجم المؤلفين (٢/٦٦) .

(٦) المحاجر، جمع المحجر: ما دار بالعين. انظر: لسان العرب، مادة [حجر].

Marfat.com

وقال ابن المستوفى[1] :

رأت قمر السماء فأذكرتنى ليالى وصلنا بالرقمتي
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعينى

وقال ابن نباتة :

علقتها هيفاء حالية الطلى تجنى على طرف المحب وقلبه
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم فغدت مطوقة بما بخلت به

وقال الدمياطى :

وفتانة الألحاظ معسولة اللمى أهيم بها شوقاً إذ هى أعرضت
تصاممت لما أن سمعت كلامها لتشفى قلباً بالإعادة أمرضت

وقال الوادعى[2]:

قلت للعاذل المفند فيها يوم زارت وسلمت مختالة
قم بنا ندعى النبوة فى العشق فقد سلمت علينا الغزالة

وقال ياقوت [3]:

وعدت أن تزور ليلا فألوت وأتت فى النهار تسحب ذيلا[4]
قلت هل صدقت فى الوعد قالت صدقت أن ترى الشمس ليلا

وقال آخر :

تجلى محياها فخافت رقيبها فأرخت عليه من ذوائبها سجفا[5]
محيا رآه الصب للحسن جامعا فأجرى عليه من مدامعه وقفا

---

(١) ابن المستوفى، هو: المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات، من كبار العلماء، اهتم بالنظم والنثر، وأحد الأدباء الذين شاركوا فى بعض العلوم مثل التاريخ والحساب والحديث، من آثاره : تاريخ إربل ، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣١/١٣)، معجم المؤلفين (١١/٣) .

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ألوت: أكثرت التمنى. انظر: القاموس المحيط، مادة [لوو].

(٥) ذوائب، جمع ذؤابة: الشعر المضفور من شعر الرأس. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذأب].

Marfat.com

وقال ابن الرومى [1]:

نظـرت فـأقصدت الفـؤاد بسـهمها ... ثـم انثنـت عنـه فكـاد يهيـم
ويـلاه إن نظـرت وإن هـى أقبلـت ... وقـع السـهام ونزعهـن أليـم

وقال شمس الدين[2] :

حتى إذا طاش عنهـا المـرط مـن دهـش ... وانحل بالضم عقد السلك فـى الظلـم[3]
تبسـمت فأضـاء الجـو فـالتقطت ... حبـات منتـثر فـى ضـوء منتظـم

وقال ابن الساعاتى[4]:

قبلتهـا ورشـفت خمـرة ريقهـا ... فوجـدت نـار صبابـة فـى كوثـر
ودخلـت جنـة وجههـا فأبـا حتـى ... رضوانهـا المرجـو شـرب المسـكر

وقال الأرجانى [5]:

وفتانـة صـاغت سلاسـل صدغهـا ... قيـوداً علـى أعـداد عشـاقها الأسـرى
تبسـم عـن در تنظـم مثلـه ... فلـم أر أحلـى منـه نظمـا ولا نـثر

وقال آخر :

نظـرت إليهـا نظـرة فتحـيرت ... دقـائق فكـرى فـى بديـع صفاتهـا
وأوحـى إليهـا الوهـم إنـى أحبهـا ... فـأثر ذلـك الوهـم فـى وجناتهـا

وقال ابن مكانس[6]:

علقتهـا معشـوقة خالهـا ... إن عمهـا بالحسـن قـد خصصـا
ياوصلهـا الغـالى وياجسـمها ... لله مـا أغلـى ومـا أرخصـا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) المرط: كساء من صوف ونحوه يؤتزر به. انظر: لسان العرب، مادة [مرط].

(٤) ابن الساعاتى، هو: على بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن، شاعر، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٦٠٤هـ). انظر: شذرات الذهب (١٣/٥)، معجم المؤلفين (٤٤١/٢).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وقال أمين الدين السيمانى[1]:

أضاف الدجى معنى إلى لون شعرها ... فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبها نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

وقال ابن الوردى[2] :

ردفها والخصر منها ... جل من ربى ودق

نهدها يطفى لهيبى ... فهو رمان محق

وقال أبو الحسين الجزار[3]:

تكلف بدر السما إذ حكى ... محياك لو لم يشنه الكلف[4]

وقام بعذرى فيك العذار ... فأجرى دموعى لما وقف

وله أيضًا :

حمت خدها والثغر عن هائم شج ... له أمل فى مورد ومورد[5]

وكم هام قلبى لارتشاف رضابها ... فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

وقال ابن النقيب:

يا مالكى ولديك ذلى شافعى ... مالى سألت فما أجبت سؤالى

فوخدك النعمان أن بليتى ... وشكايتى من جفنك الغزالى

وقال شيخ الشيوخ بحماة:

لنا من ربة الخالين جاره ... تواصل تارة وتصد تارة

تعاملنى بما يحيى سلوى ... ولكن ليس فى جوفى مرارة

وله أيضًا :

حروف غرامى كلها حرف إغراء ... على أن سقمى بعض أفعال أسماء

---

(١) أمين الدين السيمانى.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الكلف: السواد فى الصفرة . انظر: القاموس المحيط، مادة[كلف].

(٥) شجّ : قطع . انظر : لسان العرب، مادة[شجج].

Marfat.com

وله أيضًا :

وبـــدر دجـــى لم ينتقـــل كســـميه ولكنـه مـا زال فـى القلـب والطـرف
يلـوح لعينـى ماشـقًا نـون صدغـــه فـأعبد خلاقـــى علـى ذلـك الحـرف

وله أيضًا :

قلـــت وقـــد عقـــرب صدغـــاً لـــه عـــن مشـــقة الحـــاجب لم يحجـــب
قدّســـت يـــارب الجمـــال الـــذى ألـــف بـــين النـــون والعقـــرب[1]

وله أيضًا :

سبحان مورثـه مـن حسـن يوسـف مـا لم يبق الحجر لله والصبر من حصص
أقـــام للشـــعراء العـــذر عارضـــه فكم له فـى دبيـب النمـل مـن قصـص

وله أيضًا :

يـانظرة مـا جلـت لى حسـن طلعتـــه حتى انقضت وأدامتنـى علـى وجـل
عـاتبت انسـان عينـى فـى تسـرعه فقـال لى خلـق الإنسـان مـن عجـل

وقال مجير الدين الدمشقى[2] :

لمـــا لبســـت لبُعـــده ثـــوب الضنـــا وغدوت من ثوب اصطبـارى عاريـا[3]
أجريـــت واقـــف مدمعـــى مـــن بعـــده وجعلتـــه وقفـــاً عليـــه جاريـــا

وقال ابن لؤلؤ الذهبى:

رفقـــــاً بصـــــب مغـــــرم أبليتـــــه صـــــداً وهجـــــراً
وافـــــاك ســـــائل دمعـــــه فرددتـــــه فـــــى الحـــــال نهـــــراً

---

(١) النون: النقرة فى الخدّ. انظر: القاموس المحيط، مادة[نون].
(٢) مجير الدين الدمشقى، هو: محمد بن يعقوب بن على، أبو عبـد الله، شـاعر،مـن أمـراء الجنـد، استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور،كان من العقلاء الفضلاء ، تميز شعره بالجودة و حسن التأليف،توفى سنة(٦٨٤هـ). انظر: الأعلام(٧/١٤٥)، شذرات الذهب(٥/٢٨٩).
(٣) الضنا: المرض والهزال. انظر: القاموس المحيط، مادة[ضنن].

Marfat.com

وقال ابن قرناص[1]:

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها ... وأشبه الآس ذاك العارض النضر

كأن موسى كليم الله أقبسها ... ناراً وجر عليها ذيله الخضر

وله أيضًا:

إن الذين ترحلوا ... نزلوا بعين ساهرة

أنزلتهم في مقلتي ... فإذا هم بالساهرة

وقال شمس الدين بن العفيف:

ايصعدني يا طلعة البدر طالع ... ومن شقوتي خط بخدك نازل

ولو أن قسا واصف منك وجنة ... لأعجزه نبت بها وهو باقل[2]

وقال أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مُضَمِّناً فقال :

تطاولت الأغصان تحكي قوامه ... وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيا فصيح الوقت نبت عذاره ... وعير قسا بالفهاهة باقل[3]

وله أيضًا :

وافي بوجه كالهلال مركب ... في قامة غصنيه هيفاء

وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت ... وكذا الجنون يكون عن سوداء

وله أيضًا :

أسكرني باللفظ والمقلة ... الكحلاء والوجنة والكأس

ساق يريني قلبه قسوة ... وكل ساق قلبه قاسي

وله أيضًا :

بأبي شادنا غدا الوجه منه ... يخجل النيرين في الإشراق[4]

سلب القضيب لينها فهي غيظاً ... واقفات تشكوه بالأوراق

---

(١) ابن قرناص، هو:إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد، الخزاعي الحموي،من الأدباء الشعراء و له ديوان شعر،توفى سنة(٦٧١هـ). انظر: كشف الظنون(٧٦٧)، معجم المؤلفين(١/٧١).

(٢) باقل: أنبت بقله. انظر: القاموس المحيط، مادة [بقل].

(٣) الفهاهة:الوهن والتعب. انظر: لسان العرب، مادة[فهّ].

(٤) النيرين:الشمس و القمر. انظر: لسان العرب، مادة[نير].

Marfat.com

وله أيضًا :

لو لم تكن ابنه العنقود فى فمه ... ما كان فى خده القانى أبو لهب

تبت يدا عاذلى فيه فوجنته ... حمالة الورد لا حمالة الحطب

وقال سيف الدين بن المشد[1]:

مسكية الأنفاس تملى الصبا ... عنها حديثاص قط لم يملل

جننت أن سرى عرفها ... وما نرى من جن بالمندل[2]

وله أيضًا:

وشادن أوردنى هجره ... لهيب حر الشوك والفرقه

أصبحت حران إلى ريقه ... فليت لى من قلبه رقه

وقال علاء الدين الوادعى[3]:

يفتن بالفاتر من طرفه ... وريقه البارد يا حار

وله أيضًا :

ألحاظه وهى السيوف كليلة ... ويكون تعذيب الكليلة أطولا[4]

وله أيضًا :

ما كنت أول مغرم محروم ... منْ باخل بادى النفار كريم

وله أيضًا :

فديت من مبسمه ... زهر لغصن قده

فصدغه مطوق ... فى روضة من خده

وله أيضًا:

وذى دلال أهيف أحور ... أصبح فى عقد الهوى شرطى[5]

طاف على القوم بكاساته ... وقال ساقى قلت فى وسطى

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المندل: العود الطيب الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندل].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الكليلة: التى لا تقطع. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلّ].

(٥) أحور: من الحور فى العين: شدة بياض بياضها وشدة سواد سوادها. انظر: القاموس المحيط، مادة [حور].

Marfat.com

وقال ابن نباتة :

بروحى مشـــروط علـى الخـد أسمـر ... دنـا وفـى بعـد التجنـب والسـخط
وقـال على اللثيم اشـترطنا فـلا تـزد ... فقبلتـه ألفـاً علـى ذلـك الشـرط

وله أيضًا :

وضعت سلاح الصبر عنه فمـا لـه ... يقـاتل بالألحـاظ مـن لايقاتلـه
وسـال عـذار فـوق خديـه جـائر ... علـى مهجتـى فليتـق ا لله سـائله

وله أيضًا :

لاتخـف عيلـة ولاتخـش فقـرا ... يـا كثـير المحاسـن المختالـة
لـك عـين وقامـة فـى البرايـا ... تلـك غزالـة وذى قتالـة

وله أيضًا :

بروحـى معسـول اللمـى متحجـب ... إذا لم يـزر لم يهـن عيـش ولا إذا
وإن ذقـت منـا مـن حـلاوة ريقـه ... أتانـا رقيـب يتبـع المـن بـالأذى

وله أيضًا :

بـأبى نـائم علـى الطـرق راحـت ... فـى هـواه وليـس يعلـم روحـى
فـاتح فـى الكـرى فمـا سـكريا ... يـا لـه مـن مسـكر مفتـوح

وله أيضًا :

ومـن الشـقا أن الجفـا وتشـوقى ... لاينتهـى هـذا وذاك إلى الطـرف
مـا مـال غصـن قوامـه عـن فكرتـى ... يومـاً ولا دينـار وجنتـه انصـرف

وقال الصلاح الصفدى:

وظبـى معانيـه بيـان بديعهـا ... لـه حـار فكـرى إذ راى كـل معجـز
قـرأت مقامـات الحريـرى كلهـا ... علـى خـده مشـروحة للمطـرزى

وله أيضًا :

قلـت وقـد مـادت كغصـن النقـا ... أسـرفت فـى العشـق بـلا فـائدة
فقلـت منهـوم الهـوى لم يكـن ... يشـبع إن مـدت لـه المـائدة

وقال ابن الوردى :

ومليـح إذا النحـاة رأوه ... فضلـوه علـى بديـع الزمـان
برضـاب عـن المـبرد يـروى ... ونهـود تـروى عـن الرمـان

Marfat.com

وله أيضًا :

عجبت فى رمضان من مسحرة ... بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت

جاءت تسحرنا ليلاً فقلت لها كيف ... السحور وهذى الشمس قد طلعت

وله أيضًا :

أنحلتنى حبيبة ... أنحل الله خصرها

كسرتنى جفونها ... ضاعف الله كسرها

وله أيضًا :

مليح ردفه والساق منه ... كبنيان القصور على الثلوج

خذوا من خده القانى نصيباً ... فقد عزم الغريب على الخروج

وله أيضًا :

تقويم ثغرك صح يا من ثغره ... در يقصر دونه التقويم

إنى لا أبكى من جفاك ولى أب ... والثغر يضحك منك وهو يتيم

وله أيضًا :

ووعدت أمس بأن تزور فلم تزر ... فقعدت مسلوب الفؤاد مشتتا

لى مهجة فى النازعات وعبرة ... فى المرسلات وفكرة فى أهل أتى

وقال ابن الصائغ[1] :

ياملیحا رووا لنا عنة حسنا ... وقبيح إن لم يكن حسنا

طبت لفظاً مع الرواة ولكن ... ينبغى أن تطيب فى الدهر معنى

وقال ابن مكانس[2] :

بأبى عقيقة مرشف ... برت وكانت قبل عقت

فلثمتها ورشفت ... وقطعتها من حيث رقت

وقال والده :

يقولون هل من الحبيب بزورة ... ومنا كم المطلوب قلت لهم منى

فقالوا لنا غوصوا على دره وما ... يحاكى إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وله أيضًا :

بحـــق الله دع ظلـــم المعنـــى ومتعـــه كمـــا يهـــوى بأنســـك
وكـــف الصـــد يـــامولاى عمـــن بيومـــك رحـــت تهجـــره بأمســـك

وله أيضًا :

يـالاثمى إذا فقـدت الصـبر فـى قمـر أصداغـه سـلبت أهـل الهـوى وسـبت
نبت سيوف اصطبـارى عنـه حين بـدا آس العـوارض فـى وجناتـه ونبـت[1]

وقال سيدى أبو الفضل ابن وفاء[2] :

مـا خـادم واسمـه فـى در مبسـمه إلا أغن غضيـض الطرف مكحـول[3]
وريقـه مـع ثنايـاه التـى انتظمـت كأنـه منهـل بـالراح معلـول[4]

وقال البدر الدمامينى[5] :

وبـى وجنـة حمـراء زاد صفاؤهـا فـأبدت صفـات أبـدع الحسـن كونهـا
فـدع لاثمى ينهى عـن الحب جهـده فمـا أنـا بالسـالى صفاهـا ولونهـا

وله أيضًا :

تناسـيت أوصـاف مـن وصلـه ينفـى عـن القلـب جميـع الكـرب
فـى الخـد تسـهيل ومـن ثغـره يطيـب للصـب ارتشـاف الضـرب

وله أيضًا :

لا مـا عذاريـك همـا أوقعـا قلـب المحـب الصـب فـى الحـين
فجـد لـه بـالوصل واسمـح بـه ففيـك قـد هـام بـلا مـين

---

(١) نبت: كلّت وارتدت. انظر: القاموس المحيط، مادة [نبو].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أغن : ذو صوت رخيم. غضيض الطرف: مسترخى الأجفان. انظر: لسان العرب، مادة [غنن]، [غضض].

(٤) الراح: الخمر، وسميت كذلك لأن صاحبها يرتاح بعد شربها. انظر: القاموس المحيط، مادة [راح].

(٥) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

وله أيضًا :

قلت لعطار به صبوتى ... محمودة الصبر لايستطاب
اسقيتنى كأس غرام به ... ذبت وما أحسن هذا الشراب

وقال الحافظ ابن حجر[1] :

سألوا عن عاشق فى ... قمر باد سناه[2]
أسقمته مقلتاه ... قلت لا بل شفتاه

وله أيضًا :

رسول أتى ممن أحب فقال لى ... رفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا ... فصار عزيزًا حين ذاق هوانا

وله أيضًا :

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى ... وعاد إلى الجفاء فعاد مابى
فقلت أعد وصالى قال كلا ... فها أنا ذبت من رد الجواب

وله أيضًا :

محبوبتى واصلتنى ... والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى ... لما دنت وتفتت

وله أيضًا :

وأهيف حياتى بطيب وصاله ... ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
أدار لى الكاسين خمراً وريقه ... ونزهنى عن جفوة ومللى

وله أيضًا :

تجرد من أحب فقال لى من ... يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجاد لك الحبيب بلثم جسم ... له كالخز قلت نعم وأنعم

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) السنا: الضياء. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنا].

Marfat.com

وقال التلعفرى[1] من قصيدة :

رشأ عهده وجفناه والخصر ... وجسمى كلا أراه عليلا
اشبهته البدر ونوراً ولكن ... ماحكمته لوناً وخصراً نحيلا
قمر جاعل من القلب والطر ... ف له فى سعوده إكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه ... ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فترة الجفن ... لانذار عاشقيه رسولا

وله أيضًا من قصيدة :

هذا العذول عليكم ما لى وله ... أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة إن كل متيم ... صب يطيع هوى ويعصى عذله

وقال يزيد بن معاوية[2] :

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد ... وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلة ... وتفاحة ذاك المضرج أم خد[3]
نقا برد فى فيك هذا منضد ... أبينى لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا ... بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان إذ وليت أم كفل يرى ... وكثبان رمل فى الغلائل أم قد[4]
وإنك لو عاينت ما بى من الأسى ... لقلت جنون ثابت بك أم وجد
إذا ما أتى من نحو أرضك مخبر ... تضوع من أرجائه المسك والند[5]

---

(١) التلعفرى، هو: محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيبانى، شهاب الدين، أبو المكارم، أديب، شاعر، كان من شعراء الملك الأشرف موسى الأيوبى صاحب دمشق، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٦٧٥هـ) انظر: النجوم الزاهرة (٢٥٥/٧)، البداية والنهاية (٢٧٢/١٣)، معجم المؤلفين (٧٨٩/٣).

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) المضرج: المصبوغ بالحمرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرج].

(٤) دعص: كثيب الرمل المجتمع. انظر: لسان العرب، مادة [دعص].

(٥) تضوع المسك: انتشرت رائحته. الند: عود يتبخر به. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضاع]، [ندد].

Marfat.com

وقفت فأضجرت الرسولا مسائلا وأنشدته بيتاً له المثل الغرد
وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجونا فزدني من حديثك يا سعد

وله من قصيدة سلف صدرها فى الغيرة :

خذوا بدمي ذات الوشاح فإنني رأيت بعيني في أناملها دمي
ولاتقتلوها إن ظفر بقتلها بل خبروها بعد موتي بمأثمي
وقولوا لها يامنية النفس أنني قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمي
لها حكم لقمان وصورة يوسف . ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها مخضبة تحكي عصارة عندم[1]
فقلت خضبت الكف بعدي وهكذا يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأبدت في الحشى حرق الجوى مقالة من في القول لم يتبرم[2]
وعيشك ما هذا خضابا عرفته فلاتك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك نائبا وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيت دماً يوم النوى فمسحته بكفي وهذا الأثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الألحاظ مهضومة الحشى هلالية العينين طائية الفم
منعمة الأعطاف يجري وشاحها . على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطه بالمسك قد فاح نشرها بثغر كأن الدر فيه منظم

وله أيضًا من قصيدة طويلة :

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقش على معصم أوهت به جلدي
كأن طرق نمل في أناملها أو روضة رصعتها السحب بالبرد

---

(١) العندم: خشب نبات يصبغ به. انظر: القاموس المحيط، مادة [عند].
(٢) يتبرم: يتضجر. انظر: القاموس المحيط، مادة [برم].

Marfat.com

مليحة لو رأتها الشمس ما طلعت ... من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا ... من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عنى فقيل لها ... ما فيه من رمق دقت يدا بيد

واستمطرت البيت السابق فى الثغر .

وقال البهاء زهير[1] :

رقت شمائله فقلت شمول ... وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع ... ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه أما خصره فمخفف ... طاو وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا ... أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثنى والثنايا لم يزل ... لى منهما العسال والمعسول
أحبابنا إن الوشاة كثيرة ... فيكم وإن تصبرى لقليل
أيخاف قلبى غدركم مع أنه ... جار أقام لديكم ونزيل
فأصد حتى لايقال متيم ... وأزور حتى لايقال ملول

وله أيضًا :

رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى ... وسلم من لم يسع لى بسلامه
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى ... ولم أك يومًا ناقصًا لذمامه
وإنى على صبرى على فرط هجره ... وقرب مغانيه وبعد مرامه[2]
يحاول طرفى لحظه فى خياله ... ويشتاق سمعى لطفه فى كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا ... بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا ... بكائى وشكوى حالتى بابتسامة
فمارق من شكواى غير خدوده ... ولا لان من نجواى غير قوامه

وله أيضًا :

كلمنى والمدام فى فمه ... قد عبقت من حباب مبسمة[3]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) مغانى، جمع مغنى: المنزل. انظر: القاموس المحيط، مادة [غنى].

(٣) الحباب: الفقاقيع التى تعلو الماء أو الخمر. انظر: انظر: القاموس المحيط، مادة [حبب].

Marfat.com

وراح كالراح في تمايله ... سكران يشتط في تحكمه[1]
با لله يا برق هل تحدثه ... عن نار وجدى وعن تضرمه[2]
وهل نسيم سرى يبلغه ... رسالة من فمى إلى فمه
عجبت من بخله على وما ... يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى ... رب خذ الحق من معلمه

وله أيضًا :

يا من لعبت به شمول ... ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال ... كالغصن مع النسيم مائل
لايمكنه السلام لكن ... قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى ... والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر ... العقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح فى قناع ... والغصن يميل فى غلائل
والورد على الخدود غصن ... والنرجس فى الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف ... والأنس بمن أحب كامل
مولاى يحق لى بأنى ... عن مثلك فى الهوى أقاتل
لى فيك وقد علمت عشق ... لايفهم سره الأوائل
فى حبك قد بذلت روحى ... إن كنت لما بذلت قابل
لى عندك حاجة فقل لى ... هل أنت إذا سئلت باذل
فى وجهك للرضا دليل ... ما تكذب هذه المخايل
ما أطلب فى الهوى شفيعا ... لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعرى ... هل يحصل لى رضاء قابل
ها عبدك واقف ذليل ... بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى ... الطل من الحبيب وابل[3]

---

(١) يشتط: تباعد عن الحق. انظر: لسان العرب، مادة [شطط].
(٢) التَضَرُّم: الاشتعال. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم].
(٣) الطلّ: المطر الخفيف. وابل: المطر الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل]، [وبل].

Marfat.com

وقلت: وجميعه جناس خطى

هـواك مـازج روحـى قبـل تكوينـى ... وأنـت ظلمـا بنـار الهجـر تكوينـى

صـبرت فيـك علـي أشـياء أيسـرها ... ذهـاب نفسـى وقـوم عنـك تلوينـى

وكلمـا قلـت صحـت لى محبتهـا ... أرى ودادك ممزوجـًا بتلويـن

قد حل عقدا اصطبارى طول هجرك ... وليـس غـير وصـل منـك يـبرينى

إذا شممـت شـذا ريـاك منتشـفا ... فمـا نسـيم أتـى مـن نحـو يـبرين

وقلت :

هيفـاء كـالغصن الرطيـب إذا انثنـت ... تختـال فـى نوبـى حيـا ودلال

تسـبى القلـوب بأسـرها فجميعهـم ... فـى أسـرها لكـن يقيـد جمـالى

ياوجههـا الحجـاوى لبهجـة روضـة ... أنـواره أنـت العزيـز الغـالى

إذ فيـك كـل عجيبـة مـا بـين تفـا ... ح وورد يـانع ولآلى

والشـهد والخمـر والحـلال وقرقـف ... مع بـرده يسـلى ولسـت بسـالى[1]

ياجفنهـا الغـزال كـم مـن عاشـق ... بـك فـى المحبـة مثـل شـن بـال

عجبـاً تميـت العاشـقين ونحـن لم ... نعـرف سـوى الأحيـاء للغـزالى

وقلت :

وسـالبة بالحسـن عقـل ذوى النهـى ... لطلعتهـا أسـنى الـدرارئ آفـل[2]

إذا مـاتجلت دك طـور قلوبهـم ... وخـروا إلى الأذقـان والعقـل زائـل[3]

فيـا كعبـة العشـاق هـل ثـم مطلـب ... سـواك إليـه تسـتحث الرواحـل

ويـا طلعـة أصبحـت للحسـن جامعـا ... لـه القلـب وقـف والتبـدل بـاطل

عـذولى اتئـدوا قصـر فكـل جـوارح ... ى لها عن سماع الـزور والعـذل شـاغل

إذا مـا أطلـت اللـوم لابـد ينتهـى ... وعنـد التنـاهى يقصـر المطـاول

---

(١) القرقف: الماء البارد. انظر: القاموس المحيط، مادة [قرق].

(٢)الدرارئ : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها. آفل: غائب. انظر: القاموس المحيط، مـادة [درأ]، [أفل].

(٣) دكّ: هدم. الطور: الجبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [دكك]، [طور].

Marfat.com

لئـــن لم تزرنـــى أو تمـــن بنظـــرة ... وينعـم دهـــرى بـــالذى أنـــا آمـــل
فيـــا مـــوت زر إن الحيـــاة ذميمـــة ... ويـا نفـــس جـدى إن دهـرك هـازل

وقلت :

أفـــدى فتـــاة فتنـــت مهجتـــى ... وقـد أذيـب القلـب مـن صدهـا
مـــالى وللدنيـــا إذا لم تـــزر ... إذ ليـس يحلـو العيـش مـن بعدهـا
يقـــول لى الآســـى وقـــد راعـــه ... مـا بفـؤادى مـن جـوى بعدهـا
خـــذ مـــاء ورد ولســـان معـــا ... تشـــرب بالمـــاءين مـــن شـــهدها
قـــد صـــدق الآســـى هـــذا الـــدوا ... هـو الشـفا لـو كـان مـن عندهـا
بـــأن يكـــون الشـــهد مـــن ثغرهـــا ... يجنـــى ومـــاء الـــورد مـــن خدهـــا

وقلت وفيه نكتة حكمية :

نـار بوجنتـك التـى حـرق الـوَرى ... منهـا كنـار فـى فـؤاد مسـعره[1]
لكـن يقـول الفيلسـوف الحـر إن ... أفنـى الرطوبـة محـرق مـا أضمـره
فلـذاك أحـرق مهجتـى تصعيـد مـا ... قطرتـــه أجفـــانى وخـــدك حمـــره
إذ فيـه مـاء حيـا لعشـاق غـدت ... فيـــه الحـــرارة بـــاعتدال مزهـــره

انتهى مـا أردنـا إيـراده مـن لطـائف الغـزل؛ الخاصـة، والعامـة فـى الذاتيـات، والأعراض اللازمة، وقد تغزل العشاق فى الأعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف، ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما لطف .

قال بعضهم فى النقش :

كـأن خضـرة نقـش فـوق معصمهـا ... شـباك مسـك علـى كـف مـن الـبرد
فمـن مـلا مقلتيـه مـن محاسـنها ... كـان الأمـان لعينيـه مـن الرمـد

وقال ابن المعتز[2] فى الحناء :

أشـرن علـى خـوف بأغصـان فضـة ... مفوفـــة أثمـــارهن عقيـــق[3]
سـلام كإسـقاط النـدى تحـت ليلـة ... سـرى حيـث لم يعلـم إليـه طريـق

---

(١) الورى: الجار. مُسعرة: مشتعلة. انظر: القاموس المحيط، مادة [وري]، [سعر].
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) مفوفة: رقيقة. انظر: القاموس المحيط، مادة [فوف]

Marfat.com

وقال ابن نباتة :

خضبت بأحمر كالنضار معاصماً ... كالماء فيه رونق وصفاء

واها لهن معاصماً مخضوبة ... سال النضار بها وقام الماء

وقال الشريف المقدسى :

تقمعت بسويداء قلب عاشقها ... أناملٌ بدم العشق تختضب[1]

فى كل أنملة ليل به شفق ... كانه اليسر فى أطرافه الرطب

وقال الشواء :

محبة لها خال كمسك ... على حد أشف من الزجاج[2]

بدت والنقش يحكى فى يديها ... محزم أبنوس فوق عاج

وقال على بن العباس الرومى :

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى ... باعلاه قصرى الدلال رصافى

أشار بقضبان من الدر قمعت ... يواقيت حمرا تستبيح عفافى

وقال الصنوبرى[3]

بسطت أناملٌ لؤلؤ أطرافها ... فيها تطاريف من المرجان[4]

وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى ... وتنقبت بشقائق النعمان[5]

وقال محمد بن عياض :

علقتها فتانة أعطافها ... تزرى بغصن البانة الميادِ[6]

من للغزالة والغزال بحسنها ... فى الخد أو فى العين أو فى الهادى

خضبت أناملها السواد وقلما ... أبصرت أقلاما بغير مداد

---

(١) تختضب: تتلون. انظر: القاموس المحيط، مادة [خضب].

(٢) أشف: أرق. انظر: لسان العرب، مادة [شفف].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تطاريف: من طرفت المرأة أناملها، خضبتها بالحناء وزينتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرف].

(٥) شقائق النعمان: جنس نبات عشبى من فصيلة الحوذانيات. انظر: القاموس المحيط، مادة [شقق].

(٦) الميادِ: كثير الاهتزاز والتمايل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميد].

Marfat.com

وقال ابن الوردى[1]:

مصريـــــــــة كأنهـــــــــا بـــــدر فجـــل مـــــن خلـــق
تملقـــــــــت مكـــــــــراً ولا ينكـــر مـــن مصـــر الملـــق

وله أيضًا :

يـــاليتنى حاشـــية زركشـــت يومـــاً بكفـــى هـــذه الجاريـــة
قـد أصبحـت فـى الحسـن سـلطانة تفـــرق التـــبر علـــى الحاشـــية

وله أيضًا :

عـــــــوادة عـــــــوادة بـــــالنغم الملـــــــذذ[2]
قلـــــت لنـــــا أوتارهـــــا أنطقنـــــا الله الـــــذى

وقال الشهاب الحجازى[3]:

فـى ثوبهـا الخمـرى قـد أقبلـت بوجنـــة حمـــراء كـــالجمر
فملـــت ســـكرا حـــين أبصرتهـــا لاتنكـــروا ســـكرى مـــن الخمـــر

وقال ابن تميم[4]:

جـاءت بعـود كلمـا لعبـت بـه لعبـت بـى الأشـجان والتـبريح[5]
غنـــت فجاوبهـــا ولم يـــك قبلهـــا شـــجر الأراك مـــع الحمـــام ينـــوح[6]

وقال الصلاح الصفدى[7]:

أتتنـــا بعـــود حركتـــه أنـــامل هـى المـاء لطفاً فـى اتبـاع الأناشـيد
يكـاد وقـد جسـت ملاويـة يكتسـى بأوراقـه لمـا جـرى المـاء فـى العـود

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) عوادة: الضاربة بالعود. انظر: لسان العرب، مادة [عود].

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) التبريح: توهج الشوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٦) شجر الآراك: شجر ذو شوك، طويل الساق، كثير الورق والأغصان، تتخـذ منـه المسـاويك. انظر: لسان العرب، مادة [أرك].

(٧) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

ومما يلحق بهذا الفصل التلميح :

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع، عظيم الفائدة فى الإيصال إلى المطلوب من نحو نكاية الخصم، وبلوغ الأرب من ذوى الفهم، و لم تدر الأغبياء وجل علماء المعانى على أن التلميح يرادفه، والصحيح أنه أخص.

فمن طريق ما حكى فيه أن أبا العلاء المعرى حضر مجلس الشريف الموسوى، فنال من المتنبى، وكان أبو العلاء ينتصر له، فقال للشريف: لو لم يكن من شعره إلا قوله:

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه، فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال: إنما قصد قوله فى القصيدة :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وأثنى سيف الدولة يوماً على المتنبى فبالغ وكان الرفاء حاضرًا، فقال: أشتهى أن تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرنى بمعارضتها لتعلم إنك أركبته فى غير سرجه، فقال: بديهة عارض قوله:

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى

قال الرفاء: فتصفحتها فلم أجدها كبير أمر، فعلمت أن هناك نكتة فأعملت الذهن فى إخراجها فإذا أنا به قد أراد قوله :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

وحكى أن ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبى الوليد، فكتبت إليه وقد غضبت منه.

إن ابن زيدون على فضله يلهج بى شتماً ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا إذا جئته كأننى جئت لأخصى على

أشارت بذلك إلى عبد للوزير، كان متهمًا به، ودعت امرأة للرشيد يومًا فقالت: أتم ا لله أمرك وفرحك بما آتاك، وزادك رفعة، لقد عدلت فأقسطت.

Marfat.com

فقال لجلسائه: ما أرادت هذه .

قالوا: خيراً .

قال: إنها تدعو علىّ ، فإن قولها أتم ا لله أمرك تريد قول الشاعر :

إذا تم أمـــــر بـــــدا نقصـــــه ترقـــــب زوالاً إذا قيـــــل تم

وقولها : فرحك ا لله بما آتاك: تريد قولـه عـز وجـل :﴿**حَتَّـى إِذَا فَرِحُـوا بِمَـا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾[الأنعام:٤٤]

وقولها: وزادك رفعة: تريد قول الشاعر.:

مـــا طـــار طـــير وارتفـــع إلا كمـــا طـــار وقـــع

وقولها: لقد عدلـت فأقسـطت: تريـد قولـه تعـالى ﴿**وَأَمَّـا الْقَاسِـطُونَ فَكَـانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾[الجن:١٥] .

ثم استقرها فأقرت .

فقال: وما ذنبى إليك .

قالت: قتلت رجالى، وأخذت أموالى .

فقال: ممن أنت؟

قالت: من بنى برمك .

فقال: أما الرجال ففاتوا، وأما المال فيأتيك، ورده إليها.

وسأل أحد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال: من أنت؟

قالت: أنا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة[1] :

جـاء الشـتاء وعنـدى مـن حوائجـه سـبع إذا القطـر عـن حاجاتنـا حبسـا

كـن وكيـس وكـانون وكـاس طـلا مـع الكبـاب وكـس نـاعم وكسـا[2]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الكن: البيت. الطلا: الخمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنن]، [طلا].

Marfat.com

ومثله ماحكاه ابن الجوزى[1] **قال:** التقى رجل وامرأة على جسر بغداد، فقال الرجل: رحم الله ابن الجهم .

فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعرى، وافترقا، فتبعها رجل فقال لها: أقسمت عليك إلا أما أخبرتنى ما أراد وأردت فقالت: أراد بابن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت بأبى العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن دقيق الإشارات: أن المتنبى مدح بعض أعداء مَلِكِه فغضب عليه، وهم أن يفتك به فهرب، فأمر الملك بعد مدة كاتبه أن يلطف له القول ليأتى فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبى ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عفونا إن شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه الرجل[2] أرسل إلى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفًا بعد النون المشددة وهذه من ألطف الإشارات فإن الكاتب أراد بـ "إن" قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ**﴾[القصص:٢٠] وأراد المتنبى بزيادة الألف قوله تعالى﴿**إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا**﴾[المائدة:٢٤] .؟

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الرجل : المقصود به المتنبى .

Marfat.com

ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد: إنه مشتق من اللحن يعنى الفطنة، وإن فائدتها التخلص من أنشوطة التعسف مع الأمن من المؤاخذة عند الإلجاء .

قيل: أسر شخص من تميم عند بكر بن وائل أو سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو، قومه، فطلب من يرسله إلى أهله لحاجة، فقالوا: ليكن بحضرتنا لئلا تنفرهم[1].

قال : لكم ذلك . فجاؤوه بمولد ، فقال: أخاف أن يكون أحمق. **فقال الرسول:** ما أنا أحمق وإنى لمبلغ ما تقول، فقبض من الرمل قبضة.

فقال له: كم هذه؟

قال: لا أدرى وإنها كثيرة.

فقال له: النيران أكبر أم الكواكب.

قال: الكواكب وكلٌّ كبير.

فأومأ إلى الشمس فقال: ما هذه؟

قال: الشمس.

فقال: إنك عاقل بلغ قومى التحية، وأن يكرموا الأسير فإن قومه يكرموننى، وأن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها، ويركبوا جملى الأصهب، وقل لهم: قد أربى العرفج واشتكت النساء بآية ما أكلت معكم الحيس واسألوا الحارث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوْا قد جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جمل وصرفوا الرسول ودعوا الحارث فلما قصوا عليه القول قال أنذركم فقوله أكرموا الأسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فإنهم عازمون على أن يدهموكم بخيل ورجل ، والرمل عدد القوم الذين يغزونكم

---

(١) تنفرهم : نفر الشئ وعلى الشئ وبالشئ : غلبه عليه . اللسان ، مادة [نفر] والمقصود لئلا يستفزهم للقتال .

Marfat.com

منهم وإن ذلك واضح كالشمس ، والناقة الحمـراء الدهنـاء ، والجمـل الأصهـب الصمان يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل وأربـى العرفـج ، يعنـى لبـس الرجـال السلاح، واشتكت النساء؟ حملت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء، والحيس كناية عن أخلاط الرجال ، فعملوا بقوله فنجوا.

ومن ذلك أمثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة، كقولـك: مـا سـألت فلانـاً حاجة، ضرب من شجر شـائك، ولا رأيتـه؛ أى ضربـت رئتـه، ولا كلمتـه؛ أى جرحته، ولا أعلمته؛ أى شققت شـفته العليـا، ولا أخـذت لـه شـعيرة؛ أى رأس مسمار فضة، ولا ثوباً أى؛ قطعة من أقط ،ولا كسرت له سنا؛ أى قطعة عشب، ولا ضرمًا؛ أى قطعة من المطر، ولا لبست له جبـة ؛ شـئ يسـتر بـه السـنان، ولا أخذت له حمارًا ولا أتانًـا ؛ صخرتـان معروفتـان، ولا عـنزة؛ أكمـة سـوداء، ولا دجاجة؛ كبة من غزل ؛ ولا فروجا ، مدرعـة ، ولاجحشـة ؛ صـوف كالحلقـة، ولا ظلمته؛ أى ماسقيته لبنًا، ولا جلست له على حصير؛ لحمة فى جنب الفرس، ولا أخذت له جراباً؛ ما حول البئر، ولا بيضـة يعنـى الخـوذة، ولا فرخًـا ؛ هامـة الدماغ ، ولا فروة ؛ جلـدة الـرأس ، ولا إبـرة ؛ عظـم المرفـق، ولا فأسًـا؛ عظـم القفا، ولا كتبت؛ جمعت، ولا لى هنا خط؛ سيف البحر، ولا وطئت لـه أرضـا ؛ باطن حافر الفرس، ولا لعبت؛ سال لعابى، ولا رويت الحديـث؛ شـددته بـالرواء وهو الحبل، ولا رأيت بطناً ولا فخـذًا ؛ قبـائل ، ولا سـاقًا ؛ ذكـر الحمـام ، ولا رجلاً؛ قطعة الجراد، ولا وجها؛ أى قصدا، ولا أبصرتـه ؛ أى رأيـت قشـرًا علـى الجلد.

Marfat.com

Marfat.com

الخاتمة

Marfat.com

Marfat.com

الخاتمة

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها بالمسامع وتزين بها المجامع.

حكى ولد الفرزدق، قال: اجتمع أبى وجميل وجرير وكثير ونصيب[1] بالموسم، فقال بعضهم لبعض: لا تجتمعوا مثل هذه، فهلموا نفعل شيئًا نذكر به فى الزمان.

فقال جرير: هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين[2] فلعلها أن تكون سببًا لما أردتم.

فقالوا: نعم الرأى، وانطلقوا، فطرقوا الباب، فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام، فدخلت ثم عادت، فقالت: أيكم القائل:

سرت الهموم فبتن غير نيام ... وأخو الهموم يروم كل مرام

درست معالمها الرواسم بعدنا ... وسجال كل مجلجل سجام[3]

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعى بسلام

يجرى السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام[4]

لو كنت صادقة بما حدثتنا ... لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير: أنا قلته.

قالت: فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم، لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها، ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها وقد

---

(١) نصيب، هو: ابن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر، فحل، مقدم فى النسيب والمدائح. كان عبدًا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، وأنشد أبياتًا بين يدى عبد العزيز بن مروان، فاشتراه، وأعتقه. توفى سنة (١٠٨هـ). انظر: الأغانى (٣٢٤/١)، الشعر والشعراء (١٥٣)، الأعلام (٢١/٨).

(٢) تقدمت ترجمتها.

(٣) المجلجل: السحاب الراعد، المطبق بالمطر. سجام: إذا سال وانصب بشدة انظر: لسان العرب، مادة [جلجل]، [سجم].

(٤) متون: إذا صلب واشتد. انظر: القاموس المحيط، مادة [متن].

Marfat.com

تحشمت إليك هول الليل، هلا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فمرحبًا نفسي فداك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها فى سفرك، ثم انصرفت إلى مولاتها وقد أفحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله، ثم خرجت، فقالت: أيكم القائل :

الا حبذا البيت الذى أنا هاجره فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه ولا زال مغشيًا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائمًا واسعد ربى جد من هو حاذره
به كل موشى الذراعين يرتعى أصول الخزامى ما ينفر طائره
هما دليانى من ثمانين قامة كما أنقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحى يرجى أم قتيل نحاذره
فأصبحت فى أهلى وأصبح قصرها مغلقة أبوابه ودساكره[1]

قال أبى، يعنى الفرزدق: أنا قلته.

فقالت: ما وفقت ولا أصبت، أما أيست بتعريضك من عودة صدق محمودة، خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت، فقالت: أيكم القائل :

فلولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب: أنا قلته.

فقالت: أغزلت وأحسنت، وكرمت إلا أنك صبوت إلى الصغار وتركت الناهضات باحمالها، خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت إلى مولاتها، ثم عادت **فقالت**: أيكم القائل :

وأعجبنى يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك جثى يذكر الجاهل الصبا ومدك أسباب الهوى حين يطمع[2]

---

(١) دساكر، مفرده دسكرة: وهو بيت كالقصر. انظر: لسان العرب، مادة [دسك].

(٢) جثى: إذا جلس على ركبتيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [جثا].

Marfat.com

وإنـــك لا تـــدرى غريمًـــا مطلتـــه أيشـــتد أن لاقـــاك أو يتضـــرع
وإنـك إن واصلـت أعلمـت بـالذى لديـك فلـم يوجـد لـك الدهـر مطمـع

قال كثير: أنا قلته.

قالت: أغزلت وأحسنت، وخذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت إلى مولاتها ثم خرجت، فقالت: أيكم القائل :

لكـــل حديـــث بينهـــن بشاشـــة وكـــل قتيـــل بينهـــن شـــهيد
يقولـون جـاهد يـا جميـل بغـزوة وأى جهـــاد غـــيرهن أريـــد
وأفضـل أيـامى وأفضـل مشـهدى إذا هيـج بـى يومًـا وهـن قعـود

فقال جميل: أنا قلته.

قالت: أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت، ادخل، فلما دخلت سلمت، فقالت سكينة: أنت الذى جعلت قتيلنا شهيدًا، وحديثنا بشاشة، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك إلى قبيح، خذ هذه الألف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم . وهذه الحكاية هى التى سبقت الإشارة إليها فى فصل الخيال من الباب الخامس .

اجتمع كثير وجميل وعمر بن أبى ربيعة[1] عند عبد الملك، فقال: أنشدونى أرق بيت قلتم.

فأنشد جميل :

حلفـت يمينًـا يـا بثينـة صادقًـا فـان كنـت فيهـا كاذبًـا فعميـت
فلـو أن جلـدًا غـير جلـدك مسـنى وباشـرنى دون الشـعار شـريت[2]
ولـو أن راقـى المـوت يرقـى جنـازتى يمنطقهـا فـى النـاطقين حييـت

وأنشد كثير :

بـأبى وأمـى أنـت مـن مظلومـة طـبن العـدو لهـا فغـير حالهـا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الشعار: هو ما دون الدثار من اللباس، أى ما يلى شعر الجسد.شريت: من شرى الرجـل، إذا غضب. انظر: لسان العرب، مادة [شعر]، [شرى].

Marfat.com

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى إلى بصرم عزة نسوة جعل المليك خدودهن نقالها

وأنشد ابن أبى ربيعة :

ألا ليت قبرى يوم تقضى منيتى بتلك التى من بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله وليت حنوطى من مشائك والدم
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

فقال: اعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم.

وسمع الحسن جارية تنشد وهى طائفة بالبيت :

لا يقبل الله من معشوقة عملاً يومًا وعاشقها غضان مهجور
وليس يأجرها فى قتل عاشقها لكن عاشقها فى ذاك مأجور

فقال لها: أفى هذا المكان يقال هذا؟

قالت: أليس ظريفًا.

قال: بلى.

قالت: هل تروى الشعر.

قال: نعم.

قالت: أما سمعت قولهم :

بيض غرائر ما همهن بربة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام[1]

واستحضر الرشيد الرقاشى[2] ومصعبًا[3] وأبا نواس[4]، فقال أجيزوا كلام

---

(١) الخنا: الفحش فى الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [خنا].

(٢) الرقاشى، هو: الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، البصرى، أبو العباس، شاعر مجيد، من أهل البصرة، فارسى الأصل. انتقل إلى بغداد، ومدح الخلفاء، وكانت بينه وبين أبى نواس مهاجاة. توفى سنة (٢٠٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٤٥/١٢)، الأعلام (١٥٠/٥).

(٣) مصعب، هو : ابن الحسين البصرى، أبو الحسن، المعروف بمصعب الماجن. من أهل البصرة، شاعر وراقًا. توفى سنة (٢٥٠هـ) انظر: الأعلام (٢٤٧/٧) .

(٤) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

الليل يمحوه النهار البيت الذى قالته الجارية التى لقيها بعد غضبه عليها، فسألها الوصل، فوعدته إلى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور، فقال الرقاشى ومصعب أبياتًا لم تناسب المقام، وأنشد أبو نواس :

وليلة أقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها من التخميش وانحل الازار
وهز الريح ارداًفا ثقالاً وغصنًا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال له: كأنك كنت حاضرًا معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة و أرق الرشيد ليلة، فقام يمشى فى المقاصير، فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به :يا أمين ا لله ما هذا الخبر.

فقال :

هو ضيف طارق حكيم يرتجى المأوى إلى وقت السحر

فقالت :

بسرور سيدى اخدمه إن رضى بى وبسمعى والبصر

فلما أصبح، أحضر أبا نواس، وقال له: أجز يا أمين ا لله ما هذا الخبر.

فأنشد :

طال ليلى حين وافانى السهر فتفكرت فأحسنت الفكر
قمت أمشى فى مكانى ساعة ثم أخرى فى مقاصير الحجر
وإذا وجه جميل حسن زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظًا فرنت نحوى ومدت لى البصر
وأشارت وهى لى قائلة يا أمين ا لله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حكيم يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور سيدى أخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال له: أكنت معنا؟

قال: لا ، ولكن ألجأنى الشعر إلى ذلك، فأحسن صلته .

Marfat.com

فصل
فى النوادر والحكم النادرة

قال إسحق(١) : غنيت الرشيد ليلة حتى نام، فجلست أنتظر انتباهه والعود فى يدى وإذا بشاب على أجمل ما يكون من الهيآت قد دخل على فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد :

الا غنيا لى قبل أن نتفرقا ... وهات اسقنى صرفا شرابًا مروقًا

فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح ... وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم قال: هكذا غنى الخلفاء، وغاب وقد ذهب عقلى من حسن غنائه، فلما أفاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت، فأحسن صلتى وقال: ليته متعنا بغنائه و لم يرنا شخصه.

قال إسحق: فذكرت بهذه ما حكاه لى أبى أنه استوهب الخليفة يومًا يخلو به مع أهله، فوهبه السبت لأنه كان يستثقله، فخلا إبراهيم يومًا وقد زين بيته وحرمه وأتقن طعامًا وشرابًا وأوصى بحفظ الأبواب خوفًا من أحد يدخل، فبينما هو جالس على أحسن ما يكون إذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازه وقد عبقت رائحة الطيب منه، فسلم بلطف ثم جلس.

قال إبراهيم(٢): فكدت أقضى فروضت نفسى فذاكرنى الأدب وأيام العرب حتى ظننت أن غلمانى حبونى به لما رأوا من ظرفه، ثم قال بعد ما أبى من الطعام وأخذ شيئًا من الشراب: هل لك أن تغنى شيئًا مما ألفت به فتشجمت المشقة

---

(١) إسحاق، هو: ابن إبراهيم بن ميمون التميمى، الموصلى، أبو محمد، من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالمًا باللغة والموسيقى، راوية للشعر، حافظ للأخبار. من تصانيفه: كتاب أغانيه، أغانى معبد، أخبار عزة الميلاء. توفى سنة (٢٣٥هـ) انظر: الأغانى (٢٦٨/٥)، وفيات الأعيان (٦٥/١)، الأعلام (٩٢/١).

(٢) إبراهيم، هو: ابن ماهان، أو ميمون، بن بهمن، الموصلى، التميمى، أبو إسحاق. أوحد زمانه فى الغناء واختراع الألحان، شاعرًا، من ندماء الخلفاء، فارسى الأصل. توفى سنة (١٨٨هـ) . انظر: الأغانى (١٥٤/٥)، تاريخ بغداد (١٧٥/٦)، الأعلام (٥٨/١).

Marfat.com

المشقة وغنيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم، فزاد غضبى ثم استأذننى فى الغناء، فأذنت له متعجبًا من تجرئه بحضرتى فأصلح العود وأنشد:

ولى كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبدًا ليست بذات قروح
أباها على الناس أن يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذى فى جوانحى ... أنين غصيص بالشراب جريح

ثم غير الصوت وغنى :

الا يا حمامات اللوى عدن عودة ... فإنى إلى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدت يمتننى ... وكدت باسرارى لهن أبين
دعون بزرداد الهدير كأنما ... شربن حميًا أو بهن جنون
فلم ترعينى مثلهن حمائمًا ... بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ما سمعت بأحسن منه ولقد خلت أن العود والجدار ينطلقان معه ثم غاب، فخرجت مغضبًا وسألت عن الشيخ، فقالوا: نعيذك بالله لم يدخل أحد، فرجعت وإذا بهاتف من جانب البيت يقول: لا بأس عليك ما كان ضيفك إلا إبليس، فركبت إلى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته أن الشيخ أخبرنى أنى أحكمت الغناء وغنيته كما سمعت فأحسن صلتى.

وحكى عنه فى الأصل أيضًا وفى غيره عن ولده إسحق ، قال: أصبحت فى يوم مطير أيقنت فيه أن لا يأتينى أحد، فصنعت لنفسى ما شئت من طعام وشراب وجلست فى سرور حتى ولى النهار فذكرت جارية أهواها، فقلت: لو كانت عندى لكمل سرورى، فما أكملت القول حتى جاءنى غلام، فقال: فلانة بالباب، فوثبت لم أملك نفسى فإذا بغرس التمنى قد أثمر، فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وألبستها بدلة تليق بها، وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدى، وقلت: ما الذى جاء بك فى هذا الوقت.

قالت: جاءنى رسولك مرتين يخبرنى أنك تشكو الحرقة، فكرهت أن أقول ما أرسلت أحدًا، فجلست وأخذت العود فغنيت :

توسدها كفى وبت ضجيعها ... وقلت لليلى طل فقد رقد الفجر
بوجه إذا ما غاب عنى حكاه لى ... وإن لم يكن فى حسن صورته البدر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا ... فلا نعيم لا يكدره الدهر

Marfat.com

فبينما نحن كذلك دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا، فقالت: هذا رسولك إلىّ، فأنكرت إذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندى، هكذا فى الأصل، وفى غيره أن الجارية حين استقر بها الجلوس، قالت: أريد من يغنى.

قال إسحق: أنا.

قالت: لا أنت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحدًا، فخرجت طاعة لها، فإذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول: لا جزى الله من كنت عندهم خيرًا إن غنيت لم يسمعونى وإن سكت استخفوا بى، فقلت له: هل تكون عندنا ليلتك.

فقال: خذ بيدى إن شئت، فلما دخلنا، قال لى: غنّ، فحين غنيت.

قال: قاربت أن تكون مغنيًا، فكدت أن أموت، ثم سأل الجارية فغنت.

فقال: ما جئت بشىء. فقالت: هذا ما عندنا، فهات ما عندك، فطلب عودًا جديدًا فأصلحه وكانت الجارية حين طرق الباب قالت:

أيدخل محبوب على الباب واقف

فأنشد الشيخ:

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف ... حبيب بأوقات الزيارة عارف

وما راعنى إلا السلام وقولها ... أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية، قالت: قد ضاق صدرك بكلمة ؛ فلم أزل أترضاها وأحلف أنى لم أقل وأتقرب إليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت، فغنى الشيخ:

ألا ربما زرت الملامح وطالما ... لمسكت بكفى البنان المخضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم أزل ... أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها: أنا أعلمته بذلك، فاطمأنت، ثم قام إلى الخلاء وأبطأ، فطلبناه فلم نجده، فعلمت أنه أبو مرة[1]، فتمثلت بقول أبى نواس :

عجبت من إبليس فى كبره ... وخبث ما أظهر من نيته

أبى على آدم فى سجدة ... وصار قوادًا لذريته

قال بعض الأدباء :

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقوال من الشعراء .

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس لعنه الله .

Marfat.com

فصل
لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء لولده، ونقلـه فـى الإحيـاء: لا تـتزوج حنانـة: يعنـى إلى ولدها الذى من الزوج السابق، ولا منانة: يعنى ذات المال تعطى الزوج شـيئًا ثـم تمن به عليه، ولا أنانة: يعنى على زوجها الأول.

وعليها نقل فى تحفة العروس: أن الغدور بنت قيس بن خـالد لمـا تـزوج بهـا عمرو بن الجون بعد لقيط بـن زرارة لم تـزل تظهـر الأسـف علـى لقيـط، فحنـق عمرو وقال لها: ويلك إنه لم يجىء من بعض عبيدى فصفى لى بعض ما رأيت من حسنه، قـالت: تطيـب يومًـا وجلـس يتنـاول الشـراب و لم يوقظنـى شـفقة حتـى انتبهت فأركبنى وخرج إلى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسـدان فشـد حتـى قتل واحدًا ورجع إلى فضمنـى ضمـة وددت لـو مـت فيهـا، ففعـل عمـرو ذلـك وضمهـا، قـال: أيـن أنـا مـن لقيـط. فقـالت: مـاء ولا كصـداء[1] ومرعـى ولا كالسعدان[2] ، وهو مثل سبق تقريره .

وعن بعضهم: كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتـك، ولتكـن هى فوقك بالصبر والجمال والآداب وإلا احتقرتها .

عجيبة :

قيل: أعظم الولائم الإسلامية اثنتان:

إحداهما: وليمة زفاف الرشيد على زبيدة[3] كانت الهبات فيها غـير محصـورة حتى أنهم كانوا يهبون أوانى الذهب مملوءة بالفضة وأوانى الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج[4] المسك وقطـع العنـبر، جلبـت فـى درع مـن الـدر لم يقـدر أحـد علـى تقويمه، وضبط ما خرج فكان خمسة وخمسين ألف ألف.

---

(١) الصداء: العطش الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [صدى].

(٢) السعدان: نبات له شوك، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [سعد].

(٣) زبيدة، هى: بنت جعفر بن المنصور، سيدة جليلة ذات يد طولى فى العلم والأدب والحضارة. وهى زوج الرشيد، وأم المأمون . توفيت سنة (٢١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد، تاريخ الطـبرى، أعلام النساء (١٧/٢).

(٤) نوافج المسك، مفرد نافجة: وعاء المسك. انظر: لسان العرب، مادة [نفج].

Marfat.com

وثانيتهما: وليمة بوران[1] على المأمون، فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلىء ما أغنى خلقًا كثيرًا.

قال شارح المقامات: تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين ألف ألف.

وقال غيره: عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلاً وكتب رقاعًا بأسماء ضيع ورساتيق[2] وصلات وجعلها فى بنادق[3] المسك فى النثار[4] فكان الذى يلتقط شيئًا منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذى أوقد فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل أربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد الكتان .

فائدة :

فى الحديث الشريف عن النبى «**ثلاث من العجز فى الرجل: أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه، وأن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته، وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه**».

وبهذا وافقت الحكمة السنة، فإن أبقراط[5] يقول: أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة . ويكره الجماع فى المحاق[6] وأول الشهر ما عدا رمضان، قيل: وليلة النصف .

لطيفة ووصية :

قال بعض الحكماء: خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير و أكثرت التزين و لم تظهره لسوى زوجها.

---

(١) بوران، هى: بنت الحسن بن سهل، زوج المأمون، من أكمل النساء أدبًا وأخلاقًا. توفيت سنة (٢٧١هـ). انظر: تاريخ ابن خلكان، تاريخ الطبرى، أعلام النساء (١/١٥٩).

(٢) رساتيق: الرستاق البيوك المجتمعة . انظر لسان العرب، مادة [رستق] .

(٣) بنادق، مفرده بندقة: هو كل ما يرمى به من رصاص أو غيره. انظر: لسان العرب، مادة [بند].

(٤) النثار، من نثر، وهو ما تناثر مما نثر. انظر: لسان العرب، مادة [نثر].

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) المحاق : آخر الشهر إذا مُحق الهلال فلم ير، انظر:لسان العرب، مادة [محق] .

Marfat.com

وخير الرجال الذى لم يكل المرأة إلى طلب شىء ولم يعصها فى الخلوة ولم يطعها فى شهوة .

قال بعض من شرح هذا الكلام: المراد بعفت: يعنى حصنت الزوج من حسنها أن يطمح إلى غيرها، وكفت لسانها عن الأذى، وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفىء للغضب، فإن غاية النساء السكون إليهن من الوصب، وبقوله لم يطعها فى الشهوة: يعنى المفضية إلى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكل وملبس فإن قطع ذلك عنها إعانة لها على الفساد.

وزاد بعضهم: أن لا يذكر الرجل محاسن المرأة لأحد فإن ذلك يؤول إلى نزعها منه . وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام.

نقل ابن الجوزى عن بعضهم قال: قلت لجاريتى: ألا تلبسين الحلى، قالت: لا، لأنه يستر المحاسن كما يستر القبائح، وقلت لها: اجلسى بنا فى القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يومًا فقالت: ما كسفت إلا حياء منى .

لطيفة :

اللذات أربع: لذة ساعة وهى الجماع، ولذة يوم وهى الحمام، ولذة جمعة وهو النُّورة[1] ، ولذة حول وهى تزويج البكر .

نادرة:

جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وكررت ذلك وعمر يقول كل مرة: جزاك الله خيرًا من مثنية على بعلها، فقال كعب: إنها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش، فقال: حيث فهمت ذلك، فاقض بينهما، فأحضر الزوج وقال: إن امرأتك تشكو، فقال: لم أقصر فى شىء.

---

(١)النورة : الحجر الذى يحرق ويسوى منه الكس ويحلق به شعر العانة .انظر : القاموس المحيط، مادة[نور] .

Marfat.com

فأنشدت :

يـا أيهـا القـاضى الحكيـم رشـده ... ألهى خليلـى عـن فراشـى مسـجده
نهـاره وليلـه مـا يريـده ... فلسـت فـى حكـم النسـاء أحمـده
زهـده فـى مضجعـى تعبـده ... فـاقض القضايـا كعـب لا تـردده

فقال زوجها :

زهدنـى فـى فرشـها وفـى الحجـل ... انـى امـرؤ وأذهلنـى مـا قـد نـزل[1]
فى سـورة النمـل وفـى السبع الطول ... وفـى كتـاب ا لله تخويـف جلـل

فقال كعب:

إن لهـا حقًـا عليـك يـا رجـل ... تصيبهـا فـى أربـع لمـن عقـل
قضيـة مـن ربنـا عـز وجـل ... فأعطهـا ذاك ودع عنـك العلـل
فـإن خـير القـاضيين مـن عـدل ... وقـد قضـى بـالحق جهـرًا وفصـل

ثم قال له: ا لله قد أحل لـك أربـع نسـاء، فـاجعل لهـا ليلـة مـن أربـع؛ فقـال عمر : لا أدرى أأعجب من حلمك أم من فهمك، وولاه البصرة .

وصية :

قيل: كانت العرب توصى بناتها بما يوجب الألفة، فتقول للواحدة: كونى لـه أرضًا يكن لك سماء، وكونى مهادًا يكن عمادًا، وأمة يكـن عبـدًا، وفراشًـا يكـن معاشًا، ولا تقربـى فيملـك، ولا تبعـدى فينسـاك، ولا تعاصيـه شـهوته، وعليـك بالنظافة، ولا يرى منك إلا حسنًا، ولا يشم إلا طيبا ، ولا يسـمع إلا مـا يرضـى ولا تفشى سره فتسقطى من عينه، ولا تفرحى إذا غضب ولا تغضبى إذا فرح .

لطيفة :

قال أبو العلاء[2] أغزل بيت قول الأعشى[3] :

غـراء فرعـاء مصقـول عوارضهـا ... تمشى الهوينا كما يمشـى الونـى الرجـل[4]

---

(١) الحجل، هو: ستر يضرب للعروس فى جوف البيت . انظر: لسان العرب، مادة [حجل].
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) الأعشى، هو: ميمون بن قيس بن جندل بن شرحبيل بن عوف بن سعد، الأعشى، أبو نصر. من شعراء الجاهلية، وأحد صاحب المعلقات، ولد فى قرية منفوخة باليمامـة، ومـدح الملـوك، وخاصة ملوك فارس. من آثاره: ديوان شعر. توفى سنة (٧هـ). انظر: الأغـانى (١٠٨/٩)، معجم الشعراء (٤٠١/١٢)، معجم المؤلفين (٩٤٩/٣) .
(٤) فرعاء: كثيرة الشعر. عوارض: مفرده العارض: وهو السن الذى يبدو من الفـم انظر: لسـان العرب، مادة [فرع]، [عرض].

Marfat.com

وأشجع بيت قوله :

قالوا الطعـان فقلـت الكـل عادتنـا أو تـنزلون فأنـا معشـر نـزل

أخرى:

قيل: تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت إليه، دخلت القهرمانةُ لتصلح من شأنها فلطمتها وأسالت دمها، فقالت له: أترسلنى إلى مجنونة، فدخل عليها .

فقال: لأى شىء فعلت بالمرأة ما فعلت؟

قالت: أحببت أن لا ينظرنى غيرك فإن رأيت حسنًا كنت أول من نشره أو قبيحًا كنت أول من ستره، فعظمت عنده .

نادرة:

قيل: جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة، فأشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه أمارة الكرب، فأحضره وسأله عن حاله، فقال: يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالأمس إلى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها.

فقال: هل تعلم على امرأتك شيئًا.

قال: لا ، فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها إلى الرجل وقال له: اجعلها عند زوجتك وأعلمها أنى حبوتك بها وعاودنى ففعل، وأمر المنصور حراس الأبواب أن يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب، فما كان بأقرب من أن جاؤوه بشخص، فهدده وقال: لئن لم تأتنى بالألف دينار التى أخذتها من موضع كذا لأضربن عنقك، فجاء بها وأحضر الخليفة التاجر وقال له: هذا مالك .

قال: نعم، وقبل الأرض، فدفعه له، وحكمه فى زوجته .

Marfat.com

فصل
فى المجـــون

قيل: حضرت سوق عكاظ امـرأة بنحيـين، أعنـى ظرفـين مـن عسـل، فأتاهـا خَوَّاتُ بن جبير وكان فاتكًا فى الجاهلية فحل أحدهمـا وذاقـه وأعـاده فمسـكته بإحدى يديها، وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره، فحين فـرغ قالت: لا هنئت .

قال: بل هنئت.

وأنشد :

وشـدت علـى النحيـين كفـــى ضنينـــة واعجلتهـــا والفتـــك مـــن فعلاتـــى

وبهما ضرب المثل، فقالوا: أشغل من ذات النحيين، و أظلم من خوّات.

قال الأصمعى: بينما نحن بطريق مكة إذا بأعرابى يقول: من أحس بعيرا بعنقه عِلاط، وبأنفه خزامة[1] يتبعه بكرتان سمراوان عهدُ العاهد به عند البئر .

فقالت جويريةٌ على حوض: اغرب يا فاسق لا ردّ ا لله عليك ضالتك .

فقلنا: مالك ولمن ينشد ضالته.

قالت: إنما ينشد أميره ... قوله علاط بالمهملة: حبـل يجعـل فـى عنـق البعـير، وسمراوان يريد اللون المعروف، ويحتمل أنه تثنيه سمراء يعنـى الناقـة، وجـىء لابـن أبى مساحق بابن أخته وقد أحبل جارية فقال له: هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت.

فقال: جعلت فداءك، بلغنى أن العزل مكروه.

فقال: وما بلغك أن الزنا حرام.

وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد، فشكوه فنفاه الوالى إلى عرفات.

فقال لأصحابه يومًا: ما يمنعكم أن تأتوا إلى على العادة.

فقالوا: كيف لنا بذلك؟

فقال: حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة.

---

(١) خزامة: خزام الدابة معروف وخزام الفرس أى شد خزاق .اللسان ،مادة [خزق] .

Marfat.com

فقالوا: صدقت، وفعلوا، فعاد أمره أعظم، فرفعوه إلى الوالى.

فقال: ألم أنهك؟

فقال: أصلحك الله إنهم يكذبون علىّ .

فقالوا للوالى: اجمع حمير مكة وأرسلها فإن لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه، ففعل فمضوا إلى بيته فجرده ليضربه.

فقال: أو ضاربى أنت؟

قال: نعم.

فقال: افعل، فوالله ما بى إلا قول أهل العراق أن أهل مكة يحكمون بشهادة الحمير، فضحك وخلى سبيله.

وفى منازل الأحباب قال غلام: جئت حيًا قد أزمعوا الرحيل وامرأة على أحسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت تهىء أمرها، فماجنتها يسيرًا.

فقالت: أيما أحسن عاريًا الرجل أم المرأة؟

فقلت: الرجل.

قالت: بل المرأة، وإن شئت علمت ذلك بأن أتجرد وأمشى إلى تلك الأكمة وأعود وتعاهدنى إن تفعل كذلك، فعاهدتها وكنت حين بقل وجهى وأنا على أجمل ما يكون، فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما ذكرت، وعادت وسألتنى الوفاء، ففعلت فلم أمش المسافة حتى تدرعت ثيابى واعتقلت سيفى واستوت على جملى ومضت فلم أجد حيلة إلا أخذ ثيابها وجملها كذلك، فكنت أستحى أن ألحق القوم وهم يصرخون على حتى جاءت جارية، فجذبت زمام البعير حتى أوصلتنى إليهم، فجاءت أمها فقالت: أى بنية أتعبتنا فى هذه الليلة، وأدخلتنى، فلما عرفونى واستخبرونى عن القصة أخبرتهم بها، فقالت لى أمها: إنها ذهبت إلى صاحب لها، وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعنى خبالاً فى عقله فهل لك أن تكون مكانها ساعة ولك عندى اليد البيضاء، فأجبت إلى ذلك فحين دخلت عليه مانعته ساعة وأتت المرأة، فخرجت.

Marfat.com

اشترى بعضهم عجلاً فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرًا حتى نجمت قرناه.

وفى الحلية عن الشافعى قال: قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة: بم توصى للمساكين.

قال: بالمسألة.

قيل: فى مالك.

قال: للذكور دون الإناث، فقالوا: ما قال الله هذا.

فقال: لكنى أقوله، ثم احملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم.

وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد دارا فأعجب بها فأمرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلاً، فقالت: هو خير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد.

وأتى كفيف نخاسًا فقال له: اطلب لى حمارًا ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر، إن خلى الطريق تدفق وإن كثر الزحام ترفق لا يصادم بى السوارى، ولا يدخلنى تحت البوارى، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيرى نام.

فقال له النخاس: اصبر، فإن مسخ الله القاضى حمارًا قضيت حاجتك.

وشدد عمر بن عبد العزيز[1] فى النهى عن المعاصى كشرب الخمر، فقال لصاحبى عسسه وخبره: إذا رأيتما سكران فأتيانى به، فطافا إلى آخر الليل، فإذا هما بشيخ حسن الهيئة بهى المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول :

سقونى وقالوا ألا تغنى ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لغنت

فقالا له: أما تستحى وأنت بهذه الحالة.

فقال: ارفقًا بى فقد شربت مع إخوان أحداث فحين أخذ الشراب منى أخرجونى.

فقال صاحب العسس لصاحب الخبر: اكتم على وأنا أطلقه.

قال: قد فعلت.

فقال له: اذهب يا شيخ ولا تعد.

---

(١) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

قال: نعم وأنا تائب، فلما كان فى الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغنى:

إنمـــا هيـــج البلـــى حـــين عـــض الســـفرجلا
فرمـــانى وقـــال لى كـــن بعينـــى مبتلـــى
ولقـــد قـــام لحظـــه لى علـــى القلـــب بـــالقلى

فقالا له: أين التوبة.

فقال: إن إخوانى الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علـى وحلفـوا ألا يخرجونى إلا إذا عمل بى الشراب، فغلـب علـى وعليهـم، فخرجـت، فأطلقـاه ، فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغنى :

أرض عنـى فطالمـا قـد سـخطت أنـت مـا زلـت جافيًـا مـذ عرفـت
أنـت مـا زلـت قاطعًـا لا وصـولاً بـل بهـذا فدتـك نفسـى ألفـت
مـا كـذا تفعـل الكـرام بنـو النـا س بأحبـابهم فلـم كنـت أنـت

فقالا له: هذه ثالثة ولا عفو.

فقال: أخطأتما.

قالا: ولم ذلك؟ قال رسول ا لله من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعـين ليلة فإن تاب تاب ا لله عليه، فإن شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلـة، فـإن تاب تاب ا لله عليه، فإن شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن تاب تاب ا لله عليه، فإن شربها الرابعة لم تقبل صلاة أربعين ليلة، فإن تاب لم يتب ا لله عليه وكان حقًا على ا لله أن يسقيه من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار، فقـالا لـه: اذهب، فلما كانت الرابعة، رأياه على الحكم وهو ينشد :

قـد كنـت أبكـى ومـا حنـت لهـم أبـل فمـا أقـول إذا مـا حمـل الثقـل
كـأننى بـك نضـو الأحـراك بـه تدعـى وأنـت عـن الداعـين مشـتغل
فقلوبـك بـأيديهم هنـاك وقـد سـارت بأحمـالك المهربـة الذلـل
حتـى إذا استيأسـوا مـن أن تجيبهـم عضوا عليك وقالوا قـد قضـى الرجـل

فقالا له: لم يبق عفو.

فقال: افعلا ما بدا لكما، فحملاه إلى عمر، فاستنكهه فوجد الرائحة، فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين، ثم قال له: لا تعد.

Marfat.com

فقال: قد ظلمتنى يا أمير المؤمنين لأنى عبد وقد جلدتنى جلد الأحرار.

فقال: أخطأت إذ لم تعرفنى، وغم عمر.

فقال له الشيخ: لا تحزن يا أمير المؤمنين، واجعل الأربعين سلفًا عندك، فضحك حتى استلقى على ظهره، ثم قال لصاحب العسس: إذا رأيت مثل هذا فارفعه إلى.

واجتمع قوم عند بصيص[1]، جارية ابن نفيس ، وكانت أعجوبة وقتها فى الحسن والغناء يتمنى كل واحد رؤيتها ولو بذهاب نفسه، فتذاكروا بخل مزيد .

فقالت: أنا آخذ منه درهمًا.

فقال مولاها: إن فعلت جعلتك حرة، وكسوتك ثوب وشى، وأولمت لك يومًا بالعقيق.

فقالت: ارفع الغيرة.

فقال: ولو رفع رجليك لم أقل شيئًا، فخرج ابن مصعب فرآه فى مسجد المدينة.

فقال له: يا أبا إسحق أما تحب أن ترى بصيص جارية ابن نفيس؟

فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطًا علىّ فيها، وإن لم أكن أسأله أن يرنيها منذ سنة فما يفعل.

فقلت له: اليوم إذا صليت العصر فوافنى ههنا.

قال امرأته طالق: إن برحت من ههنا حتى تجىء صلاة العصر.

قال: فتصرفت فى حوائجى حتى كان العصر، فدخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده وأتيتهم به، فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فأقبلت بصيص على مزيد، فقالت: يا أبا إسحق كأن نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم ينلوا

فقال: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ، قال: فغنته، ثم

---

(١) بصيص، هى: مولدة من مولدات المدينة، كانت حلوة الوجه، حسنة الغناء، من الطبقة الأولى من المغنيين. انظر: الأغانى، أعلام النياء (١/١٣٣).

Marfat.com

سكتت ساعة، وقالت: يا أبا إسحق كـأن نفسـك تشـتهى أن تقـوم فتجلـس إلى جانبى وتقرصنى قرصات وأغنيك :

قـالت وأبثتهـا وجـدى فبحـت بـه قـد كنـت عنـدى تحـب السـتر فاسـتتر

ألسـت تبصـر مـن حـولى فقلـت لهـا غطـى هـواك ومـا ألقـى علـى بصـرى

فقال: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام، وما تكسـب الأنفـس غدا، وبأى أرض تموت، فغنته.

ثم قالت: برح الخفاء أنا أعلم أنـك تشـتهى أن تقبلنـى شـوق البـين وأغنيـك هزجًا :

أنـــا أبصـــرت بـــالليل غلامًـــا حســـن الـــدل

كغصـــن البـــان قـــد أصبـــح مســـقيًا مـــن الطـــل

فقال: أنت نبية مرسلة، فقبلها وغنته.

ثم قالت: يا أبا إسحق أرأيت أسقط من هـؤلاء يدعونـك ويخرجوننـى إليـك ولا يشترون ريحانًا بدرهم ، فيا أبا إسحق هلـم درهمًـا أشـتر بـه ريحانًـا، فوثـب وصاح: واحرباه أى زانية، أخطـأت اسـتك الحفـرة، انقطـع وا لله عنـك الوحـى الذى كان يوحى إليك، وعطعـط[1] القـوم وعلمـوا أن حيلتهـا لم تنفـذ فيـه، ثـم خرج و لم يعد إليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكـثر شـغلهم فيـه حديـث مزيـد والضحك منه .

وحكى أبو يعقوب[2] قال: حضرت مجلـس حمـاد عجـرد ومعنـا غـلام جميـل فجعل يرمقه حتى حزر[3] المكان الذى ينام فيـه فلمـا هجـع النـاس وقـد اختلـف

---

(١) عطعط: إذا تتابعت أصواتهم واختلطت. انظر: لسان العرب، مادة [عط].

(٢) حماد عجرد، هو: ابن عمر بن يونس بن كليب السوائى، المعروف بعجرد، أبو عمرو، شاعر، من الموالى، من أهل الكوفة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، خادم الوليـد بـن يزيـد. كانت بينه وبين بشار مهاجاة. قتل غيلة سنة (١٦١هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٤٨/٨)، الشعر والشعراء (٣٠٢)، الأعلام (٢٧٢/٢).

(٣) حزر : حزر الشئ يحزره حزار: قدوه بالحدس .

Marfat.com

النوام فكنت موضع الغلام، قام حماد فدب علـى، فـأخذت يـده وجعلتهـا علـى عينى العوراء، فلما عرف ولى، وهو يقول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات:٢٧]

وروى أن نصرانيًا وجد مع مسـلمة آخـر يـوم صومـه، فـأكره علـى الإسـلام فأسلم، وضرب مائة سوط، وأخذ منه مائة دينار، وكـان أول يـوم مـن رمضـان فصام مع الناس.

فقيل له بعد أيام: كيف حالك.

فقال: كيف حال من صام خمسين. وأتبعها بثلاثين، وضرب مائة ووزن مائة، وخرج من ملة إلى أخرى، وزوج فاجرة.

وسأل رجل عالمًا، فقال: أفطرت يومًا من رمضان سهوًا.

قال: صم عوضه قال صمت عوضه وأتيـت أهلـى وعندهـم طعـام، فسـبقتنى يدى إليه فأكلت منه.

قال: تقضى يومًا آخر.

قال: قضيته وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة، فأكلت ساهيًا، فما ترى؟

قال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

ودخل رجل على الشعبى وعنده امرأة .

فقال: أيكما الشعبى.

فقال : هذه.

واشترى جحا يومًا دقيقًا وأعطاه لحمال فلما دخلوا فى الزحام هرب الحمـال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه، فقيل له: لم ذلك؟

فقال: أخاف أن يطالبنى بالأجرة.

وقدم إلى أبى حازم القاضى[1] سكران ليمتحنه، فقال له: من ربك.

فقال: اصلحك ا لله، ليس هذا من مسائل القضاة، إنما هو مـن مسـائل منكـر ونكير، فضحك وخلى سبيله.

---

(١) أبو حازم القاضى، هو: سلمة بن دينار المخزومى، الأعرج. عالم المدينـة وقاضيهـا وشـيخها. فارسى الأصل، كان من العباد الزهاد، ذوى الحكمة والصلاح. توفى سنة (١٤٠هـ). انظر: حلية الأولياء (٢٢٩/٣)، الأعلام (١١٣/٢).

Marfat.com

وولى رجل تفرقة مال على العميان والأيتام والقواعد من النساء، فدخل عليه رجل ومعه ولده، فقال: أثبتنى فى القواعد .

فقال: ويلك إنهن نساء لا أزواج لهن وأنت رجل.

فقال: أثبتنى فى العميان.

قال: صدقت فإن ا لله تعالى يقول ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[الحج:٤٦] .

وقال: وأثبت ولدى أيضًا فى الأيتام.

فقال: أفعل ذلك لأن من أنت أبوه فهو يتيم.

دخل جحا على المهدى يومًا، فقال له: كم عيالك؟

قال: ثمانية، فأمر له بثمانية آلاف درهم، فأخذها وخرج، فلما بلغ الباب رجع، وقال: نسيت واحدًا من عيالى.

قال: من هو؟

قال: أنا . فضحك المهدى وأمر له بمثل ذلك.

مر يهودى فى سوق وكان كاتبًا، فصاح به صبى: يا عم قف حتى أصفعك.

فالتفت إليه وقال: أنا مستعجل اصفع أخى عنى.

وقال بعض السوقة: هذا النعل فى قفاك.

فقال له: إذا كان فى رجل أختك.

ومثل ذلك رجل، قال لامرأة فى يدها خف: ليته على كتفى .

فقالت: بشرط أن يكون فارغًا.

وقال رجل لآخر: إنى أعرف صناعة الفضة، وأريد أن أعلمك، ولكن أحتاج إلى ألف درهم للآلات، فأعطاه فمضى و لم يعد، فقيل له: قد خدعك وكذب عليك.

قال: لا، لأنه علمنى كيف صناعة الفضة أى أخذها، وكيفية الحيلة فإن شئت أن أفعل مثله فعلت .

Marfat.com

فصل

فى ذكر نبذة من لطائف
الأشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب

وفى غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتفاء المستلطف .

قال بعض الأعراب :

ألا يا حمام الشعب شعب مؤنش ... سبقيت الغوادى من حمام ومن شعب
سقيت الغوادى رب خود خريدة ... اصاخت لخفض من غنائك أو نصب[1]
فان يرتحل صحبى بجثمان أعظمى ... يقم قلبى المحزون فى منزل الركب

وقال ابن المرزبان[2]:

لئن كنت لا أشكو هواك فإننى ... أخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبى فيك يضنى صبابة ... وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجبت موت المحبين فى الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقال أبو عكرمة الضبى[3]:

فلو أن ما بى بالحصا قلق الحصا ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو أننى استغفر ا لله كلما ... ذكرتك لم تكتب على ذنوب
ولو أن أنفاسى أصابت بحرها ... حديدًا إذا ظل الحديد يذوب

وقال صاحب الأصل :

وروض أتيناه عشية أقبلت ... ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به ... زمردة خضراء فى وسط فضة

---

(١) الخود: المرأة الشابة. أصاخت: إذا استمع له. خفض: الخفض من الغناء والكلام: اللين المنخفض الصوت. انظر: لسان العرب، مادة [خود]، [صخ]، [خفض].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عكرمة الضبى، هو: عامر بن عمران بن زياد الضبى، أبو عكرمة. لغوى، نحوى، راوية، من أهل سامراء، أخذ عن ابن الأعرابى. من آثاره: كتاب الخيل، الأمثال. توفى سنة (٢٥٠هـ). انظر: معجم الأدباء (٣٩/١٢)، الوافى (١٤١/١٤)، معجم المؤلفين (٢٨/٢)

Marfat.com

وقال محمد بن وهيب[1]:

إذا اختلجت عيني رأت من تحبه ... فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ تعلقني الهوى ... فأشربها ألا ودمعي مزاجها

وقال: صاحب الأصل:

أخا الكاسات إني في انتظام ... وبنت الكرم واسطة العقود
وقد رمنا تزوجها ابن مزن ... فهل لك أن تكون من الشهود

وله أيضًا:

ولما رأيت البدر ألقى شعاعه ... على نيل مصر والسفين بنا تجرى
تخيلته نسرًا يسير بسيرنا ... من الفضة البيضاء في لجة البحر

وله أيضًا:

ولما رأيت الشمس عند طلوعها ... ونحن بوسط البحر في النيل من مصر
تخيلت هاتيك القلوع وسفنها ... قصور نضار والقصور بما تجرى

ولبعضهم:

إذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق ... كلامًا تكلمنا بأعيننا شذرًا
نصد إذا ما كاشح مال طرفه ... إلينا ونبدى ظاهرًا بيننًا هجرًا
فإن غفلوا عنا رأيت خدودنا ... تصافح أو ثغر أقر عنابه ثغرًا[2]
ولو قذفت أجسادنا ما تضمنت ... من الضر والبلوى إذا قذفت جمرًا

وقال صاحب أصل الأصل:

لحى الله يوم البين كم مات عاشق ... أرى قومه لا يطلبون بثأره
وعاذلة أضحت تلوم على الهوى ... أخا لوعة لم يستفق من حماره
وأغيد في جيش من الحسن يفتدى ... لماه وعيناه وخط عذاره[3]
حكى الظبى ظبى الرمل جيدًا ومقلة ... فيا ليته لم يحكه في نفاره

---

(١) محمد بن وهيب، هو: الحميرى، أبو جعفر، شاعر، من شعراء الدولة العباسية. أصله من البصرة، عاش فى بغداد، وكان يتكسب من مدح الخلفاء، مدح المأمون والمعتصم، واختص بالحسن بن سهل، توفى سنة (٢٢٥هـ). انظر: الأغانى (١٤٢/١٧)، الأعلام (١٢٤/٧) .

(٢) أقر: أقامه به وثبته فيه. انظر: لسان العرب، مادة [قر].

(٣) لماه: سمرة أو سواد يكون فى باطن الشفة، مستحسن. انظر: لسان العرب، مادة [لمى].

Marfat.com

وقال أبو العلاء الرقى[1]:

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... ولا بأس فى حب تعف سرائره

فقد مات قلبى أول الحب فانقضى ... فإن مت أمسى الحب قد مات آخره

وقال عبد الرحمن العقيلى:

هذى الخدود وهذه الحدق ... فليدن من بفؤاده يثق

لو أنهم عشقوا لما عذلوا ... لكنهم عذلوا وما عشقوا

عنفوا على بلومهم سفهًا ... لو جرعوا كاس الهوى رفقوا

ليس الفؤاد معى فأعلم ما ... قد نال منه الشوق والقلق

ما الحب إلا مسلك خطر ... عسر النجاة وموطىء زلق

وقال أحمد بن يحيى:

إذا أنت رافقت الرجال فكن فتى ... كأنك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبًا باردًا ... على الكبد الحرّ لكل صديق

وقال صاحب أصل الأصل:

إذا كنت من أسر الهوى غير منفك ... فدع جسدى يضنى ودع مقلتى تبكى

إلا قاتل الله الرقيب وموقفًا ... بكينا به والبين يغتر بالضحك

وغرب غربان النوى حين بشرت ... نعيبًا من البين المفرق بالوشك

فيا ويح ذى العشاق أمست دماؤهم ... تطل غرامًا وهى هينة السفك

وقال بعضهم:

وما الحب إلا شعلة قدحت بها ... عيون المها باللحظ بين الجوانح

ونار الهوى تخفى وفى القلب فعلها ... كفعل الذى جادت به كف قادح

---

(١) أبو العلاء الرقى، هو: ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار، الأسدى، أبو ثابت. شاعر غزل مقدم. كان ضريرًا. عاصر المهدى ومدحه، وكان من شعراء الرشيد. كان أغزل من أبى نواس، ولكن لم يشتهر مثل غيره. توفى سنة (١٩٨هـ). انظر: الأغانى (٣٧/١٥)، الأعلام (١٦/٣).

Marfat.com

وقال آخر:

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ... ووا لله ما أذرى لهم كيف أنعت

فليس لشيء منه حد أحده ... وليس لشيء منه وقت مؤقت

وقال آخر:

لى فى محبته شهود أربع ... وشهود كل قضية اثنان

فخفقان قلبى وارتعاد مفاصلى ... وصفار لونى واعتقال لسانى

وقال آخر:

فسألتها بإشارة عن حالها ... وعلى فيها للوشاة عيون

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى ... إلا الهوان أزيل عنه لنون

وقال ذو النون المصرى[1]:

شوق أضر بمهجة المشتاق ... أجرى سوابق عبرة الأماق

لعبت يد العبرات فى وجناته ... وكذا به لعبت يد الاشفاق

و أنشد ابن دريد[2] وقد أورده فى الباب الثانى فى قصة رملة مستشهدًا به على الفرقة:

أقول لو رقاوين فى فرع أيكة ... وقد طفل إلا مساء أوجنح العصر

وقد بسطت هذى لتلك جناحها ... ومر على هاتيك من هذه النحر

لينهكما أن لم تراعا بفرقة ... ولا دب فى تشتيت شملكما الدهر

فلم أر مثلى قطع الهجر قلبه ... على أنه يحكى قساوته الصخر

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ابن دريد، هو: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدى، البصرى، أبو بكر. شاعر، أديب، نسابة، لغوى، نحوى. رأى أهل زمانه فى العلم والأدب واللغة وأيام العرب وأشعارها أخذ العلم من أعلام العلم المشهورين. من تصانيفه: أى الاشتقاق، الأمالى، تقويم اللسان. توفى سنة (٣٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/١٠)، معجم الأدباء (١٢٧/١٨)، معجم المؤلفين (٢١٧/٣).

Marfat.com

وقال آخر :

قالت ومدت يدًا نحوى تودعنى ... وروعة البين تأبى أن أمد يدًا

أميت أنت أم حى فقلت لها ... من لم يمت يوم بين لم يمت أبدًا

وقال الشهاب محمود[1] :

أأحبابنا هل لى إليكم وقد نأت ... بى الدار من بعد الديار رجوع

وهل شمس هذا الأنس بعد فراقنا ... يكون لها بعد المغيب طلوع

وهل لى ولا الله ماذاك ممكن ... فؤاد إذا حان الفراق يطيع

وقد كنت أدرى والحياة شهية ... تروق بكم أن النوى سيروع

وقال العباس بن الأحنف[2] :

يا بعيد الدار عن وطنه ... مفردًا يبكى على شجنه

كلما جد النحيب به ... زادت الأسقام فى بدنه

شاقه ما شاقنى فبكى ... كلنا يبكى على سكنه

وله ايضًا :

جرى السيل فاستبكانى السيل إذ ... جرى وفاضت له من مقلتى غروب

وما ذاك إلا حين أخبرت أنه ... يمر بواد أنت منه قريب

يكون أجاجًا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فيطيب

أيا ساكنى أكناف دجلة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال الشريف الرضى[3] :

ومن حذرى لا أسأل الركب عنهم ... واعلاق وجدى باقيات كما هيا

ومن يسأل الركبان عن كل غائب ... فلابد أن يلقى بشيرًا وناعيًا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الشريف الرضى، هو: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن على الموسوى، أبو الحسن، الشريف الرضى، عالم، أديب، شاعر، ولد ببغداد، وتولى نقابة الطالبين بها، من آثاره: ديوان شعر، طيف الخيال، الآثار النبوية. توفى سنة (٤٠٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٤/١١)، معجم المؤلفين (٢٦٣/٣) .

Marfat.com

وقال آخر :

أيا ظبية الوادى التى سفكت دمى ... بلحاظها بل يا مهاة الأجرع[1]

لى أن أبث إليك ما ألقاه من ... ألم الجوى وعليك أن لا تسمعى

وقال أبو نواس[2] :

يا نظرة ساقت إلى ناظرى ... أسباب ما يدعو إلى حتفه

من حسن ظبى حسن دله ... يقصر الواصف عن وصفه

فى البدر من صفحته لمحة ... ولمحة فى الظبى من طرفه

مقاتل الأنفس من ثغره ... وفى ثناياه وفى كفه

وقال سعيد بن الدهان[3] :

قل للبخيلة بالسلام تورعًا ... كيف استحبت دمى ولم تتورعى

هل تسمحين ببذل أيسر ناثل ... إن اشتكى بنى إليك وتسمعى

وقال أبو الحسن السلامى[4] :

ظبى إذا لاح فى عشيرته ... يطرق بالهم قلب من طرقه

سهام ألحاظه مفوقة ... فلكل من رام وصله رشفة

بدائع الحسن فيه مفترقة ... وأنفس العاشقين متفقة

قد كتب الحسن فوق عارضه ... هذا مليح وحق من خلقه

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سعيد بن الدهان، هو: ابن المبارك بن على بن عبد الله بن سعيد بن الفضل بن ظفر الأنصارى، البغدادى، المعروف بابن الدهان، تاج الدين، أبو محمد. نحوى، أديب، ناثر، ناظم. ولد ببغداد وسمع الحديث. من تصانيفه: ديوان شعر، ديوان رسائل، كتاب الأضداد، توفى سنة (٥٦٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٢)، معجم الأدباء (٢١٩/١١)، معجم المؤلفين (٨٦٨/١).

(٤) أبو الحسن السلامى، هو: عبد الله بن موسى بن الحسن بن إبراهيم السلامى، أبو الحسن. محدث، أديب، شاعر، مؤرخ، كثير الحفظ للحكايات والنوادر، رحل فى طلب العلم. من تصانيفه: نوادر الحكام، ديوان شعر. توفى سنة (٣٧٤هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٤٨/١٠)، لسان الميزان (٣٦٨/٣) معجم المؤلفين (٣٠٢/٢) .

Marfat.com

وقال محمد بن موسى[1] :

يـــا جفونـــا ســـواهرًا اعدمتهـــا ... لـــذة النـــوم والرقـــاد جفـــون

إن لله فـــى العبـــاد ســـهامًا ... ســـلطتها علـــى القلـــوب العيـــون

وقال الحسين بن الضحاك[2] :

ألا إنمـــا الدنيـــا وصـــال حبيـــب ... وأخـــذك مـــن مشـــموله بنصيـــب

ولم أر فـــى الدنيـــا كخلـــوة عاشـــق ... وبذلـــة معشـــوق ونـــوم رقيـــب

وقال آخر :

ليس المحب الـذى يخشـى العقـاب ولـو ... كـــانت عقوبتـــه فـــى ألفـــة النـــار

بـل أن المحـب الـــذى لا شـــىء ينفعـــه ... أو يســـتقر ومـــن يهـــواه فـــى النـــار

وقال آخر :

أرانى منحت الحـب مـن ليـس يعـرف ... فمـا أنصفتنـى فـى المحبـة منصـف

وزادت لدينـا حظـوة يـوم أعرضـت ... وفـى أصبعيهـا أسمـر اللـون أهيـف

أصـــم سميـــع ســـاكن متحـــرك ... ينـال جسـميات العـلا وهـو أعجـف

عجيـب لـه انـى ودهـرك معجـب ... يقـــوم تجريـــف العبـــاد محـــرف

وقال بشار بن برد[3] :

وكـــاعب قـــالت لأترابهـــا ... يـا قـوم مـا أعجـب هـذا الضريـر

هـل يعشـق الإنسـان مـا لا يـرى ... فقلـــت والدمـــع بعينـــى غزيـــر

إن كـــان عينـــى لا تـــرى وجههـــا ... فإنهـا قـد صـــورت فـــى الضمـــير

---

(١) محمد بن موسى، هو: ابن على بن عبد الصمـد بـن محمـد بـن عبـد الله، المراكشى الأصـل، المكى، الشافعى، ويعرف بابن موسى، جمال الدين، أبو البركات. محـدث مشـارك فـى الفقـه والحديث والأدب والبيان والعروض والمعانى. من آثاره: الأربعـون فـى الحديـث، كتـاب فـى تاريخ المدينة ، توفى سنة (٨٢٣هـ). انظـر: الضـوء اللامـع (٥٦/١٠)، الأعـلام (٣٤١/٧)، معجم المؤلفين (٧٤٣/٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

Marfat.com

ابن أبى الدنيا[1] :

إذا المـرء لم ينصـف أخـاه ولم يكـن ... لـه غائبًـا يومًـا كمـا هـو شـاهد

فـلا خـير فيـه فـالتمس غـيره أخًـا ... كريمًـا علـى فضـل الكريـم يعـاهد

وإن غبـت يومًـا أو حضـرت فوجهـه ... علـى كـل حـال أينمـا كنـت شـاهد

---

(١) ابن أبى الدنيا، هو: عبد الله بن محمد بن عبيد، بن سفيان بن قيس القرشى، الأموى، البغدادى، المعروف بابن أبى الدنيا، محدث، حافظ، شارك فى أنواع العلوم. من تصانيفه: الفرج بعد الشدة، مكارم الأخلاق، أخبار الخلفاء. توفى سنة (٢٨١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩٣/٩) ، تاريخ بغداد (٨٩/١٠)، معجم المؤلفين (٢٨٦/٢).

Marfat.com

لطيفة وخاتمة :

تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما.

وجد على إكليل برأس جارية:

وا لله يـا طرفـى الجـانى علـــى كبـدى ... لتطفئـــن بدمعـــى لوعـــة الحـــزن

بـا لله تطمـع أن أبكـى أســـى وجـــوى ... وأنـت تلتـذ طيـب العيـش والوسـن[1]

وعلى عود :

يـــا أيهـــا الزاعـــم الـــذى زعمـــا ... أن الهـــوى ليـــس يـــورث الســـقما

لـــو أن مـــا بـــى بـــك الغـــداة لمـــا ... لمـــت محبًـــا إذا اشـــتكى ألمـــا

وعلى ميل[2] :

لـــو كـــان يـــدرى مـــا الـــذى ... ألقـــى مـــن الأحـــزان والكـــرب

ومـــا ألاقـــى مـــن أليـــم الهـــوى ... عـــذب أهـــل النـــار بـــالحب

وعلى كأس :

الحمـــد لله علـــى مـــا قضـــى ... قـــد كـــان ذا فـــى القـــدر الســـابق

مـــا تحمـــل الأرض علـــى ظهرهـــا ... أشـــقى،ولا أوثـــق مـــن عاشـــق

فبينمـــا يمشـــى علـــى مرمـــر ... وبينمـــا يســـقط مـــن شـــاهق

وعلى أترجة :

يـــا لـــك أترجـــة مطيبـــة ... توقـــد نـــار الهـــوى علـــى كبـــدى

لـــو أن اترجـــة بكـــت لبكـــت ... لرحمتـــى هـــذه التـــى بيـــدى

وعلى تكة[3] :

إن العيـون التـى فـى طرفهـا حـور ... قتلتنـــا ثـــم لم يحيـــين قتلانـــا

يصر عـن ذا اللـب حتـى لا حـراك بـه ... وهـــن أضعـــف خلـــق ا لله إنســـانًا

---

(١) الوسن: ثقلة النوم. انظر: لسان العرب، مادة [وسن].

(٢) الميل: ما يجعل به الكحل فى العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميل].

(٣) التكة: رباط السراويل. انظر: القاموس المحيط، مادة [تك].

Marfat.com

وعلى خاتم :

قلبان فى خـ الهوى جمعا فارغم ا لله أنف من قطعا

وعلى آخر :

تمنيت القيامة ليس إلا لألقى من هويت على الصراط

وعلى آخر:

الموت فى الحب جميل.

ونقش ابن داود على خاتم سطرين، أحدهما ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[الأعراف:١٠٢]والثانى ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر:٨].

وكان يرمى به إلى من ينظر إلى حدث.

وكان سمنون[1] يعارضه فيما يفعل، فقال له يومًا: أتعارض هذا؟

قال: نعم، وجاء بعد قليل، وقد نقش على خاتم سطرين، أحدهما ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[الفرقان:٢٠]وعلى الثانى ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾[إبراهيم:١٢] ومما ينخرط فى هذا السلك ما يكتب على الكتب.

قيل: إن صاحب المصارع كتب على أول جزء منها :

هذا كتاب مصارع العشاق صرعتهم يوم النوى بفراق

تصنيف من لذع الفراق فؤاده وتطلب الراقى فعز الراقى

فإذا تصفحه اللبيب رثى لهم أسرى هوى أيسوا من الأطلاق

وعلى الثانى :

مصارع العاشقين صرعهم هوى الظباء الفواتر الحدق

تصنيف من صده تصونه عن كشف ما فى الفؤاد من حرق

فهو يسر الهوى ويكتمه والقلب قد تاه منه فى الطرق

وعلى الثالث :

مصارع العشاق مجموعة فيها لمن يقرؤها عبره

(١) سمنون، هو: ابن حمزة الخواص، أبو الحسن. من كبار مشايخ العراق، من العباد الناسكين، صوفى، زاهد. سكن العراق، وتوفى بها قبل الجنيد سنة (٢٩٠هـ). انظر: الحلية (١٠/٣٠٩)، الأعلام (٣/١٤٠)، تاريخ بغداد (٩/٢٣٤).

Marfat.com

جمع عفيف الحب يطوى الهوى ... لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناء مقيم وإن ... أعدمه يوم النوى صبره

وعلى الرابع :

كتاب مصارع أهل الهوى ... ومن فتكت فيه أيدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق ... عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه ... ناشد قلبه باللوى

وعلى الخامس :

مصارع قتلى من العاشقين ... ما لدمائهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم ... عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه ... فأصبح سكرانًا الشارب[1]

وعلى السادس :

كتاب صرعى الهوى وقتلاه ... ومن صحا منهم وسكره
تصنيف من كاد أن يشاركهم ... لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا ... يعجب قاريه حين يقراه

وعلى السابع :

مصارع من جارت يد البين والنوى ... عليهم فأضحوا فى ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد أباحها ... لأحبابهم شرع الهوى حبذا شرعًا[2]
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة ... فجاءت سهام منه أنفذت الدرعا

وعلى الثامن :

كتاب مصارع قوم سقوا ... كؤس الهوى مترعات دهاقًا[3]
شكوا صرفها طالبين المزاج ... فشيبت على الرغم منهم فراقًا
جمعنا أحاديث صرعاهم ... وسكراهم فيه لا من أفاقًا

---

(١) صهبائه، مفرده صهباء: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [صهب].
(٢) مطلولة: الدم المطلول: المهدور. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].
(٣) مترعات: ممتلئة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ترع].

Marfat.com

وعلى التاسع :

مصـارع أبنـاء الهـوى جمـع عاشـق ... تجـرع مـن راح الهـوى مـا تجرعـا
فلمـا رأى الفوديـن قـد حـل فيهـا ... المشـيب منيخًـا والمفـارق أقلعـا[1]
وأضحى مصيخًا للنذير الذى عـلا ... مفارقـة ينعـى الشـباب المودعـا

وعلى العاشر :

كتـاب مـن دارت كـؤس الهـوى ... عليـه صرفًـا ليـس فيهـا مـزاج
فصرعتهـم إذ حسـوها فهـم ... مرضـى ينـادون الأمـن عـلاج
تصنيـف مـن شـاركهم فـى الهـوى ... فليتـه ممـا لقـى اليـوم نـاج

وعلى الحادى عشر :

مصـارع اللابسـين قمـص الهـوى ... ضفـت عليهـم كـل يجرجرهـا
تصنيـف من ذاق من سلافته الصفـو ... ومـا فاتـه مكدرهـا
يطـوى أحـاديث وجـده ودمـوع ... العـين فـى فيضهـن تنشـرها

وعلى الثانى عشر :

كتـاب تضمـن أخبـار مـن ... أطـاع الهـوى وعصـى العـذلا
فلمـا تمكـن مـن قلبـه ... أعـاد حلاوتـه حنظـلاً
تكلـف تصنيفـه عاشـق ... سـلا العاشـقون ومـا قـد سـلا

وعلى الثالث عشر :

مصـارع أقـوام توالـت عليهـم ... كـؤس هـوى ممزوجـة بفـراق
فمـالوا سكارى مـا لهـم مـن إفاقـة ... إلى حـين شمـل جـامع وتلاقـى
فـرق لهـم ممـا لقـوا عاشـق أبـت ... تجـف لـه بعـد الفـراق أمـاقى

وعلى الرابع عشر :

كتـاب مصـارع جهـزت ... بظلـم إليـه النـوى جندهـا
جمعنـاه لمـا سـقينا الهـوى ... أفـاويق لم نسـتطع ردهـا
وسـقنا أحـاديث مـن جـاوزت ... بـه فجعـات النـوى حدهـا

---

(١) منيخًا: إذا سار سيرًا سريعًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [نخخ].

Marfat.com

وعلى الخامس عشر :

كتـــاب مصـــارع العشـــاق ... مـــن عـــرب ومـــن عجـــم
ليعتـــبر الخلـــى بمـــا ... لقـــوا شـــكرًا علـــى النعـــم
مصنفـــه عفيـــف هـــوى ... مصـــون غـــير متهـــم

وعلى السادس عشر :

مصـارع أبنـاء الهـوى كـل عاشـق ... رمـاه الهـوى عـن قوسـه فأصابـاه
رثى لهـم من خـاف يلقى الـذى لقـو ... فـالف فيمـا قـد لقـوه كتابًـا
وجمـع مـن أخبـارهم فـى هواهـم ... أحـاديث مثـل الـروض جيـد سـحابًا

وعلى السابع عشر :

كتـــاب تضمـــن أبوابـــه ... مصـــارع قتلـــى مـــن العاشـــقين
ســـقاهم ســـلافته مازجًـــا ... هواهـــم فمـــالوا بـــه خـــاضعين
غـــرام تلـــوم العيـــون القلـــو ... ب فيـــه وتلحـــى القلـــوب العيـــون

وعلى الثامن عشر :

كتـــاب جمعنـــا بـــه عـــانين ... مصـــارع مـــن قتـــل الحـــب صـــبرا
إذا مـــا تصفحـــه ســـائم ... مـــن الحـــب أخلـــص لله شـــكرا
جمعنـــاه صـــاحين حتـــى إذا ... خبرنـــاه ملنـــا مـــن الحـــب ســـكرا

وعلى التاسع عشر :

مصـــارع قتلـــى الهـــوى مثبـــت ... لعينيـــك مـــا كـــان مـــن حـــالهم
تضمـــن مـــن كـــل أعجوبـــة ... وكيـــف تفـــانوا بآجـــالهم
فلـــو ذقـــت مـــا ذاق أهـــل الهـــوى ... لكنـــت لحقـــت بأمثـــالهم

وعلى العشرين :

كتـــاب جمعـــت بـــه كـــل مـــا ... تفـــرق مـــن قصـــص العاشـــقين
وكنـــت ألومهـــم عـــاذلاً ... فصـــرت لهـــم أحـــد العـــاذرين
فكـــم عاشـــق ذاق يـــوم النـــوى ... وقـــد غـــرد الحاديـــان المنـــون

Marfat.com

وعلى الحادى والعشرين :

مصـــارع قتـــلاء الهـــوى صرعتهـــم ســـلافته يســـقونها صافيًـــا صرفًـــا
فمنهـــم عفيـــف ظـــل يكتـــم وجـــده فنـــم عليـــه مـــاء أجنانـــه وكفـــا
جمعـــت كتابًـــا فـــى مصـــارعهم إذا تصفحـــه ذو اللـــب رق تالفًـــا

وعلى الثانى والعشرين :

قد صنف الناس حقًـا فى الهوى كتبـا فيمـن صحـا بعـد سـكر منـه أو عطبـا
وأكـثر وأغـيراتى قـد جمعـت لهـم ومـا اختصـرت كتابًـا رائعًـا عجبًـا
ذكـرت فيـه بإسـناد مصـارعهم عجمًـا وجدتهـم فـى النـاس أو عربًـا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة علـى إحصائهـا فلنختـم الكـلام الـذى اقتطفنـاه مـن هـذه الأزهـار وارتضينـاه ومـن هـذه الأثمـار جنينـاه مستغفرين الله مما جنيناه إذ هو أكرم كريم يقبل التـائب وألطـف لطيـف يـؤوب إليه الآيب قائلاً :

كتبـت وقـد أيقنـت أن جوارحـى ستبلى ويبقـى كـل مـا أنـا عاملـه
فـإن كـان خـيرًا سـوف أحمـد غبـه وإن كـان شـرًا أوبقتنـى غوائلـه
فاسـتغفر الله العظيـم مـن الـذى كتبـت ومـا قلـت أو أنـا قائلـه
فيـا رب بالهـادى النبـى محمـد نبـى علـى كـل الـورى فـاض نائلـه[1]
وبـالآل والأصحـاب ترحـم عـاجزًا كليـلاً مـن الذنـب الـذى هـو حاملـه
أتـى تائبًـا مـن غفلـة اللهـو قـائلاً صحا القلب عن سلمى وأقصـر باطلـه
ولم لا وجـل المرقـد فـات وانقضـى وعـرى أفـراس الصـابور واحلـه
تفضـل عليـه وارحـم الآن ذلـه وتختـم بخـير كـل مـا هـو فاعلـه

فهذا أقصى ما أوردنا تحريـره وأنهـى نهايـة مـا أردنـا تسـطيره معتذريـن عـن التقصير بما أسلفنا فى صدر الكتاب تقريره، فليثق الناظر فيه بأنا لم ندع من أصله شيئًا يعتد به إلا وقد أودعناه فى مطاويـه ، اللهـم إلا أن يـأتى غبـى يتكـل علـى

---

(١) النائلة: العطية والمعروف. انظر: القاموس المحيط، مادة [نول].

Marfat.com

المبانى دون المعانى ويؤثر التصريح فى كل المواطن على التلويح ويقيس الأبواب الأصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطىء، وما علم. ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر أن يكون كتابنا بالنسبة إلى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه.

فالحمد لله على إتمامه، والشكر له على جزيل إنعامه، وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه صلاته وسلامه.

قال (مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامى له يوم الأربعاء خامس عشر شوال وأيار الموافق عشرين بشنس وخامسة الجوزاء شمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية مصطفوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية .

تمت

Marfat.com

فهرس محتويات الجزء الثانى

الموضـــوع	الصفحة
الباب الثالث: فى ذكر عشاق الغلمان	٥
القسم الأول: فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه وهو نوعان:	٧
النوع الأول: فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه	٧
أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى	٧
فصل: أخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى	١١
فصل: أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم	١٣
فصل: أخبار مدرك وصاحبه عمرو	١٥
النوع الثانى: فى ذكر من جهل حاله وكان إلى الموت فى الحب مآله	٢٨
منهم: سعيد الوراق	٢٨
ومنهم: شرف العلاء	٢٩
ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى	٢٩
ومنهم: ما حكاه الثورى	٣٠
ومنهم: ما حكى فى ديوان الصبابة	٣٠
القسم الثانى: فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر مآله	٣٣
منهم: ما حكاه من له اعتناء بظرائف الأخبار	٣٣
منهم: ما حكاه بعضهم	٣٣
منهم: ما حكاه الأصمعى	٣٣
منهم: رجل بإفريقية	٣٣
القسم الثالث: فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما أراد	٣٥
منهم: حكاية رجل صوفى	٣٥
منهم: البحترى المشهور	٣٥
منهم: الصاحب بدر الدين وزير اليمن	٣٦
ومنهم: الشيخ مهذب الدين بن منير	٣٧
القسم الرابع: فى ذكر من منعه الزهد والعبادة أن يقضى من محبوبه مراده	٤٣

Marfat.com

النوع الأول: فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى ٤٣
النوع الثانى: فى ذكر من بلغه زهده الأمان فعصمه عن الغلمان ٤٨
خاتمة: فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى ٥١
فصل: ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض فى المشاجرات ٥٤
الباب الرابع: فى ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر ٥٩
النوع الأول: فى الجنة ٥٩
النوع الثانى: فى ذكر من كلف وهو غير مكلف ٦٠
الصنف الأول: فى الطيور ٦١
الصنف الثانى: فى ذكر بعض ما وقع للحيوان ٦٤
الصنف الثالث: فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الأنفس النباتية ٦٦
الصنف الرابع: فيما بث من أسرار بين أصناف الأحجار ٦٧
الصنف الخامس: فيما بث من الأسرار الملكية بين الأجسام والأجرام الفلكية ٦٨
تتمات يفتقر إليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الألباب ٧١
فصل: فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين ٧٦
فصل: فى مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة ٨٢
فصل: فى أحكام أسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الأحبة ٨٤
فصل: فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف ٨٧
فصل: فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الأحباب بالوسائل ٨٩
فصل: فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال ٩٢
فصل: فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولها عند الهجر والنفار وتمنى طول زمن الوصل والرضا ٩٨
فصل: فيمن ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى أوقعه فى الفضول ١٠٢
فصل: فى أحكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة وزيارة الحبيب ١٠٧
فصل: فى ما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه فى باب ١١٨

Marfat.com

القسم الأول: هجر الدلال ١١٩
القسم الثانى: هجر الملال ١٢١
القسم الثالث: الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة ١٢٢
القسم الرابع: الهجر الخلقى ١٢٣
فصل: فى نفى كدر الهم والصدود باستجواب الأمانى والوعود ١٣٠
فصل: فى ذكر مكابدة الأمور الصعاب عند طلب رضا الأحباب ١٣٧
تتمة ١٤١
الخاتمة: تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها المسامع وتزين بها المجامع ١٩٧
فصل: فى النوادر والحكم النادرة ٢٠٢
فصل: لطيفة ووصية ٢٠٥
فصل: فى المجون ٢١٠
فصل: فى ذكر نبذة من لطائف الأشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب ٢١٨
لطيفة وخاتمة ٢٢٦

Marfat.com

Marfat.com

الفهارس

١ – فهرس الآيات.

٢ – فهرس الأطراف.

٣ – فهرس الأعلام.

٤ – فهرس القبائل.

٥ – فهرس الكتب.

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الآيات

الآية	رقم السورة	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ وسارعوا إلى مغفرة ربكم ﴾	١٣٣	ج١ / ٨٤
﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾	١٨٥	ج١ / ١٨٥
سورة المائدة		
﴿ إنا لن ندخلها ما داموا فيها ﴾	٢٤	ج٢ / ١٩١
﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾	٣٢	ج١ / ٣٣٠
سورة الأنعام		
﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾	٤٤	ج٢ / ١٩٠
سورة الأنفال		
﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ﴾	٦٣	ج٢ / ٢٣
سورة الحجر		
﴿ فأصفح الصفح الجميل ﴾	٨٥	ج٣ / ١١٦
سورة الكهف		
﴿ إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾	٩٤	ج٢ / ٥
سورة الأنبياء		
﴿ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾	٨٣	ج١ / ٧٧
سورة الحج		
﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾	٤٦	ج٢ / ٢١٧
سورة الفرقان		
﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾	٢٣	ج١ / ٩١
سورة القصص		
﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾	٢٠	ج٢ / ١٩١
سورة فاطر		
﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾	٣٥	ج٢ / ٧٣
﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾	٣٧	ج١ / ٩٢
سورة الصافات		
﴿ فديناه بذبح عظيم ﴾	٢٧	ج٢ / ٢١٦
سورة غافر		
﴿ وانذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾	١٨	ج١ / ٨٩
سورة الدخان		
﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾	٤٠	ج١ / ٩٥
سورة الصف		
﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾	٣	ج١ / ٣٠٦
سورة الجن		
﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً ﴾	١٥	ج٢ / ١٩٠

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الأطراف

الطرف	الصفحة
أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم	ج٢/٦٥
الأرواح جنود مجندة	ج١/٧٨، ج٢/١٢٣
أقبل	ج١/٣٣
أكرموا عماتكم النخلة	ج٢/٦٥
إن ا لله ليعجب من شاب لا صبوة له	ج١/٣٧
ألا وإن فى الجسد مضغة	ج٢/٧٠
إن ا لله جميل يحب الجمال	ج٢/٧٣
بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم	ج٢/٤٣
ثلاث من العجز فى الرجل	ج٢/٢٦
حبك للشىء يعمى ويصم	ج١/٦٠
فبى يسمع وبى يبصر	ج١/٧٦
من عشق فعف فمات	ج١/٣٦
من قال لا إله إلا ا لله كان له بها عهد عند ا لله	ج١/٩٣
والذى نفسى بيده إن الرجل ليجىء يوم القيامة بعمل	ج١/٩٤

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم عليه السلام	ج١/ ١٢٦
إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، أبو اسحاق العجلى	ج١/٨٣
إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد،برهان الدين القيراطى	ج٢/١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٦٩
إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله الأندلسى، أبو اسحاق، ابن خفاجة	ج٢/١٣٨، ١٧٠
إبراهيم بن على بن إبراهيم العمرى، الموصلى، أبو اسحاق	ج١/ ٢٩٠
إبراهيم بن على بن تميم القيروانى، أبو اسحاق، الحصرى	ج١/ ٧١
إبراهيم بن محمد	ج١/١٠٥
إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان الأزدى، الواسطى، أبو عبد الله، نفطويه	ج٢/١٣٤
إبراهيم بن محمد بن هبة الله الخزاعى، الحموى، ابن قرناص	ج٢/ ١٧٥
إبراهيم بن المعمار	ج٢/١٢٨، ١٥٥
إبراهيم بن المقتدر	ج١/ ٣١٥
إبراهيم بن المهدى	ج١/ ٢٨٤، ٣٢٩
إبراهيم بن ميمون بن بهمن الموصلى، أبو اسحاق	ج١/٣٢، ج٢/٢٠٢، ٢٠٣
أبرويز بن كسرى	ج١/ ٢٦١
أبرويز بن هرمز	ج١/ ٣٥٥
الأبلى	ج١/ ٢٨١
أبقراط	ج٢/ ٢٠٦
أثالة بن سعيد بن مالك	ج١/ ١٩٢
ابن الأثير	ج١/٢٠١
أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطى، شهاب الدين، أبو العباس	ج٢/ ١٤٦، ١٨٨
أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى، الكوفى، المتنبى، أبو الطيب	ج ١/ ٧٧، ٩٦، ١٠٠، ١١٠، ١٢٧، ١٤٣، ١٨٩، ١٩١

Marfat.com

العلم	الصفحة
أحمد بن أبى داود بن حريز، الإيادى، أبو عبد الله	ج٢/ ٦٢
أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، أبو نعيم، المهرانى، الأصبهانى	ج١/ ٧١، ٧٨
أحمد بن عبد الله سليمان بن الحارث بن لبيعة التنوخى، المعرى	ج٢/ ٢٨
أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومى، الأندلسى، القرطبى، أبو الوليد، ابن زيدون	ج٢/ ١١٧
أحمد بن على بن الحسن بن الحسين الأزدى، أبو العباس، المهلبى	ج٢/ ١٦٠
أحمد بن عيسى الجزار البغدادى، أبو سعيد	ج١/ ٨٨
أحمد بن قزمان (ابن كليب)	ج٢/ ١٣
أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى، النيسابورى، أبو الفضل	ج٢/ ١٣٥
أحمد بن محمد البغدادى، الشهرستانى، ابن النقيب	ج٢/٩٢،١١١،١٧٣
أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الصنوبرى، الضبى	ج٢/٢٨،١٤٧،١٨٧
أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين،الأرجانى، أبو بكر	ج٢/٩٠،٩٩،١١١، ١٦٨،١٧٢
أحمد بن محمد بن على بن حسن الأنصارى،الشهاب الحجازى، أبو العباس	ج٢/ ١٥٣، ١٦٧
أبو الطيب، زكى الدين	
أحمد بن مسعود بن الملك المظفر	ج٢/١١
أحمد بن يحيى	ج٢/ ٢٢٠
الحنف العبكرى	ج٢/ ٦٦
الأحوص= عبد الله بن محمد ابن عاصم، الأنصارى	
الأخفش= سعيد بن مسعدة	
الإربلى= أبو بكر بن محمد بن إبرهيم	
الأرجانى= أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين، أبو بكر	
أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك	ج١/٣٥٣،٣٥٤
إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمى، الموصلى، أبو محمد بن النديم	ج١/ ٣٢٧، ٣٢٨
	ج٢ /٢٠٢، ٢٠٤
الأسدى = أبو بكر بن سالم بن عياش	
الإسكندرى = محمد بن على بن عثمان العوفى، شمس الدين، أبو الفتح صالح المزى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
أسلم بن سعيد بن خلف	ج٢/ ٣
أسماء بنت عوف بن سعد بن مالك	ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣
أسماء النهشلية	ج١/ ٢٠٥
إسماعيل بن جامع	ج١/ ٣٠٣
إسماعيل السكندرى	ج٢/ ١٤٢
إسماعيل بن عباد بن العباس بن إدريس الطالقانى، الصاحب، أبو القاسم	ج٢/ ١١١
إسماعيل بن على بن محمود بن محمد، المؤيد	ج١/ ٣١٣
إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون، القالى، أبو على	ج١/ ١٠٥، ١٣٦، ١٥٢، ٢٠٩
أبو الأسود = ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكتانى، الدؤلى	
الإشبيلى = عبد الصمد المغربى، المعذل	
ابن الإصبع	ج١/ ٢٤٣
الأصبهانى = أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، المهرانى، أبو نعيم	
الأصمعى	ج١/ ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٦٦ - ج٢/ ٣٣، ٢١٠
ابن الأعرابى	ج١/ ١٨٠، ٢٨٣
الأعرج = سلمة بن دينار المخزومى، أبو حازم	
أعشى بن قيس	ج١ ٣٢٣
الأعشى = ميمون بن قيس بن جندل، أبو نصر	
الأفريقى = محمد بن عبد الله بن محمد الحنفى، الفريابى، أبو عبد الرحمن	
أفلاطون	ج٢/ ١٣١
أبو أمامة = زياد بن معاوية بن ضباب، النابغة الذبيانى، الغطفانى	
امرؤ القيس بن حجر الكندى	ج١/ ١٠٨، ١٣٣، ١٦٠، ج٢/ ٩٩
إمليخا	ج٢/ ٢٦
أمين الدين السيمانى	ج٢/١٧٣
أمين الدين " كاتم سر الشام "	ج٢/١٤٦
ابن الأنبارى	ج١/١٠٥

Marfat.com

العلم	الصفحة
الأندلسى = إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد ا لله، أبو إسحاق، ابن خفاجة	
أنس بن سعد بن مالك	ج١/ ٢٢٢
الباهلى = الحسين بن الضحاك، أبو على	
بثينة بنت حبا العذرية ج١/١١٢،١١٣،١١٥،١٢٢،١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦ ٢٤٧	
ج٢/ ١٣٣	
بثينة بنت يحيى بن ثعلب	ج١/ ١١٠
البجلى	ج٢/ ١٤٣
البحترى = الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم الطائى، أبو عبادة	
بختنصر	ج١/ ٣٤١ - ج٢/ ٢٥
البدر الدمامينى = محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد، القرشى، المخزومى	
بدر الدين = الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقى، أبو محمد، ابن الحبيب	
بدر الدين = يوسف بن عبد ا لله، الدمشقى، ابن لؤلؤ الذهبى	
ابن بربر = العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة	
أبو البركات = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى، الأربلى، شرف الدين، ابن المستوفى	
أبو البركات= محمد بن عوف بن على المراكشى، جمال الدين	
البرمكى = جعفر بن يحيى بن خالد، أبو الفضل	
برهان الدين = إبراهيم بن شرف الدين بن عبد ا لله بن محمد، القيراطى	
بريرة (مولاة عائشة)	ج١/ ١٠٥
ابن بسام = على بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادى أبو الحسن	
البسطامى = طيفور بن عيسى بن شروسان، أبو يزيد	
بشار بن برد العقيلى أبو معاذ	ج٢/ ١٠٩، ١٣٦، ١٤١، ١٦٣، ٢٢٤
بشر الأسدى	ج٢/ ٤٥، ٤٦
بشر بن حضرم الكلاعى	ج١/ ٢٧٠
بشير الأشتر	ج١/ ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩

Marfat.com

العلم	الصفحة
البصرى = جرير بن عطية بن الخطفى التميمى، أبو خرزة	
البصرى = عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة	
بصيص "جارية ابن نفيس"	ج٢/ ٢١٤
بطرس	ج٢/ ٢٧
البغدادى = أحمد بن عيسى الجزار، أبو سعيد	
أبو بكر = أحمد بن محمد بن الحسين، الأرصانى، ناصح الدين	
أبو بكر الأزدستانى	ج١/ ٧٧
أبو بكر = دلف بن جحدر البغدادى، الشيلى	
أبو بكر بن سالم بن عياش الأسدى	ج١/ ١٢٣، ٢٥٧ ، ٢٨٠
أبو الصديق رضي الله عنه	ج١/ ٣٠٥
أبو بكر بن على بن عبد الله التقى، الحموى، ابن حجة	٢٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٥
أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الإربلى	ج٢/ ١٣٥
أبو بكر = محمد بن الحسن بن دريد، الأزدى، البصرى	
أبو بكر = محمد بن داود بن على بن خلف، الطاهرى	
بكر بن وائل	ج٢/ ١٩٢
البكرى = شمس الدين بن أبى السرور بن محمد بن على بن عبد الرحمن، الصديقى، الشافعى	
البكرى = عمرو بن قمئة بن ذريح بن سعد بن مالك، الوائلى، النزارى	
أم البنين بنت عبد العزيز	ج١/ ١٢٨، ٣٤٤
بهاء الدين = زهير بن محمد بن على بن عاصم الأزدى، المهلبى، العتكى، أبو العلاء، أبو الفضل	
بهاء الدين = على بن رستم بن هردوز، أبو الحسن، ابن الساعاتى	
البهزى = نصر بن حجاج بن علاط السلمى	
بوران بنت الحسن بن سهل	ج٢/ ٢٠٦
بولس	ج٢/ ٢٣، ٢٥، ٢٩
البونى	ج٢/ ٥٤
بيا	ج١/ ٢٣٦، ٢٣٧

Marfat.com

العلم	الصفحة
البياض = مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف، أبو جعفر	ج١/ ٢٩٥
البيدق	
تاج الدين = سعيد بن الدهان بن المبارك بن على الأنصارى، البغدادى، أبو محمد	
تاج الدين = زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، اليمانى	ج١/ ٢٥٤
التبريزى	ج٢/ ٢٦
تبيائيل	
التسترى= سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد	
التغلبى= الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيرى، أبو مالك	
التلعفرى = محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، شهاب الدين، أبو المكارم	
أبو تمام = حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى	
ابن تميم = محمد بن يعقوب بن على، مجير الدين، الحموى	
التميمى = جرير بن عطية بن الخطفى البصرى، أبو خرزة	ج١/ ٢٢٠، ٣٠٣
التنوخى	
التهامى = على بن محمد بن فهد، أبو الحسن	
توبة بن حمير بن أسيد الخفاجى	ج١/ ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦
التوزى	ج١/ ٢٢٠، ٢٤٣
ثابت البنانى	ج١/ ٩١
الثعالبى = عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، النيسابورى، أبو منظور	
الثقفى	ج١/ ١٦٢
أبو الثناء = الشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلى الحلبى	
ثوبان بن إبراهيم ذى النون المصرى	ج١/ ٧٣، ٨٠، ٩٦٢ - ج٢/٢٢١
الثورى= سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن منقذ بن ثور	
ابن جامع	ج٢/ ٨
جحا	ج٢/ ٢١٦، ٢١٧
أم جحدر	ج١/ ١٠٨

Marfat.com

العلم	الصفحة
جزجس	ج٢/ ٢٦
جرير	ج١/ ٢٦٣، ٢٩٤ - ج٢/ ٩٥، ١٩٧
جرير بن عطية بن الخطفى التميمى البصرى، أبو خرزة	ج١/ ١٩١
ابن الجزار	ج١/ ٢٢٠
الجزار = أحمد بن عيسى البغدادى، أبو سعيد	
الجزار= أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد جمال الدين	
جعد بن مهجع العذرى	ج١/ ٣١٥
جعفر بن سليمان	ج١/ ٣٥٠
أبو جعفر = عبد الله بن محمد بن على المنصور	
جعفر بن أبى علية بن ربيعة الجارحى، أبو عارم	ج١/ ٣٥٩
أبو جعفر= عمر بن عبد العزيز الشطرنجى، أبو حفص	
أبو جعفر = محمد بن عائشة	
جعفر بن محمد بن هاارون الرشيد، المتوكل، أبو الفضل	ج١/ ٣١٠، ٣١١، ٣١٤
أبو جعفر = محمد بن وهيب الحميرى	
أبو جعفر= مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف البياض	
جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، أبو الفضل	ج١/ ٣٢٧، ٣٢٨
الجعفى= أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الكوفى، المستينى، أبو الطيب	
الجعفى= الحارث بن معاوية، مرثد بن أبى حمران	
جمال الدين= أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد الجزار	
جمال الدين = محمد بن موسى بن على المراكشى، أبو البركات	
الشيخ جمال الدين بن نباتة	ج٢/ ١٠٢، ١٠٣، ١٤٩، ١٥٤، ١٧٥
جمال الدين= يوسف بن مسعود بن محمد بن على العبادى، الدمشقى، العقيلى، السرمدى، أبو المظفر	
جميل بثينة	ج١/ ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٦، ٢٤٨، ٢٥٧، ٣٠١، ٣٦٣ - ج٢/ ٨٧، ١٣٣، ١٩٧، ١٩٩

Marfat.com

العلم	الصفحة
جميلة السلمية	ج١/ ٢٩٢
جميلة بنت واثلة بن راشد	ج١/ ٢٥٦، ٢٥٧
جنوب بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش	ج١/ ٢١٢
الجنيد بن محمد النهاوندى القواريرى، البغدادى	ج١/ ٧٢، ٨٦، ٨٧، ١٠٥ - ج٢/ ١٢٣
ابن الجوزى	ج١/ ١٧١، ٢٧٠، ٣٠٣، ٣٣٣ - ج٢/ ٢٩، ١٩١، ٢٠٧
ابن الجوهرى	ج١/ ٢٢١
جويرية بن أسماء	ج١/ ٣٠
جلال الدين = عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد، الخضرى، السيوطى	
جلال الدين = محمد بن أحمد بن سليمان الأنصارى، ابن حضيب داريا، أبو عبد الله	
جيداء	ج١/ ٢٣٧، ٢٣٨
الطائى	ج١/ ٢٤٦
الحارث بن سعيد بن حمدان، الحمدانى، العدوى، التغلبى، أبو فراس	ج٢/ ١١٥
الحارث بن سليمان	٣٣٠
الحارث بن الفرند	٢٧١
الحارث بن كلدة	٢٤٣، ٢٤٤
الحارث بن معاوية الجعفى، مرثد بن أبى حمران	ج١/ ٣٣٩، ٣٤٠
أبو حازم = مسلمة بن دينار المخزومى الأعرج	
الحافظ مغلطاى	ج١/ ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١١٠، ١٢٢، ١٣٦، ١٤٦، ٢٧٥، ٣٠٤
أبو حامد = عبد الحميد بن وهبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى	
حامد الفاخورى	ج١/ ٩٣
ابن الحباب	ج١/ ١٣٨
حبابة "جارية الأحوص"	ج١/ ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩
حبوبة بنت حباب الطابخى	ج١/ ٣٤٣
حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى، أبو تمام	ج٢/ ٨٣
ابن الحبيب = الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقى، أبو محمد، بدر الدين	

Marfat.com

العلم	الصفحة
حبيبة الحضرية	ج١/ ١٠٩
حبيش بنت سعد بن أسلم	ج١/ ٢١٥، ٢١٧
الحجاج الثقفى	ج١/ ٢٥٣ - ج٢/ ٤٥، ٥٣، ١٣٢، ١٣٣
ابن حجر العسقلانى	ج٢/ ٤٥، ١٨٠
ابن أبى حجلة	ج٢/ ٨٧، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١٣١، ١٦٥
ابن حجة = أبو بكر بن على بن عبد اله التقى، الحموى، الحنفى	
ابن الحدادية = قيس بن منقذ بن مالك الكنانى	
ابن أبى الحديد= عبد الحميد بن هبة ا لله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد، عز الدين	
الحدين البحرانى	ج١/ ٧٢
حذيفة بن شداد بن كعب	ج١/ ٢٤٧
الحرباء "زوجة اليزيد بن عبد الملك"	ج٢/ ٢٠٩
حرملة بن سعد بن مالك	ج١/ ٢٢٢
الحريرى	ج٢/ ١٥٧، ١٥٨
الحزامى = يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الشافعى النووى، أبو زكريا	
حسام الدين الجابرى	ج٢/ ١٤٢
الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، الهاشمى	ج١/ ٣٧٦
أبو الحسن = ابن سمنون بن حمزة الخواص	
أبو الحسن= عبد ا لله بن موسى بن الحسن السلامى	
الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبى ، أبو محمد، ابن وكيع	ج٢/ ١٠٣، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨
أبو الحسن= على بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، ابن الساعاتى	
الحسن بن على بن رسول الصاحب بدر الدين	ج٢/ ٣٦
أبو الحسن = على بن عمر بن جلدك التركمانى المشد، ابن قزل	
أبو الحسن = على بن محمد بن فهد، التهامى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
أبو الحسن = على بن محمد بن نصر بن منصور البغدادى، ابن يسام	
أبو الحسن = على بن مقلد بن نصر، الكنانى، ابن منقذ	
الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقى، أبو محمد، بدر الدين بن الحبيب	ج٢/ ١٤٥
الحسن القيروانى، ابن رشيق، أبو على ج١، ٢٠٢ -	ج١/ ١٠٠، ١٣٩
أبو الحسن= محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى، البغدادى، ابن سكرة	
أبو الحسن= محمد بن سعدون بن المهدى، الأزدى، ابن هانئ، أبو القاسم	
أبو الحسن= مصعب بن الحسين البصر، الماجن	ج١/ ٢٨٠
أبو الحسن المؤدب	ج٢/ ١٣١٣، ٢٤٢
الحسين بن الضحاك أبو على الباهلى	ج٢/ ١٦٤، ١٧٣
أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد جمال الدين الجزار	
الحسين بن على بن أبى طالب ج١/ ١٠٦، ١٣٨، ١٣٩، ٣٠٦	
الحسين بن على بن عبد الصمد الأصبهانى، الليثى، الطغرائى، مؤيد الدين، أبو إسماعيل	ج٢/ ١١٠
الحصرى = إبراهيم بن على بن تميم القيروانى، أبو إسحاق	ج٢/ ٢١٢
الحطيئة	
أبو حفص = عمر بن عبد العزيز، الشطرنجى، أبو جعفر	
أبو حفص = عمر بن محمد بن حسن، الوراق، سراج الدين	
الحكم بن عبد المطلب المخزومى	ج١/ ٢٤٤
الحكم بن قنبر بن معمر الحضرى	ج٢/ ١١٥
الحلي= عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض "السنبسى" صفى الدين	
حماد ج١/ ١٢٩ -	ج٢/ ٢١٥
الحمدانى = الحارث بن سعيد بن حمدان العدوى، التغلبى أبو فراس	ج١/ ٣١٤
حمدونية بنت عيسى بن موسى	ج١/ ٢٨٤
حمزة الشاعر	

Marfat.com

العلم	الصفحة
حمزة بن عبد الله بن الزبير	ج١/٣٧٦
أبو حمزة = محمد بن إبراهيم البغدادى، الصوفى	
الحموى = إبراهيم بن محمد بن هبة الله، الخزاعى، ابن قرناص	
الحموى = محمد بن يعقوب بن على ، مجير الدين، ابن تميم	
حميد بن جابر	ج١/ ٨٣
الحنبلى = الشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود، الحلبى، أبو الثناء	
الحنظلى = عبد الله بن واضح، ابن المبارك، الخوارزمى، أبو عبد الرحمن	
الحورانى= محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصارى، الكوفى، شرف الدين، أبو المحاسن، ابن عنين	
حوط بن الخشرم بن كرز ، القضاعى	ج٢/ ٣٧٣
أيو حيان	ج١/ ٣٥٤
حيان القيس	ج١/ ٨٥
خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد، القسرى، أبو الهيثم	ج١/ ٣١٣
خالد بن كلثوم	ج١/ ١٦٦
خالد بن الوليد	ج١/ ٢١٥
خالد بن يزيد، الكاتب، أبو القاسم	ج١/ ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣ - ج٢، ١٣٤
الخالدى= سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، أبو عثمان	
أبو خثعم= كعب بن مالك	
الخدرى= سعد بن مالك بن سنان الأنصارى، الخزرجى، أبو سعيد	
أبو خرزة = جرير بن عطية بن الخطفى التميمى البصرى	
الخزاعى = إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموى	
الخزاعى = دعبل بن على بن رزين، أبو على	
الخضرى = الحكم بن قنبر بن معمر	
الخضرى = عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد، السيوطى، جلال الدين	
ابن خطاب	ج٢/ ١٤

Marfat.com

العلم	الصفحة
الخطيب	ج٢/ ٥، ٧
ابن خطيب داريا = محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصارى، جلال الدين، أبو عبد الله	
ابن خفاجة = إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله، الأندلسى، أبو إسحاق	
ابن خلف	ج١/ ٢٢٠
خليل بن أبيك بن عبد الله، الصلاح الصفدى، أبو الصفاء	ج١/ ٣١٢ - ج٢/ ٨٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٧، ١٨٨
خليل بن شاهين الشيخى، الصفدى، الشاهينى، علاء الدين	ج٢/ ٧٤
الخنساء	ج١/ ٣٧٠، ٣٧٢
خوات بن جبير	ج٢/ ٢١٠
الخواص = سحنون بن حمزة، أبو الحسن	
خويلد بن خالد الهذلى، أبو ذؤيب	ج١/ ١٦٥
الخيزرانى	ج٢/ ١٤٣
ابن دأب	ج١/ ٣٢٠
دانيال عليه السلام	ج١/ ٣٤١، ٣٤٢ - ج٢/ ٢٧
داود بن عيسى الأيوبى، الملك الصالح	ج٢/ ١٦٩
أبو الدر = ياقوت عبد الله الرومى، مهذب الدين	
ابن دريد = محمد بن الحسن الأزدى، البصرى، أبو بكر	
دعبل بن على بن رزين الخزاعى أبو على	ج٢/ ١٦٠
الدقاق	ج١/ ٢٥٧
دلف بن جحدر البغدادى الشبلى، أبو بكر	ج١/ ٨٣، ٨٧، ٨٨
الدمشقى = الحسن بن عمر بن الحسن أبو محمد، بدر الدين بن الحبيب	
الدمشقى = يوسف بن مسعود بن محمد بن على، العبادى، العقيلى، السرمدى، جمال الدين، أبو المظفر	
الدمياطى	ج٢/ ١٧١
ابن الدمينة	ج١/ ١٤٩

Marfat.com

العلم	الصفحة
ابن أبى الدنيا = عبد عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى، الأموى	
أبو دهبل	ج١/ ٣٤٥
دلال	ج١/ ٣٤٨
ديك الجن = عبد السلام بن رغبان الكلبى	
الذبيانى = زياد بن معاوية بن ضباب النابغة، الغطفانى، أبو أمامة	
ذرعة بن خالد العذرى	ج١/ ٢٤١
الذهبى	ج١/ ١٧٥، ١٩٧
ذو الرمة = غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة المصرى	
ذو النون = ثوبان بن إبراهيم، المصرى	
أبو ذؤيب = خويلد بن خالد الهذلى	
ابن الرئيس	ج٢/ ١٥٧
رابعة العدوية	ج١/ ١٠٠
راشد بن صفوان الهذلى	ج١/ ٢٤٤
راشد بن عبد العزى	ج١/ ٢١٨
رباح بن راشد أبو كحلاء	ج١/ ١٩٣
رباح بن سعد بن أثالة	ج١/ ١٦٥
رباح بن عامر	ج١/ ١٦٧
رباح بن مالك	ج١/ ١٧٠
ربيحة بنت عبد الله بن جعفر	٢٩١/ ٢٩٢
علم الربيع	ج١/ ٢٨٨
الربيع بن عبد الجبار بن كامل، أبو محمد المرادى	ج١/ ٣٣٢
الربيع بنت معوذ بن عفراء	ج٢/ ٥٨
ربيعة بن ثابت بن العيذار، الأسدى، أبو ثابت، أبو العلاء الرقى	ج٢/ ٢٢٠
الرشيد	ج١/ ٢٦٤، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٧٩

Marfat.com

العلم	الصفحة
ابن الرشيق = الحسن القيروانى، أبو على	
الرقاشى = الفضل بن عبد الصمد بن الفضل البصرى، أبو العباس	
روبيل	ج٢/ ٢٦
ابن الرومى	ج٢/ ١٣٤، ١٧٢
الرماح بن مالك بن ابرد بن ميادة	ج١/ ١٠٨
رملة بنت أثيلة بن مصقع	ج١/ ٢٣٩
ريا بنت الغطريف السلمى	ج١/ ٢٢٦
ريا بنت مسعود بن رقاش	ج١/ ٢٢٩، ٢٣٠
رياح بن عمرو القيسى أبو المهاجر	ج١/ ٩٠
الرياشى = العباس بن فرج بن على بن عبد الله البصرى	
ابن ريان	ج٢/ ١٥٦
زبيدة بنت جعفر بن المنصور	ج٢/ ٢٠٥، ٢٠٦
الزبير بن بكار بن أبى بكر أبو عبد الله	ج١/ ٢٨٧
الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو عبد الله	ج١/ ٣٠٦
الزجاج	ج١/٢٧٩
الزرقاء "جارية ابن رامى"	ج١/ ٣٥٠
أبو زكريا = يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الشافعى، النووى	
زكى الدين أحمد بن محمد بن على بن حسن الأنصارى، الشهاب الحجازى، أبو العباس، أبو الطيب	
أبو زهير	ج١/ ٩١، ٩٢
زهير بن أبى سلمى	ج١/ ١١٠
زهير بن محمد بن على بن عاصم الأزدى، المهلبى، العتكى، بهاء الدين، أبو العلاء، أبو الفضل	ج٢/ ٨٠، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٩، ١٦٣، ١٨٣
الزوزنى = فضل الله بن عبد الحميد، الفاضل	
ابن الزيات	ج١/ ٢٨١

Marfat.com

العلم	الصفحة
زياد بن عطفان	ج١/١٠٧
زياد بن كعب	ج١/ ١٦٨، ١٧٤
زياد بن معاوية بن ضباب النابغة الذبيانى الغطفانى، أبو أمامة	ج١/ ٣٤٦
زيادة بن اليزيد الذبيانى	ج١/ ٣٧٣
زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، تاج الدين اليمانى	ج٢/١٥٢
ابن زيدون = أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومى، الأندلسى، القرطبى، أبو الوليد	
الزين المصرى	ج٢/ ١٥٣
زينب بنت صفوان بن غازى	ج١/ ٢١٨، ٢٢٠
الساطرون "ملك برستجار"	ج١/ ٣٥٤
ابن الساعاتى = على بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن	
الساعدى = سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الأنصارى	
السامرى	ج١/٢٧٧
سحنون بن حمزة الخواص أبو الحسن	ج١/ ٨٦ - ج٢/٢٢٧
سحيم الحبشى	ج١/ ٣٤٥
السراج	ج١/ ٧٧
سراج الدين = عمر بن محمد بن حسن الوراق، أبو حفص	
السراج الوراق	ج٢/٨٠، ١٤٢، ١٠٩
ابن السروجى	ج٢/ ٩٢، ٩٣
السرى الرفاء	ج٢/ ١٢٨، ١٦٠، ١٨٩
سعد بن ضبيعة	ج٢/ ١٩٢
سعد بن مالك بن سنان الأنصارى، الخزرجى، الخدرى، أبو سعيد	ج٢/ د
سعد بن أبى وقاص	ج٢/ ٥٨
سعدون	ج١/ ٨١
سعدى بنت عبد الله بن عثمان	ج١/ ٢٥٩، ٢٩١، ٢٩٢
السعدى = على بن محمد بن عبد الله بن نشوان الجذامى، المصرى، علاء الدين، ابن عبد الظاهر	

Marfat.com

العلم	الصفحة
السعدى = محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الله، البغدادى	
أبو سعيد = أحمد بن عيسى الجزار البغدادى	
ابن سعيد التيمى	ج١/ ٩٠
سعيد بن خالد	ج١/ ٣٣٠
سعيد بن الدهان بن المبارك بن على، الأنصارى، البغدادى، تاج الدين، أبو محمد	ج٢/٢٢٣
أبو سعيد = سعد بن مالك بن سنان الأنصارى، الخزرجى، الخدرى	
سعيد بن سعيد، أبو عثمان، الكاتب	ج٢/ ١١٤
سعيد بن العاص	ج١/ ٣٧٣
أبو سعيد القطان	ج١/ ٩٥
سعيد بن مسعدة الأخفش	ج١/ ٢٥٧، ٢٥٨
سعيد بن ميسرة	ج١/ ٢٧٥
سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، الخالدى، أبو عثمان	ج٢/ ١٣٢
سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن منقذ بن ثور، الثورى	ج١/ ٣٠٣ - ج٢/ ٥، ٣٠
سقراط	ج٢/ ٧٣
ابن سكرة = محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى البغدادى، أبو الحسن	
سكينة بنت الحسين	ج١/ ١٢٨
سلمى بنت خشرم بن كرز، القضاعى	ج١/٣٧٣
السلمى= صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد	
سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث، الرياحى	ج١/ ٣٧٠
سلمة بن دينار المخزومى الأعرج، أبو حازم	ج٢/ ٢١٦
السلمى = نصر بن حجاج بن علاط، البهزى	
سليمان عليه السلام	ج٢/ ١٣٤
أبو سليمان	ج١/ ٨٢
سليمان بن عبد الملك	ج١/ ٢١٩، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٧، ، ٣٤٨، ٣٤٩
ابن السماك	ج١/٩٤
سمعان	ج٢/ ٢٧

Marfat.com

العلم	الصفحة
السميدع بن عمرو الكلابى	ج١/ ٢٦٤
سمير الأيلى	ج١/ ٣٤٩
ابن سنا الملك	ج٢/ ٨١، ٨٧، ٩٠، ١١٤، ١٣٥، ١٥٧، ١٦٢
سنان الكلبى	ج١/ ٣٤٧، ٣٤٩
السنبسى= عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريضى، الحلى، صفى الدين	
سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الساعدى الأنصارى	ج١/ ١٢٤
سهل بن عبد الله بن يونس التسترى، أبو محمد	ج١/ ٨٥
سهل بن المرزبان، أبو نصر	ج١/ ٢٧٥
السوائى = حماد عجرد بن عمر بن يونس بن كليب، أبو عمرو	
سوسن	ج١/ ٣٤١، ٣٤٢
سلامة	ج١/ ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤ ، ٢٩٨، ٢٩٩
السلامى = عبد الله بن موسى بن الحسن، أبو الحسن	
ابن سيرين	ج٢/ ١٣٢
سيف الدين = على بن عمر بن جلدك التركمانى المشد، أبو الحسن	
السيوطى = عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد، الخضرى، جلال الدين	
الشاب الظريف= محمد بن سليمان بن على بن عبد الله، ابن العفيف، شمس الدين، أبو عبد الله	
الشافعى = محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله	
أبو شامة	ج١/ ١٢٩
الشاهينى = خليل بن شاهين الشيخى، الصفدى علاء الدين	
الشبلى = دلف بن جحدر، البغدادى، أبو بكر	
الشحمى	ج١/ ٣١٣
أبو شراعة	ج١/٢٤٢
شرف الدين = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى، الأربلى، أبو البركات، ابن المستوفى	
شرف الدين = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصارى، الكوفى، الجورائى، أبو المحاسن ابن شريح الشافعى	ج٢/ ٨

Marfat.com

العلم	الصفحة
الشريف البياض	ج١/ ٣٠٢
الشريف الرضى	ج٢/ ٢٢٢
الشريف = محمد بن صالح بن حمزة العباسى، ابن الهبارية، أبو يعلى	
الشريف المقدسى	ج٢/ ١٨٧
الشريف الموسوى	ج٢/ ١٨٩
الشطرنجى = عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر، أبو حفص	
شعانين	ج١/ ٣١٠
الشعبى	ج٢/ ٢١٦
شعياء اليهودى	ج٢/ ٢٤، ٢٧
شمس الدين بن خلكان	ج١/ ١٣٣
شمس الدين بن أبى السرور بن محمد بن على، البكرى، الصديقى، الشافعى	ج٢/١١٩
شمس الدين بن الصائغ	ج٢/ ١٤٢، ١٤٩، ١٥٥، ١٧٨
شمس الدين = محمد بن حسن بن على بن عثمان، النواجى	
شمس الدين= محمد بن سليمان بن على بن عبد ا لله، الشاب الظريف» ابن العفيف، أبو عبد ا لله	
شمس الدين = محمد بن على الأندلسى، الهوارى، أبو عبد ا لله	
شمس الدين = محمد بن على بن عثمان، العوفى، الإسكندرى، أبو الفتح، صالح المزى	
شمعون	ج٢/ ٢٣، ٢٦، ٢٧
شميلة (خضراء) بنت أبى حياء بن أبى بهر	ج٢/ ٥٢
الشهاب الحجازى = أحمد بن محمد بن على بن حسن، الأنصارى، أبو العباس، أبو الطيب، زكى الدين	
شهاب الدين = أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطى، أبو العباس	
شهاب الدين = محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، التلعفرى أبو المكارم	
شهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلى، الحلبى، أبو الثناء	ج١/ ١١٢، ١٢٧، ١٤٩، ١٩٦، ٢٦٦ - ج٢/ ١١١، ١٤٠، ٢٢٠
الشهرستانى = أحمد بن محمد، البغدادى، ابن النقيب	
الشواء	ج٢/ ١٨٧
الشيبانى = مدرك بن محمد بن على ، أبو القاسم	

Marfat.com

العلم	الصفحة
الشيرزى	ج١/ ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٦٦ - ج٢/ ٤٧
الصاحب = إسماعيل بن عباد بن العباس ابن إدريس الطالقانى، أبو القاسم	
الصاحب بدر الدين = الحسن بن على بن رسول	
صاحب الدمية = على بن الحسن بن على بن ابى الطيب الباخرزى	
صخر بن عمرو بن الحارث بن الثريد، السلمى	ج١/ ٣٧٠
صدر الدين = محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى العثمانى، ابن الوكيل، ابن المرحل، أبو عبد الله	
الصديقى = شمس الدين بن أبى السرور بن محمد بن على بن عبد الرحمن الشافعى البكرى	
أبو الصفاء = خليل بن أيبك بن عبد الله الصلاح الصفدى	
الصفدى = خليل بن شاهين الشيخى، الشاهينى، علاء الدين	
صفى الدين = عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض، السنبسى، الحلى	
الصلاح = خليل بن أيبك بن عبد الله، الصفدى، أبو الصفاء	
الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاشى القشيرى التغلبى، أبو مالك	ج١/ ٢٢٩
الصنوبرى = أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الضبى	
صلاح الدين الأيوبى	ج٢/ ٩٠
صيفى بن سعيد الباهلى	ج١/ ٣٥٩
الضبى = الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، ابن وكيع، أبو محمد	
ابن الضحاك = الحسين، أبو على الباهلى	
الضنى = عروة بن حزام بن مهاجر	
الطائى = حبيب بن أوس بن الحارس بن قيس ، أبو تمام	
الطائى = الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم، البحترى، أبو عبادة	
الطالقانى = إسماعيل بن عباد بن العباس بن إدريس، الصاحب، أبو القاسم	
ابن طاهر	ج١/ ٢٣٩، ٢٨٧
طرفة بن العبد	ج١/ ٢٠٧

Marfat.com

العلم	الصفحة
طريف بن غطفان	ج١/ ٢٠٧
الطغرائى	ج٢/ ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩
طلحة بن عمرو بن مرة، الجهنى	ج١/ ٣٧٦
الطنبغا الجاولى	ج٢/ ١٥٢
طويس	ج١/ ٣٤٨
أبو الطيب = أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الكوفى، المتنبى	
أبو الطيب = أحمد بن محمد بن على بن حسن الأنصارى، الشهاب الحجازى، أبو العباس، زكى الدين	
طيفور بن عيسى بن شروسان أبو يزيد، البسطامى	ج١/ ٧٢
ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكنانى، أبو الأسود الدؤلى	ج١/ ٣٦١
الظاهرى = محمد بن داود بن على بن خلف، أبو بكر	
ظريف بن نعيم الغفارى	ج١/ ٣٠١
ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذرى	ج١/ ٢٤١
ظل الشجر	ج١/ ٣٤٩
ابن عائشة = محمد، أبو جعفر	
عائشة بنت طلحة	ج١/١١٥
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية	ج١/ ٣٠٥
ابن عاصم	ج٢/ ٤٧
عاصم البصرى	ج١/ ٩٤
عامر بن سعيد بن راشد	ج١/ ٢٥٦، ٢٥٧
عامر بن عمران بن زياد الضبى، أبو عكرمة	ج٢/ ٢١٨
عامر بن ملوح بن مزاحم	ج١/ ١٥٤، ١٦٥
عباد "المخنث"	ج١/ ٣٤٢
ابن عباد	ج١/ ٢٨٣
ابن عباد = إسماعيل بن العباس بن إدريس الطالقانى، الصاحب، أبو القاسم	
أبو عباد = عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب	
أبو عباد = معبد بن وهب المدنى	
أبو عبادة = الوليد بن عبيد بن يحيى بن حشم الطائى، البحترى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
العبادى = يوسف بن مسعود بن محمد بن على، الدمشقى، العقيلى، السرمدى، جمال الدين، أبو المظفر	
أبو العباس = أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطى شهاب الدين	
أبو العباس = أحمد بن على بن الحسن بن الحسين الأزدى، المهلبى	
أبو العباس = أحمد بن محمد بن على بن حسن، الأنصارى، أبو الطيب، زكى الدين	
العباس بن الأحنف	ج٢/٨٧، ١٦٤، ٢٢٢
أبو العباس = عبد الله بن محمد بن المتوكل، ابن المعتز، جعفر بن المعتصم، البغدادى	
العباس بن فرج بن على بن عبد الله، البصرى، الرياشى	ج١/ ٢٦٩، ٣١٩، ٣٦٨
أبو العباس = الفضل بن عبد الصمد بن الفضل البصرى، الرقاشى	
العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة، ابن بربر	ج١/ ٣١٢
العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أبو الفضل، المهدى	ج٢/ ١٦٤
العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أبو الفضل، المهدى	ج٢/ ١٦٤
العباس بن وكيع	ج٢/ ٢٩
عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد، عز الدين، ابن أبى الحديد	
	ج١/ ٨٣ ، ١٧٠ - ج٢/ ٧٨
ابن عبد ربه	ج١/ ٢١٤
عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال، وضاح اليمن	ج١/ ٣٤٤
عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضرى، السيوطى، جلال الدين	ج١/ ١٠٦، ١٣٨،
	١٣٩ ، ٢٤٤، ٣٧٥ - ج٢/ ١٦٥، ١٩٢
عبد الرحمن بن حسان	ج١/ ٣٧٥
عبد الرحمن الصوفى	ج١/ ٩١
عبد الرحمن العقيلى	ج٢/ ٢٢٠
عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطى، ابن مكانس، فخر الدين، أبو الفرج	ج٢/ ١٦٢، ١٧٢، ١٧٨
أبو عبد الرحمن = محمد بن عبد الله بن محمد العتقى الأفريقى، الفريابى	
أبو عبد الرحمن = معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب	
أبو عبد الرحمن = يونس بن حبيب النحوى	
عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقى أبو يحيى، ابن نباتة	ج٢/ ٩٢، ١٤٢، ١٤٤،
	١٤٥، ١٥٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٨٧

Marfat.com

العلم	الصفحة
عبد السلام بن رغبان الكلبى، ديك الجن	ج١/ ٣٥٢
عبد الصمد بن منصور المغربى الإشبيلى، المعذل	ج١/ ٩٢
عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم، ابن عبد الظاهر = على بن محمد بن عبد ا لله بن نشولن، الجذامى، المصرى، السعدى علاء الدين	ج٢/ ٩٣
عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض السنبسى، الحلى، صفى الدين	ج٢/ ١٠٨ ، ١٤٠، ١٤١ ، ١٦٤، ١٦٨
عبد العزيز بن على الطحان	ج١/ ٧٧
عبد العزيز بن مروان	ج١/ ٢١٨
أبو عبد ا لله = إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدى، الواسطى، نفطويه	ج١/ ٣٠٥
عبد ا لله بن أبى بكر الصديق	ج١/ ٣٠٤، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣
عبد ا لله بن جعفر	ج١/ ٣٠٠
أبو عبد ا لله الخبشانى	ج١/ ٢٣٢
عبد ا لله بن أبى بن رباح بن ضمرة	
أبو عبد ا لله = الزبير بن بكار بن أبى بكر	
أبو عبد ا لله = الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى	
عبد ا لله بن سبرة	ج١/ ٣٦٠
عبد ا لله بن عباس	ج١/ ١٠٥، ١١٨، ١٤٦، ١٩٣ - ج٢/ ٤٥
عبد ا لله بن عجلان بن عبد الأصب بن عامر بن كعب	ج١/ ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥
عبد ا لله بن علقمة بن زرارة	ج١/ ٢١٥، ٢١٧
عبد ا لله بن عمر	ج١/ ٩٤، ٣٠٦
عبد ا لله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص	ج١/ ٣٧٧
أبو عبد ا لله = محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصارى، جلال الدين بن خطيب داريًا	
أبو عبد ا لله = محمد بن إدريس بن العباس، الشافعى	
أبو عبد ا لله = محمد بن سليمان بن على بن عبد ا لله، الشاب الظريف، ابن العفيف، شمس الدين	
عبد ا لله بن محمد بن عاصم، الأحوص، الأنصارى	ج١/ ١٠٦، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨
عبد ا لله بن محمد بن عبيد، القرشى، الأموى، ابن أبى الدنيا	ج١/ ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥ ج٢/ ٢٢٥

Marfat.com

العلم	الصفحة
أبو عبد الله - محمد بن على الأندلسى، الهوارى، شمس الدين بن جابر	
عبد الله بن محمد بن على، المنصور، أبو جعفر	ج١/ ٢٩٩
أبو عبد الله - محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى، العثمانى، ابن الوكيل، ابن المرحل، صدر الدين	
عبد الله بن محمد بن المتوكل، ابن المعتز، جعفر بن المعتصم، البغدادى، أبو العباس	ج٢/ ٩٥، ٩٦، ١٠٨، ١١٦، ١٣٢، ١٤٣
أبو عبد الله = محمد بن يعقوب بن على، مجير الدين	
عبد الله بن معمر القيسى	ج١/ ٢٢٦
عبد الله بن موسى بن الحسن، السلامى، أبو الحسن	ج٢/ ٢٢٣
عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى المأمون	ج١/ ٣٣٥
عبد الله بن واضح الحنظلى، ابن المبارك، الخوارزمى، أبو عبد الرحمن	ج١/٧٩، ٨٠، ٨٢
عبد المسيح	ج٢/ ٤٧
عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى، الثعالبى، أبو منظور	ج٢/١٦١
عبد الملك بن مروان	ج١/ ١١٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٧٥، ٢٥٦، ٣٠٢ ج٢/ ٤٥، ١٩٩
أبو عبد الملك = مروان بن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس	
عبد الوهاب السندوبى	ج٢/ ١٦١
عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة، البصرى	ج١/ ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٩٩
عبد الوارث أبو عبيدة العيزى	ج١/ ٩٠
عبود	ج١/ ٣٥٠
عبيد النعالى	ج١/ ٢٦٧
أبو عبيدة = عبد الواحد بن زيد، البصرى	
أبو عبيدة = عبد الوارث العيزى	
عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى	ج١/ ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
عتبة الغلام بن أبان البصرى	ج١/٨٤، ٨٥، ٨٨
عتبة بن المطلب المخزومى	ج١/ ٢٤٤
العتبى	ج١/ ٢٢٠، ٢٦٦

Marfat.com

العلم	الصفحة
العتقى = محمد بن عبد الله بن محمد، الأفريقى، الفريابى، أبو عبد الرحمن	ج١/ ١٤٨، ١٤٩، ٢٢٠
ابن أبى عتيق	
أبو عثمان = سعيد بن سعيد، الكاتب	
أبو عثمان = سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، الخالدى	ج٢/ ٥٣
عثمان بن أبى العاص	ج١/ ١٩٥، ١٩٧، ٣٤٥
عثمان بن عفان	
العجلى = إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، أبو إسحاق	ج١/ ٣٤٣
عدى بن أوس (رئيس بنى كلب)	ج٢/ ١٣٦
ابن عروس	
عروة بن حزام بن مالك العذرى	ج١/ ١٧٤، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢
عروة بن حزام بن مهاجر الضنى	ج١/ ١٥٩، ٢٣٣
عروة بن قيس	ج١/ ١٠٦، ١١٢
عز الدين = عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد، ابن أبى الحديد	
عز الدين = على بن الحسين بن على الموصلى	
أبو العز= مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على العيلانى، موفق الدين	
عزة بنت جميل بن حفص بن إياس	ج١/ ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣ ، ١٣٦
ابن عساكر	ج١/ ١٣٨، ١٩٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٣٧٥
أبو العشائر	ج٢/ ١٥٧
ابن عطاء	ج١/ ٧٧
أبو عطاء السعدى	ج٢/ ١٣٩
عفراء بنت هصر بن مالك	ج١/ ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦
عفراء بنت الأحمر	ج١/ ٢٧١
العفيف التلمسانى	ج٢/ ١٤٩
ابن العفيف = محمد بن سليمان بن على بن عبد الله، الشاب الظريف، شمس الدين، أبو عبد الله	
عقبة بن مالك الفزارى	ج١/ ٢٠٨
العقيلة بنت أبو النجاد	ج١/ ٢٦١
أبو عكرمة = عامر بن عمران بن زياد الضبى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
عكرمة "مولى ابن عباس"	ج١/ ١٣٣
العكوك	ج٢/ ١٠٨
أبو على - اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون القالى	
على بن الجهم	ج٢/ ٧٩، ١٣٥، ١٩١
على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى	ج٢/ ١١٢، ١٦٣
أبو على = الحسن القيروانى، ابن رشيق	
أبو على = الحسين بن الضحاك الباهلى	
على بن الحسين بن على، عز الدين، الموصلى	ج٢/ ٦، ١٤٨، ١٥٣
أبو على - دعبل بن على بن رزين الخزاعى	
على بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن، ابن الساعاتى	ج٢/ ١٧٢
على بن سعيد العطار	ج١/ ٧٨
على بن سلمان	ج١/ ٨٤
على بن أبى طالب رضي الله عنه	ج١/ ٧٦، ٣١٩، ٣٠٦ - ج٢/ ١٣٢
على بن العباس الرومى	ج٢/١٨٧
على بن عمر بن جلدك التركمانى، المشد، سيف الدين، أبو الحسن، ابن قزل	ج٢/ ١٦٢، ١٧٦
على بن محمد بن عبد الله بن نشوان الجذامى، المصرى، السعدى، علاء الدين، ابن عبد الظاهر	ج٢/ ١٠٤، ١٢٧
على بن محمد بن فهد، التهامى، أبو الحسن	ج٢/١٤٣
على بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادى، ابن بسام، أبو الحسن	ج٢/١٣٨
على بن مقلد بن نصر، الكنانى، أبو الحسن، ابن منقذ	ج٢/ ٩٨
عماد الدين	ج٢/ ٧٧
عمارة (جارية ابن جعفر)	ج١/ ٣٢١
عمر بن الخطاب	ج١/ ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٣٠٦، ٣٥٧، ٣٥٩ ج٢/ ٥١، ٥٢، ٥٣، ٢٠٧
عمر بن أبى ربيعة	ج١/ ١١٥، ١١٦، ١١٨، ٣١٥ - ج٢/١٩٩، ٢٠٠
عمر بن عبد العزيز	ج١/ ٢٩٦ - ج٢/ ٤٤، ٤٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤
عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر الشطرنجى، أبو حفص	ج٢/ ٧٩، ٨٥

Marfat.com

العلم	الصفحة
عمر بن الفارض	ج١/ ٣٣٩ - ج٢/ ٩٢، ١٠٧، ١١٧، ١٢٢
عمر بن محمد بن حسن الوراق، أبو حفص سراج الدين	ج١/ ٢٧٧
عمر بن موسى بن عبيد الله، ابن معمر	ج١/ ٣٢٠
عمرو بن الجون	ج٢/ ٢٠٥
أبو عمرو = حماد عجرد بن عمر بن يونس بن كليب السوائى	
أم عمرو بنت أبى بن رباح	ج١/ ٢٣٢
عمرو بن ربيعة	ج١/ ١٢٦
عمرو بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة، المرقشى	ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣
عمرو بن العاص	ج١/ ١٩٤
أبو عمرو بن العلاء	ج١/ ٢٥٧
عمرو بن عوف	ج١/ ٢٣٦، ٢٣٧
عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكرى، الواثلى، النزارى	ج١/ ٣٣٩
عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء	ج١/ ٢٦١، ٢٦٣
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب أبو عباد	ج٢/١٥٩
عمرو بن يوحنا، النصرانى	ج٢/١٥
العمرى = إبراهيم بن على بن إبراهيم الموصلى، أبو إسحاق	ج٢/١٣٩
عنترة العبسى	
ابن عنين = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصارى، الكوفى، شرف الدين، أبو المحاسن	ج١/٣٤٨
عوان (جارية)	ج١/٢٩٢، ٢٩٣
أم عوف (المغنية)	
العوفى= محمد بن على بن عثمان، الإسكندرى، شمس الدين، أبو الفتح، صالح المزى	
علاء الدين= خليل بن شاهين الشيخى، الصفدى، الشاهينى	
علاء الدين= على بن محمد بن عبد الله ابن نشوان الجذامى، المصرى،السعدى، ابن عبد الظاهر	ج٢/١٤٧
علاء الدين المدنى	
أبو العلاء = ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الأسدى، أبو ثابت الرقى	ج٢/٨٤، ٩٦، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٨
أبو العلاء المعرى	
ابن عياش = أبو بكر بن سالم، الأسدى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
عياش الكنانى	ج١/٢٧١
أبو العيرانة	ج٢/٦٤
العيزى = عبد الوارث، أبو عبيدة	
عيسى عليه السلام	ج٢/٢٣،٢٥
أبو عيينة	ج١/١٩١
على بن الحسين بن على، عز الدين الموصلى	ج١/٦،١٤٨،١٥٣
أبو على - دعبل بن على بن رزين الخزاعى	
على بن رستم بن هردوس، بهاء الدين، أبو الحسن، ابن الساعاتى	ج٢/١٧٢
على بن سعيد العطار	ج١/٨٧
على بن سلمان	ج١/٨٤
على ابن أبى طالب رضي الله عنه	ج١/٧٦،٣١٩،٣٠٦ - ج٢/١٣٢
على بن العباس الرومى	ج٢/١٨٧
على بن عمر بن جلدك، التركمانى، المشد، سيف الدين، أبو الحسن، ابن قزل	ج٢/١٦٢،١٧٦
على بن محمد بن عبد الله ابن نشوان الجذامى، علاء الدين ابن عبد الظاهر	ج٢/١٠٤،١٢٧
على بن محمد بن فهد التهامى، أبو الحسن	ج٢/١٤٣
على بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادى، ابن بسام، أبو الحسن	ج٢/١٣٨
على بن مقلد بن نصر الكنانى، أبو الحسن، ابن منقذ	ج٢/٩٨
عماد الدين	ج٢/٧٧
عمارة (جارية ابن جعفر)	ج١/٣٢١
عمر بن الخطاب	ج١/١٩٤،١٩٥،١٩٦،٣٠٦،٣٥٧،٣٥٩، ج٢/٥١،٥٢،٥٣،٢٠٧
عمر بن أبى ربيعة	ج١،١١٥،١١٦،١١٨،٣١٥، ج٢/١٩٩،٢٠٠
عمر بن عبد العزيز	ج١/٢٩٦، ج٢/٤٤،٤٥،٢١٢،٢١٣،٢١٤
عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر الشطرنجى، أبو حفص	ج٢/٧٩،٨٥
عمر بن الفارض	ج١/٣٣٩، ج٢/٩٢،١٠٧،١١٧،١٢٢
عمر بن محمد بن حسن الوراق، سراج الدين	ج١/٢٧٧
عمر بن موسى بن عبيد الله	ج١/٣٢٠
عمر بن الجون	ج٢/٢٠٥
أبو عمرو = حماد عجرد بن عمر بن يونس بن كليب السوائى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
غادر (جارية المهدى)	ج١/٣٨٧
أبو غالب	ج٢/١٥١
غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى	ج١/٢٢٩
الغدور بنت قيس بن خالد	ج٢/٢٢٠٥
غسان بن جهضم	ج١/٣٧٧
ابن غنيم	ج١/٢٨٠
غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة المصرى، ذو الرمة	ج١/١٢٧، ١٣٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٤
ابن فاتك	ج١/٢١٩
الفاروقى= عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل، أبو يحيى، ابن نباتة	
الفاضل= فضل الله بن عبد الحميد، الزوزنى	ج١/٣٧٦
فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب	ج٢/٤٤
فاطمة بنت عبد الله	ج١/٣٧٦
فاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبى طالب	ج١/٨١
أبو الفتح بن سحنون	
أبو الفتح= محمد بن على بن عثمان العوفى الإسكندرى، شمس الدين صالح، المزى	
أبو الفتح= محمود بن الحسين السندى بن شاهيك، كشاجم، أبو النصر	
أبو الفتوح= نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمى، الأزهرى، ابن قلاقس	
ابن الفرات= محمد بن عبد الرحيم بن على المصرى، الحنفى	
أبو فراس= الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدانى، العدوى، التغلبى	ج١/١٠٧، ١١٠
أبو الفرج الأصفهانى	ج١/٩٣
أبو الفرج الصوفى	
أبو الفرج= عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطى، فخر الدين	
الفرزدق= همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، التميمى، أبو فراس	
الفريابى= محمد بن عبد الله بن محمد العتقى الأفريقى، أبو عبد الرحمن	ج١/٣٦٠
الفريص	ج٢/٥٣
فريعة بنت همام، المتمنية	

Marfat.com

العلم	الصفحة
أبو الفضل= أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى، النيسابورى	
أبو الفضل= جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، المتوكل	
أبو الفضل= جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى	
أبو الفضل= العباس بن محمد بن على بن عبد ا لله بن عباس، المهدى	
الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، البصرى، أبو العباس، الرقاشى	ج٢/٢٠٠،٢٠١
فضل ا لله بن عبد الحميد الزوزنى، الفاضل	ج٢/٩٩
أبو الفضل بن وفاء	ج٢/١٥٢،١٧٩
ابن الفؤاد	ج١/٣٤٩
ابن الفوّار	ج١،٢٢٩
الفويرك	ج١/٢٨١
قابوس	ج٢/١٠٤
أبو القاسم= اسماعيل بن عباد بن العباس ابن إدريس الطالقانى، الصاحب	
أبو القاسم= خالد بن يزيد الكاتب	
القاسم الشركسى	ج١/٩٣
أبو القاسم= عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك	
أبو القاسم= محمد بن سعدون بن المهدى الأزدى، أبو الحسن بن هانئ	
أبو القاسم= مدرك بن محمد بن على، الشيبانى	
أبو القاسم= هبة ا لله بن الفضل بن عبد العزيز بن على البغدادى، ابن القطان	
القاضى الفاضل، ابن عياض	ج٢/٩٠،١٢٧
القاضى مجد الدين	ج٢/٨٩
القالى= اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون، أبو على	
القرشى= محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد، المخزومى، البدر الدمامينى	
ابن قرناص= إبراهيم بن محمد بن هبة ا لله، الخزاعى، الحموى	
ابن قزل= على بن عمر بن جلدك التركمانى المشد، سيف الدين، أبو الحسن	
القسرى= خالد بن عبد ا لله بن يزيد بن أسد، أبو الهيثم	
القشيرى= الصمة بن عبد ا لله بن مسعود بن رقاش، التغلبى، أبو مالك	

Marfat.com

العلم	الصفحة
ابن القطان= هبة ا لله بن الفضل بن عبد العزيز بن على البغدادى، أبو القاسم	ج٢/٢٠٩
القهرمانة	
القوارىرى= الجنيد بن محمد النهاوندى، البغدادى	
ابن قلاقس= نصر ا لله بن عبد ا لله بن مخلوف اللخمى، الأزهرى، أبو الفتوح	
القيراطى= إبراهيم بن شرف الدين بن عبد ا لله بن محمد، برهان الدين	
قيس بن ذريح	ج١/١٣٨،١٣٩،١٤٤،١٤٩، ١٥٧،١٧٩،١٨٠، ٢٠٢،٣٠١،٣٦٢
قيس لبنى	ج١/١١٠،١١٢،٣٦٢
قيس بن منقذ بن مالك الكنانى، ابن الحدادية	ج١/٢٤٦
القيسى= رياح بن عمر، أبو المهاصر	
الكاتب= خالد بن يزيد، أبو القاسم	
الكاتب= سعيد بن سعيد، أبو عثمان	
الكاتب= يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار	
كامل بن الضين	ج١/٢٧٣
ابن كثير	ج١/٧٧
كثير بن الصلت	ج١/ ١٤٧
كثير عزة	ج١/١١٠،١١٣،١٢٦،١٢٧،١٢٨،١٢٩،١٣١،١٣٣،١٣٦، ٣٦٣
	ج٢/١٩٧،١٩٩
كسرى أبرويز	ج١/٢٩٠
كشاجم= محمود بن الحسين بن السندى بن شاهيك، أبو الفتح، أبو النصر	
كعب بن الأميل الطائى	ج١/٢٥٦
كعب بن مالك، أبو خثعم	ج١/ ٢٣٢،٢٣٣
كعب بن مسعدة الغفارى	ج١/٣٦٤
كعب بن معاوية	ج١/٢٤٧
الكلبى	ج١/١٢٦
الكندى= امرؤ القيس بن حجر بن الحارث	
لبنى بنت الحباب الكعبية	ج١/١٣٨،١٣٩،١٤١،١٤٤،١٤٥،١٤٦،١٤٧،١٤٨،١٥٣
اللخمى= المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات، ابن المستوفى	

Marfat.com

العلم	الصفحة
اللخمى= نصر الله بن عبد الله بن مخلوف، الأزهرى، أبو الفتوح، ابن قلاقس	
اللخمى= النعمان بن النذر بن امرئ القيس بن عمرو	
لطيفة	ج١/٢٨٥
لقمان بن عاد بن ملطاط	ج١/٣٥١
لقيط بن زرارة	ج٢/ ٢٠٥
لوقا	ج٢/٢٣،٢٤،٢٥،٢٦
ابن لؤلؤ الذهبى= يوسف بن عبد الله، الدمشقى، بدر الدين	
ليلى الأخيلية	ج١/١٨٢،٢٤٧،٢٥٠، ٢٥١،٢٥٢،٢٥٣
ليلى بنت مهدى بن سعد	ج١/ ١٥٤،١٥٥،١٥٧، ١٥٩،١٦٠، ١٦٢،١٦٣، ١٦٥، ١٦٦،١٦٨،١٦٩،١٧١،١٧٣،١٧٤،١٧٥،١٧٨،١٨١
مالك بن الحرب بن الصمصامة بن أخرش الجعدى	ج١/٢١٢
مالك بن دينار	ج١/٩١
أبو مالك= الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش، القشيرى، التغلبى	
مالك العذرى	ج١/٢٦٨
مالك بن غفيلة العذرى	ج١/٣٦٤
المأمون= عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى	
المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات، ابن المستوفى	ج١/١٧١
ابن المبارك= عبد الله بن واضح الحنظلى، الخوارزمى، أبو عبد الرحمن	
المبرد	ج١/٢٧٨،٢٧٩
المتجردة(امرأة المنذر بن ماء السماء)	ج١/٣٤٦
المتمنية= فريعة بنت همام	
المتنبى= أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكوفى، أبو الطيب	
المتوكل= جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل	
مجاشع بن مسعود السلمى	ج٢/٥٢،٥٣
مجنون ليلى	ج١/١٦٠،١٦١،١٦٢،١٦٥،١٦٦،١٦٨،١٧٠،١٧٤،١٧٥، ١٧٨،١٨٠،١٨٢،١٩١،٢٠١،٣٠١،

Marfat.com

العلم	الصفحة
مجير الدين= محمد بن يعقوب بن على، الحموى، ابن تميم	
أبو المحاسن= محمد بن نصر ا لله بن مكارم بـن حسـن الأنصـارى، الكوفـى، شـرف الدين الحورائى، ابن عنين	
محمد بن إبراهيم	ج١/٣٠٤
محمد بن إبراهيم البغدادى، الصوفى، أبو حمزة	ج٢/٤٩
محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد المخزومى، البدر الدمامينى	ج٢/١٥١،١٧٩
محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصارى، جلال الدين بن خطيب داريٍّ، أبو عبد ا لله	ج٢/١٤٦
محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد ا لله، السعدى، البغدادى	ج٢/٦١
محمد بن أحمد الغسانى، الوأواء الدمشقى، أبو الفرج	ج٢/٨٩،١٤٤
محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد ا لله، الشافعى	ج١/٣٣٢،ج٢/١٦٥، ١٩٢
أبو محمد= اسحاق بن إبراهيم بن محمود، التميمى، الموصلى، ابن النديم	
أبو محمد= اسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمى، الموصلى	
محمد بن أمية	ج١/١٦٢
محمد بن الحسن بن دريد الأزدى، البصرى، أبو بكر	ج١/١٢٩،٢٢٩،٢٦٢، ٢٦٧،ج٢/٢٢١،١٩٢
أبو محمد= الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبى	
محمد بن حسن بن على بن عثمان، شمس الدين النواجى	ج٢/١٥٦
محمد بن رعاد	ج٢/١٥٢
محمد بن على الأندلسى، الهوارى،شمس الدين بن جابر، أبو عبد ا لله	ج٢/١٦٥
أبو محمد= الحسنبن عمر بن الحسن الدمشقى، بدر الدين بن الحبيب	
محمد بن خلكان، شمس الدين، أبو عبد ا لله	ج٢/١١
محمد بن داود بن خلف، الظاهرى، أبو بكر	ج٢/٧،٨
أبو محمد= الربيع بن عبد الجبار بن كامل، المرادى	
محمد بن سعدون المهدى، الأزدى، أبو الحسن بن هانئ أ أبو القاسم	ج٢/١٦١
أبو محمد= سعيد بن الدهان بن المبارك بن على الأنصارى،البغدادى، تاج الدين	
محمد بن سليمان بن على بن عبد ا لله، الشاب الظريف، ابن العفيف، شمـس الديـن،	

Marfat.com

العلم	الصفحة
أبو عبد الله	ج٢/٩٤،١٠٩، ١١١، ١٢٣،١٤٣، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥
أبو محمد= سهل بن عبد الله بن يونس، التسترى	
محمد بن شرف الدين القيروانى	ج١/١٠٣
محمد بن صالح بن حمزة العباس، الشريف ابن الهبارية، أبو يعلى	ج١/٩٥،٩٩
محمد بن صالح العلوى	ج١/٣١٤
محمد الصيدلانى	ج٢/٧
محمد بن عائشة، أبو جعفر	ج١/٢٦٩
محمد بن عبد الرحيم بن على المصرى، الحنفى، ابن الفرات	ج١/٢٤١
أبو محمد= عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب	
محمد بن عبد الله بن محمد العتقى، الأفريقى، الفريابى، أبو عبد الرحمن	ج١/٢٦١،٢٦٢
محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى، البغدادى، أبو الحسن، ابن سكرة	ج٢/١٠٩،١٩٠
محمد بن عبد الملك	ج١/٢٨٢
محمد بن على بن عثمان العوفى، الإسكندرى، شمس الدين، أبو الفتح،صالح المزى	ج١/٨٩،٩١،٩٢
محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى، العثمانى، ابن الوكيل، ابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد الله	ج٢/١١٢
محمد بن عياض	ج٢/١٨٧
محمد بن قطن الصوفى	ج٢/٥٠
أبو محمد= ابن المسيب بن حزن بن أبى وهب القرشى، المخزومى	
محمد بن موسى بن على المراكشى، جمال الدين، أبو البركات	ج٢/٢٢٤
أبو محمد= موسى شهوات بن يسار المدنى	
محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصارى، الكوفى، الحورائى، شرف الدين، أبو المحاسن، ابن عنين	ج٢/٨٠،١٥٧
محمد بن نوفل	ج١/١٧٥
محمد بن واسع	ج١/٩١

Marfat.com

العلم	الصفحة
محمد بن وهيب الحميرى، أبو جعفر	ج٢/٢١٩
محمد بن ياقوت	ج٢/١٤٧
محمد بن يعقوب بن على، مجير الدين، الحموى، ابن تميم	ج٢/١٥٠،١٧٤،١٨٨
محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، التلعفرى، شهاب الدين، أبو المكارم	ج٢/١٨١
محمود بن الحسين بن السندى بن شاهيك، كشاجم، أبو الفتح، أبو النصر	ج٢/٩٤
محى الدين البغدادى	ج٢/١٠٥
المخزومى ابن المسيب بن حزن بن أبى وهب القرشى، أبو محمد	
المدائنى= عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين، ابن أبى الحديد	
مدرك بن محمد بن على الشيبانى، أبو القاسم	ج٢/١٥
المدنى= معبد بن وهب، أبو عباد	
المرادى= الربيع بن عبد الجبار بن كامل، أبو محمد	
ابن المراغة= جرير	
ابن المرحل= محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى، العثمانى، ابن الوكيل، صدر الدين، أبو عبد الله	
ابن المرزبان	ج٢/٢١٨،٢٧٥
المرقش= عمرو بن سعد بن مالك بن قيس	
مرقولا	ج٢/٢٤
مروان بن الحكم بن أبى العاص، أبو عبد الملك	ج١/٣٠٦،٣٠٨،٣٠٩
مروان بن هشام الحضرمى	ج١/١١١
مرة النهدى	ج١/٢٧٣
مريم عليها السلام	ج٢/٢٣،٢٥
مزيد، أبو اسحاق	ج٢/٢١٤،٢١٥
المزى= محمد بن على بن عثمان العوفى، الإسكندرى،شمس الدين، أبو الفتح	
ابن أبى مساحق	ج٢/٢١٠
مسافر بن عمرو بن عبد شمس	ج١/٢٠٥
ابن المستوفى= المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات	

Marfat.com

العلم	الصفحة
مسعدة بن واثلة الصارمى	ج١/٢٣٩
مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف البياضى، أبو جعفر	ج٢/١٣٩
المسعودى (شارح المقامات)	ج١/٣٦٢، ج٢/١٢٨
ابن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى، القرشى، أبو محمد	ج٢/٥
المسيح عليه السلام	ج١/٣٥٠،٣٥١
المصرى= غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، ذو الرمة	
المصرى= محمد بن عبد الرحيم بن على، الحنفى، ابن الفرات	
ابن مصعب	ج٢/٢١٤
مصعب بن الحسين البصرى، أبو الحسن، الماجن	ج٢/٢٠٠
مصعب بن الزبير	ج١/٣٦٠
ابن مطران	ج٢/١٤٢
ابن مطروح= يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين المصرى، الصعيدى، جمال الدين	
المظفر الآمدى	ج٢/١٦٨
مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على الغبلانى، أبو العز، موفق الدين	ج٢/١٤٧
أبو المظفر= يوسف بن مسعود بن محمد بن على العبادى، الدمشقى، العقيلى، السرمدى، جمال الدين	
أبو معاذ= بشار بن برد العقيلى	
معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب، أبو عبد الرحمن	ج١/١٤٤،١٩٥، ٢٥٦، ٣٠٨،٣٠٩، ٣٢١، ٣٤٥،٣٧٣
معاوية بن عبد الله بن جعفر	ج١/٢٩٥
معبد (المغنى)	ج١/٢٩٢،٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٧،٣٠٨
معبد بن وهب، أبو عباد المدنى	ج١/١٢٠،١٢١،١٢٢
ابن المعتز= عبد الله بن محمد بن المتوكل، جعفر بن المعتصم، البغدادى، أبو العباس	
المعذل= عبد الصمد المغربى، الإشبيلى	
المعرى= أحمد بن عبد الله بن سليمان ابن الحارث بن ربيعة، التنوخى	ج٢/٢٨
ابن معمر= عمر بن موسى بن عبيد الله	
معين الدين	ج٢/٨١

Marfat.com

العلم	الصفحة
المغيرة بن شعبة	ج٢/٥٣
المقدسى	ج١/٢١٧
أبو المكارم= محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، التلعفرى، شهاب الدين	
ابن مكانس= عبد الحمن بن عبد الرزاق القبطى، فخر الدين، أبو الفرج	
الملك الصالح= داود بن عيسى الأيوبى	
ابن أبى مليكة	ج١/٣٢٣
المنخل بن مسعود بن عامر	ج١/٣٤٧
المنذر بن ماء السماء	ج١/٢٠٧،٣٤٦
المنذرى	ج١/٧٧
المنصور= عبد الله بن محمد بن على، أبو جعفر	
منصور بن عمار	ج١/٩٥،٩٦،٩٨
ابن منقذ= على بن مقلد بن نصر، الكنانى، أبو الحسن	
أبو منظور= عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى، الثعالبى	
أبو المهاصر= رياح بن عمرو القيسى	
المهدى= العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، أبو الفضل	
مهذب الدين= ياقوت بن عبد الله الرومى، أبو الدر	
المهرانى= أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، أبو نعيم، الأصبهانى	
المهرجان (صوفى)	ج٢/٤٩
مهذب الدين بن منير الطرابلسى	ج٢/٣٧
المهلبى= أحمد بن على بن الحسن بن الحسين، الأزدى، أبو العباس	
موسى شهوات بن يسار المدنى، أبو محمد	ج١/٣٣٠
موسى بن محمد بن أبى جعفر المنصور، العباسى، الهادى	ج١/٣٧٨
موفق الدين= مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على العيلانى، أبو العز	
الموصلى= إبراهيم بن على بن إبراهيم، العمرى، أبو اسحاق	
الموصلى= على بن الحسين بن على، عز الدين	
المؤيد= إسماعيل بن على بن محمود بن محمد	
مى بنت صلابة بن قيس بن عاصم الغسانى	ج١/٢٠٧،٢٠٩

Marfat.com

العلم	الصفحة
ابن ميادة= الرماح بن مالك بن أبرد	
الميدانى= أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابورى، أبو الفضل	
ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى، أبو النصر	ج٢/٥٣، ٢٠٨
ميلاء بنت أبى بن رباح	ج١/٢٣٢، ٢٣٣
النابغة= زياد بن معاوية بن ضباب، الذبيانى، الغطفانى، أبو أمامة	
ابن الناشئ الأكبر	ج٢/١٢٩
ناصح الدين= أحمد بن محمد بن الحسين، الأرجانى، أبو بكر	
نافع بن الأزرق	ج١/١٢٨
ابن نباتة= عبد الحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقى، أبو يحيى	
ابن النبيه	ج٢/١٠٨، ١١٠، ١٤٧، ١٥٢
أبو النجاد بن النعمان بن المنذر	ج١/٢٦١
ابن النحاس	ج١/٢٢٥
النحوى= يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن	
النخعى	ج٢/٥
ابن النديم= اسحاق بن إبراهيم بن محمود التميمى، الموصلى، أبو محمد	
النزارى= عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكرى، الوائلى	
نسطوريون	ج٢/٢٣، ٢٧
نسيم السحر	ج١/٣٤٨
نسيم الصبا	ج١/١٧١
نصر بن حجاج بن علاط السلمى، البهزى	ج٢/٥١، ٥٢، ٥٣
أبو النصر= سهل بن المرزبان	
نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمى، الأزهرى، أبو الفتوح، ابن قلاقس	ج٢/١٤٧، ١٥٥
أبو النصر= محمود بن الحسين بن السندى بن شاهيك، كشاجم، أبو الفتح	
أبو نصر= ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى	
نصيب بن رباح، أبو محجن	ج٢/١٩٧
نصيب بن محجن الزنجى	ج١/٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠

Marfat.com

العلم	الصفحة
النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمى	ج١/٢٠٥،٢٦١،٣٤٧
نُعمى	ج١/٢٤٦
أبو نعيم= أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، المهرانى، الأصبهانى	
نفطويه= إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدى، الواسطى، أبو عبد الله	
ابن نفيس	ج٢/٢١٤
ابن النقيب= أحمد بن محمد، البغدادى، الشهرستانى	
نمير	ج١/٢٣٧
النهاوندى= الجنيد بن محمد، القواريرى، البغدادى	
النواجى= محمد بن حسن بن على بن عثمان، شمس الدين	
أبو نواس	ج٢/٣٣،٧٧،١١٥،٢٠٠،٢٠١،٢٠٤،٢٢٣
نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مسور بن مخرمة	ج١/١٧٥،١٧٧
نومة الضحى	ج١/٣٤٨
النووى= يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى، الشافعى، أبو زكريا	
النيسابورى= أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى، أبو الفضل	
الهادى= موسى بن محمد بن أبى جعفر المنصور العباسى	
ابن الهبارية= محمد بن صالح بن حمزة العباسى، الشريف، أبو يعلى	
هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن على البغدادى، أبو القاسم، ابن القطان	ج٢/٩٣
هدبة بن الخشرم بن كرز القضاعى	ج١/١١٠،٣٧٣
الهذلى= خويلد بن خالد، أبو ذؤيب	
أبو الهذيل	ج١/٢٦٧
ابن هشام	ج١/١٠٩
هشام بن عبد الملك	ج١/٢٧٤
همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، التميمى، الفرزدق،أبو فراس	ج١/٢٦٢،٢٩٤ - ج٢/١٤٥،١٩٧،١٩٨
هند الجهنية	ج٢/٤٥،٤٦
هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف	ج١/٢٠٥
هند بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدى	ج١/٢٠٢،٢٠٣،٢٠٤، ٢٠٥
أبو الهيثم= خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسرى	
هيفاء بنت عبد الله بن عامر	ج١/٢٤٥

Marfat.com

العلم	الصفحة
الهوارى= محمد بن على الأندلسى، شمس الدين بن جابر، أبو عبد ا لله	
الوائلى= عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكرى، الزازى	
الواسطى= إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدى، أبو عبد ا لله، نفطويه	
الوأواء الدمشقى= محمد بن أحمد الغسانى، أبو الفرج	
أبو وحشة	ج١/٣٠٣
الوداعى	ج٢/١٠٤، ١٤٤، ١٧١، ١٧٦
الوراق= عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين	
ابن الوردى	ج٢/١٣١، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٨
الوزير بن عيسى	ج٢/٨
وضاح اليمن= عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال	
ابن وكيع= الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبى، أبو محمد	
ابن الوكيل= محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى، العثمانى، ابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد ا لله	
ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم	ج٢/١٨٩
ابن الوليد	ج٢/١٥٦
أبو الوليد (الوزير)	ج٢/١٨٩
أبو الوليد= أحمد بن عبد ا لله بن غالب المخزومى، الأندلسى، ابن زيدون	
الوليد بن عبد الملك بن مروان	ج١/٣٤٤
الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم الطائى، البحترى، أبو عبادة	
	ج١/٢٠٢ - ج٢/٣٥، ٩٣، ١٥٨
الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان	ج١/٣١١
ياقوت بن عبد ا لله الرومى، مهذب الدين، أبو الدر	ج٢/١٣١، ١٧١
يحيى بن أكثم	ج٢/٦١
يحيى بن زكريا عليه السلام	ج٢/٢٥، ٢٧
يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى، الشافعى، النووى، أبو زكريا	ج٢/٥
أبو يحيى= عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل، الفاروقى، ابن نباتة	
يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين المصرى، الصعيدى، جمال الدين، ابن مطروح	ج٢/١٠٤
أبو يزيد= طيفور بن عيسى بن شروسان، البسطامى	
يزيد بن عبد ا لله	ج١/٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٥

Marfat.com

العلم	الصفحة
اليزيد بن عبد الملك	ج٢/٢٩
يزيد بن عون الصيرفى	ج١/٣٥٠
يزيد بن معاوية بن أبى سفيان	ج١/٢٢٣، ٣٢١، ٣٢٢ - ج٢/٨٢، ١٥٨، ١٨١
اليزيد بن الوليد	ج١/٢١٩
أبو يعقوب	ج٢/٢١٥
أبو يعلى= محمد بن صالح بن حمزة العباسى، الشريف ابن الهبارية اليمانى= زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، تاج الدين	
يهوذا	ج١/٣٤١
يواكيم	ج١/٣٤١
يوحنا	ج٢/٢٣، ٢٦
يوسف عليه السلام	ج١/٣٥٤
يوسف الثقفى	ج٢/٥٣
يوسف بن عبد الله الدمشقى، بدر الدين، اين لؤلؤ الذهبى	ج٢/١٦٩، ١٧٤
يوسف بن مسعود بن محمد بن على، العبادى، المشقى، العقيلى، السرمدى، جمال الدين، أبو المظفر	ج٢/١٥٦
يونس بن حبيب النحوى، أبو عبد الرحمن	ج١/٢٦٨، ٢٦٩
يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، الكاتب	ج١/٢٦٩

Marfat.com

فهرس القبائل

القبيلة	الصفحة
بنو الأخرش	ج١/٢١٢
بنو الأخيل	ج١/٢٤٧
الأزد	ج١/١٢٦
بنو أسد	ج١/٣٠٨، ج٢/٤٥
بنو باهلة	ج١/٢٣٩
بنو برمك	ج٢/١٩٠
بنو بكر بن وائل	ج٢/١٩٢
تميم	ج١/٢٥٧،٢٨٩، ج٢/١٩٢
بنو ثقيف	ج١/١٦٣
بنو جعدة	ج١/١٦٨،١٧٩،١٨١
بنو حران	ج١/٢٨٥
بنو الحريش	ج١/١٦٠،١٨١،٢٠٢
بنو الحسحاس	ج١/٣٤٥
بنو حنيفة	ج١/٢٦٢
بنو خزاعة	ج١/١٦٢،١٣٨،٢٤٦،٢٤٧،٢٧١
خزيمة	ج١/٢١٥
بنو ربيعة	ج١/١١٠،٢٢٩،٢٣٠
بنو سحيم	ج١/٢٦٥
بنو سعد	ج١/١٨١،٢٠٢
بنو شيبان	ج٢/١٥
طيء	ج١/٢٢٢،٢٥٧
بنو عامر	ج١/١٥٤،١٦٠،١٦٥،١٧٥،١٧٨،٢٠٤
بنو عبد مناف	ج١/١٢٦

Marfat.com

بنو عذرة	ج١/١١١،١٢٣،٢٤٣،٢٧٠،٣٦٦ ج٢/٥٨
بنو فزارة	ج١/٢٤٧،٣١٣
قريش	ج١/١٤٤
قحطان	ج١/٢١٥،٢٤٧،٢٧١
بنو قضاعة	ج١/٢٠٢،٣١٧
بنو كعب	ج١/١٣٨
كلب	ج١/٣٤٣
كنانة	ج١/٢١٨،٢٤٧
بنو كندة	ج١/٢٤٣
بنو مرة	ج١/١٧٩
مزينة	ج١/٢٥٧
نمير	ج١/٢٠٤
بنو نهد	ج١/٢٠٤
نهشل بن غالب	ج١/٢٦٢
بنو هذيل	ج١/٣٥٩،٣٦٦
وبرة	ج١/٣٤٣
بنو يشكر	ج١/١٩٣

Marfat.com

فهرس الكتب

الإحاطة بتاريخ غرناطة	ج٢/١٣
إحياء علوم الدين (الغزالى)	ج٢/١٤،٢٠٥
أخبار السودان (ابن الجوهرى)	ج١/٢٢٠
اختصار الكائنات	ج٢/٦٦
الإصابة (ابن حجر العسقلانى)	ج٢/٤٥
أعمدة المعانى للمنثور والمنظوم (ابن الأثير)	ج١/٢٠١
الأغانى (أبو الفرج الأصفهانى)	ج١/١٥٤،١٥٧،٣٢٣
اقتداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد العشاق	ج١/٣٦٢،٣٦٦
الأمالى (القالى)	ج١/١٠٦،٢٧٩
امتزاج الأرواح	ج١/٢٨٢
امتزاج النفوس	ج٢/٤٦
الأنساب (السمعانى)	ج١/٢٠٢،٢١٢
أنيس الجليس	ج١/٩٤،٩٥
البدور المسافرة	ج١/١٥٣
بلغة الإشفاق فى ذكر أيام العشاق (ابن رشيق)	ج١/٢٠٢
تحفة العروس	ج٢/٢٠٥
تسريح الناظر	ج١/١٦٢،١٩٢،٢٢٠،٢٣٩
تقسيم الصفائح	ج٢/٢٣
تنزيه النفس	ج١/١١٠
تنوير العيش	ج١/٣٠٣
تهذيب الإصلاح (التبريزى)	ج١/٢٥٤

Marfat.com

ثمرات الأوراق	ج٢/٩٣
جمهرة النسب	ج١/١٢٦
حلية الأولياء	ج١/٧٨، ٩٤، ج٢/٢١٢
خزائن الأسرار فى علم الحروف والأصفار	ج٢/٥٤
درر الأفكار فى التحريض على تزويج الأبكار	ج١/٣٥٦
ديوان الصبابة	ج٢/٣٠، ٩٥
الذهول والنحول (ابن المرزبان)	ج١/٢٧٥
ذيل الأمالى	ج١/١٢٨
روضة الدولتين (أبو شامة)	ج١/١٢٩
روضة العشاق	ج٢/٤٧
روضة القلوب	ج١/٢٢٤، ٢٤٣، ج٢/٣٠
الروض النضير	ج١/٢٥١
رياض اللطائف	ج١/٢٨٢
الزهرة	ج٢/٨٠٧
السماحة	ج١/٢٤٤
الشامات	ج١/٢٦١
الشامل	ج١/٢٧١
شرح التائية	ج١/٧٢
شرح الدريدية	ج١/١٠٩
شرح الشواهد (السيوطى)	ج١/١٠٦، ١٣٨، ٢٤٥، ٣٧٥، ٣٧٦
الشهنامة	ج١/٣٥٥
الطبقات	ج٢/٣٧
طوالع الأزهار	ج١/١٥٣
الظرائف	ج١/٢٠٢، ٢٠٧
ظرائف الأخبار	ج١/٢١٥

Marfat.com

عجيب الاتفاق فى تطابق أخبار العشاق (الفريابى) ج١/٢٦١،٢٦٨
قوت القلوب فى أخبار المحب والمحبوب ج١/٢٢٩،٢٣٠
لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار ج٢/٦٠،٦٣،٦٤،٦٥
لطائف الفوائد وظرائف الشوارد (ابن عبد ربه) ج١/٢١٤
محاسن البلدان ونزهة الأزمان ج١/٣٥٤
محاسن العبيد (ابن فاتك) ج١/٢١٩
مختصر الطبقات ج١/٢٤٤
المستجاد ج١/٣٣٥
منازل الأحباب (الشهاب محمود) ج١/١١٢،١٣١،١٤٦،١٤٩،١٣٥،٢٧٠،٣١٠
ج٢/٩٣،٢١١
نديم المسامرة (المقدسى) ج١/١٥٦،١٦٧،٢١٧،٢٥٧، ٣٣٥،٣٤٢
نزهة العشاق ج١/١٥٧
نزهة المشتاق ج١/١٥٥،١٦٣،١٧٥
نزهة النفوس ج١/١١٠
النزهة (ابن داود) ج١/١٣١،١٣٦،١٥٥،١٦٢،١٧١، ١٧٤،١٧٧،١٨٢،
١٨٦،١٩٣،١٩،١٩٦،٢٠٢،٢٠٣،٢٠٤،٢٠٧، ٢١٢،
٢١٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٣،٢٤٦،
٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦،٢٥٨، ٢٦٩، ٢٨٢ ، ٢٨٥
٣٠١،٣٥٠، ٣٦٤،٣٦٦ ، ٣٦٨

Marfat.com

طبع في مطابع دار الكتب العلمية
جسر المطار - سنتر الساحل التجاري
هاتف: ٨٤٨٤٨٧ - ٨٤٨٤٨٦ - ١ ٩٦١ +
بيروت - لبنان

Marfat.com

Marfat.com

تزيين الأسواق
بتفصيل أشواق العشاق

ISBN 2-7451-3426-4
90000 >
9 782745 134264

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Marfat.com